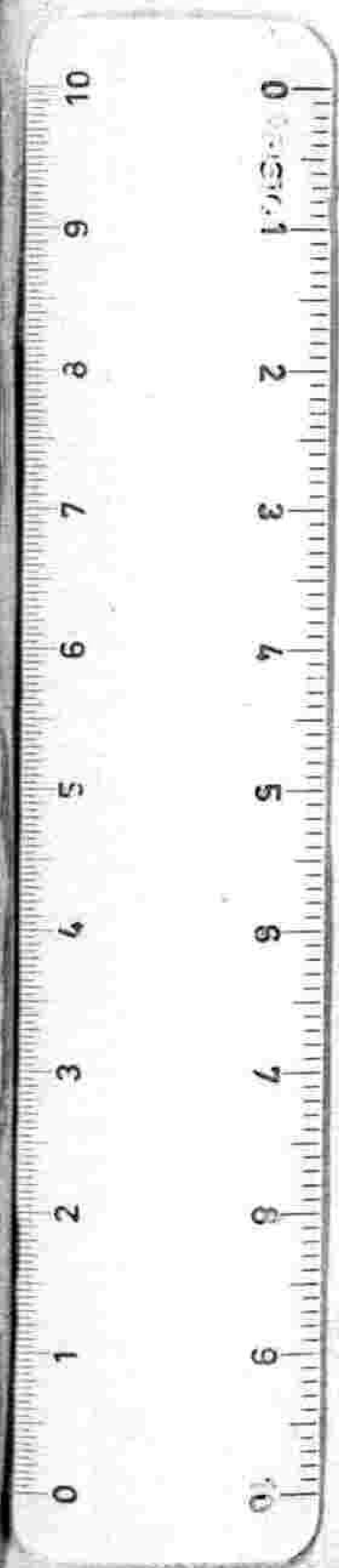
Abū-Šāma, Šihāb-ad-Dīn □Abd-ar-Rah□mān Ibn-Ismā□īl

al- Mu□allad al-auwal min kitāb ar-Raud□atain fī ah□bār ad-daulatain - BSB Cod.arab. 404

[S.l.] Ende 17. Jh.







المجلد الاول من تاريخ الروضتين في اخبار الدولتين
للشيخ الامام العلامة المشهور بابي شامة رحمه

١.

روضتين

طالع في هذا الكتاب
اضعف الانام الفقير
عبد الله ... ابن الحصري
سنة ١٠٨١

قيمت

المجلد الاول

من كتاب الروضتين

في اخبار الدولتين

النورية

والصلاحية

تصنيف الشيخ الامام العلامة الهمام افتخار علماء الانام
عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم
الشافعي تغمده الله
برحمته واسكنه
بحبوحة جنته
المشهور بابي شامة رحمه
الله



بسم الله الرحمن الرحيم ربِّ يسِّر

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الاعمال وبكرمه وجوده تدرك الامال وعلى وفق مشيئته تتصرف الافعال وبارادته تتغير الاحوال واليه المصير والمرجع والمآل سبحانه هو الباقي بلا زوال المنزه عن الحلول والانتقال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ذو العرش والمعارج والطول والاكرام والجلال نحمده على ما اسبغ من الانعام والافضال ومن به من الاحسان والنوال حمدا لا توازنه الجبال ملو السموات والارض وعلى كل حال ونصلي على رسوله ونبيه وخيرته من خلقه وصفيه وخليله ووليه وحبيبه المفضال سيدنا ابي القاسم محمد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال صلى الله عليه وعلى الملائكة المقربين والانبيا والمرسلين وعترته الطيبين ما افل كوكب وطلع هلال وعلى آل محمد وصحبه خير صحب واكرم آل وعلى تابعيهم باحسان وجميع الانبيا والابدال وعفا عن المقصرين من امته اولي الكسل والملال وحشرنا في زمرته متمسكين بشرعته مقتدين بسنته متعظين بما ضرب من الامثال مزدحمين تحت لوايه من جملة اوليايه يوم لا بيع فيه ولا خلال

اما بعد فانه بعد ان صرفت جل عمري ومعظم فكري في اقتباس الفوايد الشرعية واقتناص الفوايد الادبية عزمت ان اصرف الى علم التاريخ بعضه فاحوز بذلك

سنة العلم وفرمنه أفئدة البصيرة من مقتفي من كل عالم مرتضي
نقل إمام من الأئمة الا وحكى عنه من أخبار من سلف
ما يروي منهم امامنا ابو عبد الله الشافعي رحمه الله
قال مصعب الزبيري ما رأيت أحدًا أعلم بأيام الناس
من الشافعي ويروى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس
والادب عشرين سنة وقال ما اردت بذلك الا الاستعانة
على الفقه قلت وذلك عظيم الفائدة جليل العائد
وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار
الأمم السالفة وأنبا القرون الخالية ما فيه عبر لذوي
البصائر واستعداد ليوم تبلى السرائر قال
الله عز وجل وهو أصدق القائلين وكلا نقص عليك من أنباء
الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة
وذكرى للمؤمنين وقال سبحانه ولقد جاءهم من الأنباء
ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وحدث النبي
صلى الله عليه وسلم بحديث ام زرع وغيره مما جرى في الجاهلية
والأيام الاسرائيلية وحكى عجائب ما راه ليلة أسري به وعرج
وقال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وفي صحيح مسلم
عن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه
الذي صلى فيه الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فإذا طلعت
قام وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون

فيتبسم وفي سنن ابي داود عن عبد الله بن عمرو قال كان نبي
الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرآيل حتى نصبح ما نقوم
الا الى عظم صلاة قلت ولم تزل الصحابة والتابعون ومن
بعدهم يتفاوضون في حديث من مضى ويتذاكرون ما سبقهم
من الاخبار والقصص ويستنشدون الاشعار ويتطلبون
الاخبار والاثار وذلك بين من افعالهم لمن اطلع على احوالهم
وهم السادة القدوة فلنا بهم اسوة فاعتنيت بذلك وتتبعته
وبحثت عنه مدة وتطلبته فوقعت والحمد لله على جملة كبيرة
من احوال المتقدمين والمتاخرين من الانبيا والمرسلين
والصحابة والتابعين والخلفا والسلاطين والفقها والمحدثين
والاوليا والصالحين والشعرا والنحويين واصناف
الخلق الباقين ورأيت ان المطلع على اخبار المتقدمين كانه
قد عاصرهم اجمعين وانه عند ما يفكر في احوالهم او يذكرهم
كانه مشاهدهم ومحاضرهم فهو قايم له مقام طول الحياة
وان كان متعجل الوفاة قال نعيم بن حماد كان عبد
الله بن المبارك رحمه الله يكثر الجلوس في بيته فقيل له الا تستو
فقال كيف استوحش وانا مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
وفي رواية قال قيل لابن المبارك يا ابا عبد الرحمن
تكثر القعود في البيت وحدك قال انا وحدي انا مع النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه يعني النظر في الحديث وفي رواية
اخرى وانا مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين

بين

حش

لهم باحسان قلت ـــــ وقد انشدت لبعض الفضلا •
• كتاب اطالعه مونسي • احب الي من الانيسه •
• وادرسه في بني القرون حضورا واعظمهم دارسه •
وقد اختار الله لنا ان نكون اخر الامم واطلعنا على انباء
من تقدم لنتعظ بما جرى على القرون الخاليه ولنعتبها اذن
واعيه فهل ترى لهم من باقيه • ولنقتدي بمن تقدمنا
من الانبيا والايمة الصلحا ونرجوا بتوفيق الله تعالى ان
نجتمع بمن يدخل الجنة منهم ونذاكرهم بما نقل الينا عنهم ولله
على رغم انف من عدم الادب ولم يكن له في هذا العلم ارب
بل اقام على عنه واكب • والمرء مع من احب • هذا وان الجاهل
بعلم التاريخ راكب عميا خاطب خبط عشوا ينسب الي من
تقدم اخبار من تاخر ويعكس ذلك ولا يميز وان رد عليه
وهمه لا ينتاثر وان ذكر فلجهله لا يتذكر لا يفرق بين صحابي
وتابعي وحنبلي ومالكي وشافعي ولا بين خليفه وامير وسلطان
ووزير • ولا يعرف من سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم اكثر من
انه نبي مرسل فكيف له بمعرفة اصحابه وذلك الصدر الاوله
الذين بذكرهم ترتاح النفوس ويذهب البوس • ولقد رايت
مجلسا جمع ثلثة عشر مدرسا وفيهم قاضي قضاة ذلك الزمان
وغيره من الاعيان فجرى بينهم وانا اسمع ذكر من تحرم عليه
الصدقه وهي ذو القربي المذكورون في القران فقال
جميعهم هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وعدلوا باجمعهم في ذلك

عما يجب فتعجبت من جهلهم حيث لم يعرفوا بين عبد المطلب والمطلب
ولم يهتدوا الى ان المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب
هو بن هاشم فما احقهم بلوم كل لايم • ان هذا اصل من اصل
اصول الشريعه فهذا مهملوم وباب من ابواب العلم جهلوه ولزم
من قولهم اخراج بني المطلب من هذه الفضيله • فابتغيت
الى الله تعالى الوسيله وانفت من ذلك المقام فاخذتها بعلم
اخبار الانام وتصحيح نسبها وايضاح محجتها فان كثيرا ممن
يحفظ شيا من الوقايع يفوته معرفة نسبتها الى اربابها وان
نسبها خلط فيها وصرفها عن اصحابها وهو باب واسع عزيز الفوايد
صعب المصادر والموارد • زلت فيه قدم كثير من نقلة الاخبار
ورواة الاثار ثم اردت ان اجمع من هذا العلم كتابا يكون حاويا
لما حصلته والتقطته ما جربته فعمدت الى اكبر كتاب وضع في هذا
الفن على طريقة المحدثين وهو تاريخ مدينة دمشق حماها الله
عز وجل الذي صنفه الحافظ الثقة ابو القسم علي بن الحسن
العساكري رحمه الله وهو ثمانمايه جز في ثمانين مجلدا فاختصرته
وهذبته وزدته فوايد من كتب اخرى جليله واتقنته ووقف
عليه العلما وسمعه الشيوخ والفضلا ومر بي فيه من الملوك
المتاخرين ترجمة الملك العادل نور الدين فاضطربني ما رايت
من اثاره وسمعت من اخباره مع تاخر زمانه وتغير خلانه
ثم وقفت بعد ذلك في غير هذا الكتاب على سيرة سيد الملوك
بعده الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتاخرين كالعمرين

رضي الله عنهم في المتقدمين فان كلا منهما ان من العريقين حذا حذو
من تقدمه في العدل والجهاد واجتهد في اعزاز دين الله
اي اجتهاد ومهما ملكا بلادنا وسلطانا تخطتنا خصنا الله
تعالى بهما فوجب علينا القيام بذكر فضلهما فعزمت على افراد
ذكر دولتيهما بتصنيف يتضمن التقريظ لهما والتعريف فلعله
يقف عليه من الملوك من يسلك في ولايته ذلك السلوك
فلا ابعد انهما حجة من الله تعالى على الملوك المتاخرين وذكرى
منه سبحانه فان الذكرى تنفع المومنين فانهم يستبعدون
من انفسهم طريقة الخلفا الراشدين ومن حذا حذوهم من
الايمة السابقين ويقولون نحن في الزمن الاخير وما لاولئك
من نظير • فكان فيما قدر الله سبحانه من سيرة هذين
الملكين اقام للحجة عليهم ممن هو في عصرهم من بعض ملوك دهرهم
فلن يعجز عن التشبه بهما احد ان وفقه الله الكريم وسدده
واخذت ذلك من قول ابي صالح شعيب بن حرب المدايني رحمه
الله وكان احد السادة الاكابر في الحفظ والدين قال اني
لاحسب يجا بسفين الثوري يوم القيمة حجة من الله على هذا
الخلق يقال لهم لم تدركوا نبيكم فقد رايتم سفين الا اقتديتم
به وهذا اقول هذان حجة على المتاخرين من الملوك
والسلاطين فلله درهما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة
وجميل السريرة وهما حنفي وشافعي شفى الله تعالى بهما كل عي
وظهرت بهما من خالصهما العناية فتقاربا في العمر ومدة الولاية

ومن نكته قل من فطن لها ونبه عليها ولطيفة هداني الله
بتوفيقه اليها وذلك ان نور الدين رحمه الله ولد سنة احدى
عشرة وخمسمايه وتوفي سنة تسع وستين وولد صلاح
الدين رحمه الله سنة اثنين وثلثين وخمسماية وتوفي سنه
تسع وثمانين فكان نور الدين اسن من صلاح الدين بسنة واحدة
وبعض اخرى وكلاهما لم يستكمل ستين سنة فانظر كيف اتفق
ان بين وفاتيهما عشرين سنة وبين مولديهما احدى وعشرين
سنه وملك نور الدين دمشق سنة تسع واربعين وملكها
صلاح الدين سنه سبعين فبقيت دمشق في المملكة النوريه
عشرين سنة وفي المملكه الصلاحيه تسع عشرة سنه نجى
فيها السيه وتكتب الحسنه وهذا من عجيب ما اتفق في العمر
ومدة الولايه لبلده معينه لملكين متعاقبين مع قرب
الشبه بينهما في سيرتهما والفضل للمتقدم فكان زيادة مدة
نور الدين كالتنبيه على زيادة فضله والارشاد الى عظم
محله فانه اصل ذلك الخير كله مهد الامور بعدله وجهاده
وهيبته في جميع بلاده مع شدة الفتق واتساع الخرق
وفتح من البلاد ما استعين به على مداومة الجهاد فهان على
من بعده على الحقيقه سلوك تلك الطريقه لكن صلاح الدين
اكثر جهادا واعم بلادا صبر وصابر ورابط وثابر
وذخر الله له من الفتوح انفسه وهو فتح الارض المقدسه
فرضي الله عنهما فما احسنهما يقول الشاعر

كم نول

كم تنزله الاولى للآخر
واليس اسه ما تبك العظام وان يلين تحت الثري عفوا وغزانا
سقى ثري اودعوه رحمة ملات مثوي قبورهم روحا وريحانا
وقد سبقني الي تدوين ماثرهما جماعة من العلما الاكابر
الفضلا فذكر الحافظ الثقه ابو القاسم علي بن الحسن
الدمشقي في تاريخه ترجمة حسنة لنور الدين محمود بن زنكي
رحمه الله ولاجله تم ذلك الكتاب وذكر اسمه في خطبته
وذكر الرئيس ابو يعلي حمزة بن اسد التميمي في مذيل
التاريخ الدمشقي قطعه صالحه من اوايل الدوله النوريه
الي سنه خمس وخمسين وخمسماية وصنف الشيخ الفاضل
عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري
عرف بابن الاثير مجلدا في الايام الاتابكيه منها وما جري
فيها وفيه شي من اخبار الدوله الصلاحيه لتعلق احدي الدولتين
بالاخري لكونها متفرعة عنها وصنف القاضي بها الدين ابو
المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي عرف بابن شداد قاضي
حلب مجلدة في الايام الصلاحيه وسياتي ما تيسر فيها من الفتوح
واستفتح كتابه بشرح مناقب صلاح الدين رحمه الله وصنف
العماد الكاتب ابو حامد محمد بن محمد بن حامد الاصبهاني كتابين
كلاهما مسجوع متقن بالالفاظ الفصيحه والمعاني الصحيحه
احدهما الفتح القدسي اقتصر فيه علي فتوح صلاح الدين
وسيرته فاستفتحه بسنه ثلث وثمانين وخمسماية

والثاني البرق الشامي ذكر فيه الوقايع والحوادث من
الفتوحات والغزوات وغيرهما مما وقع من سنة ورود
دمشق وهي سنه اثنين وخمسماية الى سنة وفاة صلاح
الدين وهي سنة تسع وثمانين فاشتمل على قطعة كبيرة من
اخبار اواخر الدولة النوريه الا ان العماد في كتابيه طويل
النفس في السجع والوصف يمل الناظر فيه ويذهل طالب
معرفة الوقايع عما سلف من القول وبنسيه فحذفت تلك
الاسجاع الا قليلا منها استحسنتها في مواضعها ولم تكن خارجة
عن الغرض المقصود من التعريف بالحوادث والوقايع نحو ما شرحه
في اخبار فتح بيت المقدس شرفه الله تعالى وانتزعت المقصود
من الاخبار من بين تلك الرسايل الطوال والاسجاع
المفضيه في الملال واوردته الى يفهم الكلام الخاص والعام
واخترت من تلك الاشعار الكثيرة قليلا مما يتعلق بالقصص
وشرح الحال وما فيه نكتة غريبه وفضايل لطيفه ووقفت
على مجلدات من الرسايل الفاضليه وعلى جملة من الاشعار
العماديه مما ذكره في ديوانه دون برقه وعلى كتب اخر من
دواوين وغيرها فالتقطت منها اشيا مما يتعلق بالدولتين
او باحدهما وبعضه سمعته من افواه الرجال الثقات
ومن المدركين لتلك الاوقات • فاحضرت جميع ما في ذلك من
اخبار الدولتين وما حدث في مدتهما من وفاة خليفة او وزير
او امير كبير او ذي قدر خطير وغير ذلك فجا مجموعا لطيفا

دكنابا

وكنا باطوبها يصلح لمطالعة الملوك والاكابر من ذوي المآثر
والمفاخر وسميته كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ولله
حبيب بن اوس حيث يقول شعر
ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكانهم احلام

فصل الدولة النورية

اما الدولة النوريه فسلطانها الملك العادل
نور الدين ابو القسم محمود بن عماد الدين اتابك وهو ابو سعيد
زنكي بن قسيم الدوله رحمه الله تعالى نور الدين بن القسيم
وسنتكلم على اخبار اسلافه عند بسط اوصافه وقدمت
من اجمال احواله ما يستدل به على افعاله ذكر الحافظ
ابو القسم في تاريخه انه ولد في سنة عشر وخمسمايه وان
جده اق سنقر ولي حلب وغيرها من بلاد الشام ونشا ابوه
زنكي بالعراق ثم ولي ديار الموصل والبلاد الشاميه وظهرت
كفايته في مقابلة العدو وعند نزوله على شيزر حتى رجع
خايبا وفتح الرها والمعرة وكفرطاب وغيرها من الحصون
الشاميه واستنقذها من ايدي الكفار فلما انقضى اجله
قام ابنه نور الدين مقامه وذلك سنة احدى واربعين
وخمسمايه ثم قصد نور الدين حلب فملكها وخرج غازيا في
اعمال تل باشر فافتتح حصونا كثيرة من جملتها قلعة عزاز
وهرعشر وتل خالد وكسر ابرنس انطاكيه وقتله وثلثه
الاف فرنجي معه واظهر بحلب السنة وغير البدعة
التي كانت لهم في التاذين وقمع بها الرافضة وبنا بها

المدارس والمساجد واصلح طرقها ووسع اسواقها ومنع من
اخذ ما كان يوخذ منهم من المغارم بدار بطيخ وسوق
الغنم والكيالة وغيرها وعاقب على شرب الخمر واستنقذ
من العدو ثغر بانياس والمنيطرة وغيرهما وكان في الحرب
ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب يتقدم اصحابه ويتعرض
للشهادة وكان يسأل الله تعالى ان يحشره من بطون السباع
وحواصل الطير ووقف رحمه الله وقوفا على المرضى ومعلمي
الخط والقرآن وساكني الحرمين واقطع امراء العرب لئلا
يتعرضوا للحاج وامر باكمال سور المدينة واستخراج
العين التي باحد وبنى الربط والجسور والخانات وجدد
كثيرا من قنى السبيل وكذا صنع في غير دمشق من البلاد
التي معه ووقف كتبا كثيرا وحصل في اسره جماعة من
امراء الفرنج وكسر الروم والارمن والفرنج على حارم
وكان عدتهم ثلثين الفا ففتح حارم واخذ اكثر قرى
انطاكية ثم فتح الديار المصرية وكان العدو قد اشرف
على اخذها ثم اظهر بها السنة وانقمعت البدعة وكان حسن
الخط كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار النبوية
مواظبا على الصلوات في الجماعات عاكفا على تلاوة القرآن
حريصا على فعل الخير عفيف البطن والفرج مقتصدا في الانفا ق
متحريا في المطاعم والملابس لم يسمع منه كلمة فحش في رضاه
ولا في ضجره واشهى ما اليه كلمة حق يسمعها او ارشاد الى

سنة

سنه وقال ابو الحسن بن الاثير في تاريخه طالعت تواريخ
الملوك المتقدمين قبل الاسلام وفيه الي يومنا هذا
فلم ار فيها بعد الخلفا الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكا
احسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا اكثر تحريا
للعدل والانصاف منه قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره
وجهاد يتجهز له ومظلمة يزيلها وعبادة يقوم بها واحسان
يوليه وانعام يسديه ونحن نذكر ما نعلم به محله في امر
دنياه واخراه فلو كان في امة لافتخرت به فكيف بيت واحد
اما زهده وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه
وكثرة دخاير بلاده واموالها لا ياكل ولا يلبس ولا يتصرف
فيما يخصه الا من ملك كان له قد اشتراه له من سهمه
من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين احضر
الفقها واستفتاهم في اخذ ما يحل له من ذلك فاخذ ما افتوه
بحله ولم يتعداه الي غيره البته ولم يلبس قط ما حرمه الشرع
من حرير او ذهب او فضه ومنع من شرب الخمر وغيرها وبيعها
في جميع بلاده ومن ادخالها الي بلد ما وكان يحد شاربها
الحد الشرعي كل الناس عنده فيه سوا حدثني صديق
لنا بدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين زوجة
نور الدين ووزيرها قال كان نور الدين اذا جا اليها يجلس
في المكان المختص به وتقوم في خدمته لا تتقدم اليه الا ان
باذن في اخذ ثيابه عنه ثم يعتزل عنه الي المكان الذي

يحضرها ويتعهد بمونارة يطالع رقاع اصحاب الاشغال
او في مطالعة كتاب اتاه ويجيب عنها وكان يصلي فيطيل
الصلاة وله اوراد في النهار فاذا جا الليل وصلى العشا
ونام يستيقظ نصف الليل ويقوم الى الوضو والصلاة
الى بكرة فيظهر للركوب ويشتغل بمهام الدولة قال
وانها قلت عليها النفقة ولم يكفها ما كان قرره لها فارسلتني
اليه اطلب منه زيادة في وظيفتها فلما قلت له ذلك تنكر
واحمر وجهه ثم قال من اعطيها اما يكفيها ما لها والله لا اخوض
نار جهنم في هواها ان كانت تظن ان الذي بيدي من الاموال
هي لي فبيس الظن انما هي اموال المسلمين مرصدة لمصالحهم
ومعدة لفتوق ان كان من عدو اسلامهم وانا خازنهم عليها
فلا اخونهم فيها ثم قال لي بمدينة حمص ثلثة دكاكين ملكا وقد
وهبتها اياها فلتاخذها قال وكان يحصل منها قدر قليل
قال ابن الاثير وكان رحمه الله لا يفعل فعلا الا بنية
حسنة كان بالجزيرة رجل من الصالحين كثير العبادة
والورع شديد الانقطاع عن الناس وكان نور الدين
يكاتبه ويراسله ويرجع الى قوله ويعتقد فيه اعتقادا
حسنا فبلغه ان نور الدين يدمن اللعب بالكرة فكتب اليه
يقول له ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل بغير
فايدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول له والله
ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر انما نحن في ثغر العدو

فربما

فيرتب منا وبينما نحن جلوس اذ يقع صوت فيركب في الطلب
ولا يمكننا ايضا ملازمة الجهاد ليلا ونهارا شتاء وصيفا
اذ لا بد من الراحة للجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها
صارت جماما لا قدرة لها على ادمان السير في الطلب ولا
معرفة لها ايضا بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة فنحن
نركبها ونروضها بهذا اللعب فيذهب جمامها وتتعود سرعة
الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب فهذا والله الذي
يبعثني على اللعب بالكرة قال ابن الاثير فانظر الى هذا
الملك المعدوم النظير الذي يقل في اصحاب الزوايا المنقطعين
الى العبادة مثله فان من يجيء الى اللعب يفعله بنية صالحة
حتى يصير من اعظم العبادات واكبر القربات يقل في العالم
مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة
وهذه افعال العلماء الصالحين العاملين قال وحكى له عنه
انه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم
يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت اليها وبينما هم معه في حديثها
واذا قد جاءه رجل صوفي فامر بها له فقيل له انها لا تصلح
لهذا الرجل ولو اعطي غيرها كان انفع له فقال اعطوها
له فاني ارجو ان اعوض عنها في الاخرة فسلمت اليه فسار
بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار اميري او سبعمائة
دينار قلت نزلت في حاشية هذا المكان من كتاب
بن الاثير بخط بن المعطي ابا ما قال اعطاها الشيخ الصوفية

عماد الدين ابو الفتح بن حمويه بغير طلب ولا رغبة فبعتها
الى همذان فبيعت بالف دينار **قال** ابن الاثير
وحكى لنا الامير بهاء الدين علي بن السكري وكان خصيصا
بخدمة نور الدين قد صحبه من الصبى وانس به وله معه
انبساط قال كنت معه يوما في الميدان باكرها والشمس
في ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل فلما عدنا صار ظلنا
وراء ظهورنا فاجرى فرسه وهو يلتفت وراه وقال لي اتدري
لاي شي اجري فرسي والتفت ورائي قلت لا قال قد شبهت
ما نحن فيه بالدنيا تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها
قلت رضي الله عن ملك يفكر في مثل هذا **وقد**
انشدت بيتين في هذا المعنى

مثل الرزق الذي تطلبه ... مثل الظل الذي يمشي معك
انت لا تدركه متبعا ... فاذا وليت عنه تبعك

قال ابن الاثير وكان يعني نور الدين رحمه الله عارفا بالفقه
على مذهب الامام ابي حنيفة ليس عنده تعصب بل الانصاف
سجيته في كل شي وسمع الحديث واسمعه طلبا للاجر
وعلى الحقيقة فهو الذي جدد للملوك اتباع سنة العدل
والانصاف وترك المحرمات من الماكل والمشرب والملبس وغير
ذلك فانهم كانوا قبله كالجاهلية همة احدهم بطنه وفرجه
لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا حتى جا الله بدولته فوقف
مع اوامر الشرع ونواهيه والزم بذلك اتباعه وذويه

فاقتدى

فاقتدى به غيره منهم واستحيوا ان يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه
ومن سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى
يوم القيامة قال فان قال قايل كيف يوصف بالزهد من
له الممالك الفسيحة وتجبى اليه الاموال الكثيرة فليذكر نبي
الله سليمان بن داود عليهما السلام مع ملكه هو سيد الزهاد
في زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت
واليمن والحجاز وجميع جزيرة العرب من حدود الشام الى العراق
وهو على الحقيقة سيد الزهاد قال وانما الزهد خلو
القلب من محبة الدنيا لا خلو اليد عنها قال ـــ واما عدله
فانه كان احسن الملوك سيرة واعدلهم حكما فمن عدله انه لم
يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عشرا بل اطلقها
جميعها من بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل واعمالها وديار
مصر وغيرها مما حكم عليها وكان المكس في مصر يوخذ من
كل مائة دينار خمسة واربعين دينارا وهذا لم يتسع له نفس
غيره وكان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنا
من كان القوي والضعيف عنده في الحق سوا وكان يسمع
شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك
الى حاجب ولا امير فلا جرم سار ذكره في شرق الارض وغربها
قال ـــ ومن عدله انه كان يعظم الشريعة المطهرة
ويقف عند احكامها ويقول نحن شحنها نمضي اوامرها
فمن اتباعه احكامها انه كان يلعب بدمشق بالكرة فرأى

زهده

حضور نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى مع خصمه الى القاضي

انسانا يحدث اخر يوم بسبيل اليه فارسل اليه يساله عن حاله
فقال لي مع الملك العادل حكومة وهذا غلام القاضي
يحضرني الى مجلس الحكم يحاكمني على الملك العلاني فعاد اليه
ولم يتجاسر يعرفه ما قال ذلك الرجل وعاد يكلمه فلم يقبل
منه غير الحق فذكر له قوله فالقى الجوكان من يده وخرج
من الميدان وسار الى القاضي وهو حينئذ كمال الدين
بن الشهرزوري وارسل الى القاضي يقول له انني قد جيت
محاكما فاسلك معي مثل ما تسلكه مع غيري فلما حضر ساوى
خصمه وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين
فقال نور الدين حينئذ للقاضي ولمن حضر هل ثبت له عندي
حق قالوا لا قال اشهدوا انني قد وهبت له هذا الملك
الذي قد حاكمني عليه وهو له دوني وقد كنت اعلم لا حق
له عندي وانما حضرت معه لئلا يظن انني ظلمته فحيث ظهر
ان الحق لي وهبته له قال ابن الاثير وهذا غاية العدل
والانصاف بل غاية الاحسان وهي درجة وراء العدل فرحم
الله هذه النفس الزكية الطاهرة المنقادة الى الحق الواقفة
معه قلت وهذا امر مستكثر من ملك متاخر بعد فساد
الازمنة وتفرق الكلمة والا فقد انقاد الى المضي الى مجلس
الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمر وعلي ومعوية رضي الله عنهم
ثم حكى نحو ذلك من ابي جعفر المنصور وقد نقلنا ذلك
كله في التاريخ الكبير وفيه عن عبد الله بن طاهر قريب

من

من هذا لكنه احضر الحاكم عنده ولم يمض اليه وقد بلغني ان
نور الدين رحمه الله استدعي مرة اخرى ليحضر الى مجلس
الحكم بنفسه او نايبه فدخل حاجبه عليه متعجبا واعلمه ان
رسول الحاكم بالباب فانكر عليه تعجبه وقام رحمه الله مسرعا
فوجد في اثنا طريقه ما منعه من العبور من حرج بعض الحشوك
واستخراج ما فيه فوكل من ثم وكيلا واشهد عليه شاهدين
بالتوكيل ورجع قال ابن الاثير ومن عدله انه لم يكن
يعاقب العقوبه التي يعاقب بها الملوك في هذه الاعصار على
الظنه والتهمه بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت
البينه الشرعيه عاقبه العقوبه الشرعيه من غير تعد
فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير
ولايته مع شدة السياسه والمبالغه في العقوبة والاخذ
بالظنه وامنت بلاده مع سعتها وقل المفسدون ببركة
العدل واتباع الشرع المطهر وحكي لي من اثق به انه دخل
يوما الى خزانة المال فراي فيها مالا انكره فسال عنه فقيل
ان القاضي كمال الدين ارسله وهو من جهة كذي فقال
ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في هذه الجهة شي
ولا هو يرد واعادته الى كمال الدين ليرده الى صاحبه فارسله
متولي الخزانة الى كمال الدين فرده الى الخزانة وقال اذا سالك
الملك العادل عنه فقولوا له عني انه له فدخل نور الدين
الخزانة مرة اخرى فراه فانكر على النواب وقال الم اقل

لكم بعاد هذا المال على الصحابة فتذكروا له قول كمال الدين فرده
اليه وقال قل للرسول قل لكمال الدين انت تقدر على حمل
هذا واما انا فرقبتي دقيقة لا اطيق حمله والمخاصمة عليه بين
يدي الله تعالى بعاد قولا واحدا قال ومن عدله
ايضا بعد موته وهو من اعجب ما يحكى ان انسانا كان بدمشق
غريبا استوطنها واقام بها لما راى من عدل نور الدين فلما
توفي تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل فشكاه فلم ينصف
فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكي وقد شق ثوبه وهو يقول
يا نور الدين لو رايتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا اين عدلك
وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلهم يبكي
ويصيح فوصل الخبر الى صلاح الدين وقيل له احفظ البلد
والرعية والا خرج عن يدك فارسل الى ذلك الرجل وهو عند
تربة نور الدين يبكي والناس معه فطيب قلبه ووهبه
شيئا وانصفه فبكى اشد من الاول فقال له صلاح الدين لم
تبكي قال ابكي على سلطان عدل فينا بعد موته فقال صلاح
الدين هذا هو الحق وكلما ترى فينا من عدل فمنه تعلمناه
قلت ومن عدله انه بنى دار العدل قال ابن الاثير
كان نور الدين رحمه الله اول من بنى دار الكشف وسماها دار
العدل وكان سبب بنائها انه لما طال مقامه بدمشق
واقام بها امراؤه ومنهم اسد الدين شيركوه وهو اكبر امير
معه وقد عظم شانه وعلا مكانه حتى صار كانه شريك في

بناء دار الكشف

الملك

الملك واقتنوا الاملاك فاكثروا وتعدى كل واحد منهم على من
يجاوره في قريه او غيرها فكثرت الشكاوى الى كمال الدين فانصف
بعضهم من بعض ولم يقدم على الانصاف من اسد الدين شيركوه
فانهى الحال الى نور الدين فامر حينئذ ببناء دار العدل فلما سمع
اسد الدين بذلك احضر نوابه جميعهم فقال لهم اعلموا ان
نور الدين ما امر ببناء هذه الدار الا بسببي وحدي والا فمن
هو الذي يمتنع على كمال الدين والله لئن احضرت الى دار العدل
بسبب احدكم لاصلبنه فامضوا الى كل من بينكم وبينه منازعه
في ملك فافصلوا الحال معه وارضوه باي شي امكن ولو اتى
ذلك على جميع ما بيدي فقالوا له ان الناس اذا علموا هذا
اشتطوا في الطلب فقال خروج املاكي عن يدي اسهل
علي من ان يراني نور الدين بعين اني ظالم او يساوي بيني
وبين احاد العامه في الحكومه فخرج اصحابه من عنده
وفعلوا ما امرهم وارضوا خصماهم واشهدوا عليهم فلما
فرغت دار العدل جلس نور الدين فيها لفصل الحكومات
وكان يجلس في الاسبوع يومين وعنده القاضي والفقها وبقي
كذلك مده فلم يحضر عنده احد يشكوا من اسد الدين
فقال نور الدين لكمال الدين ما ارى احدا يشكوا من شيركوه
فعرفه الحال فسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذي
اصحابنا ينصفون من انفسهم قبل حضورهم عندنا قال
ابن الاثير فانظر الى هذه المعدله ما احسنها والى هذه

السياسة ما اسدها مع انه كان لا يريق دما ولا يبالغ
في عقوبة وانما كان يفعل هذا اصدقه في عدله وحسن نيته
قال وأما شجاعته وحسن رايه فقد كانت النهاية
اليه فيهما فانه اصبر الناس في الحرب واحسنهم مكيدة ورايا
واجودهم معرفة بامور الاجناد واحوالهم وبه كان يضرب
المثل في ذلك سمعت جمعا كثيرا من الناس لا احصيهم انهم لم يروا
على ظهر الفرس احسن منه كانما خلق عليه لا يتحرك ولا يتزلزل
وكان من احسن الناس لعبا بالكرة واقدرهم عليها لم ير
جوكانه يعلو على راسه وكان ربما ضرب الكرة ويجري الفرس
ويتناولها بيده من الهوا ويرميها الى اخر الميدان وكانت
يده لا ترى والجوكان فيها بل تكون في كم قبايه استهانة
باللعب وكان اذا حضر الحرب اخذ قوسين وتركشين وباشر
القتال بنفسه وكان يقول طالما تعرضت للشهادة فلم
ادركها سمعه يوما الامام قطب الدين النيسابوري
الفقيه الشافعي وهو يقول ذلك فقال له بالله لا تخاطر
بنفسك وبالاسلام والمسلمين فانك عمادهم ولين اصبت
والعياذ بالله في معركة لا يبقى من المسلمين احد الا اخذه
السيف واخذت البلاد فقال له يا قطب الدين ومن
محمود حتى يقال له هذا قبلي من حفظ البلاد والاسلام
ذلك الله الذي لا اله الا هو قال وكان رحمه الله يكثر
اعمال الحيل والمكر والخداع مع الفرنج خذلهم الله

للشهادة

12

واكثر ما ملكه من بلادهم به ومن جيد الراي ما سلكه مع
مليح بن لابون ملك الارمن صاحب الدروب فانه ما زال
يخدعه ويستميله حتى جعله في خدمته سفرا وحضرا وكان
يقاتل به الفرنج وكان يقول انما حملني على استمالته ان
بلادهم حصينه وعرة المسالك وقلاعه منيعه وليس لنا طريق
وهو يخرج منها اذا اراد فينال من بلاد الاسلام فاذا طلب
انحجر فيها فلا يقدر عليه فلما رايت الحاله هكذا بذلت له شيا
من الاقطاع على سبيل التالف حتى اجاب الى طاعتنا وخدمتنا
وساعدنا على الفرنج قال وحيث توفي نور الدين وسلك
من بعده غير هذا الطريق ملك المتولي الارمن بعد مليح
كثيرا من بلاد الاسلام وحصونهم وصار منه ضرر عظيم
وخرق واسع لا يمكن رقعه قال ـــــ ومن احسن الاراء

من الاراء الحسنه

ما كان يفعله مع اجناده فانه كان اذا توفي احدهم وخلف
ولدا اقر الاقطاع عليه فان كان الولد كبيرا استبد بنفسه
وان كان صغيرا رتب معه رجلا عاقلا يثق اليه فيتولى
امره الى ان يكبر فكان الاجناد يقولون هذه املاكنا يرثها
الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها وكان ذلك سببا عظيما
من الاسباب الموجبه للصبر في المشاهد والحروب وكان
ايضا يثبت اسما اجناد كل جندي امير في ديوانه وسلاحهم

اجناد

خوفا من حرص بعض الامرا وشحه ان يحمله على ان يقتصر
على بعض ما هو مقرر عليه من العدد ويقول نحن كل وقت

في الثغر فاذا لم يكن اجناد كافة الامرا كامل العدد والعدد
دخل الوهن على الاسلام قال ولقد صدق رضي الله عنه
فيما قال واصاب فيما فعل فلقد راينا ما خافه عيانا قال
واما ما فعله في بلاد الاسلام من المصالح مما يعود الى حفظها
وحفظ المسلمين فكثير عظيم من ذلك انه بنى اسوار مدن
الشام جميعها وقلاعها فمنها حلب وحماه وحمص ودمشق
وبارين وشيزر ومنبج وغيرها من القلاع والحصون وحصنها
واحكم بناءها واخرج عليها من الاموال ما لا تسمح به النفوس
وبنى ايضا المدارس بحلب وحماه ودمشق وغيرها للشافعية
والحنفية وبنى الجوامع في جميع البلاد فجامعه في الموصل
اليه النهاية في الحسن والاتقان ومن احسن ما عمل فيه انه
فوض امر عمارته والخرج عليه الى الشيخ عمر الملا رحمه الله
وهو رجل من الصالحين فقيل له ان هذا لا يصلح لمثل هذا
العمل فقال اذا وليت العمل بعض اصحابي من الاجناد والكـ
والكتاب اعلم انه يظلم في بعض الاوقات ولا يفي الجامع بظلم
رجل مسلم واذا وليت هذا الشيخ غلب على ظني انه لا يظلم
فاذا ظلم كان الاثم عليه لا علي قال وهذا هو الفقه
في الخلاص من الظلم وبنى ايضا بمدينة حماه جامعا على نهر
العاصي من احسن الجوامع وانزهها وجدد في غيرها من
عمارة الجوامع ما كان قد تهدم اما بزلزلة او غيرها
وبنى البيمارستانات في البلاد ومن اعظمها البيمارستان

13.

الذي بناه بدمشق فانه عظيم كثير الخرج جدا بلغني انه لم يجعله
وقفا على الفقرا حسب بل كافة المسلمين من غني وفقير
قلت وقد وقفت فلم اره مشعرا بذلك وانما هذا كلام
شاع على السنة العامه ليقع ما قدره الله تعالى من مزاحمة
الاغنيا للفقرا فيه والله المستعان وانما صرح بان ما يعسر
وجوده من الادويه الكبار وغيرها لا يمنع منه من احتاج
اليه من الاغنيا والفقرا فخصص ذلك بذلك فلا ينبغي ان يتعدى
الي غيره لاسيما وقد صرح قبل ذلك بانه على الضعفا والمنقطعين
بعد ذلك من جا اليه مستوصفا لمرضه اعطي
وروي ان نور الدين رحمه الله شرب من شراب البيمارستان
فيه وذلك موافق لقوله في كتاب الوقف من جا اليه مستوصفا
لمرضه اعطي والله اعلم ٥ وبلغني ٤ اصل بنا به نادره
وهي ان نور الدين رحمه الله وقع في اسره بعض الكبار من ملوك
الفرنج خذلهم الله تعالى فقطع على نفسه في فدايه مالا
عظيما فشاور نور الدين امراه فكل اشار بعدم اطلاقه
لما كان فيه من الضرر على المسلمين ومال نور الدين الى الفدا
بعد ما استخار الله تعالى فاطلقه ليلا لئلا يعلم اصحابه
وتسلم المال فلما بلغ الفرنجي مامنه مات وبلغ نور الدين
خبره فاعلم اصحابه فتعجبوا من لطف الله تعالى بالمسلمين حيث
جمع لهم الحسنيين وهما الفدا وموت ذلك اللعين وبنى نور
الدين بذلك المال هذا البيمارستان ومنع المال الامرا هم

لانه لم يكن عن اراده‍م كان قال ابن الاثير وبنى ايضا
الخانات في الطرق فامن الناس وحفظت اموالهم وباتوا في
الشتا في كن من البرد والمطر وبنى ايضا الابراج على الطرق بين
المسلمين والفرنج وجعل فيها من يحفظها ومعهم الطيور الهوادي
فاذا راوا من العدو احدا ارسلوا الطيور فاخذ الناس حذرهم
واحتاطوا لانفسهم فلم يبلغ العدو منهم غرضا وكان هذا من
الطف الذكر واكثرها نفعا قال وبنى الربط والخانقاهات
في جميع البلاد للصوفيه ووقف عليها الوقوف الكثيره وادر
عليهم الادرارات الصالحه وكان يحضر مشايخهم عنده ويقربهم
ويدنيهم ويبسطهم ويتواضع لهم واذا اقبل احدهم اليه يقوم
له مذ تقع عينه عليه ويعتنقه ويجلسه معه على سجادته
ويقبل عليه بحديثه وكذلك ايضا كان يفعل بالعلما من التعظيم
والتوقير والاحترام ويجمعهم عند البحث والنظر فقصده
من البلاد الشاسعه من خراسان وغيرها وما جمله كان
اهل الدين عنده في اعلا محل واعظمه وكان امراوه يحسدونهم
على ذلك وكانوا يقعون عنده فيهم فينهاهم واذا نقلوا عن
انسان عيبا يقول ومن المعصوم وانما الكامل من تعد
ذنوبه قال وبلغني ان اكابر الامرا احسد قطب
الدين النيسابوري الفقيه الشافعي وكان قد استقدمه
من خراسان وبالغ في اكرامه والاحسان اليه فحسد ذلك
الامير فنال منه يوما عند نور الدين فقال له يا هذا

ان صح ما تقول فله حسنة تغمر كل ذلة تذكرها وهي العلم
والدين واما انت واصحابك ففيكم اضعاف ما ذكرت وليست
لكم حسنة تغمرها كلها لو تذكرها وهي العلم ولو عقلت
لشغلك عيبك عن غيرك وانا احتمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم
افلا احتمل سيئة هذا ان صحت مع وجود حسنة على انني
والله لا اصدقك فيما تقول وان عدت ذكرته اوغيره بسوء
لاودبنك فكف عنه قال ابن الاثير هذا والله هو
الاحسان الذي ينبغي ان يكتب على العيون ثم ان الذهب
وبنى بدمشق ايضا دار الحديث ووقف عليها وعلى من بها
من المشتغلين بعلم الحديث وقوفا كثيرة وهو اول من بنى
دار الحديث فيما علمناه وبنى ايضا في كثير في بلاده مكاتب
للايتام واجرى عليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة وبنى
ايضا مساجد كثيرة ووقف عليها وعلى من يقرى بها القران
قال وهذا فعل لم يسبق اليه فيما بلغني من عارف باعمال
الشام ان وقوف نور الدين في وقتنا هذا او هو سنة ثمان
وستمائة كل شهر تسعة الاف دينار صورية ليس فيها
ملك غير صحيح شرعي ظاهرا وباطنا فانه وقف على ما انتقل
اليه ووزن ثمنه او ما غلب عليه من بلاد العوج وصار سهمه
قال واما وقاره وهيبته فاليه النهاية فيهما ولقد كان
كما قيل شديد في غير عنف رقيق في غير ضعف واجتمع
له ما لم يجتمع لغيره فانه ضبط ناموس الملك مع اجتناب دائما

اول

سمع او وقات
نور الدين رحمه الله تعالى
بدمشق

الى غايه لا مزيد عليها وكان يلزمهم بوظايف الخدمه الصغير منهم والكبير ولم يجلس عنده امير من غير ان يامره بالجلوس الا نجم الدين ايوب والده صلاح الدين يوسف واما من عداه كاسد الدين شيركوه ومجد الدين بن الدايه وغيرهما فانهم كانوا اذا حضروا عنده يقفون قياما الى ان يامرهم بالقعود وكان مع هذه العظمه وهذا الناموس القايم اذا دخل عليه الفقيه او الصوفي او الفقير يقوم له ويمشي بين يديه كله الى جانبه كانه اقرب الناس اليه وكان اذا اعطى احدهم شيا يقول ان هولاء لهم في بيت المال حق فاذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنه علينا وكان مجلسه كما روي في صفه مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحيا لا تو بن فيه الحرم وهكذا كان مجلسه لا يذكر فيه الا العلم والدين واحوال الصالحين والمشوره في امر الجهاد وقصد بلاد العدو ولا يتعدى هذا بلغني ان الحافظ ابا القاسم بن عساكر الدمشقي رضي الله عنه حضر مجلس صلاح الدين يوسف لما ملك دمشق فراي فيه من اللغط وسو الادب من الجلوس فيه ما لا عهد عليه فشرع يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكثره الاختلاف من المتحدثين وقله استماعهم فقام وبقي مده لا يحضر المجلس الصلاحي وتكرر من صلاح الدين الطلب له يحضر فعاتبه صلاح الدين يوسف على انقطاعه عنه فقال نزهت نفسي عن مجلسك فانني رايته كبعض مجالس

السوقه

السوقه لا يستمع الى قايل ولا يرد جواب متكلم وقد كنا بالامس
نحضر مجلس نور الدين فكنا كانما على رؤسنا الطير
تعلونا الهيبه والوقار فاذا تكلم انصتنا واذا تكلمنا
استمع لنا فتقدم صلاح الدين الى اصحابه انهم لا يكون
منهم ما جرت به عادتهم اذا حضر الحافظ قال ابن الاثير
فهكذا كانت احواله جميعها رحمه الله مضبوطه محفوظه واما
حفظه اصول الديانات فانه كان مراعيا لها لا يهملها ولا يمكن
احدا من الناس من اظهار ما يخالف الحق ومتى اقدم مقدم
على ذلك ادبه بما يناسب بدعته وكان يبالغ في ذلك ويقول
نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق والاذى الحاصل منهما
قريب افلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه وهو الاصل
قال وحكى ان انسانا بدمشق يعرف بيوسف بن ادم
كان يظهر الزهد والنسك وقد كثر اتباعه اظهر شيا من
التشبيه فبلغ خبره نور الدين فاحضره واركبه حمارا وامر
بصفعه فطيف به في البلد جميعه وينودى عليه هذا
جزا من اظهر في الدين البدع ثم نفاه من دمشق فقصد
حران واقام بها الى ان مات قال ويسوق الله القصار الاعمار
الى البلاد الوخمه قلت وذكر العماد الكاتب في اول
كتابه البرق الشامي انه قدم دمشق في شعبان سنة اثنتين
وستين وخمسمايه في دوله الملك العادل نور الدين محمود
بن زنكي واخذ في وصفه بكلامه المسجوع فقال كان

انظر

فقال كان ملك بلاد الشام ومالكها والذي بيده ممالكها الملك
العادل نور الدين اعف الملوك واتقاهم وانقبهم رايا
واتقاهم واعدلهم واعبدهم وازهدهم واجهدهم واظهرهم
واقواهم واقدرهم واصلحهم عملا وانجحهم املا وارجحهم
رايا واوضحهم ايا واصدقهم قولا واقصدهم طولا وكان
عصره فاضلا ونصره واصلا وحكمه عادلا وفضله شاملا
وزمانه طيبا واحسانه صيبا والقلوب لمهابته ومحبته ممتليه
والنفوس بعاطفته وعارفته متمليه واقواله متقبله
واوامره متمثله وجلت نيته عن الخلل ودولته في امن
من العزل ودولته مامولة مامونه وروضته ممنوحه
مصونه والرياسه كامله والسياسه شامله والزمان
زايل والسعاد مساعد والعيشه ناضره والشيعه
ناصره والانصاف صاف والاسعاف عاف وازر الدين
قوي وظما الاسلام روي وزند النجح وري والشرع مشروع
والحكم مسموع والعدل موصول والظلم معزول والتوحيد
منصور والشرك مخذول وللتقى شروق وما للفسوق
سوق وهو الذي اعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام
وقد غلب الكفر وبلغ الضر فاستفتح معاقلها واستخلص
عقايلها واشاع بها شعار الشرع في جميع الحل والعقد
والابرام والنقض والبسط والقبض والوضع والرفع وكانت
للفرنج في ايام غيره على بلاد الاسلام بالشام قطايع فقطعها

واوضحهم

وعفى

وعفى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مرارا حتى اسر ملوكهم
وبدد سلوكهم. وصان الثغور منهم. وحماها عنهم بيد
واحيا معالم الدين الدوارس. وبنى للايمة المدارس. وانشا
الخانقاهات الصوفيه وكثرها في كل بلد وكثر وقوفها ووقف
معروفها. وادنى للوافدين من جنان جنابه قطوفها. واجد
الاسوار والخنادق. وابنى المرافق. وحمى الحقايق. وامر
في الطرقات ببنا الربط والخانات. وصافت صنوف الفضايل
وفاضت فلوض الا فاضل. وهو الذي فتح مصر واعمالها
وانشا دولتها ورجالها. ثم ذكر العماد في اثناحوادث سنة
تسع وستين وهي السنة التي توفي فيها نور الدين قال
وفي هذه السنة اكثر نور الدين رحمه الله من الاوقاف والصدقات
وعمارة المساجد المهجوره وتعفيه اثار الاثام واسقاط
كل ما يدخل في شبه الحرام. فما بقي سوى الجزية والخراج
وما تحصل من قسمة الغلات على قويم المنهاج قال
وامرني بكتبه مناشير لجميع اهل البلاد فكتبت اكثر من
الف منشور. وحسبنا ما تصدق به على الفقرا في تلك الاشهر
فزاد على ثلثين الف دينار. وكانت عادته في الصدقة انه
يحضر جماعة من اماثل البلد ومن كل محله ويسالهم عمن يعرفون
في جوارهم من اهل الحاجة ثم يصرف اليهم صدقاتهم وكان برسم
نفقته الخاص في كل شهر من جزية اهل الذمة مبلغ الفي قرطيس
يصرفه في كسوته ونفقته وحوايجه المهمه حتى اجرة خياطه

وجامكيه طباخه ويستفضل منه ما يتصدق به في اخر
الشهر واما ما كان يهدي اليه من هدايا الملوك وغيرهم
فانه كان لا يتصرف في شي منه لا قليل ولا كثير بل اذا اجتمع
يخرجه الى مجلس القاضي يحصل ثمنه ويصرف في عمارة المساجد
المهجورة وتقدم باحصا ما في محال دمشق فاناف على مئة
مسجد فامر بعمارة ذلك كله وعين له وقوفا قال ولو
اشتغلت بذكر وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال الكتاب
ولم ابلغ الى امده ومشاهدة ابنيته الداله على خلوص نيته
تغني عن خبرها بالعيان وتلك اسوار البلدان فضلا عن الربط
والمدارس على اختلاف المذاهب واختلاف المواهب
وفي شرح طوله طول وعمله مبرور مقبول وواظب على عقد
مجالس الوعاظ ونصب الكرسي لهم في القلعة للاتراك والانعا
والبرهم الفقيه قطب الدين النيسابوري وهو مشغوف
ببركة انفاسه واغتنام كلامه واقتباسه ووفد من بغداد
بن الشيخ الى النجيب الاكبر وبسط له في كل اسبوع المنبر
وشاقه وعظه وراقه معناه ولفظه وكذلك وفد
اليه من اصبهان الفقيه شرف الدين عبد المومن ابن شتروه
وما الطف تلك الايام وابرك تلك السنوه قال ولما اسقط
نور الدين الجهات المحظورة والسنة المحذورة وامر عزل الشحن
وعفى عن الرعيه لصرفهم المحن وقال للقاضي كمال الدين
الشهرزوري انظر انت في ذلك واحمل امور الناس فيها على

الشريعة

الشريعة قال ولم يكن لمال المواريث الحشرية حاصل ولا
لديوانه طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل منه لكمال
الدين الحاكم فوفر ديوانه وكثره . وما كان نور الدين
يحاسب القاضي على شيء من الوقوف . ويقول انا قلدته على
ان يتصرف بالمعروف . وما فضل من مصارفها وشروط واقفيها
يامره بصرفه في بنا الاسوار . وحفظ الثغور وكانت دولته
نافذة الاوامر منتظمة الامور قلت وحكى
الشيخ ابو البركات الحسن ابن محمد بن هبة الله انه حضر
مع عمه الحافظ ابي القسم رحمه الله مجلس نور الدين لسماع
شيء من الحديث فمر في اثنا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج متقلدا سيفا فاستفاد نور الدين امرا لم يكن يعرفه
وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلد السيف
يشير الى التعجب من عادة الجند اذ هم على خلاف ذلك لانهم
يربطونه باوساطهم قال فلما كان من الغد مررنا تحت
القلعه والناس مجتمعون ينتظرون ركوب السلطان فوقفنا
ننظر اليه معهم فخرج نور الدين رحمه الله من القلعة وهو
متقلد للسيف وجميع عسكره كذلك فرحمة الله على هذا الملك
الذي لم يفرط في الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم بمثل
هذه الحاله بل لما بلغته رجع بنفسه ورد جنده عن عوايدهم
اتباعا لما بلغه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فما الظن بغير
ذلك من السنن ولقد بلغني انه امر باسقاط الغابه

في الدعا له على المنابر ورأى له والدي الموفق خالد بن القيسراني الشاعر في منامه انه يغسل ثيابه وفسر ذلك عليه فتفكر ساعة ثم امر بكتابة اسقاط المكوس وقال هذا تفسير منامك وكان في سجل يقول ارحم العشار المكاس وبعد ان بطل ذلك استعمل من الناس في حل وقال والله ما اخرجناها الا في جهاد عدو الاسلام لحفظ ذلك اليهم عن اخذ هاميهم وعلى الجملة كان نور الدين رحمه الله فرد في زمانه من بين ساير الملوك ونقلت من خط الصاحب العالم كمال الدين ابو القسم عمر بن هبة الله بن ابي جرادة في كتاب تاريخ حلب الذي صنفه وسمعت من لفظه ان نور الدين رحمه الله كان مع ابيه بحلب فلما حاصر ابوه قلعة جعبر وقتل عليها قصد حلب وصعد قلعتها وملكها في شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين وخمسماية واحسن الى الرعية وبث العدل ورفع الجور وابطل البدع واشتغل بالغزو وفتح قلاعا كثيرة من عمل حلب كانت بيد الفرنج وحدث بحلب ودمشق عن جماعة من العلما اجازوا له منهم ابو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي المصري روى عنه جماعة من شيوخنا مثل ابي الفضل احمد وابي البركات الحسن وابي منصور عبد الرحمن بن ابي عبد الله محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي قال ووقفت على رقعة بخط الوزير خالد بن محمد بن نصر بن القيسراني كتبها

الى

الى نور الدين وجوابها من نور الدين على راس الورقة وبين
السطور فنقلت جميع ما فيها من خطهما قال وكان
رحمه الله كتب رقعة يطلب من ابن القيسراني ان تكتب له
صورة ما يدعى له به على المنابر حتى لا يقول الخطيب ما ليس
فيه ويصونه عن الكذب وعما هو مخالف لحاله ونسخة الورقة
بخط خلد اعلا الله قدر المولى في الدارين وبلغه اماله في
نفسه وذريته وختم له بالخير في العاجلة والاجلة بمنه
وجوده وفضله وكرمه وقف المملوك على الرقعة وتضاعف
دعاؤه وابتهاله الى الله تعالى بان يرضى عنه وعن والديه
وان يسهل له السلوك الى رضاه والقرب منه والفوز
عنده انه على كل شي قدير وقد راى المملوك ما يعرضه
على العلم الاشرف زاده الله شرفا وهو ان يذكر الخطيب
على المنبر اذا اراد الدعا للمولى اللهم اصلح عبدك الفقير
الى رحمتك الخاضع لهيبتك المعتصم بقوتك المجاهد في
سبيلك المرابط لاعداء دينك ابا القسم محمود بن زنكي
بن اق سنقر ناصر امير المومنين فان هذا جميعه
لا يدخله كذب ولا تزيد والراي في ذلك اعلا واسما
ان شا الله تعالى فكتب نور الدين على راس الرقعة بخط
ما هذا هو غرضه مقصودي ان لا يكذب على المنابر
انا بخلاف كل ما يقال انا فرح بما لا اعمل قلة عقل عظيم
الذي كتبت جيد هو اكتب نسخ حتى تسير الى جميع البلاد

وكتب في اخر الرقعة ثم يبدو بالدعا. اللهم الهم الحق
اللهم اسعده. اللهم انصره. اللهم وفقه من هذا الجنس
حدثني والدي قال استدعانا نور الدين انا وعمي
ابو غانم وشرف الدين بن ابي عصرون الى الميدان الاخضر
واشهدنا عليه بوقف حوانيت على سور حمص فلما شهدنا
عليه التفت الينا وقال بالله اي شي عملتموه من ابواب
البر والخير دلونا عليه واشركونا في الثواب فقال له
شرف الدين بن ابي عصرون والله ما ترك المولى شيا من ابواب
البر الا وقد فعله ولم يترك لاحد بعده فعل خيرا لا
وقد سبقه اليه. قال لي والدي وصل في ايام
نور الدين الى حلب تاجر موسر فمات بها وخلف بها ولدا
صغيرا ومالا كثيرا فكتب بعض من بحلب الى نور الدين يذكر
له ان ههنا قد مات رجل تاجر موسر وخلف عشرين الف
دينارا وفوقها وله ولد عمره عشر سنين وحسن له ان يرفع
المال الى الخزانة الى ان يكبر الصغير ويرضي منه بشي
ويمسك الباقي للخزانة فكتب على رقعته اما الميت
فرحمه الله واما الولد فانشاه الله واما المال فثمره الله
واما الساعي فلعنه الله. وبلغني هذه الحكاية عن غير
نور الدين ايضا حدثني الحاج محمد بن سنقر عتيق شاذبخت
النوري قال سمعت الطواشي شاذبخت الخادم يحكي
لنا قال كنت يوما انا وسنقر جا وقفين على راس نور الدين

وقد

وقد صلى المغرب وجلس وهو متفكر فكرا عظيما وجعل ينكت
باصبعه في الارض فتعجبنا من فكره وقلنا ترى في اي شي
يفكر في عايلته او في وفا دينه فكانه فطن بنا فرفع راسه
وقال ما تقولان فقلنا ما قلنا شيا فقال بحياتي قولا
لي فقلنا عجبنا من افراط مولانا في الفكر وقلنا يفكر في
عايلته ام في نفسه فقال والله اني افكر في وال وليته
امرا من امور المسلمين فلم يعدل فيهم او فيمن يظلم المسلمين
من اصحابي واعواني واخاف المطالبة بذلك فبالله عليكما
والا فخبزي عليكما حراما لا تريان قصة ترفع الي او تعلمان
مظلمة الا واعلماني بها وارفعاها الي قاضي
القضاة بها الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم
قال كان نور الدين ينفذ كل سنة في شهر رمضان يطلب
من الشيخ عمر الملا شيا يفطر عليه فكان ينفذ اليه الاكياس
فيها الفتيت والرقاق وغير ذلك فكان نور الدين يفطر
عليه وكان اذا قدم الموصل لا ياكل الا من طعام الشيخ عمر
الملا وكان نور الدين لما صارت له الموصل قد امر
كمشتكين شحنة الموصل ان لا يعمل شيا الا بالشرع اذا امر
القاضي به وان لا يعمل القاضي والنواب كلهم شيا الا بامر
الشيخ عمر الملا قال فكان لا يعمل بالسياسة وبطلت الشحنكيه
فجا اكابر الدوله وقالوا لكمشتكين قد كثر الذعار وارباب
الفساد ولا يجي من هذا شي الا بالقتل والصلب فلو كتبت الى

مهم

نور الدين وقلت له في ذلك فقال لهم انا لا اكتب اليه في هذا
المعنى ولا اجسر على ذلك فقولوا للشيخ عمر يكتب اليه فجاؤوا
عنده وذكروا له ذلك فكتب الى نور الدين وقال له ان
الدعار والمفسدين وقطاع الطريق قد كثروا ويحتاجوا
الى نوع سياسة ومثل هذا لا يجي الا بقتل وصلب وضرب
واذا اخذ مال الانسان في البرية من يجي يشهد عليه قال
فقلب نور الدين كتابه وكتب على ظهره ان الله تعالى خلق
الخلق وهو اعلم بمصلحتهم وشرع لهم شريعة وهو اعلم بما يصلحهم
وان مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال فيها ولو علم
ان على الشريعة زيادة في المصلحة لشرعه فما لنا حاجة الى
زيادة على ما شرعه الله قال فجمع الشيخ عمر الملا اهل
الموصل واقراهم الكتاب وقال انظروا كتاب الزاهد الى
الملك وكتاب الملك الى الزاهد وسمعت صقر بن يحيى
بن صقر المعدل يقول سمعت مخلدا يعني الدوعلي (لعله) يقول
لما مات الحافظ المرادي وكنا جماعة الفقهاء فينا من العرب
والاكراد فمنا من مال الى المذهب واردنا ان يستدعي
الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون وكان بالموصل ومنا من
مال الى علم النظر والخلاف واراد ان يستدعي القطب النيسابوري
وكان قد جاوز الى البيت المقدس ثم عاد الى بلاد العجم فوقع
بيننا كلام بسبب ذلك ووقعت فتنة بين الفقهاء فسمع
نور الدين بذلك فاستدعى جماعة الفقهاء الى القلعة حلب

وخرج

قلت وشبيه بهذا ما ذكره ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال عن يحيى الغساني قال لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من اكثر البلاد سرقا ونقبا فكتبت الى عمر اعلمه حال البلد واساله آخذ الناس بالظنة واضربهم على التهمة او آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فكتب الي ان آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله قال يحيى ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من اصلح البلاد واقلها سرقا ونقبا

وخرج اليهم مجد الدين يعني ابن الداية عن لسانه وقال لهم
نحن ما اردنا ببنائنا المدارس الا نشر العلم ودحض البدع من هذه
البلدة واظهار الدين وهذا الذي جرى بينكم لا يحسن ولا
يليق وقد قال المولى نور الدين نحن نرضي الطايفتين
ونستدعي شرف الدين ابن ابي عصرون وقطب الدين النيسابوري
فاستدعاهما جميعا وولى مدرسة بني ابي عصرون لشرف
الدين ومدرسة الغربي لقطب الدين قال وعلقت
من خط فقيه كان معيدا بالنظامية يقال له ابو الفتح
بنجير بن ابي الحسن ابن بنجير الاشتري وكان ورد دمشق
وجمع لنور الدين سيرة مختصرة قال كان نور الدين
يقعد في الاسبوع اربعة ايام او خمسة ايام في دار العدل
للنظر في امور الرعية وكشف الظلامة لا يطلب بذلك
درهما ولا دينارا ولا زيادة ترجع الى خزانته وانما يفعل
ذلك ابتغاء مرضاة الله وطلبا للثواب والزلفى في الاخرة
ويامر بحضور العلماء والفقهاء ويامر بازالة الحاجب والبواب
حتى يصل اليه الضعيف والقوي والفقير والغني ويكلمهم
باحسن الكلام ويستفهم منهم بابلغ النظام حتى لا يطمع الغني
في دفع الفقير بالمال ولا القوي في دفع الضعيف بالقال
ويحضر في مجلسه المراة العجوز الضعيفة التي لا تقدر
على الوصول الى خصمها ولا المكالمة معه فيامر بمساواته
لها فتغلب خصمها طمعا في عدله ويعجز الخصم عن دفعها خوفا

من عدله فيظهر الحق عنده فيجري الله تعالى على لسانه ما هو
موافق للشريعة ويسال العلما والفقها عما يشكل عليه من
الامور الغامضة فلا يجري في مجلسه الا محض الشريعة
قال واما زمانه فهو مصروف الى مصالح الناس
والنظر في امور الرعية والشفقة عليهم واما فكرمه
فمع اظهار شعار الاسلام وتاسيس قاعدة الدين من بناء
المدارس والربط والمساجد حتى ان بلاد الشام كانت خالية
من العلم واهله وفي زمانه صار مقر العلما والفقها
والصوفية لصرف همته الى بنا المدارس والربط وترتيب
امورهم والناس امنون على اموالهم وانفسهم ولو لم يكن
من هذه الخصال الا ما علم منه وشاع ابدا اذا وعد وفا
واذا اوعد عفا واذا تحدث بشي يقف عليه ولا يخالف
قوله ولا يرجع عن لفظه ومنطقه للكفي ولا يجري في مجلسه
الفسق والفجور والشتم والغيبة والقدح في الناس والكلام
في اعراضهم كما يجري في مجالس سائر الملوك ولا يطمع في اخذ
اموال الناس ولا يرضى بان ياخذ احد من اموال الرعية
شيا بغير حق قال وبلغنا باخبار التواتر عن جماعة
بعتمد على قولهم ان اكثر الليالي يصلي ويناجي ربه مقبلا
بوجهه عليه ويؤدي الصلوات الخمس في اوقاتها بتمام شرايطها
واركانها وركوعها وسجودها قال وبلغنا عن جماعة
من الصوفية الذين يعتمد على اقوالهم ممن دخلوا ديار القدس

للزيارة

21.

الزيارة حكاية عن الكفار انهم يقولون بن القسيم له مع الله
سر فانه ما يظفر علينا بكثرة جنده وعسكره وانما يظفر علينا
بالدعا وصلاة الليل فانه يصلي بالليل ويرفع يديه الى الله
ويدعو الله سبحانه وتعالى يستجيب دعاه ويعطيه سوله
وما يرد يده خايبه فيظفر علينا فهذا كلام الكفار في حقه

الشيخ

قال وحدثنا داود المقدسي خادم قبر شعيب
عليه السلام قال حضرت في دار العدل في شهر ربيع الاول
سنة ثمان وخمسين فقام رجل وادعى على الملك العادل
ان اباه اخذ من ماله شيا بغير حق قال وانا مطالبك
لك بذلك فقال نور الدين انا ما اعلم ذلك فان كان لك
بينه تشهد بذلك فهاتها وانا ارده اليك ما يخصني فاني قد
ورثت جميع ماله كان ميراث وارث عني فمضى الرجل ليحضر
البينه فقلت في نفسي هذا هو العدل قال وحضر رجل
نامدينه سمته الخير معروف بالصلاح والسداد فسالت
عنه فقالوا اخو الشيخ ابي البيان وكان قد اودع عند اخيه
ابي البيان وديعة وقد توفي فادعى المودع على هذا الرجل
علمه بالوديعة فاوجب عليه القاضي كمال الدين حكم الشرع
ان يحلف انه لا علم له بهذه الوديعه فحلف على هذا ذلك
فجعل المودع يشنع عليه ويقول انه حلف كاذبا ويتكلم
في عرضه ويقول في حقه من القبيح وغيره فحضر عند ذلك
الملك العادل شاكيا منه ذاكرا سيرته وطريقته

ومن الذي يقدر ان يقول في حق هذا ويتعرض بالتماسه من
الملك العادل شاكيا منه فاكثر التقدم باحضاره والانكار
عليه فيما يقول في حقه فلما فرغ من الكلام ورمى ما كان
في جعبته من دعوى الحقيقه والطريقه وكان حاصله التماس
الانكار عليه فقال الملك العادل اليس ان الله تعالى
يقول في كتابه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فاذا
كان هو يجهل عليك ويقول في حقك بالجهل ما لا يجوز فيجب
عليك ان لا تعامله مثل معاملته فتكون مثله فكانك قابلت
الاساه بالاساه ومن حقك ان تقابل الاساه بالاحسان
فقلت في نفسي الحق ما قال الملك العادل اما قرا هذا في كتب
التفاسير فثبت في قلبه هذا التحقيق واجراه الله على لسانه
وانطقه به قال وحضر جماعة من التجار وشكوا
ان القراطيس كانوا يشترون منها بدينار رصاص سبعه وستون
بدينار ويزيد وينقص فيخسرون فسال الملك العادل عن
كيفية الحال فذكروا ان عقد المعامله على اسم الدينار
ولا يجري الدينار في الوسط وانما يعدون القراطيس
بالسعر تارة ستين بدينار وتارة سبعة وستين
واشار كل واحد من الحاضرين على نور الدين ان يضرب
الدينار باسمه وتكون المعامله بالدنانير الملكيه وتبطل
القراطيس بالكليه فسكت ساعة وقال اذا ضربت الدينار
وابطلت المعامله بالقراطيس فكاني خربت بيوت الرعيه

القراطيس

قال

فان كل واحد من السوقة عنده عشرة الف وعشرون الف
قرطاس الى الشر يعمل به فتكون سببا لخراب بيته قال
فاي شفقة اعظم واكثر من هذا على الرعية قال وحضر
صبي وبكا عند الملك العادل وذكر ان اباه محبوس على
اجرة حجرة من حجر الوقف فسالت عن حاله فقالوا هذا الصبي
بن الشيخ ابي سعد الصوفي وهو رجل دائما قاعد في حجرة
للوقف وليس له قدرة على الاجرة وقد حبسه وكيل الوقف
لانه اجتمع عليه اجرة سنة فسال الملك العادل كم اجرة
السنة قالوا مائة وخمسون قرطاسا وذكروا سيرته
وطريقته وتقدم فرق له وانعم عليه وقال نحن نعطيه كل
سنة هذا القدر ليصرفه الى الاجرة ويقعد فيها وتقدم
بذلك وباخراجه من الحبس فوصل الى قلب كل واحد من
الحاضرين الفرح حتى كان الانعام كان في حقه اخبرنا
افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي
قال كان عند القاضي تاج الدين ابي الفاخر عبد الغفور بن
لقمان الكردري قاضي حلب غلام قد جعله لمجلس الحكم يدعى
سويد لحضر الخصوم الى مجلس الحكم فحضر بعض التجار وادعى
ان له على نور الدين دعوى فقال الكردري لسويد المذكور
امض الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكم وعرفه انه حضر
شخص يطلب حضوره وكان نور الدين في الميدان فجاء
سويد الى باب الميدان فخرج اسمعيل الخزندار فوجده

فتقدم سويد اليه وقال قد سيرني تاج الدين القاضي
وذكر انه حضر تاجر وذكر ان له دعوى على المولى نور الدين
وقد انفذني تاج الدين وقال لي كذا وكذا فضحك
اسمعيل الخزندار ودخل على نور الدين ضاحكا وقال
له مستهزيا يقوم المولى فقال الى اين فقال قد حضر
سويد غلام تاج الدين الكردري وقال ان تاج الدين
ارسله يطلب المولى الى مجلس الحكم فانكر نور الدين على
اسمعيل استهزاه وقال تستهزي بطلبي الى مجلس الحكم
وقال نور الدين يحضر فرس حتى نركب اليه السمع
والطاعة قال الله تعالى انما كان قول المومنين اذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا
ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا
وقال له امض الى القاضي تاج الدين وسلم عليه وقل له
اني جيت الى هنا ممتثلا لامر الشرع واحتاج في الحضور
الى مجلسه الى سلوك هذه الازقة وفيها الاطيان ومعنا
وكيل يسمع الدعوى وان توجهت علي يمين احضرت ان شا
الله فحضر الوكيل وسمع الدعوى وتوجهت اليمين فقال
الكردري قد توجهت اليمين فليحضر فلما بلغ نور الدين
ذلك وعلم ان لا مندوحة عن حضور مجلسه لليمين
استدعى ذلك التاجر واصلح الامر فيما بينه وبينه
وارضاه سمعت قاضي القضاة بها الدين يقول

حكى

حكى لي السلطان الملك الناصر صلاح الدين قال ارسلني
الملك العادل نور الدين الى عمي اسد الدين شيركوه وكان
لا يفعل شيئا الا بمشورته فقال امض وقل لاسد الدين
قد خطر لي ان ابطل هذه الضمانات باسرها والمؤن والمكوس
وخذ رايه في ذلك قال فجئت اليه وانهيت اليه ما قال
لي فقال امض وقل له يا مولانا اذا فعلت ذلك فالاجناد
الذين اراضيهم على هذه الجهات من اين يعطيهم ويحتاج
اليهم للغزاة وخروج العساكر قال السلطان صلاح الدين
فقلت لعمي هذا امر قد الهمه الله اياه فساعده عليه
فصاح في وقال امض اليه وقل له ما اقول لك قال فعدت
اليه فانهيت اليه ما قال لي عمي قال فقال لي امض اليه وقل
له اذا كنا نغزوا من هذه الجهات نتركها ونقعد والا نخرج
قال فعدت اليه وقلت له ما قال فقال قل له ان تركوك
نقعد فجيد لمو فراجعته في ان لا يثبطه عن ذلك فصاح
في وقال امض اليه وقل له ما اقول لك قال فجئت اليه وقلت
له ذلك فترك ذلك مدة ثم امضى ما كان عزم عليه قال
لي صقر بن يحيى بلغني ان موفق الدين خالد راى في النوم كان
نور الدين دفع اليه ثيابه ليغسلها فقص منامه على نور
الدين فتمعر وجه نور الدين فخجل موفق الدين وبقي اياما
على غاية من الخجل فاستدعاه يوما نور الدين وكان يقال
قد اذن لك ان تغسل ثيابي اقعد واكتب باطلاق المؤن

والمكوس والاعشار واكتب للمسلمين اني قد رفعت عنكم ما رفعه
الله عنكم واثبت عليكم ما اثبته الله تعالى عليكم قال فكتب
موفق الدين توقيعا سمعت خليفه بن سليمان بن
خليفه الفقيه يقول سمعت ابي يقول لما كسر نور الدين يعني
كسرة البقيعه تكلم البرهان البلخي فقال اتريدون ان تنصروا
وفي عسكركم الخمور والطبول والزمور كلا وكلا ما معنى هذا
فلما سمعه نور الدين قام ونزع عنه ثيابه تلك وعاهد
الله تعالى على التوبة وشرع في ابطال المكوس الى ان خرج
في نوبة حارم وكسر الافرنج سمعت صديقنا شمس
الدين اسمعيل بن سودكين بن عبد الله النوري وكان ابوه
احد مماليك نور الدين واعتقه يقول سمعت والدي يقول
كان نور الدين محمود يلبس في الليل مسحا ويقوم يصلي فيه
قطعة من الليل قال وكان يرفع يديه الى السما ويبكي
ويتضرع ويقول ارحم العشار المكاس قال لي قاضي القضاة
بها الدين سير نور الدين الى بغداد كتابا يعلم الخليفه
بما اطلق وبما اغدر ومقدار ما اطلق ويساله ان يتقدم
الى الوعاظ بان يستحلوا من التجار ومن جميع المسلمين له
في حل مما كان قد وصل اليه يعني من اموالهم فتقدم بذلك
وجعل الوعاظ على المنابر يبرئونه بذلك حدثني
رضي الدين ابو سالم عبد المنعم بن المنذر ان نور الدين
حين خرج لاخذ شيزر خرج ابو غانم بن المنذر صحبته

فامر

توقيع اطلاق المظالم

فامر نور الدين بكتابة منشور باطلاق المظالم بحلب
ودمشق وحمص وحران وسنجار والرحبه وعزاز وتل
باشر وعدا والعزب وكتبه عنه توقيعا نسخته بسم الله الرحمن
الرحيم هذا ما تقرب به الى الله سبحانه وتعالى صافحا واطلقه
مسامحا لمن علم ضعفه من الرعايا رعاهم الله لضعفهم عن عمارة
ما اخربته ايدي الكفار اباد هم الله عند استيلايهم على البلاد
وظهور كلمتهم في العباد رافه بالمسلمين المناغرين ولطفا
بالضعفا المرابطين الذين خصهم الله سبحانه بفضيلة الجهاد
واستمحنهم بمجاورة اهل العناد اختبارا لصبرهم واعظاما
لاجرهم فصبروا احتسابا واجزل لهم الله اجرا وثوابا
وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واعاد عليهم
ما اغتصبوا عليه من املاكهم التي افا الله عليهم بها من الفتوح
العمريه واقرها في الدولة الاسلاميه بعد ما طرا عليها
من الظلمة المتقدمين واسترجعه بسيفه من الكفرة
الملاعين فطمس عنهم بذلك معالم الجور وهدم اركان التعدي
واقر الحق مقره لقوله تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها
والله يضاعف لمن يشآ ثم لما اعانه الله بعونه وايده بنصره
وقمع به عادية الكفر واظهر بهمته شعاير الاسلام واطمع
بالفيه الطاغية وامكنه من ملوكها الباغيه فجعلهم بين
قتيل وغير مفاد وهارب ممنوع الرقاد واخرين مقرنين
في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب

وان له عندنا لزلفى وحسن ماب علم ان الدنيا فانيه كالتقدمها
للاخرة الباقيه ملكها الزايل بان قدمه امامه وجعله ذخرا
للمعاد فالتقوى مادة زاد اذا انقطعت المواد وجائزه
ولمنحه حين تلتمس الجود يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر
يومئذ لله • فصفح لكافه المسافرين وجميع المسلمين بالضرايب
والمكوس واسقطها من دواوينه وحرمها على كل متطاول اليها
ومعاقب عليها تجنبا لاثمها واكتسابا للثوابها فكان مبلغ
ما سامح به واطلقه وانتقل الامر فيه اتباعا لكتاب
الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كل سنة من العين
مايه الف وسته وخمسين الف دينار جهه ذلك حلب
خمسون الف دينار • عزاز عن مكس جددته الفرنج خذلهم
الله على المسافرين عشرة الف دينار • تل باشر احدى وعشرون
الف دينار • المعرة ثلثة الف دينار • دمشق المحروسه
لما استنجد به اهلها واستصرخ من فيها خوفا على انفسهم
واموالهم من استيلا العدو وضعفهم عن مقاومته ما كان
يوخذ منهم في كل سنه ولموسم يسمونه الفسقه عشرون
الف دينار • حمص سته وعشرون الف دينار • حران خمسة
الف دينار • سنجار الف دينار • الرحبه عشرة الف دينار
عداد العرب عشرة الف دينار • وما وقفه وتصدق به واجراه
على سبل الخيرات • ووجوه البر والصدقات • تقدير ثمنه
مايتا الف دينار • وتقدير الحاصل من ارتفاعه في كل سنة

ثلثون

٢٥

ثلثون الف دينار . من ذلك ما وقفه على المدارس الحنفيه والشافعيه
والمالكيه والحنبليه وايمتها ومدرسيها وفقهايها وما وقفه
على ادر الصوفيه والربط والجسور والبيمارستانات والجوامع
والمساجد والاسوار وما وقفه على السبل في طريق الحجاز
وما وقفه على طريق فكاك الاسارى وتعليم الايتام ومقر
الغربا وفقرا المسلمين وما وقفه على الاشراف العلويين والعبا سيين
وما ملكه الجماعة من الاوليا والغزاه والمجاهدين من اجنبيه
سوى ما انعم به على امرا الشعوب رحمهما الله تعالى من املاكهم
التي تقدم ذكرها فانه يضاهي هذا المبلغ وزيادة عليه
جعل ذلك ذريعة عند الله وتقربا اليه مضافا الى ما انفقه
من الغزاه والجهاد واستيصال شافة اهل الكفر والعناد
من خزانته المعموره واموالة الموروثه المدخوره طلبا
لما عند الله والله عنده حسن الثواب . فالواجب
على كل امام عدل وسلطان قادر ان يمده ويوده ويشد
عضده . ويقوى عزمه . وينفذ حكمه . وعلى كل مسلم
ان يواصله بالدعا اناء الليل واطراف النهار . كتب خادم
دولته وعبد نعمته عبد الرحمن بن عبد المنعم بن رضوان بن عبد
الواحد بن محمد بن المقدار الحلبي غفر الله له ورحمه ورضي عنه الى كل
من يصل اليه من ايمة الدين وفقها المسلمين واصحاب الزوايا
المتعبدين . وكافة التجار والمسافرين احسن الله توفيقهم
وسدد الى اغراض الخير تفويقهم ليشعروا بذلك من حضرهم .

من التجار والمترددين اليهم من السفار ليعرفوا قدر ما انعم الله
به عليه وعليهم ويشكروا فوقهم اذا رجعوا اليهم ويمدوه
بادعيتهم ويبروا ذمته مما سبق من اخذ مونتهم فانه لم
يصرف ذلك الا في وجه بر وتجهيز جيش ومعونة مجاهد وردع
كافر ومعاندة فهم شركا في الثواب قال لي رضي
الدين ابو سالم بن المنذر رحمه الله وقف نور الدين على قوله ويبروا
ذمته مما سبق استحسن ذلك كثيرا وعلم باقطاع حسن
واتفق موته بعد ذلك قلت ونقلت من خط الشيخ
الامين ابي القسم عبد الرحمن بن الحسن بن الحضر بن الحسين
بن عبدان الازدي الدمشقي وقف المولى نور الدين بستان
الميدان سوى الغيضة التي من قبليه بعد عمارته واصلاح
ما يحتاج اليه على تطييب المساجد التي ياتي ذكرها ◦ جامع
دمشق ◦ جامع قلعة دمشق ◦ مدرسة الحنفية التي
جددها نور الدين ◦ مسجد بن عطية داخل باب الجابية
مسجد بن لبيد بالفسقار ◦ مسجد سوق الرماحين ◦ المسجد
المعلق بسوق الصاغة ◦ مسجد دار بطيخ المعلق ◦ مسجد
العباس بسوق الاحد ◦ مسجد جدده نور الدين جوار
بيعة اليهود ◦ جامع الصالحين بجبل قاسيون يبتاع بذلك
طيب وعود ويفرق على هذه الاماكن النصف للجامع بدمشق
والنصف الثاني ينقسم على احدى عشر جزو جزان للمدرسة
ويبقى تسعة اجزا للمساجد الباقية لكل مسجد جزو واحد

تطييب

نطيب هذه الاماكن في الاوقات الشريفه ومواسم الاجتماعات
وليالي شهر رمضان والاعياد وايام الجمع وقت عقد
الجمعة في الجوامع وليالي الجمعة والخميس والاثنين ونقلت
من خطه ايضا ان نور الدين رحمه الله حضر عنده بقلعة
دمشق يوم الخميس تاسع عشر صفر سنه اربع وخمسين
وخمسماية القاضي زكي الدين ابو الحسن علي بن محمد بن يحيى
القرشي والفقها الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون والخطيب
عز الدين ابو البركات بن عبد والامام عز الدين ابو القسم علي
بن الحسن الماسح الشافعيون وشرف الدين ابو القسم عبد
الوهاب بن عيسى المالكي وشرف الاسلام نجم بن عبد الوهاب
الحنبلي ورضي الدين ابو غالب عبد المنعم بن محمد بن اسد التميمي
رئيس دمشق ونظام الدين ابو الكرام الحسن بن ابي المضا
متولي الوزارة بدمشق والاعيان من شهود العداله بدمشق
وهم عبد الصمد بن تميم وعبد الواحد بن هلال والصابن
ابو الحسين وغيرهم فسالهم نور الدين عن المضاف الى اوقاف
المسجد الجامع بدمشق من المصالح التي ليست وقفا عليه وان
يظهر كل واحد منهم ما يعلم من ذلك ليعمل به ويقع الاعتماد
عليه وقال لهم ليس يجوز لاحد منكم ان يعلم من ذلك شيا
الا ويذكره ولا ينكر شيا مما يقوله غيره الا وينكره والساكت
منكم مصدق للناطق ومصوب لقوله وليس العمل الا على ما تتفقون
عليه وتشهدون به وعلى هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم

يجتمعون ويتشاورون في مصالح المسلمين فكل من الحاضرين
شكره على ما قصده واثنى عليه ودعا له بالبقا ثم امر نور الدين
متولي اوقاف الجامع والمساجد والبيمارستان وفي السبل
وما يجري مع ذلك ان يقرا عليه محضر من المذكورين صريحه الاوقاف
موضعا موضعا ليعرف ما يعلمون انه للمصالح دون الوقف
فافتتح بالسوق المسجد تحت المادنه الغربية جوار البيمارستان
فقال القاضي وبن تميم وابن ملاله هذا السوق بكماله لمصالح
المسلمين وليس من وقف الجامع لانه احدث في طريق المسلمين
وقد صرف في الجامع من اجوره اوفا مما عزم على عمارته
من وقفه فصدقهم الحاضرون على ما شهدوا به ومبلغ ذلك
خمس وعشرون عمارة ثم عين للمصالح ايضا ما في زيادة
الجامع القبليه وزيادة باب البريد في الصف القبلي والشامي
من العضايد والحوانيت والحجر التي طباقها وطباق الطريق
بحضرتها وجميع بيوت الخضرا من قبلة الجامع والفرن المستجد
بها ودار الخيل والمساكن والحوانيت المجاوره لدار الخيل
وحانوت في الخواصين في الصف الغربي واثنا عشر حانوتا متلاصقات
في الصف الشرقي تعرف بالمعتصميات والصف حانوت والفرجه
المستجده بحضرة دار الوكالة الى سوق علي وعدتها ثلاثة
ثلاثة عشر حانوتا ومصطبه وثلاثه حوانيت في الصف
الشامي من سوق علي بلصق الفرجه من شرقها وحانوت
بالفسقار في الصف القبلي يعرف بشبلي الحلب القفاعي

بلصق

وحوانيت

27.

وحوانيت اللبادين والتي بحضرة الفوارة وتحت اللبادين وقيسارية العقيقي بسوق الاحد • وتعرف بدار السجن وحانوتان في الصف الشرقي بحضرة فندق الذيب من غرب درب التمادين • وحانوت بقنطرة الشماعين في الصف الشامي بحضرة البياطرة وقطعة جوار المامونية من غربها والعصائب التي في الصف الشامي من سوق الاحد وهي خمسة عشر عصارة وستة اسهم من طاحونة السقيفة وذلك كله بعضه ميراث عن بني اميه كالخضرا ودار الخيل وبعضه اشتري بمال الوقف والمصالح وبعضه اخذ ممن بادامله الموقوف عليهم ولم يكن له مال وبعضه احدث في الطريق قال فلما شهد والبصحة جميع ما ذكر وان منافع ذلك واجوره جاريه في المصالح قال نور الدين ان اهم المصالح سد ثغور المسلمين وبنا السور المحيط بدمشق والفصيل والخندق لصيانة المسلمين وحريمهم واموالهم فصوبوا ما اشار اليه وشكروه ثم سالهم عن فواضل الاوقاف هل يجوز صرفها في عمارة الاسوار وعمل الخندق للمصلحه المتوجهه للمسلمين فافتي شرف الدين عبد الوهاب المالكي بجواز ذلك • ومنهم من دوي في مهلة النظر وقال الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون الشافعي لا يجوز ان يصرف وقف مسجد الي غيره ولا وقف معين الي جهة غير تلك الجهة واذا لم يكن بد

من ذلك فليست طريقه الا ان يقترضه من اليه الامر في بيت
مال المسلمين فيصرفه في المصالح ويكون القضا واجبا من بيت
المال فوافقه الايمة الحاضرون معه على ذلك ثم سال
ابن ابي عصرون نور الدين هل انفق شي قبل اليوم على
سور دمشق وعلى بنا الكلاسه من شامي الجامع وعلى انشا
السقف المقرنص تحت النسر بالجامع وعلى الرصاص المعمول
على سطح الرواق الشامي من الجامع وسائر العمارات المتعلقة
بالجامع المعمور بغير اذن مولانا وهل كان الا مبلغا
للامر العالي في عمل ذلك فقال نور الدين لم ينفق ذلك
ولا شي منه الا باذني وانا امرت به وبلغني المشهدين من
عمر في الجامع المعمور اللذين كانا مخربين وكنت مبلغا عني
ومؤديا امري قلت هذا مختصر المحضر الذي كتب فيه صورة
ما جرى في ذلك المجلس وهو مشتمل على فوايد حسنه وتاكيد
لما نقل من سيرة هذا الملك في وقوفه مع اوامر الشريعه
وفي ذلك المحضر خطوط الجماعة الحاضرين وصورة ما كتبه
المالكي المفتي حضرت المجلس المذكور رحمهم الله وذيله
بالعدل ابدا ما عاش صاحبه وشهد على ما تضمنه من
المشهورة المباركه وما نسب الى الجماعة الشهادة به
من المواضع المشهورة كما انتسب اليهم وقد اخله بذكر
دار الحجارة وقد ذكروها في المصالح وما نسب الى من الغلو

فقد

فقد كنت قيدته بالحاجه وفراغ بيت المال او ضعفه عن
القيام بما يحتاج اليه المسلمون ومهماتهم الدينيه كتبه عبد
الوهاب بن عيسى ابن محمد المالكي **فصل** وقد
مدح نور الدين رحمه الله باشعار كثيره واوصافه فوق ما مدح
به **وكان في اول دولته** شاعران منهما ابو عبد
الله محمد بن نصر بن صغير وابو الحسين احمد بن منير ولهما فيه
اشعار فايقه سياتي جملة منها في مواضعها **وقد** رايت
ان اقدم منها شيا مما **قرات** في ديوان محمد بن نصر
القيسراني كتب الى نور الدين سلام الله وحياته ورافته
وامتنانه ونحه وتحانه على من عصم ثغر العواصم
وحصن بحصنه الدهر الحاطم واخمل بهيبته العايب والواصم
الذي انتضى في سبيل الله سيوف الجهاد وارتضى بعز
سلطانه شعار العباد والزهاد واهتدى الى طاعة الله
وليس غير الله من هاد ومن اصبحت اطراف البلاد اوساط
مملكته ومعاقل الكفار في عقال ملكته ومركز الشكر
مراكز اعلامه والويته ومن عادت به ثغور الشام
ضاحكة عن ثغور النصر وممالك الاسلام متوجه بتيجان
الفخر وصعاب الامور منقاده اليه بازمه القهر ومن
راى الحكم دارسة فبنى مدارسها واتهم بايسه فسقى
منابتها ومغارسها والمنابر شامسه فامكن من صهواتها
فوارسها ومن عمر ربع السنن بعدما عفا والعدم من الوفي

من كان منها على شفا • ومن نشر اعلام الفضل والشر بعد الوفاه ايام العدل • ومن اشاد بوجهه الامان • واخذ الناس به من الزمان توقيع الامان

شعر

• ذو الجهادين من عدو ونفس فهو طول الحياة في جهاد •
• ايها المالك الذي لزم الناس سلوك المحجة البيضاء •
• قد فضحت الملوك بالعدل لما سرت في الناس سيرة الخلفاء •
• فاسما ما ملكت من الناس حتى لقسمت التقى على الاتقاد •
• شيم الصالحين في جن الترك وكم من سكينة في قناء •
• انت حينا تقاس بالاسد الورد وحينا تعد في الاولياء •
• صاغك الله من صميم المعالي حيث لا نسبه سوى الالاء •
• وكان القيامة منك لما ضم من الطهر مسجد بغداد •
• انت الا تكن نبيا ممسا فانك الا حلاق الانبياء •
• داوه في شهامة وعفاف في اقتدار وسطوه في حياء •
• وجمال ومنطق بحلاله وكمال ممنوح ببهاء •
• واذا ما الملوك خافت سهام الذم زرت عليك درع الثنا •
• عجب الناس منك انك في الحرب شهاب الكتيبة الشهبا •
• وكان السيوف من عزمك الماضي افادت ما عندها من مضا •
• ولعمري لو استطاع فداك القوم بالامهات والآبا •

وله فيه

لله اي عزمك اي سيف وغى طبعت مضاربه على القهر
ما زفت الحرب العوان به الا انجلت عن معقل بكر
مل وجه نور الدين غير سنا صدع الدجا عن غرة البدر
ملك مهابته طليعته ابدا امام جيوشه تسري
كم فل كيدهم بصاعقة شغلت قلوبهم عن الفكر
تركت خصونهم سجونهم والقوم فيك الاسر في اسر
عمم العواصم فهي ضاحكة تجلي الظبي تغرا على الثغر
فاذا سرايا خيله قفلت نهضت سرايا الخوف والذعر
ورمى القلاع بمثل جندها حتى استكانت الصخر بالصخر
يا سايلي عن نهج سيرته مل غير معرف ما به الفجر
عدل تحف بجو من باملة ان يحيى العمرين بالذكر
وشهامة في الله خالصة عقدت عليه تمايم الاجر
ويدي به ما ضر واردها ان لا يبيت مجاورا البحر
هذا المخيم في دار حلب يوشا وما بدا على ظهر

وله فيه وقد وصف دارا

دار تغار الشمس في افقها من حسنها والشمس مغيار
يزارفها ضيفهم ماله غير سيوف الهند اظفار
تسمو وتضحي وهو جارها والله ذو العرش له جار
تسبيغه ابناء من دهرهم الجاير ما يهوى ويختار
قد ملا الاسماع من ذكره لنشره في الروض اسفار
حمد يضوع الجو من طيبه كانما راويه عطار

ان خطرت في قلبه خطرة • اجابها ماضٍ وخطار

وان دعى داعيه يوم الوغى • سيوفه لبته اقدار

كانما صارمه مرسلٌ • له من الثابت انصار

يا مالك الدنيا وتاركها • دنيا لها في الدين اثار

ويا جوادا مالا لاتيه • غير فقدنا الحمد مضمار

وله فيه

تداركه ملك العزي ذيا • الى ان علا منه قعد

وحل ذرى العواصم وهي تهمي • فاجلا الشرك حتى

لبس ضده

تنبي بك عن الدنيا عفاف • وماله عن الاموال الزهد

راي حط المكوس عن الرعايا • فامهد قبلما انشاه بعد

ومد لها رواق العدل شرعا • وقد طوي الرواق ومن يمد

وبات وعند رب العرش منها • لدولته دعا لا يرد

وله فيه

ملك اشبه الملايك فضلا • وشبيه مالك الامر جندا

عم احسانه فاصبح يتلي • شكره في الورى ويدرس حمدا

سقى الله ذكره اينما حل • ولا فاته من النصر رفدا

وله فيه

ضحكت تباشير الصباح كانها • قسمات نور الدين خير الناس

المشتري العقبى بانفس قيمة • والبايع الدنيا بغير مكاس

وسرى دعا الخلق يحرس نفسه • ان الدعا يعد في الحراس

راض الخطوب الصم بعد جماحها • والآن من قلب الزمان القاسي

واعاد نور الحق في مشكاته • واقام وزن العدل بالقسطاس

واحيا مجد الدين سابق ملكه • فحمى الرياسة منه طود راسي

فهو الجبير لكل ذي معضلة • بآسو جراح زماننا ويواسي

واذل سلطان النفاق بعزمة • خضعت لها الآساد في الاخياس

وعزيمة اقران الخطوب قصدها • الوى بما رسها اشد مراس

ولو ان فيض النيل فايض نيله • لم تفتقر مصر الى مقياس

سكنت شغب الدهر بعد تخبط • والنت من عطفيه بعد شماس

وفتحت باب الحظ بعد رتاجه • وادنت للاطماع بعد الياس

حتى منحت الخلق كل مسرة • فالناس في عرس من الاعراس

وله

سام الشآم وبالها من صفقة • لولاه ما عنت على يد سائم

وتبسمت عنها الثغور واصبحت • فيها العواصم وهي غير عواصم

تلك التي جمحت على من راضها • ودعوت فانقادت بغير شكائم

واذا سعادتك احتبت في دولة • قام الزمان لها مقام الخادم

حصن بلا دك هيبة لا رهبة • فالدرع من عدد الشجاع الحازم

هيهات يطمع في محلك طامع • طال البناء على يمين الهادم

كلفت همتك السمو فحلقت • فكانما هي دعوة في ظالم

واظن ان الناس لما لم يروا • عدلا كعدلك ازمعوا بالعالم

وله

قلت بقول الله لا خائفا • مع حكم القرآن حكم القرآن

لا راقب النجم ولا اسايلا ٭ ما فعل السعدان والنيران
بل غزت للاسلام حتى لعنه ٭ دان له من بالطواغيت دان
دعت نواميس نواقيسها ٭ بحلبه الاذان وقت الاذان
تمحوا نصا و يرا الذي عن يده ٭ تبني المحاريب خلال المحان
هذا وكم اشان من منبره ٭ قادسه قارس سحر البيان
من نال بالاخلاص ما نلته ٭ كان من الله مكين المكان
باسا بما بالشام صلوات الحبا ٭ ودانيا من كل قاص ودان
مدى سجوق الملك مرفوعه ٭ عن ملك اخبارهم كالعيان
اوضح سبيل العدل مستننه ٭ فللبرايا بالدعا افتنان
الغى حقوقا كلها باطل ٭ الي ضمان حط مال الضمان
عطفا ورفقا بالرعايا وان ٭ اصبح تاديب ملوك الزمان
كم بين من نام على نشوه ٭ وساهد في صهوه من حصان
في كل يوم بيتني سيفه ٭ ببلدة بكر واخرى عوان

وقرات في ديوان احمد بن منير

الطرابلسي من قصايد يمدح بها نور الدين
رحمه الله تعالى

يا محيي العدل و يا منشره ٭ من بين اطباق البلى وقد همد
وركن الاسلام الذي وطده ٭ طاولا وارسى العز فيه ووطد
وشاع المعروف فاذا اشفه ٭ تجح للعقول ولا تنسح بيد
محوت ما اتيته الجور مضى ٭ عليه اخلاد الليالي فخلد
من كل مكاس بظل قاعدا ٭ لما يسوء المسلمين بالرصد

كانت

31.

كانت لا رجاس الهود دولة ... ازالها ملك الهصور ذو اللبد
الملك العادل لفظا ومعنى ... وفي الوصف معا دمستره
خير النعوت ما جرى الوصف على صفحته جرى النسيم في الورد
عدل جنيت اليوم حلو نبعه ... وسوف تجني لكل حل منه غد
لا زال للاسلام منك عدة ... تقيم منه كل زيغ واود
الناسرات والملوك شرط ... تعد لينا ويعدون نقد
مثلك لا يسخوا به زمانه ... ومثل ما اوتيت لم يوت احد

وله

ايا نور دين حبا نوره ... ومد شاع عدلك فيه انقد
ذاك الصليب صليب القناة ... امين العثار متين العمد
نهم فتسلبه ما امتنى ... وتداي فتثكله ما احتشد
زبنتهم امس عن صرخد ... فغضوا كان نعاما شرد
ويوم العزيمة اقبلتهم ... عراما تنغلب منه الاسد
جنيت مليكهم في الصفاد ... وعفوك عنه اعم الصفد
وفيل ازالتهم في الرها ... موازق من فن جرد الجرد
بعثت ترقع خرق الزمان ... فيا ما لا نيابه ان فقد
تنفق من نبعه ما النوى ... وتصلح من طبعه ما فسد

وله

ايا ملك الدنيا الحلاحل الذى ... له الارض دار والبرية اعبد
وليست بدعوى لا يقوم دليلها ... ولكنه الحق الذى للسر يجحد
اخو عزوات كالعقود تناسقت ... تحل باجيا دالجيادو تعقد

لسان بذكر الله يكسو نهاره بها • وجفن في الدجى ليس يرقد •
وبذل وعدل اعرفا وتالقا • فلا الورد ممنوع ولا الباب موصد •
مرام سمائي وحزم مسدد • وراي شهابي وعزم مؤيد •

وله

ابدا تنكب عن ضلال سادرا • بثقوب زند كان او يدل على هوى •
سدت الكهول من الملوك مراهقا • وساوت شيبهم الثوار كنه
امردا •

ان شيدوا صرحا انا في منارة • او اسجدوا للكاس جدد مسجدا •
واذا انتهزتهم فلا يدمعبد • مرثه موعظة فعرف معبدا •
فتيما الشام الشام منك مهندا • ارضاه مشهورا وراع مقلدا •
وتمسك الاسلام منك بعروة • الله ابرم حبلها فاستحصدا •
اشقى فكنت شفاءه من حادث • غاداه عارضه مركدا بالردا •
كنت الصباح لليله لما دجى • والغيث كف لظاه حين توقدا •
لله يوم اطلعتك به الشوكة • بجناب من مهج الاصافر مجسدا •
تشفوا ان عنتك الظبي مفلولة • واما لعطفيك الوشيج مقصدا •
في معزل ما قام باسمك دونه • الا اقام المشركين واقعدا •
ولكم مكرمة قمت فيه معلما • ارضى الهك والمسيح واحمدا •
بيوم العزيمة والحطيم وحارم • وشعاب باسوطا وماب ومرخدا •
لا يعدم الاشراك حدك انه • ما سل فيهم حاكما الا اعتدا •
اسهدتهم من بعد ما ملوا الملا • ذحلا مهند كانت سيوفك مرقدا •
طلعت نجوم الحق من افاقها • واعادها كر العصور كما بدا •

وموى

وهوى الصليب وحزبه وتبحبحت • للاسلام من بعد القساوة اغيدا
سبق المحل للخطى في وقعه • بسيوفهم وقد رعب الا بيدا

وله

محمود المربي على اسلافه • ان زاد في حسب الحسيب نجار
ملك اذا تليت مآثر قومه • كسد اللطيم ونجر التوار
ملك الفرنجة جور سيفك فيهم • حله على سيف المحيط جوار
يوما بنيرك جون عرقه معظما • جون له خلف الدروب فرار
ونجره في الاردن فضلة ذيله • تعمى باكناف الاريط مثار
اما يبيح حريمهم انطاكية • او بيحاء الدار روم منك دمار
عني جهادك رسم كل مخوفة • وعفت ليطعون عمد الكفار
ومحى المظالم منك تطرح راحة • لله في خطواته اسرار
غضبان للاسلام ما لعموده • خللون مما عراه بوار
وجدمت كل يد تسور عليك • فاحلت ذلك السور وهو سوار
لم يبق ماكس مسلم سلفا ولا • ساع لمظلمة ولا عشار
ممدوا كما مدت عمود وقادهم • لحسادهم مما اتوه قدار
العار في الدنيا شقوا بلباسه • ولباسهم يوم الحساب النار
كم سيرة احييتها عمرية • رفعت لها في الخافقين منار
ونوافل صبرتهم لولا زمانا • باغلها تشعبه الاحرار
لا زلت تقفو الصالحين مسابقا • لهم وتطلع خلفك الابرار
تفتر السباية زهرة مثلك في الذي • فيه تعانق لعرب ونزار
ومتى ادعى ما تدعيه محكم • او بنى معا غدوته دينار

لله ما ظهرت به منك المنى • وتكشفت من كنك الاستار •
وسقى الغمام ثرى ابيك فانه • ازكى ثرى قطرت عليه اقطار •
شهدت نضارة عود ذاك الغصن الجني • ان الذي استخلصت منه نضار •
اما نهارك فهو ليل مجامه • والليل من طول القيام نهار •
فلذاك النصر العزيز بزادله • انى اتجهت وللفتوح امار •

وله

رايت الملوك وقد شاهدوك • تمنوا ملوكا وعزوا اعزوزا •
انى لك ان يدركوها اب • يزيرفيسي الا سود الزبيرا •
وجدا اذا جد يوم الرهان • ابقى لنا اليه جدا عثورا •
نصيب عصاك على من عصاك • يوما عبوسا بها قمطريرا •
لقد البس الشام هذا الاباء • لبوسا من الامن لينا وثيرا •
تداركت ارماقه والقلوب • تواوزان تستجر الصدورا •
احميت جنابا وكانت جنا • وسدت فطورا وكانت فطورا •
وكم لك من غضبة للهدى • تميت الهوى وتحيي الذكورا •
اذا قطب الباس كانت ردى • وان ضحك العفو عادت سرورا •
كملت فوقيت عين الكمال • تبيد السنين وتفنى العصورا •
وجادلنا بك رب يراك • للكفر نارا وللدين نورا •
اذا ما خدمت مولى عظيما • واما عبدت فعبدا شكورا •
امام المحاريب برا خضوعا • وتحت الحروب هزبرا هصورا •
فبارك من شاد هدى الخلافة • في ظلة الملك طودا وقورا •

والف

33.

والكف في معقد التاج منك سطوا سعيرا وعفوا امبرا

وله

عقل الحق السن المدعينا انت خير الملوك دينا ودينا
واسد الانام قولا وافعالا ونفسا ونية ويقينا
انت اسنام اباة ولباه وامر احيا وامرع حينا
تبسط الرزق في البسيطة كفا فكلتا يديك تلغي يمينا
فيه تحسم النوايب عنا وبه تقسم الرغايب فينا
ايها البحر لو نشا جلك الا كر عامت في ساحليك سفينا
ولكان المحيط منا محاطا مثل لون الدجى اذ حيل لونا
مستر عامترعا ومنا مهينا وربا عافيجا وكفا للبونا
ومحيا طلقا ومالا طليقا وابتهاجا قصدا وحيلا متينا
بين دين ثميت عادية الشرك ومن بجيا به المسلمونا
نتنشا من الفتوح الوفا انت اعلا من ان تعد اميتنا
كلما اجنبت توب لنصر عزيز من هو لم اقبلت فتحا مبينا
صرف الله عنك صرف زمان انت علمت صرفه ان يهونا
بان من طيق البسيطة اثارا وعلى المنابر به الاجونا
وغدت حصنه على سرح هذا الدين من شكة الاعادي حصونا
كم تعالى صيتها في ربا الشام فاعلى حلف الخليج الدفينا
كان صنو الرشيد اتاك للحكم والباس من بعده المامونا
سمع الله فيك دعوة سالين اوطنوا امن حماك حصنا
حصينا

عرفتهم مدى الخطوب فاجبته دفاً من التراب دفينا
ليس واعد لك المديح فاخشى الوانا في وشيه وتبينا
سهرت عينك الكلوء ونامو تحت اكناف رعيها امنينا

قلت فهذا المؤرخ من اشعار محمد بن الخليل فيه
مع انهما ماتا في سنة ثمان واربعين وخمسمائة قبل ان
يفتح نور الدين دمشق وبقي حيا بعدهما احدى وعشرين
سنة يترقى كل عام في ازدياد من جهاد واجتهاد ولو
كانا ادركا ذلك لاتيا في وصفه بعجائب المدائح مع انه قد
تولى ذلك غيرهما ممن لم يبلغ شاوهما

ولابي المجد المسلم بن الخضر الحموي
من قصيدة فيه

تبدو الشجاعة من طلاقة وجهه * كالرمح دل على القساوة لينه
ووراء يقظته اناة مجرب * لله سطوته باسه وسكونه
هذا الذي في الله صح جهاده * هذا الذي بالله صح يقينه
هذا الذي بخل الزمان بمثله * والمستحق الى العلا عرنينه
ملك الورى ملك اغر متوج * لا غدره يخشى ولا تلوينه
ان حل فالشرف التليد انيسه * او سار فالظفر الطريف قرينه
فالله جار ذا لمن اراد عنانه * ابدا وجبار السما معينه
والدين يشهد انه لمعزه * والشرك يعلم انه لمهينه
ما زال يقسم ان يبيد شمله * والله يكرم ان تمان يمينه
فتح الرها بالامس فانفتحت له * ابواب ملك لا يزال مصونه

وممادح

وبمادح نور الدين رحمه الله كتبه وذكر الحافظ ابو القسم
انه كان قليل الابتهاج بالشعر ومات حادي عشر شوال
سنه تسع وستين وخمسمايه ودفن بقلعه دمشق
ثم نقل الى قبته بمدرسته جوار الخواصين قلت
وقد جرب استجابة الدعا عند قبره هذا ذكر طرف
من مناقبه جمله ونحن بعد ذلك ناتي باخباره واخبار سلفه
مفصله مرتبه وماجرى في زمانهم على سبيل الاختصار
ان شا الله تعالى فصل اصل البيت الاتابكي هو
قسيم الدوله اق سنقر جد نور الدين فنذكره وما تم
في ايامه ثم نذكر ولده زنكي محمود بن زنكي ثم نذكر ما بعد
وهو الدولة الصلاحيه الايوبيه وما تم في ايامها فنقول
كان اق سنقر تركيا من اصحاب السلطان ركن الدين ملكشاه
بن الب ارسلان وهو عم دقاق بن تتش بن الب ارسلان
الذي كان سلطان دمشق وقبره بقبة الطواويس بما يليها
والمشهد والدنه وكان السلطان ملكشاه من جملة
الملوك السلجوقيه المتغلبين على البلاد بعد بني بويه
بالعراق فكان قسيم الدوله من اصحابه واترابه وممن
ربي معه في صغره واستمر في صحبته الى حين كبر فلما افضت
السلطنه بعد ابيه اليه وجعله من امرا اعيانه واخص
اوليايه واعتمد عليه في مهماته وزاد قدره علوا الى ان
صار نديمه مثل نظام الملك الوزير مع تحكمه على السلطان

وتمكنه من المملكة فاشار نظام الملك على السلطان ان يولي
اق سنقر مدينة حلب واعمالها واراد بذلك ان يبعده عن
خدمة السلطان ويتخذ عنده يدا بذلك قال ابن الاثير
ومن الدليل على علو مرتبته تلقيبه قسيم الدولة وكانت
الالقاب حينئذ مصونة لا تعطى الا لمستحقيها وفي سنة
سبع وسبعين واربعماية سير السلطان ملكشاه الوزير
فخر الدولة بن جهير وزير الخليفة الى ديار بكر ليتملكها وسير
عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير وكان زوج ابنة نظام
الملك الى الموصل وسير معه جيشا عظيما وجعل المقدم على
الجيش قسيم الدولة اق سنقر وسار والى الموصل ولقيهم
في الطريق الامير ارتق التركماني جد ملوك الحصن وماردين
فاستصحبوه معهم فحصروا الموصل وصالحوا من بها وتسلموها
وسار صاحبها الى السلطان فردها عليه وكانت يومئذ
لاحد امرا بني عقيل وكان ملكه من السندية بالعراق على
نهر عيسى الى منبج وما بينهما من البلاد العراقية كهيت والانبار
وغيرها وملك الموصل وديار بكر والجزيرة باسرها وملك
مدينة حلب وكان عادلا حسن السيرة عظيم السياسة
واتفق ان وقع بينه وبين صاحب انطاكية وذلك ان انطاكية
كان الروم قد استولوا عليها سنة ثمان وخمسين وثلثماية
ولم يزالوا بها الى هذه السنة ففتحها سليمان بن قتلمش وهو
جد الملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونية وغيرها

وكان

وكان لشرف الدولة صاحب حلب على صاحب انطاكيه الرومي
جزيه ياخذها كل سنة فانقطعت عنه بسبب اخذ
سليمان البلد فارسل شرف الدوله فانقطعت عنه الى سليمان
يطلب منه ما كان ياخذه من الروم ويتهدده فقال انا
في طاعتك وهذا الفتح بسعادتك والخطبه والسكه
لك ولست بكافر حتى اعطيك ما كنت تاخذه من الروم
فلج شرف الدين الدولة في طلب المال فالتقيا فقتل
شرف الدولة وانهزم عسكره وسار سليمان الى حلب
يحصرها وسار اليها من دمشق تاج الدوله تتش ابن الب
ارسلان اخو السلطان ملكشاه فالتقا عسكرا تتش
وسليمان فقتل سليمان وانهزم عسكره وملك تتش
مدينة حلب دون القلعة فارسل اهل القلعه الى ملكشاه
ليسلموها اليه وهو يومئذ بالرها وكان سبب مسيره
اليها ان بن عطير النميري كان قد باعها من الروم بعشرين
الف دينار وسلمها اليهم فدخلوها واخربوا المساجد
واجلوا المسلمين عنها فسار ملكشاه اليها في هذه السنة
فحصرها وفتحها واقطعها الامير بزان فلما اتاه رسل
اهل قلعة حلب بالتسليم سار اليهم فلما بلغ مسيره
الى اخيه تاج الدوله رحل عن حلب الى دمشق ووصل
السلطان الى حلب وبالقلعة سالم بن ملك بن بدران
العقيلي وهو ابن عم شرف الدولة فسلمها الى السلطان

فقتل ن

بعد قتال فاعطاه السلطان عوضًا عنها قلعة جعبر وكان
قد ملكها في هذه السفرة من صاحبها جعبر النميري وكان شيخا
كبيرا اعمى فبقيت بيد سالم واولاده الى ان اخذها منهم
الملك العادل نور الدين كما سياتي فلما ملك السلطان حلب
ارسل اليه الامير نصر بن علي بن المقلد بن منقذ الكناني
صاحب شيزر ودخل في طاعته وسلم اليه اللاذقية وفامية
وكفرطاب ثم ان نظام الملك اشار على السلطان بتسليم
حلب واعمالها وحماه ومنبج واللاذقية وما معها الى قسيم
الدولة اق سنقر فاقطعه الجميع وبقيت بيده الى ان قتل سنة
سبع وثمانين واربعماية كما سياتي واقطع السلطان مدينة
انطاكية الامير ياغي سغان ولما استقر قسيم الدولة
في الشام ظهرت كفايته وحمايته وهيبته في جميع بلاده ثم ان
السلطان استدعاه الى العراق فقدم اليه في تجمل عظيم
لم يكن في عسكر السلطان من يقاربه فاستحسن ذلك منه
وعظم محله عنده ثم امره بالعود الى حلب فعاد اليها فلما مات
السلطان ملك شاه سير قسيم الدولة جيشا الى تكريت
فملكها وفي سنة احدى وثمانين فصد قسيم الدولة شيزر
فنهبها وعاد الى حلب وفي سنة ثلث وثمانين اجتمع قسيم
الدولة وبزان وحصروا مدينة حمص فملكوها ومضى ابن
ملاعب الى مصر وفي سنة اربع وثمانين ملك قسيم الدولة
حصن فامية من الشام وملك الرحبة فصل وفي

قتل
الوزير نظام الملك
36.

عاشر رمضان سنة خمس وثمانين قتل الوزير نظام الملك ابو علي
الحسن ابن علي بن اسحق قتله صبي ديلمي بعد الافطار وقد
تفرق عنه اصحابه الفقها والامرا والفقرا وغيرهم من اصناف
الناس وحمل في محفة لنقرس كان به الى خيمة الحرم فلقيه صبي
ديلمي مستغيثا به فقربه منه ليسمع شكواه فقتله وقتل
الصبي ايضا فعدمت الدنيا واحدها الذي لم تر مثله وكان
تلك الليلة قد حكى له بعض الصالحين انه راى النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام كانه اتاه واخذه من محفته فتبعه فاستبشر
نظام الملك بذلك واظهر السرور به وقال هذا البغي واياه
اطلب وبلغ من الدنيا مبلغا عظيما لم يناله غيره وكان عالما فقيها
دينا خيرا متواضعا عادلا كثير الحب لاهل الدين ويكرمهم ويجزل
صلاتهم وكان اقرب الناس منه واحبهم اليه العلما وكان
يناظرهم في المحافل ويبحث عن غوامض المسائل لانه اشتغل
بالفقه في حال حداثته مدة واما صدقاته ووقوفه
فلا حد عليها ومدارسه في العالم مشهورة ولم يخل بلد من شي
منها حتى جزيرة ابن عمر التي هي في زاوية من الارض لا يؤبه لها
بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة وهي التي تعرف الآن بمدرسة
رضي الدين واعماله الحسنة وصنايعه الجميلة مذكورة في
التواريخ لم يسبقه من كان قبله ولا ادركه من كان بعده وكان
من جملة عباداته انه لم يحدث الا توضا ولا توضا الا صلى وكان
يقرا القران حفظا ويحافظ على اوقات الصلاة ومحافظة

لا يتقدمه فيها المتفرغون للعبادة حتى انه كان اذا عفل
المودن امره بالاذان واذا سمع الاذان مسك عن كل
ما هو فيه واشتغل باجابته ثم بالصلاة وكان قد وزر
للسلطان عضد الدوله الب ارسلان والد ملكشاه
قبل ان يلي السلطنه في حياة عمه السلطان طغرلبك اول
الملوك السلجوقيه ببغداد فلما توفي طغرلبك سعى نظام
الملك في اخذ السلطنه لصاحبه الب ارسلان وقام المقام
الذي تعجز عنه الجيوش الكثيره واستقرت السلطنه له وبقي
معه الى ان توفي ثم وزر بعده لولده السلطان ملكشاه
الى ان قتل وكان قد تحكم عليه الى حد لا يقدر السلطان
على خلافه لكثرة مماليكه ومحبة العسكر له والامرا وميل
العامه والخاصه اليه لحسن سيرته وعدله مدة كلام ابي
الحسن بن الاثير وقرات في كتاب المعارف المتاخره وسنن
عنوان السير لمحمد بن عبد الملك بن ابرهيم الهمداني قال
وزر نظام الملك ابو علي الحسن ابن علي بن اسحق الطوسي
للسلطان الب ارسلان ولولده السلطان ملكشاه
اربعا وثلثين سنة وقتل بالقرب من نهاوند وعمره ست
وسبعون سنه وعشرة اشهر وتسعة عشر يوما اغتاله
احد الباطنيه بخنجر قرع من قطوان وقيل ان السلطان
ملكشاه وثق عليه من قتله لانه سيم طول عمره ومات
بعده بشهر وخمسة ايام وتقدم نظام الملك في الدنيا

37

التقدم العظيم وافضل على الخلق الافضال الكثير وعم الناس معروفه وبنى المدارس لاصحاب الشافعي ووقف عليهم الوقوف وزاد في الحلم والدين على من تقدمه من الوزرا ولم يبلغ احد منهم منزلته في جميع اموره وعمر جيحون فوقع على العامل بانطاكية بما يصرف الى الملاحين وملك من الغلمان الاتراك الوفا وكان جمهور العساكر وشجعانهم وقتاكة من مماليكه **قلت** واستشد ابو سعد السمعاني في ذيل تاريخ بغداد فقال انشدني عمي الامام ابو القسم احمد بن منصور السمعاني غير مرة من لفظه للامير شبل الدولة نعمى مقاتل بن عطيه بن مقاتل البكري

كان الوزير نظام الملك لولوة • يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها • فردها غيرة منه الى الصدف

فصل عاش السلطان ملكشاه بعد نظام الملك خمسة وثلثين يوما ومات في منتصف شوال سنة خمس وثمانين وعمره ثمانيه وثلثون عاما ونصف عام وكانت مملكته قد اتسعت عظيما وخطب له من حدود الصين الى الداروم من ارض الشام واطاعه اليمن والحجاز وكان ياخذ الخراج من ملك القسطنطينيه واطاعه صاحب طراز واسبيجاب وكاشغر وبلاساغون وغيرها من الممالك البعيدة وملك سمرقند وجميع ما وراء النهر ان صاحب كاشغر عصى عليه فسار السلطان اليه فلما قارب كاشغر هرب صاحبها منه فسار في طلبه ولم يزل حتى ظفر به واحسن

اليه فاستصحبه معه الى اصفهان وعمل السلطان من الخيرات
وابواب البر كثيرا منها ما اصلحه وعمله من المصانع بطريق
مكة وهو من اثاره باق وبنى مدرسة عند قبر الامام ابي
حنيفة رحمة الله عليه وبنى الجامع والذي بظاهر بغداد
عند دار السلطنة وهو الذي بنى منارة القرون في طرف
البر مما يلي الكوفة من مكان يعرف بالسبيعي وبنى مثلها
بسمرقند ايضا. قيل انه خرج سنة من الكوفة لتوديع
الحجيج فجاوز العذيب وبلغ السبيعية بقرب الواقصة
وبنى هناك منارة تنزل في اثنائها قرون الظبا وحوافر
الحمر الوحشية التي اصطادها في طريقه وبعد موته تنازع
ابناه بركيارق ومحمد ودامت الحروب بينهما نحو ثنتي عشرة
سنة الى ان توفي بركيارق واستقرت السلطنة لمحمد وفي
مدة تلك الحروب ظهرت الفرنج بالساحل وملكوا انطاكية
اولا ثم غيرها من البلاد وكان السلطان قد اقطع
اخاه تاج الدولة تتش مدينة دمشق واعمالها وما جاورها
كطبرية والبيت المقدس فلما توفي ملكشاه طمع تاج
الدولة في السلطنة فسار الى حلب وبها قسيم الدولة
فصالحه وراسله بوزان صاحب حران وباغي سيان صاحب
انطاكية فساروا معه نحو الرحبة ونصيبين فاخذهما
وراسل صاحب الموصل ابراهيم بن قريش بن بدران يامره
بالخطبة له وان يعطيه طريقا الى بغداد فامتنع فالتقيا

فهزم

فهزم صاحب الموصل وقتل واخذت بلاده وسار الى ميافارقين
فملكها وسائر ديار بكر ثم سار الى اذربيجان فانتهى خبره
الى ابن اخيه بركيارق بن ملكشاه فاتفق قسيم الدولة وبوزان
الى بركيارق فرجع تاج الدولة الى الشام ورجعا الى بلادهما
بامر بركيارق ليمنعا تاج الدولة عن البلاد ان قصدها
فجمع تاج الدولة العساكر وسار عن دمشق نحو حلب
فاجتمع قسيم الدولة وبوزان وامدهما السلطان ركن
الدين بركيارق بالامير كربوقا وهو الذي صار فيما بعد
صاحب الموصل فالتقوا بالقرب من تل السلطان بينه وبين
حلب نحو ستة فراسخ فانهزم جيش قسيم الدولة واخذ
اسيرا فقتله تاج الدولة صبرا ودخل بوزان وكربوقا حلب
فحصرهما تاج الدولة حتى فتحها واخذهما اسيرين وارسل الى
حران والرها وكانتا لبوزان فامتنع من بهما من التسليم اليه
فقتل بوزان وانفذ راسه وتسلم البلدين واما كربوقا فانه
سجنه بحمص فلم يزل الى ان اخرجه الملك رضوان بعد قتل ابيه
تاج الدولة قال بن الاثير وكان قسيم الدولة
احسن الناس سياسة لرعيته وحفظا لهم فكانت بلاده بين
عدل عام ورخص شامل وامن واسع وكان قد شرط على اهل
كل قرية من بلاده متى اخذ عند احدهم قفل او واحد من الناس
غرم اهلها جميع ما يوخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت
السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا

وقام اهل القرية بحرسونهم الى ان يرحلوا فامنت الطرق
وتحدث الركبان بحسن سيرته • وفي المحرم من سنة سبع
وثمانين واربعماية توفي الخليفة المقتدي بامر الله فجاة
وهو ابو القسم عبد الله بن الامير محمد بن القايم بامر الله وعمره
تسع وثلاثون سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام وكانت خلافته
تسعة عشر سنة وخمسة اشهر وامه تركية وبويع من بعده
ولده المستظهر بالله ابو العباس احمد ويلقب محمد بن القايم
ذا الدر المقتدي بالله بالدخيرة

ذكر اخبار زنكي والد نور الدين

رحمهما الله تعالى

على طريق الاختصار في فصول الى حين وفاته ثم نذكر اخبار
نور الدين على ترتيب السنين لما قتل قسيم الدولة
اق سنقر لم يخلف من الاولاد غير واحد وهو عماد الدين زنكي
والد نور الدين وكان حينيذ صبيا له من العمر نحو عشر
سنين فاجتمع عليه مماليك والده واصحابه وفيهم زين
الدين علي وهو صبي ايضا ثم ان الامير كربوقا خلص من السجن
بعد قتل تاج الدين الدولة سنة تسع وثمانين واربعماية
وتوجه الى حران وقد اجتمع معه عسكر صالح فملكها ثم سار
الى نصيبين فملكها ثم الى الموصل فملكها وازال عنها علي بن شرف
الدولة العقيلي • وسار نحو ماردين فملكها وعظم شانه

وهو

وهو في طاعة ركن الدولة بركيارق فلما ملك البلاد احضر
مماليك قسيم الدولة اق سنقر وامرهم باحضار عماد الدين
زنكي وقال هو ابن اخي وانا اولى الناس بتربيته فاحضروه
عنده فاقطعهم الاقطاعات السنية وجمعهم على عماد الدين
زنكي واستعان بهم في حروبه وكانوا من الشجاعة في اعلا
درجاتها فلم يزالوا معه فتوجه بهم الى امد وصاحبها من امرا
التركمان فاستنجد بمعين الدين سقمان بن ارتق جد صاحب
الحصن فكسرهم قوام الدولة كربوقا وهو اول مصاف حضره
زنكي بعد قتل والده ولم يزل مع [illegible] كربوقا الى ان توفي في
سنة اربع وتسعين واربعماية وملك بعده موسى التركماني
فلم تطل مدته وقتل وملك الموصل شمس الدولة جكرمش
وهو ايضا من مماليك السلطان ملك شاه فاخذ زنكي
تقربه واحبه واتخذه ولدا لمعرفته بمكانة والده فبقي
معه الى ان قتل سنة خمسماية فلا جرم ان زنكي رعى هذا
لجكرمش لما ملك الموصل وغيرها من البلاد فانه اخذ ولده
ناصر الدين لوري واكرمه وقدمه واقطعه اقطاعا كثيرا
وجعل منزلته اعلا المنازل عنده واتخذه صهرا ثم ملك الموصل
بعد جكرمش جاولي سقاوه فاتصل به عماد الدين زنكي وقد
كبر وظهرت عليه امارات السعادة والشهامة ولم يزل معه
حتى عصى على السلطان محمد وكان جاولي قد عبر الى الشام
ليملكه من الملك فخر الملك رضوان فارسل السلطان

بني

الى الموصل الى الامير مودود اوا قطعه اياها سنة اثنتين
وخمسماية فلما اتصل الخبر بجاولي فارقه زنكي وغيره من
الامرا فلما استقر مودود بالموصل واتصل به زنكي اكرمه
وشهد معه حروبه فسار مودود الى الغزاة بالشام ففتح
في طريقه قلاعا لهم من شبختان كانت للفرنج وقتل من كان
بها منهم ثم سار الى الرها فحصرها ولم يفتحها فرحل وعبر
الفراة فحصر تل باشر خمسة واربعين يوما ثم سار الى
معرة النعمان فحصرها ثم حضر عنده اتابك طغتكين
صاحب دمشق فسار الى طبرية وحاصروها وقاتلوا قتالا
شديدا وظهر اتابك زنكي شجاعة لم يسمع بمثلها منها انه
كان في نفر وقد خرج الفرنج من البلد فحمل عليهم هو ومن
معه وهو يظن انهم يتبعونه فتخلفوا عنه وتقدم وحده وقد
انهزم من بظاهر البلد من الفرنج فدخلوا البلد ووصل
رمحه الى الباب فاثر فيه وقاتلهم عليه وبقي ينتظر وصول
من كان معه فحيث لم ير احدا حمى نفسه وعاد سالما فتعجب
الناس من اقدامه اولا ومن سلامته اخيرا ثم التقى الجمعان
فهزم الفرنج لعنهم الله ووصلوا الى مضيق دون طبرية فاجتمعوا
به وجاءهم نجدة فاذن الامير مودود للعسكر في الرجوع
الى بلادهم والاجتماع اليه في الربيع فلما تفرقوا دخل دمشق
واقام بها فخرج يوما يصلي الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن
الجامع ويده بيد طغتكين وثب عليه انسان فضربه [margin: وثب]

بسكين

يسكين معه فجرحه اربع جراحات وكان صايما فحمل الى دار طغتكين
واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صايما
فانني ميت لا محاله سوا افطرت او صمت . وتوفي في بقيه
يومه رحمه الله فقيل ان الباطنيه بالشام خافوه فقتلوه
وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من يقتله وكان
خيرا عادلا حسن السيره قال ابن الاثير فحدثني والدي
رحمه الله قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين ان امه قتلت
عميدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان
يبيدها فلما قتل الامير مودود اقطع السلطان
البلاد الموصل وغيرها للامير جيوش بك وسير معه ولده
الملك مسعود الى الموصل ثم انه جهز اق سنقر البرسقي
في العساكر وسيره الى قتال الفرنج وكتب الى عساكر الموصل
وغيرها يامرهم بالمسير معه فساروا وفيهم عماد الدين
زنكي وكان يعرف في عساكر العجم بزنكي الشامي فسار البرسقي
الى الرها في خمسة عشر الف فارس فحصرها وقاتل من بها
من الفرنج والارمن وضاقت الميره على العسكر فرحل الى
سميساط وهي ايضا للفرنج فاخرب بلدها وبلد سروج
وعاد الى شبختان فاخرب ما فيه للفرنج وابلى زنكي في هذه
المواقف كلها بلا حسنا . ثم عادت العساكر تتحدث بما
فعله وعاد البرسقي الى بغداد واقام زنكي بالموصل مع
الملك مسعود والامير جيوش بك الى سنه اربع وعشرين

وخمسمائة وقد علا قدره وظهر اسمه **فصل** وفي سنة احدى عشرة وخمسمائة ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله وفيها غرقت سنجار من سيل المطر وهلك منها خلق كثير ومن العجب ما حكي ان السيل حمل مهدا فيه طفل فعلق المهد في شجرة ونقص الما فسلم ذلك الطفل وغرق غيره من الماهرين بالسباحه وفيها ايضا زلزلت اربل وغيرها من البلاد المجاورة لها زلزلة عظيمة وفيها في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه وعمره سبع وثلثون سنة واربعة اشهر وستة ايام . واول ما خطب له ببغداد في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين واربعمايه وقطعت خطبته عدة مرار ولقي من المشاق والاخطار ما لم يلقه احد الى ان توفي اخوه بركيارق فحينيذ استقرت له السلطنة وصفت له ودانت البلاد واصحاب الاطراف لطاعته وكان اجتماع الناس عليه بعد موت اخيه اثنتي عشرة سنة وستة اشهر وكان عادلا حسن السيرة شجاعا واطلق المكوس والضرايب في جميع البلاد ومن عدله انه اشترى عدة مماليك من بعض التجار وامر ان يوفي الثمن من عامل خوزستان فاوصل اليه البعض ومطل بالباقي فحضر التاجر مجلس الحكم واخذ غلام الحاكم ووقف بطريق السلطان واستغاث اليه فامر من يستعلم حاله فعاد الحاجب واعلم

عجيبه

زلزله

عداله

السلطان

41.

السلطان حاله فعظم عليه وصاق صدره وامر في الحال
ان يحضر عامل خوزستان ويلزم بمال التاجر ثم لا بد ندم
على تاخره عن مجلس الحكم وكان يقول كثيرا الغد بدمت على
تركي حضور مجلس الحكم ولو فعلته لاقتدى بي غيري ولم
يمتنع احد عن اداء الحق قال بن الاثير وهذه الفضيلة
ذخرها الله تعالى لهذا البيت الاتابكي فان الملك العادل
نور الدين محمود بن زنكي فعل ما تقدم السلطان محمد على ما
وقد تقدم ذلك وما علم الامرا وغيرهم من خلق السلطان
محبه العدل واداء الحق وكراهية الظلم ومعاقبة من يفعله
اخذوا بدانه فامن الناس وظهر العدل وولي بعد السلطان
محمد ابنه محمود وعمره يومئذ اربعة عشر سنة فقام
بالسلطنة وجرى بينه وبين عمه سنجر حرب انهزم فيها
محمود وعاد الى عمه بغير عهد فاكرمه واقطعه من البلاد
من حد خراسان الى الداروم باقصى الشام وهي من
الممالك همذان واصفهان وبلاد الجبال جميعه وبلاد
كرمان وفارس وخوزستان والعراق واذربيجان
وارمينيه وديار بكر وبلاد الموصل والجزيرة وديار
مصر وديار ربيعة والشام وبلاد الروم الذي بيد
اولاد قليج ارسلان وما بين هذه الممالك من البلاد
قال بن الاثير ورايت منشوره بذلك • وفي
سادس عشر ربيع الاخر سنة اثنتي عشرة وخمسماية

توفي الامام المستظهر بالله امير المؤمنين ابو العباس احمد
بن المقتدي بامر الله وكان عمره احدى واربعين سنة
وستة اشهر وستة ايام وخلافته اربع وعشرون
سنة وثلثة اشهر واحدى عشر يوما ٥ ومضى في ايامه
ثلثة سلاطين خطب لهم ببغداد من السلجوقية وهم اخو
ملكشاه تاج الدولة تتش وركن الدولة بركيارق
بن ملكشاه واخوه غياث الدين محمد بن ملكشاه ٥ وكان
المستظهر رحمه الله كريم الاخلاق لين الجانب مشكور
المساعي يحب العلم والعلما وصنفت له التصانيف الكثيرة
في الفقه والاصول وغيرهما ٥ وكان يسارع الى اعمال
البر والمثوبات حسن الخط جيد التوقيعات ولما توفي
صلى عليه ولده المسترشد بالله ودفن في حجرة كانت له
بالقصر ٥ وفي ايامه توفي جماعة من العلما في شعبان
سنة ثمان وثمانين واربعماية ٥ توفي قاضي القضاة
ابو بكر محمد بن المظفر الشامي وفي ذي القعدة منها توفي
القاضي عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي مصنف حذا بن
دلائل بهجة في تفسير القران يزيد على ثلثماية مجلد
كبار وفي ذي الحجة منها توفي الامام ابو نصر الحميدي
مصنف الجمع بين الصحيحين وفي شوال سنة احدى
وتسعين توفي الكامل نقيب النقبا طراد بن محمد الزينبي
وله نحو تسعين سنة وفي سنة اثنين وخمسماية توفي

القاضي عبد السلام القزويني

ابو

ابو زكريا التبريزي اللغوي وفي ذي الحجة منها توفي
ابو الغوارس الحسن بن علي بن الخازن صاحب الخط
الحسن المشهور وفي سنة خمس وخمسمائة توفي الامام
ابو حامد الغزالي وفي سنة سبع وخمسمائة توفي
الامام ابو بكر محمد بن احمد الشاشي الفقيه رحمهم الله تعالى
فصل ٢٠ لما ولي السلطان محمود السلطنة اقر
اخاه مسعود على الموصل مع اتابكه جوش بك فبقي مطيعا
لاخيه الى سنة اربع عشرة وخمسمائة فحسن له الخروج
عن طاعته فطلب السلطنة فاظهر العصيان وخطب
لملك مسعود بالسلطنة وكان زنكي يشير بطاعة
السلطان وترك الخلاف عليه ويجد زعم على قلبه العصيان
فلم ينفع فالتقى الاخوان في عسكريهما فهزم عسكر
مسعود واسر جماعة من الامرا والاعيان منهم
الاستاذ ابو اسمعيل الحسين ابن اسمعيل الطغرائي وزير
مسعود فقتله السلطان محمود وقال قد صح عندي
فساد اعتقاده ودينه وكان قد جاوز ستين سنة
وكان حسن الكتابة جيد الشعر قلت وقيل
انه قتل سنة ثلث عشرة او اربع عشرة او ثمان عشرة
وخمسمائة وقيل ان الذي قتله هو السلطان
طغرل بن محمد بن ملكشاه ذكر ذلك كله ابو سعيد السمعاني في
في تاريخه وسماه الحسين ابن علي بن عبد الصمد الديلمي

وانشد له اشعارا حسانا منها

لئن لم تكن ملكا مطاعا ❊ فكن عبدا لمالكه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعا ❊ كما تهواه فاتركها جميعا
هما سيان من ملك ونسك ❊ ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
ومن يقنع من الدنيا بشيء ❊ سوى هذين يحيى بها وضيعا

ثم استامن مسعود واتابكه جيوش بك فامنهما
السلطان واخذ الموصل منهما فاقطعها اق سنقر
البرسقي مع اعمالها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرهما
في صفر سنة خمس عشرة وسيره اليها وامر بحفظ عماد الدين
زنكي وتقديمه والوقوف عند اشارته ففعل البرسقي ذلك
وزاد عليه لمكان زنكي من العقل والشجاعة وتقدم والده
في الايام الركنيه وكانت سيرة ملكشاه عندهم كالشريعه
المتبعه فاعظم الناس عندهم اكثرهم اتباعا لسيرته
وفي سنة ست عشرة وخمسمائة اقطع اتابك زنكي مدينة
واسط وشحنكية البصرة وظهر من كفايته في البلدين ما لم
يظنه احد فازداد شانه عظما وهابه الامير دبيس
بن صدقة الاسدي صاحب الحلة ناحيته وجرت بينه وبين
البرسقي حروب ومواقفات وهم دبيس بقصد بغداد
البرسقي اليه وتبعه الخليفة المسترشد بالله بنفسه
فانهزم عسكر دبيس وقتل منهم واسر خلق كثير وكان
لعماد الدين زنكي اثر حسن في هذه الوقعة ايضا بين

43.

يدي الخليفة وذلك في اول المحرم سنة سبع عشرة واما
دبيس فانه لما انهزم لحق بالملك طغرل بن السلطان محمد
وصار معه من خواص اصحابه وكان عاصيا على اخيه السلطان
محمود وامر السلطان محمود للبرسقي ان يرجع الى الموصل
فعاد واستدعى زنكي من البصرة ليسير معه الى الموصل
فقال زنكي لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم قد ملك
البلاد امير ونؤمر بالتصرف على اختياره وارادته تارة
بالعراق وتارة بالموصل وتارة بالجزيرة وتارة بالشام
فسار من البصرة الى السلطان محمود فاقام عنده وكان
يقف الى جانب تخت السلطان عن يمينه لا يتقدم عليه احد
وهو مقام والده قسيم الدولة من قبله وبقي لعقبه من بعده
ثم انهى السلطان الخبر ان العرب قد اجتمعت ونهبت البصرة
فامر زنكي بالمسير اليها واقطعه اياها لما بلغه عنه من الحماية
لها في العام الماضي وقت اختلاف العساكر والحروب ففعل
ذلك فعظم عند السلطان وزاد محله عنده وكان قد جرى
بين يرنقش الزكوي شحنة بغداد وبين الخليفة المسترشد
بالله نفرة فتهدده المسترشد فسار عن بغداد الى السلطان
في رجب سنة سبع عشرة شاكيا من المسترشد وحذر السلطان
جانبه واعلمه انه قد جمع العساكر عازما على منعه من العراق
فسار السلطان الى بغداد وجرى بينه وبين المسترشد
حروب ووقايع ثم اصطلحا وعادا الى ما كانا عليه ولاقام

السلطان بغداد الى عاشر ربيع الاخر وانتظر فيمن يصلح ان
يلي شحنكيه بغداد والعراق يامن معه من الخليفه ويضبط
الامور فولى ذلك زنكي مضافا الى ما بيده من الاقطاع وسار
السلطان عن بغداد وفي سنة عشرين وخمسمايه قتل
اق سنقر البرسقي بالجامع العتيق بالموصل بعد الصلاة يوم
الجمعة ثارت به من الباطنيه ما يزيد على عشرة انفس فقتل
بيده منهم ثلاثه وقتل رحمه الله وكان عادلا لين الاخلاق
حسن العشرة وكان يصلي كل ليله صلاة كثيره ولا يستعين
باحد في وضوء فقرر السلطان ولده عز الدين مسعود على ما كان
لابيه من الاعمال وهي الموصل وديار الجزيرة وحلب وحماه وجزيرة
ابن عمر وغيرها وكان شابا عاقلا فضبط البلاد فلم تطل ايامه
وتوفي سنة احدى وعشرين وولي الامر بعده اخوه الصغير
وقام بتدبير دولتهما الامير جاولي وهو مملوك تركي من مماليك
ابيهما فجرت الامور على احسن نظام

فصل في ولاية زنكي

الموصل وغيرها من البلاد التي كانت بيد البرسقي
وذلك في شهر رمضان من سنة احدى وعشرين وسبب
ذلك ان عز الدين بن البرسقي لما توفي وقام بالبلاد بعده اخوه
الصغير وتولى امره جاولي ارسل الى السلطان محمود يطلب
ان يقر البلاد عليه وكان المرسل بذلك القاضي بهاء الدين
ابو الحسن علي بن الشهرزوري وصلاح الدين محمد الياغيسياني
فحضرا بغداد ليخاطبا السلطان في ذلك وكلما يخافان

ولاية زنكي

جاولي

جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بحكمه وكان بين الصلاح
وبين نصير الدين جقر مصاهرة فاشار عليهما ان يطلبا
البلاد لعماد الدين زنكي ففعلا وقالا للوزير قد علمت انت
والسلطان ان بلاد الجزيرة والشام قد استولى
الفرنج على اكثرها وتمكنوا منها وقويت شوكتهم وكان
البرسقي يكف بعض عاديتهم فمذ قتل ازداد طمعهم وهذا
ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من شهم شجاع يذب
عنها ويحمي حوزتها وقد انهينا الحال اليكم ايلا يجري خلل
او وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن بالاثم من الله
تعالى واللوم من السلطان فانهى الوزير ذلك الى السلطان
فاحضرهما وقال من ترون ان يصلح لهذه البلاد فذكرا جماعة
فيهم عماد الدين زنكي وعظما محله اكثر من غيره فاجاب
السلطان الى توليته لما علم من شهامته وكفايته فولي
البلاد جميعها وكتب منشوره بها وسار من بغداد الى
البوازيج ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره ان منعه جاولي
عن البلاد فلما استولى عليها سار عنها الى الموصل فخرج
جاولي الى لقائه وعاد في خدمته الى الموصل فسيره الى الرحبة
واعمالها واقام هو بالموصل يصلح امورها ويقرر قواعدها
فولى نصير الدين دزدارية قلعة الموصل وفوض اليه امر
الولاية جميعها وجعل الدزدارية في البلاد جميعها له وجعل
الصلاح محمد الباغيساني امير حاجب الدولة وجعل بها الدين

ذكر استيلاء الفرنج على بلاد المسلمين

قاضي قضاة بلاده جميعها وما يفتحه من البلاد ووفا لهم بما وعدهم
وكان بهاء الدين اعظم الناس عنده منزلة واكرمهم عليه
والزمهم انبساطا معه وقربا منه ورتب الامور على احسن
نظام واحكم قاعدة وكانت الفرنج قد اتسعت بلادهم
وكثرت اجنادهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم وامتدت
الى بلاد المسلمين ايديهم وضعف اهلها عن كف عاديتهم وتتابعت
غزواتهم وساموا المسلمين سوء العذاب واستطار في البلاد
شر شرهم وامتدت مملكتهم من ناحية ماردين وشبختان
الى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحماه
وحمص ودمشق وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ومن
ديار الجزيرة الى نصيبين وراس عين واما اهل الرقة
وحران فانهم كانوا معهم في ذل وهوان وانقطعت الطرق
الى دمشق الا على الرحبة والبر ثم زاد الامر وعظم الشر
حتى جعلوا على اهل كل بلد جاورهم خراجا واتاوة ياخذونها
منهم ليكفوا اذيتهم عنهم ثم لم يقنعوا بذلك حتى ارسلوا
الى مدينة دمشق واستعرضوا الرقيق ممن اخذ من الروم
والارمن وسائر بلاد النصرانية وخيروهم بين المقام
عند اربابهم والعود الى اوطانهم فمن اختار المقام تركوه
ومن اثر العود الى اهله اخذوه وناهيك بهذه الحاله
ذلة للمسلمين وصغارا واما اهل حلب فان الفرنج
اخذوا منهم مناصفة اعمالها حتى في الرحا التي على باب

الكنان وبينها وبين المدينه عشرون خطوه واما
ما في بلاد الشام فكان حال اهلها اشد من حاله
أمله من البلدين فلما نظر الله الى بلاد المسلمين
ولاها عماد الدين زنكي فغزا الفرنج في عقر ديارهم
واخذ للموحدين منهم بثارهم واستنقذ منهم حصونهم
ومعاقلهم وسياتي تفصيل ذلك وما فتحه من البلاد الاسلاميه
هو وابنه من بعده

فصل

ثم شرع زنكي في اخذ
البلاد ففتح جزيرة ابن عمر ثم مدينة اربل في رمضان
سنه اثنين وعشرين ثم عاد الى الموصل وسار في جمادى
الاولى سنه ثلث وعشرين الى سنجار فتسلمها وسير منها
الشحنه الى الخابور فملكه ثم قصد الرحبه فملكت فنسرا ثم
افتتح نصيبين وسار الى حران وكانت الرها وسروج
وغيرهما من ديار الجزيره للفرنج لعنهم الله واهل حران
معهم في ضيق عظيم فراسلوا زنكي بالطاعه واستحثوه
على الوصول اليهم ففعل وهادن الفرنج مده يسيره
لعلمه انه يفرغ فيها من الاستيلا على ما يلي له من البلاد
الشاميه والجزريه وكان اهم الاشيا عنده عبور الفراه
وملك مدينه حلب وغيرها من البلاد الشاميه فلما عبر
الفراه ملك مدينه منبج وحصن بزاعه وحاصر حلب
ثم فتحت له ورتب امورها وسار عنها الى حماه فملكها
وقبض على صاحب حمص وحصرها وذلك سنه ثلث وعشرين

وفي سنة اربع وعشرين اتفق صاحب آمد مع صاحب حصن
كيفا وغيرهما من الملوك وجمعوا عساكر نحو عشرين الفا وقصدوا
زنكي فلقيهم فهزمهم وملك سرجه ودارا ثم صمم على الجهاد
فنازل حصن الاثارب وكان اضر شي على اهل حلب فجمع الفرنج
جمعا عظيما فهزمهم وقتلهم مقتلة عظيمة بقيت عظام القتلى
بتلك الارض مدة طويلة ثم رجع الى الحصن فملكه عنوة و
خربه ومحا اثره وازال من تلك الارض ضررا ثم رحل
الى حصن حارم فحصره فانفذ من لم يحضر المعركة من الفرنج
ومن نجا منها يسألون الصلح ويبذلون له المناصفة على ولاية
حارم فاجابهم الى ذلك لان عسكره كان قد كثرت فيه الجرا حات
والقتل فاراد ان يستريحوا ويريحوا دوابهم وعاد عنهم وقد
ايقن المسلمون بالشام بالامن وحلول النصر وسيرت البشاير
الى البلاد بذلك وفيها استولى زنكي على مدينة حماه وما
فيها وكان فيها بهاء الدين سونج بن تاج الملوك بوري فاخذه ورحا
له ثم طلب في اطلاقهم خمسين الف دينار فاتفق حضور دبيس
بن صدقة بن مزيد امير العراق بدمشق منهزما فطلبه زنكي
واطلق من كان عنده من سونج واصحابه ذكر ذلك الرئيس
ابو يعلي وفي سنة خمس وعشرين وخمسماية توفي السلطان
محمود بهمذان وكان عمره نحو ثمان وعشرين سنة وكانت ولايته
ما يقارب اربعة عشر سنة وكان حليما كريما عاقلا عادلا كثير
الاحتمال وطلب السلطنة بعده ابنه داود بن محمود واخواه

مسعود

مسعود وسلجوق شاه ابنا محمد وعمهم سنجر بن ملكشاه
ومعه طغرلك بن السلطان محمد فجرت بينهم حروب واختلافات
كثيرة ظفر فيها سنجر وخطب لابن اخيه طغرلك بالسلطنة
في همذان واصفهان والري وساير بلاد الجبال . وفي سنة
سبع وعشرين سار الخليفة المسترشد بنفسه الى الموصل
في ثلثين الف فارس فحاصرها ثلثة اشهر ثم عاد الى بغداد
ولم يبلغ غرضا وفي سنة تسع وعشرين استولى زنكي على
ساير قلاع الحميدية وولاياتهم منها قلعة العقر وقلعة
شوش وحاصر مدينة امد ثم مدينة دمشق وفيها
توفيت والدته بالموصل وفي المحرم سنة تسع وعشرين
توفي السلطان طغرلك بن محمد بن ملكشاه فخرج السلطان
مسعود والتقى هو والخليفة المسترشد في عسكر عظيم
عاشر رمضان فهزم عسكر الخليفة وقبض عليه خواصه وانفذ
السلطان شحنة الى بغداد فقبض جميع املاك الخليفة وهجم
جماعة من الباطنية على المسترشد وهو في الخيمة فقتلوه وكتب
السلطان الى شحنة بغداد يامرهم بالبيعة لابنه ابي جعفر
المنصور بن المسترشد فبايعه في السادس والعشرين من ذي
القعدة ولقبه بالراشد وكان عمر المسترشد ثلثا واربعين
سنة وثلثة اشهر وثمانية ايام وكانت خلافته سبع عشرة
سنة وسبعة اشهر ~~وثمانية ايام~~ وكان شهما شجاعا
مقداما فصيحا وتمكن في خلافته تمكنا عظيما لم يره احد ممن

يقدمه من الخلفا من عهد المنتصر بالله الى الخلافة الى ان يكون
المعتضد والمكتفي لان المماليك كانوا قدمًا يخلعون الخلفاء
ويحكمون عليهم ولم يزالوا كذلك الى ملك الديلم واستيلائهم
على العراق فزالت هيبة الخلافة بالمرة الى انقراض دولتهم
العراق فلما ملك السلجوقية جددوا من هيبة الخلافة
ما كان قد درس لاسيما في وزارة نظام الملك فانه اعاد
الناموس والهيبة الى حسن حالاتها الا ان الحكم والشحن
بالعراق كان الى السلطان وكذلك العمل وضمان البلاد
ولم يكن للخلفا الا اقطاع ياخذون دخله واما المسترشد
فانه استبد بالعراق بعد السلطان محمود ولم يكن للسلطان
محمود معه في كثير من اوقاته سوى الخطبه واجتمعت
عليه العساكر وقاد الجيوش وباشر الحروب وفي سنة ثلثين
وخمسمايه سار الراشد الى الموصل صحبة زنكي ملتجئاً
اليه وذلك ان جماعة حسنوا له الخروج من بغداد لمحاربة
السلطان مسعود فاجابهم الى ذلك وظهر منه تنقل في
الاحوال وتلون في الآرا وقبض على جماعة من اعيان اصحابه
وخافه الباقون وتقدم السلطان مسعود وحضر
بغداد واستظهر عليها فخرج الراشد ملتجئا الى زنكي
فسار به الى الموصل ودخل مسعود بغداد وامر بخلع
الراشد ومبايعة عمه ابي عبد الله محمد بن المستظهر بالله
ففعل ذلك ولقب المقتفي لامر الله واما الراشد فان

السلطان

السلطان سنجر ارسل الى اتابك يامره باخراجه عن بلده
فسار الى اذربيجان ثم الى همذان فاجتمع اليه ملوك وعساكر
كثيره وسار السلطان عليهم فتصافوا فانهزم الراشد
وقصد اصبهان فقتله الباطنيه بها في السابع والعشرين
من رمضان سنة اثنين وثلثين وخمسمايه ودفن باصبهان
وفي سنه اثنين وخمسماية وثلثين وخمسماية ايضا تزوج
زنكي بالخاتون صفوة الملك زمرد ابنة الامير جاولي ام
شمس الملوك اسمعيل واخوته بني تاج الملوك توري بن ظهير
الدين طغتكين اتابك وهي اخت الملك دقاق لامه واليها
ينسب مسجد خاتون الذي هو مدرسه لاصحاب ابي حنيفه
باعلى الشرق القبلي بدمشق بارض صنفا وتسلم قلعة حمص

فصل في جهاد زنكي للفرنج

لما كان في سنه اثنين
وثلثين خرج ملك الروم من القسطنطينيه ومعه خلق عظيم
لا يحصون كثرة من الروم والفرنج وغيرهم من انواع النصارى
فقصد الشام فخافه الناس خوفا عظيما وكان زنكي
مشغولا بما تقدم ذكره لا يمكنه مفارقة الموصل فقصد
ملك الروم مدينة بزاعه وحصرها وهو على مرحله من حلب
وفتحها عنوة وقتل المقاتله وسبى الذريه في شعبان سنة
ثم سار عنها الى شيزر وهي حصن منيع على مرحله من مدينة
حماه فحصرها منتصف شعبان ونصب عليها ثمانية عشر
منجنيقا وارسل صاحبها ابو العساكر سلطان بن منقذ

الى زنكي يستنجده فنزله على حماه فكان يركب كل يوم في عساكره
ويسير الى شيزر بحيث يراه ملك الروم ويرسل السرايا
فيقتطع من يخرج من عساكرهم للميرة والنهب ثم يعود
اخر النهار وكان الروم والفرنج قد نزلوا على شيزر
فارسل اليهم زنكي يقول لهم انكم قد تحصنتم بهذه الجبال
فاخرجوا عنها الى الصحرا حتى نلتقي فان ظفرتم اخذتم شيزر
وغيرها وان ظفرت بكم اراحت المسلمين من شركم ولم يكن
له بهم قوة لكثرتهم وانما كان يفعل هذا ترهيبا لهم فاشار
الفرنج على ملك الروم بلقايه وقتاله وهونوا امره فقال
لهم الملك اتظنون ان ما معه من العساكر ما ترون وله البلاد
الكثيرة وانما هو يريكم قلة من معه لتطمعوا وتصحروا له فحينيذ
ترون من كثرة عسكره ما يعجزكم وكان اتابك زنكي مع هذا
يراسل فرنج الشام حصنا ويحذرهم ملك الروم ويعلمهم
انه ان ملك بالشام حصنا واحدا اخذ البلاد التي بايديهم
منهم وكان يراسل ملك الروم يتهدده ويوهمه ان الفرنج
معه فاستشعر كل واحد من الفرنج والروم من صاحبه فرحل
ملك الروم عنها في رمضان وكان مقامه عليها اربعة وعشرين
يوما وترك المجانيق والات الحصار بحالها فسار زنكي حوله
خلفهم فظفر بطائفة منهم في ساقة العسكر فغنم منهم وقتل
واسر واخذ جميع ما خلفوه ورفعه الى قلعة حلب وكفى الله
المومنين القتال وكان المسلمون بالشام قد اشتد خوفهم

وعلموا

48.

وعلموا ان الروم ان ملكوا حصن شيزر لا يبقى لمسلم معهم مقام لاسيما مدينة حماه لقربها ولما يسر الله تعالى هذا الفتح مدح الشعرا الشهيد اتابك فاكثروا ومنهم ابو المجد المسلم بن الخضر بن المسلم قسيم التنوخي الحموي له قصيدة قد ذكرتها في ترجمة في التاريخ اولها

بعزمك ايها الملك العظيم تذل لك الصعاب وتستقيم
الم تر ان كلب الروم لما تبين انه الملك الرحيم
فجا يطبق الفلوات خيلا وكان الجحفل اللجب البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه فكان لخطبه الخطب الجسيم
فحين رميته بك في خميس تيقن ان ذلك لا يدوم
وابصر في المغاضة منك جيشا فاحزن لا يسير ولا يقيم
كانك في العجاج شهاب نور توقد وهو شيطان رجيم
اراد بقا مهجته فولي وليس سوى الحمام له حميم
يؤمل ان تجود بها عليه وانت بها وبالدنيا كريم
ابلتمس الفرنج اليك عفوا وانت بقطع دابرها زعيم
وكم جرعتها غصص المنايا بيوم فيه يكتهل الفطيم
ولما ان طلبتهم تمنى المنية جوسلينهم اللئيم
اقام بطوف الافاق حينا وانت على معاقله مقيم
فسار وما يعاد له مليك وعاد وما يعاد له سقيم
اذا اخطرت سيوفك في نفوس فاول ما تفارقها الجسوم

وقال

من قصيدة يمدح بها صلاح الدين
محمد بن ايوب العمادي الكوفاني
صاحب حماه يقول

وما جا كلب الروم الا ليحتوي حماه وما يسطو على الاسد الكلب
اراد بها ان يملك الشام عنوة وقد غلبت منه الفراعنة الغلب
وما دام فيها العيش حتى صدمته فمال جناح الجيش وانكسر القلب
وولى واطراف الرماح كانها نجوم عليه بالمنية تنصب

ولابن منير من قصيدة في مدح اتابك
زنكي سياتي بعضها عند ذكر فتحه مدينة الرها

وما يوم كلب الروم الا اخو الذي ازحت به ما في الجماجم من خبل
اتاك بمثل الرمل حشدا وانه ليضعف اضعافا كثيرا عن الرمل
فغادرته بالسهم ثم بعزمه لشك قلوب العاشقين بما يسلي
توهم ان الشام مرعى وما درى بانك امضى منه في النشز والسهل
فطار وخير المغنمين دماؤه اذا راد عنه مغنم المال والاهل

قال ابن الاثير ومن عجيب ما يحكى في هذه الحادثه
ان الخبر لما وصل بقصد الروم شيزر قال الامير
مرشد بن علي اخو صاحبها وهو ينسخ مصحفا فرفعه بيده
وقال اللهم بحق من انزلته عليه ان قضيت بمجي الروم
فاقبضني اليك فتوفي بعد ايام ونزل الروم بعد وفاته
ولما عاد الروم الى بلادهم نزل اتابك الى حصن عرقه

وهو

وهو من اعمال اطرابلس فحصره وفتحه عنوة ونهب ما فيه
واسر من به من الفرنج والحرجية وعاد سالما غانما وفيها
ملك قلعة دارا من حسام الدين تمرتاش وفيها توفي
بهاء الدين علي بن القسم الشهرزوري قاضي الممالك الاتابكية
وكان اعظم الناس منزلة عنده وفيها ولد صلاح الدين
يوسف بن ايوب بتكريت ٥

فصل في فتح شهرزور وبعلبك وحصار
دمشق قال ابن الاثير كانت شهرزور واعمالها وما
يجاورها من البلاد والجبال في يد قفجاق بن ارسلان تاش
التركماني وكان مالكها نافذ الحكم على قاصي التركمان ودانيهم
يرون طاعته فرضا حتما فتحامى الملوك قصد ولايته ولم
يتعرضوا لها لحصانتها فعظم شانه وازداد جمعه فلما كان
سنة اربع وثلثين بلغ الشهيد اتابك عنه ما اقتضى ان
يقصد بلاده فهزم عسكره وملك بلاد شهرزور وغيرها
فاضافها الى بلاده واصلح احوال اهلها وخفف عنهم ما كانوا
يلقونه من التركمان وعاد الى الموصل عازما على المسير
الى الشام فانه كان لا يرى المقام بل لا يزال ظاعنا اما
لردع عدو يقصده واما لقصد بلاد عدو واما لحز والفرج
وسد الثغور وكانت ميادين السروج اثر عنده من وثير
المهاد والسهر في حراسة المملكة احب اليه من عرض الوساد
واصوات السلاح الذ في سمعه من الغنا لا تجد لذلك

كله عنا وفي هذه السنة وهي سنة اربع وثلثين ولد
تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن شاذي وفيها
سار الشهيد في جيوشه بعد ملك شهرزور الى مدينة
دمشق فحصرها وصاحبها حينئذ جمال الدين محمد بن بوري
بن طغتكين وكان يحكم ما عليه والغالب على امره معين الدين
انر مملوك جده طغتكين وكان اتابك قد راسل كمال الدين
بن الشهرزوري بمكاتبة جماعة من مقدمي احداثها ورؤسا
طرقها واستمالتهم واطماعهم في الرغايب والصلات ففعل
ذلك فاجابه منهم خلق كثير الى تسليم البلد وخرجوا متفرقين
الى كمال الدين بن الشهرزوري بمكاتبة جماعة من مقدمي احداثها
وجدد عليهم العهود وتواعدوا يوما يزحف فيه الشهيد
الى البلد ليفتحوا له الباب ويسلموا البلد اليه واعلم كمال
الدين اتابك بذلك فقال لا ارى هذا رايا فان البلد
ضيق الطرق والشوارع ومتى دخل العسكر اليه لا يتمكنون
من القتال فيه لضيقه وربما كثر المقاتلون لنا فنعجز عن
مقاومتهم لانهم يقاتلون على الارض والسطوحات واذا
دخلنا البلد اضطررنا الى التفرق لضيق المسالك فيطمع
فينا اهله وعاد عن ذلك العزم بحزمه وحذره ومن العجب
ان محمد بن بوري صاحب دمشق توفي واتابك يحصرهم
فضبط انر الامور وساس البلد فلم يتغير بالناس حال
وارسل الى بعلبك فاحضر ولده مجير الدين ابق بن محمد

بن

بوري ورتبه في الملك مكان ابيه فمشى الحال بتمكن معين الدين انر
وحسن تدبيره وهذا مجير الدين ابق هو الذي اخذ منه نور
الدين بن زنكي دمشق كما سياتي ولما دخل مجير الدين دمشق
اقطع بعلبك معين الدين انر فارسل اليها نايبه وتسلمها فلما
علم الشهيد ذلك سار الي بعلبك وحصرها على شهور فملكها
عنوة وترك بها نجم الدين ايوب والد صلاح الدين دزدارًا
وعزم عن العود عنها الي دمشق فجاته رسل صاحبها ببذل
الطاعة والخطبة فاجابه الي ذلك وعاد عن قصد دمشق
وقد خطب له فيها وصار اصحابها في طاعته وتحت حكمه قال
بن ابي طي الحلبي واتفق ان الامرا لما نزلوا من بعلبك افسدوا
دخايرها فقبض عليهم اتابك زنكي وقتل بعضهم وصلبهم
وكان ولي قتلهم صلاح الدين محمد بن ايوب الغساني فحكي
انه احضر اليه في جملة الامرا شيخ مليح الشيبة ومعه ولد
له امرد كانه فلقة قمر فقال الشيخ لصلاح الدين سالتك
بحياة المولى الا ما قتلتني قبل ولدي لئلا اراه يعالج سكرات
الموت وكان نجم الدين ايوب واقفا فرحم الشيخ وبكا وسال
صلاح الدين في اطلاقه فقال له ما افعل حتى تامر المولى اتابك
فذهب نجم الدين الى اتابك وساله في الشيخ وولده وقص
عليه ما قاله له فاذن باطلاقه واطلاق من بقي من الجماعة
ووهبه نصف بعلبك وقيل ان نجم الدين ورد على اتابك
وهو قد ملك بعلبك فسأله في الامرا فاطلقهم له وولاه.

بعلبك وكتب له ثلثها ملكا واستقر فيها هو واهله ولم يزل فيها
الى ايام نور الدين محمود بن زنكي فاخرجه منها على ما سنذكره
ثم ان اتابك بعد ملكه بعلبك سار الى دمشق فنزل البقاع
فوردت هدية صاحب دمشق وطلب العود وحمل اليه خمسين
الف دينار ويحمله ويعطيه حمص فاشار نجم الدين على زنكي بقبول
ذلك وقال هذا المال الكثير قد حصل بلا تعب وملك كبير
بلا عنا ودمشق بلد عظيم وقد الف اهله هذا البيت وتمرنوا
على سياستهم وقد بلغتهم الاحوال التي قد جرت ببعلبك
فامتنع زنكي من قبول ما اشار به فما تم ذلك ولم يظفر
بغرضه [فصل] ثم سار اتابك الشهيد في هذه السنة
وهي سنة اربع وثلثين الى بلاد الفرنج واغار عليها واجتمع
ملوك الفرنج وساروا اليه فلقيهم بالقرب من حصن بارين
وهو للفرنج فصبر الفريقان صبرا لم يسمع بمثله الا ما يحكى
عن ليلة الهرير ونصر الله المسلمين وهرب ملوك الفرنج
وفرسانهم فدخلوا حصن بارين وفيهم ملك القدس لانه
كان اقرب حصونهم واستلموا عدتهم وعتادهم وكثر
فيهم الجراح ثم سار الشهيد الى حصن بارين فحصرهم حصرا
شديدا فارسلوا في طلب الامان ليسلموا ويسلموا
الحصن فابى الا اخذهم قهرا فبلغه ان من بالساحل من
الفرنج قد ساروا الى بلاد الروم والفرنج يستنجدونهم
ويهونون اليهم ما فيه ملوكهم من الحصر فجمعوا وحشدوا

واقبلوا

واقبلوا الى الساحل ومن بالحصن لا يعلمون بشي من ذلك لقوة
الحصر وساروا فلقيهم امداد النصرانية فسالوهم عن
حالهم فاخبروهم بتسليم الحصن فلاموهم وقالوا عجزتم عن
حفظه يوما او يومين فحلفوا لهم انا لم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا
عنكم خبر منذ حصرنا والى الآن فلما عميت الاخبار عنا ظننا
انكم قد اهملتم امرنا فحقنا دماءنا بتسليم الحصن قال
ابن الاثير وكان حصن بارين من اضر بلاد الفرنج على
المسلمين فان اهله كانوا قد اخربوا ما بين حماه وحلب من
البلاد ونهبوها وتقطعت السبل فازال الله تعالى بالشهيد
رحمه الله هذا الضرر العظيم وفي مدة مقامه على حصار بارين
سير جنده الى المعرة وكفرطاب وتلك الولاية جميعها فاستولى
عليها وملكها وهي بلاد كثيرة وقرايا عظيمة قلت وقال
القيسراني يذكر هزيمة الفرنج ويمدح زنكي قصيدة اولها

حذار منا وانى ينفع الحذر ۰ وهي الصوارم لا تبقي ولا تذر ۰
واين تنجو ملوك الشرك من ملك ۰ من خيله النصر لا بل جنده القدر ۰
سلوا سيوفا كاغماد السيوف بها ۰ صالوا فما غمدوا النصل ولا شهروا ۰
حتى اذا ما عماد الدين ادركهم ۰ في مأزق من سناه البيض والسمر ۰
ولو انطلقت بهم ذرعا مسالكهم ۰ والموت لا ملجا منه ولا وزر ۰
وفي المسافة من دون النجاة لهم ۰ طول وان كان في اقطارها قصر ۰
واصبح الدين لا عينا ولا اثرا يخاف ۰ والكفر لا عين ولا اثر ۰
فلا تخاف بعد الفرنج قاطبة ۰ فالقوم ان نفروا الوى بهم نفر ۰

ان قاتلوا اقدموا او حاربوا حزبوا او طاردوا طردوا او حاصروا حصروا
وطالما استفحل الخطب لبهيم بهم حتى اني ما لكا راو عدروا
والسيف مفترع ابكار انفسهم ومن هنالك قيل الصارم الذكر
لا فارقت ظل يحيى العدل لا مقد كالصبح نظوي من الاعدا ما نشروا
ولا انثنى النصر عن اجناد دولته بحيث كانوا وان كانوا بدو نصروا
حتى تعود ثغور الشام ضاحكة كانما حل في اكنافها عمر

وقال ابن منير

هذا تلك الملوك وايامها وكان لنقضك ابرامها
وذلت لعينك اقدامها وذال لبطشك اقدامها
ولوم تسلم اليك القلوب لموا ما لماصح اسلامها
ابا يحيي العدل لما نعاه ابا بي الرايا وايتامها
ومستنقذ الدين من امه اذاك المحاريب اصنامها
الفت لها تتقيه الاسود والبيض والسمر اجامها
جنى رب جن يرقها بالسيوف حتى تشامها شامها
وصلوت عوادي اكنافه متى شئت ارخص مستامها

وقال ابن الاثير ولما وصل الروم والفرنج الى الشام وراوا الامر قد فات ارادوا واجبر مصيبتهم ٥ بمنازلة بعض بلاد المسلمين فنزلوا على حلب وحصروها فلم ير الشهيد ان يخاطر بالمسلمين ويلقاهم لانهم كانوا في جمع عظيم فانحاز عنهم ونزل قريبا منهم يمنع عنهم الميرة ويحفظ اطراف البلاد من انتشار العدو فيها والاغارة عليها وارسل

القاضي كمال الدين الشهرزوري الى السلطان مسعود ينهي
اليه حال البلاد وكثرة العدو ويطلب منه النجدة وارسال
العساكر فقال له القاضي كمال الدين اخاف ان تخرج البلاد
من ايدينا ويجعل السلطان مداجة ويبعد العساكر
فاذا توسطوا البلاد ملكوها فقال الشهيد ان هذا العدو
قد طمع في البلاد وان اخذ حلب لم يبق بالشام اسلام وعلى
كل حال فالمسلمون اولى بها من الكفار قال فلما وصلت الى بغداد
واديت الرسالة وعدني السلطان بانفاد العساكر ثم
اهمل ذلك ولم يتحرك فيه لشيء وكتب الشهيد الي متصلة يحثني
على المبادرة بانفاد العساكر وانا اخاطب ولا ازاد على
الوعيد قال فلما رايت قلة اهتمام السلطان بهذا الامر
العظيم احضرت فلانا وهو فقيه كان ينوب عنه في القضا
فقلت خذ هذه الدنانير وفرقها في جماعة من اوباش
بغداد والاعاجم واذا كان يوم الجمعة وصعد الخطيب المنبر
بجامع القصر قاموا وانت معهم واستغاثوا بصوت واحد
واسلاماه وادين محمداه ويخرجون من الجامع ويقصدون
دار السلطان مستغيثين ثم وضعت انسانا اخر يفعل
مثل ذلك في جامع السلطان فلما كانت الجمعة وصعد
الخطيب المنبر قام ذلك الفقيه وشق ثوبه والقى عمامته
عن راسه وصاح وتبعه اولئك النفر بالصياح والبكاء
فلم يبق بالجامع الا من قام يبكي وبطلت الجمعة وسار الناس

تدبير حسن

كلهم الى دار السلطان وقد فعل اولئك الذين بجامع السلطان
مثلهم فاجتمع اهل بغداد وكل من بالعسكر عند دار السلطان
يبكون ويصرخون ويستغيثون وخرج الامر عن الضبط
وخاف السلطان في داره وقال ما الخبر فقيل له ان الناس
قد ثاروا حيث لم ترسل العساكر الى الغزاة فقال احضروا
بن الشهرزوري قال فحضرت عنده وانا خائف منه الا انني
قد عزمت على صدقه وقول الحق فلما دخلت عليه قال يا قاضي
ما هذه الفتنة فقلت ان الناس قد فعلوا هذا خوفا من
الفتنة والشر ولا شك ان السلطان ما يعلم كم بينه وبين
العدو وانما بينكم نحو اسبوع ولين اخذ واحلب انحدروا اليكم
في الفرات وفي البر وليس بينكم بلد يمنعكم عن بغداد وعظمت
الامر عليه حتى جعلته كانه ينظر اليهم فقال اردد هولا
العامه عنا وخذ من العساكر ما شئت وسر بهم والامداد
يلحقك قال فخرجت الى العامه ومن انضم اليهم وعرفتهم
الحال وامرتهم بالعود فعادوا وتفرقوا وانتخبت من
عسكره عشرة الاف فارس وكتبت الى الشهيد اعرفه الخبر
وانه لم يبق غير المسير واجد واستنجده فانه في ذلك وامرني
بتسييرهم والحث على ذلك فعبرت العساكر الجانب الغربي
فبينما نحن نتجهز للحركة واذا قد وصل نجاب من الشهيد
يخبر بان الروم والفرنج قد رحلوا عن حلب خائبين
لم ينالوا منها غرضا ويامرني بترك استصحاب العساكر

فلما

53.

فلما خوطب السلطان في ذلك اصر على انفاذ العساكر الى الجهاد
وقصد بلاد الفرنج واخذها وكان قصده ان تطأ عساكره
البلاد بهذه الحجة فيملكها قال فلم ازل اتوصل مع الوزير
واكابر الدولة حتى اعدت العساكر الى الجانب الشرقي وسرت
الى الشهيد قال ابن الاثير فانظروا الى هذا الرجل
الذي هو خير من عشرة الف فارس يعني كمال الدين رحمه الله
الشهيد فلقد كان ذا همة عاليه ورغبة في الرجال ذوي
الراي والعقل يرغبهم ويخطبهم من البلاد ويوفر لهم العطا
حكى والذي قال عند الشهيد ان هذا كمال الدين يحصل
له في كل سنة منك ما يزيد على عشرة الف دينارا ميريه
وغيره يقنع منك بخمسماية دينار فقال لهم بهذا العقل
والراي تدبرون دولتي ان كمال الدين يقل له هذا القدر
وغيره يكثر له خمسماية دينار فان شغلا واحدا يقوم فيه
كمال الدين خير من ماية الف دينار وكان كما قال رحمه الله
فصل وفي سنة سبع وثلثين وخمسماية سار
الشهيد الى بلد الهكارية وكان بيد الاكراد وقد اكثروا
في البلاد الفساد الا ان نصير الدين جقر نايب السلطان
الشهيد بالموصل كان قد ملك كثيرا من بلادهم فلما
بلغها الشهيد حصر قلعة الشعباني وهي من اعظم قلاعهم
واحصنها فملكها واخربها وامر ببنا قلعة العمادية حصنا
كبيرا عظيما فاخربها الاكراد لعجزهم عن حفظها لكبرها فلما

ملك اتابك الشهيد البلاد التي لهم فقال اذا عجزنا الاكراد
عن هذا الحصن فانا بحول الله لا اعجز عنه فامر ببنائه وكان
رحمه الله ذا عزم ونفاذ امر فبني وسماه القلعة العمادية
نسبة الى لقبه عماد الدين وفي هذه السنة خطب لاتابك
بامد وكان قبلها رسل الى صاحبها يطلب منه الانفصال
عن موافقة ركن الدوله داود صاحب الحصن والانتماء
الى خدمته والخطبة له فاجابه الى ذلك وفيها ملك
الشهيد مدينة عانه وفيها حصر مدينة حمص مرة اخري
وفتحها في شوال وقصد ولاية دمشق فنشتي بها وفي
سنة ثمان وثلثين عزم السلطان مسعود على قصد
الموصل بعساكره وكان قد وقع بينه وبين الشهيد وحشة
فترددت الرسل بينهما ثم استقرت الحال على مائة الف
دينار امامية يحملها الشهيد الى السلطان وطلب ان
يحضر الشهيد في خدمته فامتنع واعتذر باشتغاله
بالفرنج فعذره وشرط عليه فتح الرها وكان من اعظم
الاسباب في تاخر السلطان عن قصد الموصل انه قيل
له ان تلك البلاد لا يقدر على حفظها من الفرنج غير
اتابك عماد الدين فانها قد وليها قبله جماعة في سفاوه
وهو دود وجوشبك والبرسقي وغيرهم من الامراء وكان
السلاطين يمدونهم بالعساكر الكثيره ولا يقدرون
على حفظها ولا يزال الفرنج ياخذون منها البلد بعد البلد

الى

الى ان وليها اتابك فلم يملك احد من السلاطين بفارس
واحد ولا بمال ومع هذا فقد فتح من بلاد العدو عدة
حصون وولايات وهزمهم غير مرة واستضعفهم وعز
الاسلام به ومن الاسباب المانعة ايضا ان الشهيد
كان لا يزال ولد الاكبر سيف الدين غازي في خدمة
السلطان مسعود بامر والده وكان السلطان يحبه
ويقربه ويعتمد عليه ويثق به فارسل اليه الشهيد
يامره بالهرب والمجي الى الموصل وارسل الى نايبه بالموصل
يامره ان يمنعه من دخول الموصل ومن المسير اليه ايضا
ففعل ذلك وقال له مرسل الى والدك تستاذنه في الذي
يفعله فارسل اليه فعاد الجواب انني لا اريد منها السلطان
ساخط عليك والزمه بالعود اليه فعاد ومعه رسول
الى السلطان يقول له انني لما بلغني ان ولدي فارق
الخدمة بغير اذن لم اجتمع به ورددته الى بابك فحلّ
هذا عند السلطان محلا كبيرا واجاب الى ما اراد الشهيد
ولما استقر المال حمل منه نحو عشرين الف دينار ثم ان
الامور تقلبت وعاد اصحاب الاطراف خرجوا على السلطان
فاحتاج الى مداراة الشهيد واطلق له الباقي استمالة
له وفي هذه السنة سار الشهيد الى ديار بكر
ففتح عدة بلاد منها طنزه واسعرد وملك مدينة المعدن
الذي يحمل منه النحاس من ارمينيه ومدينة حيزان

خرق التدبير

واخذ من اعمال ماردين عدة مواضع ورتب امور الجميع
وملك مدينة حاني وحاصر امد وارسل عسكرا الى
مدينة عانة فملكها له وقد تقدم ذكرها في السنة قبلها
فصل في فتح الشهيد الرها في جمادى الاخرة من
سنة تسع وثلثين وخمسماية وكانت لجوسلين ولموعاني
الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم وكان
مدة حصاره لها ثمانية وعشرين يوما واعادها الى حكم الاسلام
وهذه الرها من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا
وهي احد الكراسي عندهم فاشرفها البيت المقدس ثم انطاكيه
ثم رومية وقسطنطينية والرها وكان على المسلمين من
الفرنج الذين بالرها شر عظيم وملكوا من نواحي ماردين
الى الفراة على طريق سبختان عدة حصون كسروج والبيرة
وجملين والموزر وكانت غاراتهم تبلغ مدينة امد من
ديار بكر وماردين ونصيبين وراس عين والرقة واما حران
فكانت منهم في الخزي كل يوم قد صبحوها بالغارة فلما راى
الشهيد الحال مكة الله منهم وعلم انه لا ينال منها غرضا
ما دام جوسلين بها فاخذ في اعمال الحيل والخداع لعله
جوسلين ان يخرج منها الى بعض القلاع فيشتغل عنها
بقصد ما جاورها من ديار بكر التي بيد الاسلام كحاني
وجبل جور وامد فكان يقاتل من بها قتالا شديدا فبيد
ابقا وموسر حسموا في الاتفاق فهو يخطبها وعلى غيرها

بحوم

فتح مدينة الرها

يحوم ويطلبها وسهولها بروم ووكلتها من يحرم يخلو عونها
من اسنانه وفراغ حصنها من الضاد واجنادها فلما
راى جوسلين اشتغال الشهيد بحرب الملوك بديار بكر ظن
انه لا فراغ له اليه وانه لا يمكنه الاقدام عليه ففارق
الرها الى البلاد الشامية ليلاحظ اعماله ويتعهد ذخائره
وامواله فاقبل الشهيد مسرعا بعساكره الى الرها
ثم وصف ابن الاثير الجيش وانشد

بجيش جاش بالفرسان حتى ... ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر ... تخاطبنا بافواه الرياح
واروع جيشه ليل بهيم ... وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته ولكن ... قليل الصفح ما بين الصفاح
وكان ثباته للقلب قلبا ... وهيبته جناحا للجناح

ونازل الشهيد في حصارها فملكها عنوة فاستباحها
ونكس صلبانها واباد قسوسها ورهبانها وقتل شجعانها
وفرسانها وملأ الناس ايديهم من النهب والسبي ثم انه
دخل البلد فراقه فانف لمثله من الخراب فامر باعادة
ما اخذ منه من سائر مال وسبي ورجال واطفال فردوا
عن اخرهم لم يفقد منهم الا الشاذ والنادر فعاد البلد
عامرا بعد ان كان داثرا ثم رتب البلد واصلح من شانه وسار
عنه فاستولى على ما كان بيد الفرنج من المدن والحصون والقرايا
كسروج وغيرها واخلى الديار الجزرية من معرة الفرنج وشرهم

واصبح اهلها بعد الخوف امنين وكان فتحا عظيما طار في الافاق
ذكره وطاب بها نشره وشهده خلق كثير من الصالحين والاوليا
قال ابن الاثير حكى لي جماعة اعرف صلاحهم انهم راوا
يوم فتح الرها الشيخ ابا عبد الله بن علي بن مهران الفقيه
الشافعي وكان من العلما العاملين الزاهدين في الدنيا
المنقطعين عنها وله الكرامات الظاهرة ذكروا عنه انه
غاب عنهم في زاويته يومهم ذلك ثم خرج عليهم وهو مستبشر
مسرور وعنده من الارتياح ما لم يروه ابدا فلما قعد
معهم قال لهم حدثني بعض اخواننا ان اتابك زنكي فتح
مدينة الرها وانه شهد معه فتحها يومنا هذا ثم قال
ما يضرك يا زنكي ما فعلت بعد اليوم يردد هذا القول
مرارا فضبطوا ذلك اليوم فكان يوم الفتح ثم ان نفرا
من الاجناد حضر عند هذا الشيخ وقالوا له هذا رايناك
على السور تكبر ايقنا بالفتح وهو ينكر حضوره وهم يقسمون
انهم راوه عيانا قال وحكى لي بعض العلما بالاخبار
والانساب ومواقعها من رايت بها قال كان ملك جزيرة
صقلية من الفرنج فلما فتحت الرها وكان بها بعض الصالحين
من المغاربة المسلمين وكان الملك يحضره ويكرمه ويرجع
الى قوله ويقدمه الى ما عنده من الرهبان والقسيسين
فلما كان الوقت الذي فتحت فيه الرها سير هذا الملك
الفرنج جيشا في البحر الى افريقية فنهبوا واغاروا واسروا

56.

وجاءت الاخبار الى الملك وهو جالس وعنده هذا العالم المغربي وقد تغير وهو شبيه النايم فايقظه الملك وقال يا فقيه قد فعل اصحابنا بالمسلمين كيت وكيت اين كان محمد عن نصرهم فقال له ان كان قد حضر للرها فتضاحك من عنده من الفرنج فقال لهم الملك لا تضحكوا فوالله ما قال عن غير علم واشتد هذا على الملك فلم يمض غير قليل حتى اتاهم الخبر بفتحها على المسلمين فاتشام بشاهد هذا الوهن رجاء ذلك الخبر لعلو منزلة الرها عند النصرانية قال وحكى لي ايضا غير واحد ممن اثق اليهم ان رجلا من الصالحين قال رايت الشهيد بعد قتله في المنام في احسن حال فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بماذا قال بفتح الرها قلت ومدحه ابن القيسراني عند فتح الرها بقصيدة اولها

هو السيف لا يغنيك الا جلاده ۰ وهل طوق الاملاك الا نجاده [نجاده]

وعن ثغر هذا النصر فلتاخذ الظبى ۰ سناها وان فات العيون اتقاده

سمت قبة الاسلام فخرا بطوله ۰ ولم يك يسمو الدين لولا عماده

واذ اقسم الدولة ابن قسيمها ۰ عن الله ما لا يستطاع ذياده

ليهن بني الايمان امن رفعت ۰ رواسيه عزا واطمان مهاده

وفتح حديث في السماع حديثه • شهي الى يوم المعاد معادان

اراح قلوبا طرن عن وكناتها • عليها فوافا كل صدر فوان

لقد كان في فتح الرهاء دلالة • على غير ما عند العلوج اغتنان

يرجون ميلاد بن مريم نصرة • ولم يغن عند القوم عنه ولادان

مدينة افك منذ خمسين حجة • يفل حديد الهند عنها حدان

تعوق مد الابصار حتى لو انها • ترقت اليها خان طرفا سوان

وجامحة عز الملوك قيادها • الى ان ثناها من لعز قنان

فاوسعها حر القراع منوبه • تمرين الا ابدله اذان

كان سنا لمع الاسنة حوله • شرار ولكن في يديه دنان

فاصرمها نارين حربا وخدعة • فما راع الا سورها والهدان

فضات صدود البكر عند افتضاضها • وهيهات كان السيف

حتما سقان •

فيا ظفرا عم العباد صلاحه • بمن كان فيه البلاد نسان

فلا مطلق الا وشد وثاقه • ولا موثق الا وحل عصان

ولا منبر الا ترنح عوده • ولا مصحف الا انا ومران

فان تشكل الا يبرز فيها حياته • والا فعل النجم كيف سهان

وباتت سرايا الغمض تعقد دونها • كما يتنزا عن حزيق جران

الى اين يا اسرى الضلال بعدنا • لقد ذل غاويكم وعز شان

رويدكم لا مانع من مطعن • يعانده اسباب القضا عمان

مصيبت سهام الراي لو ان عزمه • رمي سد ذي القرنين

اصبح سدان •

وقال

٥٧

وعلم الملوك الكفر تسليم بعد ما ... مما لكها ان البلاد بلاد
كذي عن طريق الصبح ابنها الدجى فيا طال ما غال الظلام امتدا
ومن كان املاك السموات جنده فاية ارض لم تروضها جياد
وسد عزم ما سيحان وردة وروضة قسطنطينية مستزاد
وله من قصيدة مدح بها القاضي كمال الدين الشهرزوري
اولها هي جنة الماوي فهل من خاطب
يقول فيها
ان الصفايح يوم صافحت الرها عطفت عليها كل اسوس ناكب
فتح الفتوح مبشرا بتمامه كالفجر في صدر النهار الايب
لله ايه دفعة بيد رشة لشرب صحابتها باعز صاحب
ظفر كمال الدين لست لصاحبه كم نا مض بالحرب غير محارب
وامدكم جيش الملايكة نصره بكتايب مخفوفة بكتايب
جنبلوا الدبور وقد نم ريح الصبا جند النبوة هل لها من غالب
اترى الروم الورد يوم تمنعت طنت وجوب السوسون لاعب
لا اين ما اسرى المهالك بعدها ضاق الفضا على نجاة الهارب
سند الى ارض العراق بعدها ان الدروب على الطريق اللاحب
افعركم والثار من دماوكم ما كان من اطراق لحظ الطالب
وادا رايت الليث يجمع نفسه دون الفريسة فهو عين الواثب
فقال ابن منير

ن
تروضها

صفا ان نجدك لفظا جل معناه ٭ فلا استرد الذي اعطاكه الله
باصادمة بيمين الله قايمة ٭ وفي اعالي اعادي الله حداه
اصبحت دون ملوك الارض منفردا ٭ بلا شبيه اذ الاملاك اشباه
فداك من حاولت مسعاك همته ٭ جهلا وقصر عن مسعاك مسعاه
قل للاعادي الا موتوا بكمدكم ٭ فالله خيبكم والله اعطاه
ملك تنام عن الفحشا همته ٭ تقي وتسهر للمعروف عيناه
ما زال يسمك والاقدار تخدمه ٭ فيما ابتلاه وتدني ما توخاه
حتى تعالت عن الشعري مشاعره ٭ قدرا وجاوزت الجوزا نعلاه
وقد روى الناس اخبار الكرام مضوا ٭ والابن مما رووه ما رايناه
ابن الخلايف عن فتح لنبح له ٭ مطلا افق السما جناحاه
على المنابر من ابنائه ارج ٭ مقطوبة بفتيق المسك رياه
فتح اعاد على الاسلام بهجته ٭ فافتر مبسمه وامتز عطفاه
بهد المعتصم بالله فتكته ٭ حديثها نسخ الماضي وانساه
ان الرها غير عمورية وكذا ٭ من رامها ليس مغزاه كمغزاه
اخت الكواكب عزا ما بلغ احد ٭ من الملوك لها وخما قواناه
حتى دلفت لها بالعزم يشحذه ٭ راي يبيت فويق النجم مسراه
مستمرا وبنو الاسلام في شغل ٭ عن بدء غرس لهم اثمار عقباه
يا محيي العدل اذ قامت نوادبه ٭ وعامر الجود لما امح مغناه
يا نعمة الله نستقصي المزيد بها ٭ للشاكرين وتستقصي صفاياه
ابقاك للدين والدنيا تحوطهما ٭ من لم يتوجك هذا التاج
الا هو

ولابن منير

58.

ولابن منير ايضا من قصيدة
تقدم بعضها ومنها

ايا ملكا القى على الشرك كلكلا انا خ على امانه كل كلكل الشكل
جمعت الى فتح الرها اسد بابه بجمعك بين النهب والاسر والقتل
لمو الفتح انسى كل فتح جديده وتوج مسطور الدواوين والنقل
تضمنت به تفتش الختام بعده جزيت جزا الصدق عن خاتم الرسل
تجردت للاسلام دون ملوكه يدنيك اسباب المذلة والخذل
اخو الحرب عن ثدي الرضاع مفطما يشوب باقدام القنا حنكه الكهل

وله من قصيدة اخرى

بعماد الدين اضحت عروة الدين مغطوبا بها الفتح المبين
واستزادت بقسيم الدولة القسيم من ادحاض كيد المارقين
ملك اسهر عينا لم يزل همها تشريد هم الراقدين
لاخلت من كحل النصر فقد فقأت عيون الحاسدين
كل يوم مرّ من ايامه فهو عيد عايد للمسلمين
لو جرى الانصاف في اوصافه كان اولاها امير المومنين
ما روى الراوون بل ما سطروا مثل ما خطت له ايدي السنين
اذ اناخ الشرك من اغافة لمسي الف سناها مستبين
وقعة طاحت بكلب الروم من قطعة الثنين الى قطع الوتين
اذ حمت مصر فقد قام لها واضح البرهان ان الصبر مبين
والرها لو لم يكن الا الرها لكفت حسما لشك الممترين

غبطام

درج الدهر عليها معصرًا لم • تدنس بمرام اللامسين

ثم قسطنطين ان يفرعها • ومضى لم يحومنها قسطنطين

ولكم من ملك حاولها • فتجلى الحين وسمًا في الجبين

هي اخت النجم الا انها • منه كالنجم لراي المبصرين

هبطت منه بليث غابة • بعوات الدل اساد العرين

زارها يزار في اسد وغى • ينبذ الاسد من الزار الانين

صولجوا البيض بضرب نثرت • الهام في ساحاتها نثر الكرين

بالها همته ثغر اضحكت • من بني الخلق ثغور الشامتين

بولنست راس برنس ذله • بعد ما جاست حوايا جوسلين

وسروج مذ وعت اسراجه • فرقت جماعها عنها عضين

تلك احتفال دماها اسد من • عزمه الماضي بحير العالمين

شام منه الشام برقا ودقه • هو من الخوف مخيف الامنين

كم كنيس كنست اراميها • منه بعد الدوخ في ظل السفين

دمت الاجاك مراجاتها • فاحلتها القطا بعد القطين

ومنا تجتلى صلبانا ضد • بين بيض نقبا ري في البرين

فرعته البيض حتى بدلت • فرعها للنا قوس تثويب الاذين

بالقسيسات مقسوما لها • الدهر في عكك لحين او لحين

سل بها حران كم حر اسقفت • بردا يوم زدن من ما دين

سمطت امس سميساطها • نظم جيش مبهج للناظرين

وغدا البلغ على القدس لها • كلكل يدرسها درس الدرين

بهمة تمسي وتضحي عزمه • ليس حصن الحثة الحصين

فل

قل لقوم غرهم امهاله . سنة و قوم شذاه بعد حين

انه الموت الذي يدركهم . ثم منه فسبحا للغافلين .

وهو يحيى ممسكي عروته . انها حبل لمن تاب متين .

من يطع ينج ومن يعص يكن . من عداه عبرة للاخرين .

بك يا شمس المعالي زدت . الدوح في المبتنين من دنيا ودين

اقسم المجد بان تبقى لكي . تملك الارض يمينا لا يمين .

وتعم العدل في اقطارها . منسيا من لم عسف الجائرين

لا تزل لك دار الملك كعبة . محفوفة بالطائفين .

كل يوم يجتلي حيدها . من نظيم المدح بالدر الثمين .

كلما اخلص فيها دعوة . لك قالت السن الخلق امين .

فصل لما فرغ الشهيد من اخذ الرها واصلاح
حالها والاستيلا على ما وراها من البلاد والولايات سار
الى قلعة البيرة وهي حصن حصين مطل على الفرات
~~نصير الدين جقر~~ وهو لجوسلين ايضا فحصرها وضايقها فاتاه
الخبر بقتل نايبه بالموصل والبلاد الشرقية فرحل عنها
خوفا من ان يحدث بعده في البلاد فتنة تحتاج الى المسير
اليها فلما رحل عنها سير اليها حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي ى
صاحب ماردين عسكرا فسلمها الفرنج اليه خوفا من الشهيد
ان يعود اليهم فياخذهم وكان قتل النصير في ذي القعدة
سنة تسع وثلثين وسببه ان الملك الب ارسلان
المعروف بالخفاجي ولد السلطان محمود بن محمد كان عنده

الشهيد وهو كان اتابكه ومربيه وكان يظهر للخلفا
والسلطان مسعود واصحاب الاطراف ان البلاد التي
بيده للملك الب ارسلان وانه نايبه فيها وكان اذا
ارسل رسولا او اجاب عن رسالة فانما يقوله قال الملك
كذا وكذا وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليجمع
العساكر باسمه ويخرج الاموال ويطلب السلطنة فعاجلته
المنيه قبل ذلك وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة
وبها نصير الدين وهو ينزل اليه كل يوم يخدمه ويقف
عنده ساعة ثم يعود فحسن المفسدون للملك قتله وقالوا
له انك ان قتلته ملكت الموصل وغيرها ويعجز اتابك ان يقيم
بين يديك ولا يجتمع معه فرسان عليك فوقع هذا في
نفسه وظنه صحيحا فلما دخل نصير الدين اليه على عادته
وثب عليه جماعة في خدمة الملك فقتلوه والقوا راسه الى
اصحابه ظنا منهم ان اصحابه اذا راوا راسه تفرقوا ويملك
الملك البلاد وكان الامر بخلاف ما ظنوا فان اصحابه
واصحاب اتابك الذين معه لما راوا راسه قاتلوا من بالدار
مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة الشهيد
مملوه بالرجال الاجلاد ذوي الراي والتجربه فلم يتغير
عليه بهذا الفتق شي وكان في جملة من حضر القاضي تاج
الدين يحيى بن عبدالله بن القسم الشهرزوري اخو كمال الدين
فلما دخل الى السلطان وخدعه حتى اصعده الى القلعة

وهو

وهو يحسن له الصعود اليها وحينئذ يستقر له ملك البلد فلما
صعد القلعة سجنوه بها وقتل الغلمان الذين قتلوا النصير
وارسلوا الى اتابك يعرفونه الحال فسكن جاشه واطمان
قلبه وارسل زين الدين علي بن بكتكين واليا على قلعة الموصل
وكان كثير الثقة به والاعتماد عليه فسلك بالناس غير الطريق
التي سلكها النصير وسهل الامر فاطمان الناس وامنوا وا
زدادت البلاد معه عمارة ولما راى الشهيد صلاح الدين
امر الموصل سار الى حلب فجهز منها جيشا الى قلعة شيزر
وبينها وبين حماه نحو اربعة فراسخ فحصرها وفي سنة اربعين
وخمسماية ارسل اتابك زنكي الى زين الدين علي يامره بارسال
عسكر الى حصن فنك يحصره فسير خلقا كثيرا من الفرسان
والرجالة فاقاموا عليه يحصرونه الى ان اتاهم الخبر بقتل
الشهيد اتابك وهذا الحصن لهو محا ورحرس بن عمرو وهو للاكرا د
البشنوية وله معهم مدة طويلة نحو ثلثماية سنة وهو من
امنع الحصون مطل على دجلة وله سرب الى عين ما لا يمكن
ان يحال بين اهله وبينها قلت وفي هذه السنة انشد
بن منير بالرقة عماد الدين زنكي يهنيه بالعافية من مرض عرض
له في يده ورجله قصيدة اولها

يا بدر لا افق ولا محال • ولا يوم مشرقك الاشراق
بالدين والدنيا الذي نشكو وبل • بهما تفرع لم يقمه ساق
لن تورق القضب ويجري ماؤها • فيها اذا ما التاثت الاعراق

ان الرعايا ما سلمت في حمى . للخطب عن طرو وقد اطراق
غرست بالعدل لهم خمايلا . ترتع في حدايقها الحداق
يا مصيبة الدين التي عاذ بها . فعاد لا ابعث ولا ارماق
لولم تحطه راحلا وقافلا . اصبح لا اشام ولا اعراق
عماد دين هذا اقام ربعه حيي . ومات الشرك والنفاق
يا محيي العدل الذي في ظله . تسربلت ربعها الافاق
تعودك من لازمها دجنبه لما . بها تجنبك الاخلاق
من يشا سيفك النطق له العذب . وما عيشه زعاف
تجرع السم ولو لم يجد لحلم . لعزم الدرياق
ملوك اطراف حمي اطرافها . عن مكن هذا الله حق السياق
لولم ترق ما كوي العين لما . ساغت بافواههم الارياق
شعفت من دونهم موج الردا . وشق كبادهم الشعاق
اقسم لو كلفتهم ان يسمعوا . حديث ايامك ما اطاقوا
لما استكنت دب في اهوايهم . توجس للسمع واستراق
نظا ولو الاعرمت امامهم . قصرا ولا جابها الاخفاق
نومهوها غسقا ثم ابحلت . والصفو من مشربهم غساق
لبني ام الم بعقدهم . خدالسها لنعلها طراق
او كان مهديه الي بيد . يجري بها الاجال والارزاق
فالنصل يعلا صدا وحنيه . جو حسام وسنا دقراق
رمى الصليب بصليبه الراي عن زرق راوه من نزعها الاغراق
ونوم من خلف الخليج سهر . والعيش في فنجه سباق

مانوا

ما نوا فلا ممرو لا اشارة • خوف ممو شٍ ازاه ازماق •
لا سلبت منك الليالي • ما سلبت • ولا عواجدتك •
الاخلاق •

وفاة زنكي

فصل في وفاة زنكي رحمه الله قال

بن الاثير كانت قلعة جعبر قد سلمها السلطان ملكشاه
الى الامير سالم بن مالك العقيلي لما ملك قسيم الدولة
مدينة حلب فلم تزل بيده وبيد اولاده الى سنة احدى
واربعين فسار الشهيد اليها فحصرها وكان الباعث له
على حصرها وحصر فنك ان لا يبقى في وسط بلاده ما هو
لغيره وان قل للحزم الذي كان عنده والاحتياط واقام
عليه يحصره بنفسه الى ان مضى من شهر ربيع خمس ليال
فبينما هو نايم دخل عليه نفر من مماليكه فقتلوه غيلة
ولم يجهزوا عليه وهربوا من ليلتهم الى القلعة ولم يشعر
اصحابه بقتله فلما صعدوا ولئك النفر الى القلعة صاح
من بها الى العسكر يعلمهم بقتله فبادر اصحابه اليه
فادركه اوايلهم وبه رمق ثم ختم الله بالشهادة اعماله •
لا قال الحمام ولم اكن مستيقنا ان الحمام سيبتلي بحمام •
فاضحى وقد خانه الامل • وادركه الاجل • وخلى عنه العبيد
والخول فاي نجم للاسلام افل • واي ناصر للايمان رحل
واي بحر نُزِي نضبه واي بدر مكارم غرب • واي اسد
افترس ولم ينجه قله حصن ولا صهوة فرس فكم اجهد

اجهد نفسه لتمهيد الملك وسياسته * وكم ادبها في حفظه
وحراسته * فاتاه مبيد الامم ومفنيها في الحدث والوزم
فاصار بعد القهر للخلايق مقهورا * وبعد وثير المضاجع
في التراب معفرا مقبورا * ومن حدث لا ينفعه الا ما قدم
قد طويت صحيفة عمله * فهو موثوق في صورة مستسلم
ثم دفن بصفين عند اصحاب علي امير المومنين قلت
ثم نقل الى الرقة فدفن بها وقبره الان فيها قال ابن
الاثير وكان حسن الصورة اسمر مليح العينين وقد وخطه
الشيب طويلا وليس بالطويل البائن وخلف من الاولاد
سيف الدين غازي وهو الذي ولي بعده ونور الدين محمود
الملك العادل وقطب الدين مودود وهو ابو الملوك بالموصل
ونصرة الدين امير اميران وبنتا فانقرض عقب سيف الدين
من الذكور والاناث ونور الدين من الذكور ولم يبق
الملك الا في عقب قطب الدين ولقد انجب رحمه الله فان
اولاده الملوك لم يكن مثلهم قلت ومن عجيب ما حكي
انه لما اشتد حصار قلعة جعبر جا في الليل بن حسان
المنبجي ووقف تحت القلعة ونادى صاحبها فاجابه فقال
له هذا المولى اتابك صاحب البلاد وقد نزل عليك بعساكر
الدنيا وانت بلا ولد ولا معين انا اريد ان ادخل في قضيتك
واخذ لك من المولى اتابك مكانا عوض هذا المكان وان
لم تفعل فاي شي تنتظر فقال له صاحب القلعة انتظر

من الاتفاقات العجيبه

الذي

الذي انتظر ابوك وكان بلك من بهرام صاحب حلب قد نزل
على ابيه حسّان وحاصره في منبج اشد حصار ونصب عليه
عدة مجانيق وقال يوما لحسان وقد احرقه بحجارة
المنجنيق اي شي تنتظر ما تسلم الحصن فقال له حسان انتظر
بينهما من سهام الله فلما كان من الغد بينا بلك يرتب المنجنيق
اذ اصابه سهم غرب وقع في لبته فخر ميتا ولم يكن من جسده
شي ظاهر الا ذلك المكان لانه كان قد لبس الدرع ولم يزرها
على صدره فلما سمع بن حسان ذلك من مقاله صاحب قلعة
جعبر رجع عنه وفي تلك الليله قتل اتابك زنكي وكان
هذا من الاتفاقات العجيبه والعبر الغريبه ذكره لك
يحيى بن ابي طي في كتاب السيرة الصلاحيه فصل
في ذكر بعض سيرة الشهيد اتابك زنكي وكانت من احسن
سير الملوك واكثرها حزما وضبطا للامور وكانت
رعيته في امن شامل يعجز القوي عن التعدي على الضعف
قال ابن الاثير حدثني والدي قال قدم الشهيد
الينا جزيرة ابن عمر في بعض السنين وكان زمن الشتاء
فنزل بالقلعة ونزل العسكر في الخيام وكان في جملة امرايه
الامير عز الدين ابو بكر الدبيسي وهو من اكابر امرايه
ومن ذوي الراي عنده فدخل الدبيسي البلد ونزل
بدار انسان يهودي واخرجه منها فاستغاث اليهودي
الى الشهيد وهو راكب فسال عن حاله فاخبره وكان

ذكر سيرة اتابك زنكي

الشهيد واقفا والدبيسي الى جانبه يسير فوقف احده فلما
سمع اتابك الخبر نظر الى الدبيسي نظر مغضب ولم يكلمه
كلمة واحدة فتاخر القهقري ودخل البلد فاخرج خيامه
وامر بنصبها ولم تكن الارض تحتمل وضع الخيام عليها لكثرة
الوحل والطين قال فلقد رايت الفراشين وهم ينقلو
الطين لينصبوا خيمته فلما راوا كثرته جعلوا على الارض
تبنا ليقيموها ونصبوا الخيام وخرج اليها من ساعته قال
وكان ينهى اصحابه عن اقتناء الاملاك ويقول مهما كانت
البلاد لنا فاي حاجة لكم الى الاملاك فان الاقطاعات
تغني عنها وان خرجت البلاد عن ايدينا فان الاملاك تذهب
معها ومتى صارت الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا
الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم ثم ذكر
ما جدده في ايامه من عمارة البلاد لاسيما بالموصل وذلك
لحسن سيرته فكان يقصده الناس ويتخذون بلاده دارا
قامة وهو الذي امر ببنا دور المملكة بالموصل ولم يكن
بها للسلطان غير الدار المعروفة بدار الملك مقابل
الميدان ثم رفع سورها وعمق خندقها وهو الذي فتح
الباب العمادي واليه ينسب قال وكانت الموصل
اقل البلاد فاكهة وكان الذي يبيع الفواكه يكون
عنده مئزر يغطي به العنب لقلته اذا اراد ان يزنه
فلما عمرت البلاد عملت البساتين بظاهر الموصل وفي ولايتها

من حسن السير

ن

قال

من الآراء الجيده

قاله ومن حسن رايه انه كان شديد العناية باخبار
الاطراف وما يجري لاصحابها حتى في خلواتهم ولاسيما دركاه
السلطان وكان يغرم على ذلك المال الجزيل فكان يطالع
ويكتب اليه بكل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب
وسلم وهزل وجد وغير ذلك فكان يصل اليه كل يوم من
عيونه عدة قاصدين وكان مع اشتغاله بالامور الكبار
من امور الدولة لا يهمل الاطلاع على الصغير وكان تعالى
يقول اذا لم يعرف الصغير ليمنع صار كبيرا وكان لا يمكن
رسول ملك يعبر في بلاده بغير امره واذا استاذنه رسول
في العبور في بلاده اذن له وارسل اليه من يسيره ولا يتركه
يجتمع باحد من الرعية ولا غيرهم فكان الرسول يدخل بلاده
ويخرج منها ولم يعلم من احوالها شيئا البتة وكان يتعهد اصحابه
ويمتحنهم سلم يوما خشكنانكه الى طشت دار له وقال احفظ
هذه فبقي نحو سنة لا يفارقه الخشكنانكه خوفا ان يطلبها
منه فلما كان بعد ذلك قال له اين الخشكنانكه فاخرجها
في منديل وقدمها بين يديه فاستحسن ذلك منه وقال
مثلك ينبغي ان يكون مستحفظا لحصن وامر له بدزدارية
قلعة كواشى فبقي فيها الى ان قتل اتابك وكان لا يمكن
احدا من خدمه من مفارقة بلاده ويقول ان البلاد كبستان
عليه سياج فمن هو خارج السياج يهاب الدخول فان خرج
منها من يدل على عورتها ويطمع العدو فيها زالت الهيبة وتطرق

الخصوم اليها ومن صايب رايه وجلد ان سير طايفة من
التركمان الايوانيه مع الامير البارق الى الشام واسكنهم
بولاية حلب وامرهم جهاد الفرنج وملكهم كل ما استنقذوه
من البلاد التي للفرنج وجعله ملكا لهم فكانوا يغادرون الفرنج
بالقتال ويراوحونهم واخذوا الكثير من السواد وسدوا ذلك
الثغر العظيم ولم يزل جميع ما فتحوه في ايديهم الى نحو سنة ستمايه
قال ومن رايه انه لما اجتمع له الاموال الكثيره اودع
بعضها بالموصل وبعضها بسنجار وبعضها بحلب وقال ان جرى
على بعض هذه الجهات خرق او حيل بيني وبينه استغنيت على
سدا لخرق بالمال في غيره قال واما شجاعته
واقدامه فاليه النهايه فيهما وبه كان تضرب الامثال وبلغ
في معرفة ذلك جملة ان ولايته احدق بها الاعدا والمنازعون
من كل جانب الخليفه المسترشد والسلطان مسعود
واصحاب ارمينيه واعمالها بيت سكمان وركن الدوله
داود صاحب حصن كيفا وبن عمه صاحب ماردين ثم الفرنج
ثم صاحب دمشق وكان ينتصف منهم ويغزوا كلا منهم
في عقر داره ويفتح من بلادهم ما عدا السلطان مسعود
فانه كان لا يباشره فضلا بل كان يحمل اصحاب الاطراف على
الخروج عليه فاذا فعلوا عاد السلطان محتاجا اليه فطلب
منه ان يحمهم على طاعته فيصير كالحاكم على الجميع وكل يداريه
ويخضع له ويطلب منه ما يستقر القواعد على يده قال

حيله وتدبير

واما

وامّا غيرته فكانت شديدة لا سيما على نسا الاجناد
فان التعرض اليهن كان عنده من الذنوب التى لا يغفرها وكان يقول
ان جندي لا يفارقوني في اسفاري وقلّ يقيمون عند
اهليهم فان كنّا لم نمنع من التعرض الى حرمهم فهلكن وفسدن
قلت وفي صحيح مسلم من حديث ابى سعيد الخدري
وذكر حديث رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعزا قال ثم قال
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال او كلما انطلقنا
انطلقنا غزاة في سبيل الله تخلف رجل في عيالنا له نبيب
كنبيب التيس على ان لا اوتى برجل فعل ذلك الا فعلت
به قال ابن الاثير وكان قد اقام بقلعة الجزيرة
دزدار اسمه نور الدين حسن البربطي وكان من خواصه
واقرب الناس اليه وكان غير مرضي السيرة فبلغه عنه
انه يتعرض للحرم فامر حاجبه صلاح الدين الباغيساني
ان يسير مجدًا ويدخل الجزيرة فاذا دخلها احضر البربطي
وقطع ذكره وقلع عينيه عقوبة لنظره بهما الى الحرم ثم يصلبه
فسار الصلاح مجدا فلم يشعر البربطي الا وقد وصل الى
البلد فخرج الى لقائه فاكرمه الصلاح ودخل معه
البلد وقال له المولى اتابك يسلم عليك ويريد ان يعلي
قدرك ويرفع منزلتك ويسلم اليك قلعة حلب وتوليك
جميع البلاد الشاميه لتكون هناك مثل نصير الدين
فتجهز وتحدر مالك في الما الى الموصل وتسير الى خدمته

[illegible]

فعرج ذلك المسكين فلم يترك له قليلا ولا كثيرا الا نقله
الى السفن ليحدرها الى الموصل وسبق الى خدمته فعرج
ذلك المسكين في دجلة فحين فرغ من جميع ذلك اخذ
الصلاح وامضى فيه ما اردته واخذ جميع ماله فلم يتجاسر
بعده ابدا احد على سلوك شيء من افعاله قال
واما صدقاته فقد كان يتصدق في كل جمعة بمائة
دينار امصري ظاهرا ويتصدق فيما عداه من الايام سرا
فعمر يتق اليه وركب يوما فعثرت به دابته فكاد يسقط
عنها فاسنده عجمي اميرا كان معه فقال له كلاما لم يفهمه
ولم يتجاسر على ان يستفهمه منه فعاد عنه الى بيته وودع
اهله عازما على الهرب فقالت له زوجته ما ذنبك وما
حملك على هذا الهرب فذكر لها الحال فقالت له ان الناصر
لدين الله بك عناية فاذكر له قصتك وافعل ما يامرك به
فقال اخاف ان يمنعني من الهرب واهلك فلم تزل زوجته
تراجعه وتقوي عزمه فعرف الناصر حاله فضحك منه
وقال له تحمل هذه الصرة الدنانير واحملها اليه فهي
التي اراد فقال الله الله في دمي ونفسي فقال لا باس
عليك فانه ما اراد غير هذه الصرة فحملها اليه فحين رآه
قال امعك شيء قال نعم فامره ان يتصدق به فلما فرغ من
الصدقة قصد الناصر وشكره وقال من اين علمت
انه اراد الصرة فقال له انه يتصدق هذا اليوم بمثل

هذا

هذا القدر حتى سال الي ياخذه من البقل وفي يومنا هذا
لم ياخذه ثم بلغني ان دابته عثرت به حتى كاد يسقط الى
الارض وارسلك الي فعلمت انه نكر الصدقه قال
وحكى لي من شدة هيبته ما هو اشد من هذا قال والدي
خرج يوما الشهيد من قلعة الجزيرة من باب السر خلوة
وملاح له نايم فايقظه بعض الجاندارية وقال له افق
فحين راى الشهيد سقط الى الارض فحركوه فوجدوه ميتا
قال وكان الشهيد قليل التلون والتنقل بطي
الملل والتغير شديد العزم لم يتغير على احد من
اصحابه منذ ملك الى ان قتل الا بذنب يوجب التغير
والامرا والمقدمون الذين كانوا معه اولا هم الذين
بقوا اخيرا من سلم منهم من الموت فلهذا كانوا ينصحونه
ويبذلون نفوسهم له وكان الانسان اذا قدم عسكره
لم يكن غريبا ان كان جنديا اشتمل عليه الاجناد وواسوه
وان كان صاحب ديوان قصده اهل الديوان وان
كان عالما قصد القضاة بني الشهرزوري فيحسنون
اليه ويونسون غربته فيعود كانه اهل وسبب ذلك
جميعه انه كان يخطب الرجال ذوي الهمم العليه والارا
الصايبه والانفس الابيه ويوسع عليهم في ارزاقهم
فيسهل عليهم فعل الجميل واصطناع المعروف قلت
وما احسن ما وصفه به ابن منير من قوله في قصيدة

فوه

في دار ملك لمولاه عطا واستلابا
من له كف تبث الغيث سحا وانسكابا
فاتح في كل وجه امه للنصر بابا
ترجف الدنيا اذا حرك للسير الركابا
وتخر الشمخ أنت اختلالا واضطرابا
وترى الاعدا من هيبته تاوي الشعابا
واذا ما العضب نازه صار واكبابا
يا عماد الدين لازلت على الدين سحابا
جاعلا من دونه سيفك ان ريع حجابا
فالبس النعما في الامن الذي طبت وطابا
واصف عيشا ان اعداك قد صاروا
ترابا

قال العماد الكاتب استولى زنكي على الشام من سنة اثنين وعشرين الى ان قتل في سنة احدى واربعين ومولاه في فتح الرها عنوة واختلاها من السعار (؟) ذروة فلنسي بفتح الرها للمسلمين جوسر بلاد جوسلين وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولده زنكي نور الدين وصارت عقود الفرنج من ذلك الحين تنفسخ وامورها تنتسخ ومعاقلها تفرغ وعقابها تقترع وقال الرئيس ابو يعلى التميمي كانت الاعمال بعد قتل زنكي قد اضطربت والمسالك قد اختلت بعد الهيبة المشهورة

والامنة المسكون وانطلقت ايدي التركمان والحرامية
في الافساد في الاطراف والعيث في ساير النواحي
والاكناف ونظمت في صفة هذه الحال ابياتا فيها فصل
كذا اللّه عماد الدين زنكي تنافرت ۞ سعادته عنه وخرت
دعايمه ۞
وكم بيت مال من نضار وجوهر ۞ والواع ديباج حوتها
مخاتمه ۞
واضحت باعلا كل حصن مصونة ۞ يحاوي عليها جنده
وخوادمه ۞
ومن صافنات الخيل كل مطهم ۞ يروع الاعادي جلبه
وبراجمه ۞
فلو رامت الكتاب وصف شياتها ۞ باقلامها ما ادركه الوصف
ناظمه ۞
وكم معقل قد رامه بسيوفه ۞ وشامخ حصن لم تعقه
عنايمه ۞
ودانت ولاة الارض فيها الامر ۞ وقد امنتهم كتبه
وخواتمه ۞
وامن من في كل قطر بهيبة ۞ يراع بها اعرابه واعاجمه
وظالم قوم خيف يذكر عدله ۞ فقد زال عنهم ظلمه ومظالمه
واصبح سلطان البلاد باسعد ۞ ولم يسر له فيها نظير يزاحمه
وزاد على الاملاك باسا وسطوة ۞ ولم يبق في الاملاك ملك يقاومه

دمه

فلما تناهى ملكه وجلاله • وراعت ولاة الارض منه لوائمه
اتاه قضاء لا ترد سهامه • فلم تنجه امواله وغنائمه
وادركه للحين منها حمامه • وحامت عليه بالمنون حوائمه
واضحى على ظهر الفراش مجدلا • صريعا تولى ذبحه فيه خادمه
وقد كان في الجيش اللهام مبيته • ومن حوله ابطاله وصوارمه
وسمر العوالي حوله بالقهم • يذود الردى عنه وقد نام نائمه
ومن دون هذا عصبة قد ترتبت • باسهمها يردى من الطير حائمه
وكم رام في الايام راحة سره • وهمته تعلو وتقوى شكائمه
وكم مسلك للسفر امن سبله • ومسرح حي ان تراع سوائمه
وكم ثغر اسلام حماه بسيفه • من الروم لما ادركته مراجمه
فمن ذا الذي يأتي بهيبة مثله • وينفذ في اقصى البلاد مراسمه
فلو رقيت في كل مصر بذكره • اذا قعد زلت منا كذا راحمه
فمن ذا الذي ينجو من الدهر سالما • اذا ما اتاه الامر والله حاكمه
ومن رام صفوا في الحياة فانه • له صفو عيش والحمام كادمه
فاياك لا تغبط مليكا بملكه • ودعه فان الدهر لا شك قاصمه
وقل للذي يبني الحصون لحفظه • رويدك ما تبني فدهرك هادمه
وفي مثل هذا عبرة ومواعظ • بها يتناسى المرء ما هو عازمه

قال وفي ثامن عشر جمادى الاخرة من السنة وصل
الخادم برنقش القاتل لعماد الدين زنكي والفصل من قلعة
جعبر لخوف صاحبها من طلبه منه فوصل دمشق متيقنا انه
قد امن بها ومدلا بما فعله وظنا منه ان الحال على ما توهمه

فقبض

67.

فقبض عليه وانفذ الى حلب صحبة من حفظه واوصله
اليها فاقام بها اياما ثم حمل الى الموصل وذكر انه قتل بها

قلت وللحكيم ابي الحكم المغربي قصيدة في مرثية زنكي

منها

عين لا تذخري الدموع وبكي • واستهلي دمعا على فقد زنكي
لم يهب شخصه الردى بعد ان • كانت له هيبة على كل ترك
خير ملك ذي هيبة وبهاء • وعظيم بين الانام بترك
بهب المال والجياد لمن • يممه ما رجا بغير فلك
ان دارا امدنا بالرزايا • هي عندنا احق دار بترك
فاسكبوا فوق قبره ماورده • وانضحوا بين عفران ومسك
اي فتك جرى له في الاعادي • بعد ما استفتح الرماح فتك

كل خطب اتت به نوب الدهر • يسير في جنب مصرع زنكي
بعد ما كاد ان يذيل الروم • ويحوي البلاد من غير شك

فصل فيما جرى بعد قتل زنكي من تفرق

اصحابه وتملك ولديه غازي ومحمود قال الرئيس ابو يعلى
توجه الملك ولد السلطان المقيم كان معه فيمن صحبه وانضم
اليه الى ناحية الموصل ومعه سيف الدين غازي بن عماد الدين
اتابك وامتنع عليهم الوالي بالموصل على كوجك اياما الى
حين تعرف الحال بينهم ثم فتح الباب ودخل ولده واستقام
له الامر وانتصب منصبه وعاد الامير سيف الدولة

فيما جرى بعد قتل

سوار وصلاح الدين يعني محمد بن ايوب الباغيساني في تلك الحال
الى ناحية حلب ومعها الامير نور الدين محمود بن زنكي وحصل
بها وشرع في جمع العساكر واتفاق اماله فيها واستقام له الامر
وسكنت الدهما ووصل عنده الامير صلاح الدين وحصل له
بحماه ولايته على سبيل الاستيحاش والخوف على نفسه من امر
يدبر عليه وقال الحافظ ابو القسم لما رامى نور
الدين لزم خدمته والده الى ان انتهت مدته على قلعة جعبر
وسير في صبيحة الاحد الملك الب ارسلان بن السلطان
محمود الى الموصل مع جماعة من اكابر دولة ابيه وقال لهم ان
وصل اخي سيف الدين غازي الى الموصل فهي له وانتم في خدمته
وان تاخر فانا اقرر امور الشام والتوجه اليكم ثم قصد حلب
ودخل قلعتها يوم الاثنين سابع ربيع الاخر ورتب النواب
في القلعة والمدينة وقال بن ابي طي الحلبي لما اتصل
قتل اتابك باسد الدين شيركوه ركب من ساعته وقصد
خيمة نور الدين وقال له اعلم ان الوزير جمال الدين قد اخذ
عسكر الموصل وعولوا على تقدم اخيك سيف الدين وقصد الى
الموصل وقد انضوى اليه جل العسكر وقد انفذ الى جمال الدين
واراد في على اللحاق به فلم اعرج عليه وقد رايت ان امرك
الى حلب وتجعلها كرسي ملكك وتجمع في خدمتك عساكر
الشام وانا اعلم ان الامر يصير جميعه اليك لان ملك
الشام يحصل بحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد

الشرق

الشرق فركبه وامر ان ينادي في الليل في عساكر الشام بالاجتماع
فاجتمعوا وساروا في خدمة نور الدين الى حلب ودخلوها له
سابع ربيع الاول ولما دخلوا حلب نجا اسد الدين الى تحت
القلعه ونادي واليها واصعد نور الدين اليها وقرر امره ومشى
احواله فكان نور الدين يرى له ذلك واسد الدين يمت باخذ
كان السبب في توليته وقال بن الاثير لما قتل اتابك
الشهيد ركب الملك الب ارسلان بن السلطان محمود
وكان مع الشهيد واجتمعت العساكر عليه وخدموه فارسل
جمال الدين الوزير الى الصلاح يقول له المصلحه ان نترك
ما كان بيننا وان نظهر ودنا ونسلك طريقا نبقي به الملك في اولاد
صاحبنا ونتم بنيته جزا احسانه الينا فان الملك قد طمع في
البلاد واجتمعت عليه العساكر ولين لم نتلاق هذا الامر
في اوله ونتداركه في بلاده ليتسعن الخرق ولا يمكن رقعه
فاجابه الصلاح الى ذلك وحلف كل واحد منهم لصاحبه
فركب الجمال الى الملك فخدمه وضمن له فتح البلاد واطمعه
فيها ومعه الصلاح وقالا له ان اتابك كان نايبا عنك في
البلاد وباسمك كنا نطيعه فقبل قولهما وظنه حقا وقربهما
طمعا ان يكونا عونا له على تحصيل غرضه وارسلا الى زين
الدين بالموصل يعرفانه قتل الشهيد ويامرانه بالارسال
الى سيف الدين غازي وهو ولد زنكي الاكبر واحضاره
الى الموصل وكان بشهرزور وهي اقطاعه من ابيه ما

ففعل زين الدين ذلك وكان نور الدين محمود بن الشهيد قد
سار لما قتل والده الى حلب فملكها وذلك باشارة اسد الدين
شيركوه عليه بذلك وقال الجمال للملك ان من الراي ان تسير
الصلاح الى مملوكك نور الدين بحلب يدبر امره وكانت حماه اقطاع
الصلاح فلزمه فسار وبقي الجمال وحده مع الملك فاخذه وقصد
الرقه فاشتغل بشرب الخمر والخلوة بالنسا واراد ان يعطي
الامرا اشيا فمنعه خوفا ان يميل قلوبهم اليه وقال لهم الاقطاع
الجزيل والنعم الوافره وشرع الجمال يستميل العسكر ويحلف
الامرا لسيف الدين بن اتابك الشهيد واحدا بعد واحد
وكل من حلف يامره بالمسير الى الموصل ١٨ دبام الملك واقام
بالملك في الرقه عدة ايام ثم سار به الى ماكسين فتركه بها عدة
ايام ايضا قد اشتغل بلذاته عن طلب الملك ثم سار به
نحو سنجار وكان سيف الدين غازي قد دخل الموصل واستقر
بها فقوي جنبه جمال الدين ووصل هو والملك الى
سنجار فارسل الى دزدارها وقال له لا تسلم البلد ولا تمكن
احدا من دخوله ولكن ارسل الى الملك وقل له انا تبع الموصل
فمتى دخلت الموصل سلمت اليك البلد ففعل الدزدار
ذلك فقال الجمال للملك المصلحه ان نسير الى الموصل فان
مملوكك غازي اذا سمع بقربنا منه خرج الى الخدمه فجنبه
تقبض عليه وتتسلم البلاد فساروا عن سنجار ولم يصل
العسكر الى الموصل وبين من الملك وبقي في الملك قلة من العسكر

فساروا

فساروا الى مدينة بلد وعبر الملك دجلة من مخاضة فلما عبرها دخل
الجمال الموصل وارسل الامير عز الدين ابا بكر الدبيسي في عسكر
الى الملك وهو في نفر يسير فاخذه وادخله الموصل فكان
اخر العهد به واستقر امر سيف الدين واقر زين الدين على
ما كان عليه من ولاية الموصل وجعل الجمال وزيره وارسلوا
الى السلطان مسعود فاستحلفوه لسيف الدين فحلف له
واقره على البلاد وارسل له الخلع وكان هذا سيف الدين
قد لازم خدمة السلطان مسعود في ايام ابيه سفرا وحضرا
وكان السلطان يحبه كثيرا ويانس به ويبسطه فلما خوطب
في اليمين وتقرير البلاد لم يتوقف قال ابن الاثير
فانظر الى فعل جمال الدين وحسن عهده وكمال مروته ورعايته
لحقوق مخدومه وهذا المقام الذي يثبت فيه يعجز عنه عشرة
الف فارس فلقد صدق من قال الناس الف منهم كواحد
وهو وحده ولانه لم ير مثله جمال الدين قال ولما استقر
سيف الدين في الملك اطاعه جميع البلاد ما عدا ما كان بديار
بكر كالمعدن وحزان واسعرد وغير ذلك فان المجاورين
لها تغلبوا عليها قال ولما فرغ سيف الدين من اصلاح
امر السلطنة وتحليفه وتقرير امر البلاد عبر الى الشام
لينظر في تلك النواحي ويقرر القاعدة بينه وبين اخيه
نور الدين وهو بحلب وكان تاخر عن الحضور عند اخيه
وخافه فلم يزل يراسله ويستميله وكلما طلب نور الدين

شيا اجابه اليه استماله لقلبه واستقرت الحال بينهما على ان
يجتمعا خارج العسكر السيفي ومع كل واحد خمسماية فارس
فلما كان يوم الميعاد بينهما سار نور الدين من حلب في خمسماية
فارس وسار سيف الدين من معسكره في خمسة فوارس فلم
يعرف نور الدين اخاه سيف الدين حتى قرب منه فحين راه عرفه
فترجل له وقبل الارض بين يديه وامر اصحابه بالعود عنه
فعادوا وقعد سيف الدين ونور الدين بعد ان اعتنقا
وبكيا فقال له سيف الدين ونور الدين لم امتنعت من المجي
الي انت تخاف على نفسك والله ما خطر ببالي ما تفكر فلم اريد
البلاد ومع من اعيش وبمن اعتضد اذا قعلت السوامع اخي
واحب الناس الي فاطمان نور الدين وسكن روعه وعاد الي حلب
فتجهز وعاد بعسكره الى خدمة ابيه سيف الدين فامر سيف
الدين بالعود وترك عسكره عنده وقال له لا غرض لي في مقامك
عندي وانما غرضي ان يعلم الملوك والفرنج اتفاقنا فمن يريد
السو بنا يكف عنه فلم يرجع نور الدين ولزمه الى ان قضيا
ما كانا عليه وعاد كل واحد منهما الى بلده قلت ولابن
منير من قصيدة في نور الدين

وما اقتسموا ولا عدوا ابناهم بمنصبك القسيمي العمادي
ابا خير الملوك اباً وجداً وانفعهم حيا الغليل صادي
علو وغلوا وقال الناس فيهم سواد هم مثنى او احاد
وما حلب سوى نفس شعاع تقاسمها التمادي والتعادي

يقي

فيما جرى بعد وفاة زنكي

ينعى بن عماد دين الله عنها • الشكاة فاصبحت ذات العماد •
• ينحتر في لبسي عدله بذل • مدبحه التهايم والنجاد
• وفي محرابها داود منه • يهذب حكمه ايات صاد •
• تجاوزت النجوم فاين تبغي ترق فلا خلوت من ازدياد

فصل فيما جرى بعد وفاة زنكي من صاحب دمشق والافرنج **قال** بن ابي طي في سابع يوم من استقرار نور الدين بحلب اتصل خبر مقتل اتابك بصاحب انطاكيه البيمند فخرج ليومه في عساكر انطاكيه وقسم عسكره قسمين فقسما نقله الى جهة حماه وقسما اغار به على جهة حلب وعاث في بلادها وكان الناس امنين فقتل وسبى عالما كثيرا وتمادى حتى وصل الى صلدي ونهبها ووصل الخبر الى حلب فخرج اسد الدين شيركوه فيمن كان بحلب من العسكر وجد في السير فعاينه الفرنج وادرك جماعة من رجاله يسوقون الاسارى فقتلهم واستنقذ كثيرا ممن كانت الفرنج اخذته وسار مجنبا عن طريق الفرنج الى ان شن الغارة على بلد ارتاح واستاق جميع ما كان للفرنج فيه وعاد الى حلب مظفرا **قال** بن الاثير لما قتل الشهيد سار مجير الدين صاحب دمشق في عسكر الى بعلبك وحاصرهم وبها نجم الدين ايوب والد السلطان صلاح الدين فسلمها اليه واخذ منه مالا وملكه قرايا من اعمال دمشق وانتقل ايوب الى دمشق واقام بها **قال** بن ابي طي استنجد صاحب دمشق في القتال وصبر نجم الدين ايوب احسن

صبر فاتفق لما شا الله ان المقام جصن بعلبك غادر حتى لم يلق منه
شي قصادا الى القلعة يستمد ون من البلد فلما ملك البلد
منع من يرد المقام الى القلعة فاشتد الامر فطلبوا الامان
والمصالحه فاستحلف صاحب دمشق نجم الدين وا قره اقله الثلث
الذي كان اتابك قد جعله له فيها واقره فيها ولما بلغ ذلك
نور الدين خاف ان ينسبه عليه اسد الدين الى صاحب دمشق
لحصول اخيه نجم الدين عنده وماله نور الدين ابي مجد الدين
ابي بكر بن الدايه حتى ولاه جميع اموره وجميع مملكته فشق ذلك
على اسد الدين قال الرئيس ابو يعلى لما اتصل خبر موت زنكي
بمعين الدين بن شرع في التاهب والاستعداد لقصد بعلبك
وانتهاز الفرصة فيها بالات الحرب والمنجنيقات فنزل عليها
وضايقها ولم يمض الا ايام قلائل حتى قل الما فيها فلة دعتهم
الى النزول على حكمه وكان الوالي بها ذا حزم وعقل ومعرفه
بالامور فاشترط ما قام له من اقطاع وغيره وسلم البلد والقلعه
اليه ووفا له بما قرر الامر عليه وتسلم ما فيه من غله والة
في ايام من جمادى الاولى من السنة وارسل معين الدين الوالي
بحمص وتقررت بينه وبينه مهادنه وموادعه يعود الى صلاح
الاحوال وعمارة الاعمال ووقعت المراسله فيما بينه وبين صلاح
الدين بحماه وتقرر بينهما مثل ذلك ثم انكفا بعد ذلك الى البلد
عقيب فراغه من بعلبك وتوثقت من رتبه لحفظها والاقامة
فيها قال وورد الاخبار في ايام من جمادى الاخرة

من

من السنة بان بن جوسلين جمع الافرنج من كل ناحية وقصد بلد
الرها على غفلة بمواقعة من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى
عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهض نور الدين صاحب حلب
في عسكره ومن انضاف اليه من التركمان وغيرهم في زها عشرة
الف فارس ووقعت الدواب في الطرقات من شدة السير ووافو
البلد وقد حصل بن جوسلين واصحابه فيه فهجموا عليهم
ووقع السيف فيهم وقتل من ارمن الرها والنصارى من قتل
وانهزم الى برج يقال له برج الما فحصل فيه بن جوسلين
في تقدير عشرين فارسا من وجوه اصحابه واحدق بهم المسلمون
وشرعوا في النقب عليهم حتى نعرقب البرج فانهزم بن جوسلين
في الخفية من اصحابه واخذ الباقي ومحق السيف كل من ظفر
به من نصارى الرها واستخلص من كان فيه اسيرا من المسلمين
ونهب منها شي كثير من المال والاثاث والسبي وانكفا
المسلمون بالغنائم الى حلب وسائر الاطراف قال
بن الاثير لما قتل زنكي كان جوسلين الفرنجي الذي كان
صاحب الرها في ولايته غرب الفرات في تل باشر وما جاورها
فراسل اهل الرها وكان عامتهم من الارمن وواعدهم
يوما يصل اليهم فيه فاجابوه الى ذلك فسار في عساكره
اليها وملكها وامتنعت عليه القلعة بمن فيها من المسلمين
فقاتلهم وجد في قتالهم فبلغ الخبر نور الدين وهو يومئذ
بحلب فسار اليها بعسكره فهرب جوسلين ودخل نور

الدين مدينة الرها ونهبها وسبى اهلها وفى هذه الدفعة نهبت
وخربت وخلت من اهلها ولم يبق منهم بها الا القليل ووصل
خبر الفتح الى سيف الدين بالموصل فجهز العساكر الى الرها
فوصلت وقد ملكها نور الدين فبقيت بيده ولم يعارضه
فيها اخوه سيف الدين قال ومن عجيب ما جرى ان نور
الدين ارسل من غنائمها الى الامرا وارسل الى زين الدين
على جملة من الجواري فحملن الى داره ودخل لينظر اليهن فخرج
وقد اغتسل وهو يضحك فسئل عن ذلك فقال لما فتحنا
الرها مع الشهيد كان في جملة ما غنمت جارية مالت
نفسي اليها فعزمت على ان ابيت معها فسمعت منادي الشهيد
وهو يامر بايعاز النفير والقيام وكان مهيبا مخوفا
فلم اجسر على اتيانها واطلقتها فلما كان الآن ارسل الي
نور الدين سهمي من الغنيمة وفيه تلك الجارية فوطئتها
خوفا من العدو قلت وللقيسراني في قصيدة يمدح
جمال الدين وزير الموصل ذكر فيها فتح الرها اولها

اما آن ان يزهق الباطل . وان ينجز العدة الماطل
الى كم تغب ملوك الضلال . سيف باعناقها كافل
فلا تحفلن بصوت الذباب . وقد زار الاسد الباسل
وهل يمنع الدر الا فتى . يطول انتقاما فيستاصل
اباجعفر اشرقت دولة . اضا لها بدرك الكامل
فاما نصبت لرفع اسمها . فانكما الفعل والفاعل

يهنك

ليهنك ما افرح النصر عنده • وما ناله الملك العادل •
نقل للحقائق الطريق الطريق • فقد دلف المغرم الباذل •
وجاهد في الله حق الجهاد • محتسب بالعلا قافل •
وما يمنع السور من طالع • يشايعه القدر النازل •
فان يك فتح الرها لجة • فساحلها القدس والساحل •
فهل علمت علم تلك الديار • ان المقيم بها راحل •
ارى القمر نامل فوق الرماح • ولا بد ان يقرب الشامل •
تعوى معاقله جاهدا • وما عاقل بعدها عاقل •
وكيف يضبط بواقي الجهاد • لمن فات حسبته الحاصل •

ولابن منير من قصيدة في نور الدين

ملك ما اذال بالفتح ارضا • خط الا اعزها اغلاقه •
والرها في الرها اذ جالها • عارضا شيب الدجا براقه •
جاذن جارة إليه • فحلا عطلا مراعيا فها اعناقه •
تلك بكر الفتوح فالشام • منها شامه والعراق بعد •
عراقه •

لعين كان الملوك عن وجهها • الطلق يرينا اضاه اطلاقه •
سنة سنها ابوه • • • فكلب الروم لما ظلم ارماقه •
خافقا قلبه الى امل عاجله • دون نيله اخفاقه •
فنسمت راية المواصي • العسيمياة ولم يثر منها ه •
عراقه •
وكذا انت بابنه ما عدا • من خلعة فيك خصلة خلاقه •

وكفى البحر انه بن سحاب • ما وناسخه ولا امعاقه
ما تمت من سؤدد تتمه • يا من على الدين كظله اشفاقه
رهبة لم تدع على الارض قلبا • خلف صدر ينشو عنه شقاقه
كلما طن ذكرها منه في السمع • تكما في الناقفا انفاقه
وجهاد عبل حوزة الدين لم يال • ه ركضه ولا انفاقه

وله من قصيدة اخرى

ببور الدين روض كل محل • من الدنيا وجدد كل بال
اقام على ثنيه كل خوف • سهام دابات بطلا كل كال
وصوب عدله في كل اوب • فعوض عاطلا منه بحال
ينكس رايه راي المحامي • ويعتك حونه قبل القتال
لقد احصدت للاسلام غراه بغوث سمامه بذكل فال
واصبحت العواصم ملخيات • عصا ماعنز مثلت الحبال

فصل وقفت على توقيع كتب في ذي القعده سنة احدى
واربعين عن خليفه مصر يومئذ وهو الملقب بالحافظ وعليه
علامته الحمد لله رب العالمين الى القاضي الاشرف ابي المجد
علي بن الحسن بن الحسين بن احمد البيساني وهو والد القاضي
الفاضل وكان يومئذ متولي القضا والحكم بمدينة عسقلان
يقول فيه انتهى الى حضرة امير المومنين ان قوما من
اهل ثغر عسقلان حماه الله قد صاروا يوردون توقيعات
يقبلوا اقوالهم من غير تزكية شهود المعروفين بالتزكيه لهم
مع كونهم غير مستوجبين للشهاده ولا مستحقين لسماع القو

انكر

انكر امير المومنين ذلك من فعلهم وخرج عالي امره بان لا يسمع
قول شاهد ولا من يتقدم لخطابة ولا الصلاة بالناس ولا تلاوة
في موضع شريف الا من كان اعيان شهود الثغر المحروس وهم فلان
وفلان فعدتهم ثمانية النفر عبد الشاكر بن عبد الرحمن عبد
العزيز بن مفضل • علي بن قريش • احمد بن حسن • احمد بن علي •
عبد الرحمن بن محسن • اسامة بن عبد الصمد • علي بن عبد الله •
قلت وهذا امر احسن ما يورخ عن ايام تلك الدولة
المباينة للشريعة على ما سياتي ان شاء الله تعالى **وقال** الوزير
ابو يعلى وفي شوال من هذه السنة ترددت المراسلات بين
نور الدين ومعين الدين الى ان استقرت الحال بينهما على اجمل
صفة واحسن قضية وانعقدت الوصلة بين نور الدين وبين
ابنة معين الدين وتقررت الامور على ما اقترح كل منهما وكتب كتاب
العقد في دمشق بمحضر من رسل نور الدين في الثالث والعشرين
من شوال وشرع في تحصيل الجهاز وعند الفراغ منه توجهت
الرسل عايدين الى حلب وفي صحبتهم ابنة معين الدين
ومن في جملتها من خواص الاصحاب في النصف من ذي القعدة
قال وتوجه معين الدين الى ناحية صرخد بالخيل والرجل
والات الحرب ونزل على صرخد وبها المعروف بالتونتاش غلام
امين الدولة كمشتكين الاتابكي الذي كان واليها **قلت**
هو الذي تنسب اليه المدرسة الامينية قبلي الجامع بدمشق
قال وكانت نفسه قد حدثته بجهله انه يقاوم من يكون مستوليا

علي دمشق وان الافرنج يعينونه على مراده وكان قد خرج من
حصن صرخد الي ناحية الفرنج للاستنصار بهم وتقرير احوال
الفساد معهم وحال الحصن الذي بينه وبين العود الي احد
الحصنين وراسل نور الدين في انجازه على الكفر فاجابه وكان
مبرزا بظاهر حلب في عسكره فثنى عليه اليه الاعنه واخذ
المسير فوصل دمشق في السابع والعشرين من ذي الحجة
فاقام اياما يسيرة ودخلت سنة اثنين واربعين وخمسمائة
وتوجه نور الدين نحو صرخد ولم يشاهد احسن من عسكره
وهيبته وعدته ووفور عدده واجتمع العسكران وارسل
من بصرخد اليهما يلتمسون للامان والمهلة اياما وتسليم
المكان وكان ذلك منهم على سبيل المغالطه والمحاله الى
ان يصل عسكر الافرنج لترحيلهم وقضى الله تعالى وصول
من اخبر بتجمع الافرنج واحتشادهم ونهوضهم في فارسهم
وراجلهم مجدين السير الى ناحية بصرى وعلمها فرقوا فرقة
من العسكر محاصره لها فنهض العسكر في الحال الي ناحية بصرى
فسبقوا الفرنج اليها فحالوا بينهم وبينها ووقعت العين
على العين فانهزم الكفار وولوا الادبار وتسلم معين
الدين بصرى وعادا الي صرخد فتسلمها وعاد العسكران
الى دمشق فوصلاها يوم الاحد السابع والعشرين من
المحرم وفي هذا الوقت وصل التونتاش الذي خرج من
صرخد الي الفرنج بجهله وسخافة عقله الى دمشق من

بلاد

79.

بلاد الفرنج من غير امان ولا تقرير واستبعد ان نوثقا
منه انه يلتزم ويصطنع بعد الاشياء القبيحة والارتداد
عن الاسلام فاعتقل في الحال وطالبه اخوه خطلخ بما جنا
عليه من سمل عينيه وعقد لهما مجلس حضرة الفقها والقضاة
واوجبوا عليه القصاص فسمل كما سمل اخاه واطلق الى دار
له بدمشق فاقام بها قلت وقد ذكر بن منير وقعة
بصرى هذه وغيرها من الوقعات التي ياتي ذكرها في قصيدة
قد تقدم بعضها منها

اي شاو ادركت يا نور دين الله اعيا على الملوك لحاقه
نطق الحاسدون بالعجز عن ملكك محلا بالنيرات نطاقه
غض ابصارهم لحاق جواد ليس الا الى المعالي سباقه
سل بصير اكم اعتقت يوم بصرى من اسار الموت الزوام عناقه
كم عرام على العزيمة شيبت صاق منه على الصليب خناقه
ولكم مبهوم بهاب واحتبها نها صكمت الاسارى رباقه
يبسط الذل فوق بسط باسطا ولكن طواه عنه ارتفاقه

وفي هذه السنة وله بعلبك الملك العادل سيف الدين
ابو بكر بن ايوب قال ابو يعلى وفي ليلة الجمعة الثالث
من ربيع الاول توفي الفقيه شيخ الاسلام ابو الفتح نصر
الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي بدمشق وكان بقية
الايمة الفقها المفتيين على مذهب الشافعي ولم يخلف بعده
مثله قال وفي جمادى الاخرة تقررت ولاية حمص حمد

للامير مجاهد الدين بزان بن مامين على مبلغ من المال والغله
وشروط وايمان دخل فيها وقام بها واستبشر اهل تلك الناحيه
به لما هو عليه من حب الخير والصلاح والتدين والعفاف
آثار سماويه
قال وفي الحادي والعشرين من شوال وهو مستهل
نيسان اظلم الجو ونزل غيث سائل ثم اظلمت الارض في وقت
العصر ظلاما شديدا بحيث كان ذلك كالغدره بين العشائين
ويغيب السما في عين الناظر اليها كصفرة الورس وكذلك الجبال
والاشجار الغوطه وكل ما ينظر اليه من حيوان وجماد ونبات
ثم جا في اثر ذلك من الرعد القاصف والبرق الخاطف والهدات
المزعجه والرجفات المرعد ما ارتاع لها الشيب والشبان
فكيف الولدان والنسوان وقلقت لذلك الخلول في مرابطها
وبقي الامر على هذه الحاله الى وقت العشا الاخره ثم سكن
بقدرة الله تعالى واصبح على الارض والاشجار وسائر النبات
غبار في رقه الهوا بين البياض والغبره قال ابن الاثير
وفي سنة اثنين واربعين فتح نور الدين ارتاح بالسيف وحصر
باراه وبصرفوث وكفرلاثا وكان الفرنج قد طمعوا وظنوا
انهم بعد قتل الشهيد سيستردون ما اخذ منهم فلما راوا
من نور الدين هذا الجد علموا ان ما املوه بعيد
فصل في نزول الفرنج على دمشق ورجوعهم وقد خذلهم
نزول الفرنج على دمشق
الله تعالى عنها قال الرئيس ابو يعلى وفي هذه السنة
تواصلت الاخبار من ناحية القسطنطينيه وبلاد الفرنج
والروم

والروم وما والاها بظهور ملوك الفرنج من بلادهم • منهم
الالمان الفلنش وجماعة من كبارهم في العدد الذي لا يحصر
لقصد بلاد الاسلام بعد ان نادوا في ساير بلادهم ٥ ومعاقلهم
ومعاقلهم النفير النفير اليها والاسراع نحوها وخلوا بلادهم
واعمالهم خاليه شاغرة من حماتها والحفظة لها ثم استصحبوا
ذخايرهم واموالهم وعددهم الشي الكثير الذي لا يحصى
بحيث يقال ان عدتهم الف الف من الرجاله والفرسان ويقال
اكثر من ذلك وغلبوا علي اعمال قسطنطينيه واحتاج ملكها
الي الدخول في مداراتهم ومسالمتهم والنزول علي احكامهم
وحين شاع خبرهم واشتهر امرهم شرعت ولاة الاعمال
المصاقبه لهم والاطراف الاسلاميه القريبه منهم في التاهب
للمدافعة لهم والاحتشاد على المجاهدة فيهم وقصدوا
منافذهم ودروب معابرهم لكي يمنعوهم من العبور والنفوذ
الي بلاد الاسلام وواصلوا شن الغارات على اطرافهم والنكير
القتل فيهم والفتك بهم الى ان هلك منهم العدد الكثير وحل
بهم من عدم القوت والعلوفات والميرة وغلا السعر اذ اوجد •
ما افنى الكثير منهم بالجوع والمرض ولم تزل اخبارهم تتواصل
بهلاكهم وفنا اعدادهم الي اواخر سنة اثنين واربعين
وتواترت الاخبار بوصول مراكب الفرنج وحصولهم علي سواحل
الثغور الساحليه صور وعكا واجتماعهم مع من بها من الفرنج
وبال[illegible] انهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع

وصل تقدير مايه الف وقصدوا بيت المقدس فقضوا
حجهم وعاد من عاد منهم الي بلادهم في البحر وقد هلك منهم
بالموت والمرض الخلق العظيم ومكث من ملوكهم من ملك وبقي
الباقي من اكبر ملوكهم ومن هو دونه واختلفت الارا بينهم
فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلاميه الي ان استقر
الحال على منازلتهم دمشق وبلغ ذلك معين الدين فاستعد
لحربهم فجاوا في تقدير خمسين الفا ودنوا من البلد وقصدوا
المنزله المعروفه بمنازل العساكر فيها فصادفوا الما مقطوعا
فقصدوا ناحية المزه فخيموا عليها لقربها من الما وزحفوا الي
البلد بخيلهم ورجلهم ووقف المسلمون بازايهم في يوم السبت
سادس ربيع الاول ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع
عليهم من الاعمال الاجناد والاتراك والعتاك واحداث
البلد والمطوعه والغزاه الجم الغفير واستظهر الكفار على
المسلمين بكثرة الاعداد وغلبوا على الما وانتشروا في البساتين
وخيموا بها وقربوا من البلد وحصلوا منه بمكان لم يتمكن احد
من العساكر قديما وحديثا منه واستشهد في هذا اليوم
الفقيه الامام يوسف الفندلاوي المالكي رحمه الله قرب
الربوه علي الما لوقوفه في وجوههم وترك الرجوع عنهم اتبع
اوامر الله تعالى في كتابه الكريم وقال بعنا واشترى منا وكذلك
عبد الرحمن الحلحولي الزاهد رحمه الله جرى امره هذا المجرى
قلت وذكر الامير اسامه بن منقذ في كتاب الاعتبار

ان ملك الالمان الافرنجي لما وصل الى الشام اجتمع اليه كل من
بالشام من الافرنج وقصد دمشق فخرج عسكرها واهلها لقتا لهم
وفي جملتهم الفقيه الفندلاوي المالكي والشيخ الزاهد عبد الرحمن
الحلحولي رحمهما الله وكانا من خيار المسلمين فلما قاربوهم قال الفقيه
يا عبد الرحمن اما هولاء الروم قال بلى قال فالى متى نحن وقوف قال
سر على اسم الله فتقدما فقاتلا حتى قتلا في مكان واحد رحمهما الله
تعالى ثم **قال** ابو يعلى وشرعوا في قطع الاشجار والتحصن
بها وهدم القناطر وباتوا تلك الليلة على هذه الحال وقد
لحق الناس من الارتياع لهول ما شاهدوه والروع مما عاينوه
ما ضعفت به القلوب وخرجت معه الصدور وباكروا الظهور
اليهم في غد ذلك اليوم وهو الاحد تاليه وزحفوا اليهم ووقع
الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم واكثروا القتل
والجراح فيهم وابلى الامير معين الدين في حربهم بلا حسنا وظهر
من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد مثله في غيره بحيث
لا يني في جهادهم ولا ينثني عن ذيادهم ولم تزل رحا الحرب
دايرة بينهم وخيل الكفار محجمة عن الحملة المعروفة لهم
حتى يتهيا الفرصة لهم الى ان مالت الشمس للغروب واقبل
الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل منهم الى مكانه
وبات الجند بازايهم واهل البلد على اسوارهم للحرس
والاحتياط وهم يشاهدون اعداهم بالقرب منهم وكانت
المكاتبات قد نفذت الى ولاة الاطراف بالاستصراخ والا ستنجاد

وجعلت خيل الترك ان تتواصل ورجاله الاطراف تتتابع وباكرهم
المسلمون وقد قويت نفوسهم وزال عنهم روعهم وثبتوا ازاءهم
واطلقوا فيهم السهام ونبل الجرح بحيث يقع في مخيمهم في راجل
او فارس او جمل ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها
رجاله كثيرة من الرماة فزادت بهم العدة وتضاعفت العدة
وانفصل كل طريق الى مستقرهم في هذا اليوم وباكروهم من غد
يوم الثلاثاء واحاطوا بهم في مخيمهم وقد تحصنوا باشجار
البساتين وافسدوها رشقًا بالنشاب وحذفا بالاحجار
وقد الجموا عن البروز وخافوا وفشلوا ولم يظهر منهم الا النفر
اليسير من الخيل والرجل على سبيل المطاردة والمناوشة
خوفًا من المهاجمة الى ان يجدوا لحملتهم مجالا وليس يدنوا منهم
احد الا صرع برشقه او طعنه وطمع فيهم نفر كثير من رجالة
الاحداث والضياع وجعلوا يرصدونهم في المسالك وقد امنوا
فيقتلون من ظفروا به ويحضرون روسهم لطلب الجوايز عنها
وحصل من روسهم العدد الكثير وتواترت اليهم اخبار العساكر
الاسلاميه المسارعه الى جهادهم واستيصال شافتهم فايقنوا
بالهلاك والبوار وحلول الدمار واعملوا الاراء بينهم فلم يجدوا
لنفوسهم خلاصًا من الشبكة التي حصلوا فيها غير الرحيل فرحلوا
سحر يوم الاربعا التالي مغلولين وحين عرف المسلمون ذلك
برزوا اليهم في بكرة هذا اليوم وسارعوا في اثارهم بالسهام
بحيث قتلوا في اعقابهم من الرجال والخيول والدواب

77

العدد الكثير ووجدوا في اثار منازلهم وطرقاتهم من دفاين
قتلاهم وخيلوهم ما لا عدد له ولا حصر يلحقه بحيث لها الريح
من حسفهم يكاد تصرع الطيور في الجو وكانوا قد احرقوا الدبوغ
والقبه الممدودة به في تلك الليله واستبشر الناس بهذه
النعمة التي اسبغها الله عليهم واكثروا من الشكر له تعالى على
ما اولاهم من اجابة دعايهم الذي واصلوه في ايام هذه الشده
فلله على ذلك الحمد والشكر واتفق عقيب هذه الوحمة اجتماع
معين الدين مع نور الدين عند قربه من دمشق للانجاد لها
وقال بن الاثير خرج ملك الالمان من بلاد الفرنج في
جيوش عظيمة لا تحصى كثرة من الفرنج الى بلاد الشام فاتفق
هو ومن بساحل الشام من الفرنج فاجتمعوا وقصدوا مدينة
دمشق ونازلوها ولا يشك ملك الالمان الا انه يملكها
وغيرها لكثرة جوعه وعساكره قال وهذا النوع
من الفرنج وهم اكثر الفرنج عددا واوسعهم بلادا وملكهم
اكثر عدة وعددا وان كان غير ملكهم اشرف منه عندهم
واعظم محلا فلما حاصروا دمشق وبها صاحبها مجير الدين
ابق بن محمد بن بوري بن طغتكين وليس له من الامر شي وانما كان
الامر الى مملوك جده طغتكين وهو معين الدين انر فهو كان
الحاكم والمدبر للبلد والعسكر وكان عاقلا خيرا دينا حسن
السيرة فجمع العسكر وحفظ البلد وحصرهم الفرنج وزحفوا
اليهم سادس ربيع الاول فخرج العسكر واهل البلد لمنعهم

وكان فيمن خرج الشيخ الفقيه حجة الدين ابو الحجاج يوسف بن
دوناس المغربي الفندلاوي شيخ المالكية بدمشق وكان شيخا
كبيرا زاهدا عابدا خرج راجلا فراه معين الدين انر فقصده
وسلم عليه وقال له يا شيخ انت معذور ونحن نكفيك وليس
بك قوة على القتال فقال قد بعت واشتري فلا نقيله ولا
نستقيله يعني قول الله تعالى ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وتقدم فقاتل الفرنج
حتى قتل رحمه الله عند النيرب شهيدا وقوي امر الفرنج وتقدموا
فنزلوا بالميدان الاخضر وضعف اهل البلد عن ردهم عنه وكان
معين الدين قد ارسل الى سيف الدين يستغيث به ويستنجده
ويسال له القدوم عليه ويعلمه شدة الامر فجمع سيف الدين
عساكره وسار مجدا الى مدينة حمص وارسل الى معين الدين
يقول له قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلادي
فان انا جيت اليك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد
نوابي واصحابي وكانت الهزيمة والعياذ بالله علينا لا يسلم
منا احد لبعد بلادنا عنا وحينيذ يملك الفرنج دمشق
وغيرها فان اردتم ان القاهم واقاتلهم فسلم البلد الى
من اثق به وانا احلف لك ان كانت النصرة لنا على الفرنج انني
لا اخذ دمشق ولا اقيم بها الا مقدار ما يرحل العدو عنها واعود
واعود الى بلادي فماطله معين الدين لينظر ما يكون من الفرنج
فارسل سيف الدين الى الفرنج الغربا يتهددهم ويعلمهم

انه

انه على قصدهم ان لم يرحلوا وارسل معين الدين ايضا
يقول لهم قد حضر ملك الشرق ومعه من العساكر ما لا طاقة
لكم به فان انتم رحلتم عنا والا سلمت البلد اليه وحينئذ
لا تطمعون في السلامة منه وارسل الى فرنج الشام يخوفهم
من اوليك الفرنج الخارجين الى بلادهم ويقول لهم انتم
بين امرين مذمومين ان ملك هولاء الفرنج الغربا دمشق
لا يبقون عليكم ما بايديكم من البلاد وان سلمت انا دمشق
الى سيف الدين فانتم تعلمون انكم لا تقدرون على منعه
من البيت المقدس وبذل لهم ان يسلم اليهم بانياس ان رحلوا
ملك الالمان عن دمشق فاجابوه الى ذلك وعلموا صدقه
واجتمعوا بملك الالمان وخوفوه من سيف الدين وكثرة عساكره
وتتابع امداده وانه ربما ملك دمشق فلا يبقى له معهم
مقام بالساحل فاجابهم الى الرحيل عن دمشق فرحل ورحل
فرنج الساحل وسلموا حصن بانياس من معين الدين وبقي
معهم حتى فتحه نور الدين محمود رحمه الله كما سنذكره قلت
وذكر الحافظ ابو القسم بن عساكر رحمه الله في تاريخه ان
الفقيه الفندلاوي روي في المنام فقيل له اين انت قال
في جنات عدن على سرر متقابلين وقبره الان يزار بمقابر
الباب الصغير من ناحية حائط المصلى وعليه بلاطة كبيرة
مكتوب فيها شرح حاله وقرات قصيدة في شعر
ابي الحكم الاندلسي شرح فيها هذه القصة * منها *

بشطي نهر دارتنا امور ما تواتينا

واقوام راوا سفك الدما في حلو دينا

اتانا ما ينا الف عديدا او يزيدونا

فبعضهم من اندلس وبعض من فلسطينا

ومن عكا ومن صور ومن صيدا وتبنينا

اذا ابصرتهم البرية اقواما مجانينا

ولكن حرفوا في عاجل الحال البساتينا

وجازوا المرج والتعديل ايضا والميادينا

نحالهم وقد ركبوا فطابيرها حرادينا

وبين خيامهم ضموا الحمائر والغرابينا

ورايات وصلبانا على مسجد خاطونا

وقلنا اذ رايناهم لعل الله يكفينا

سماهم معين قد اعان الخلق والدينا

وفتيان نخالهم لدى الهيجا شياطينا

فولوا يطلبون المرج من شرقي جسريننا

ولكن غادروا الياس تحت الترب مدفونا

وشيخا فند لاويل فقيها يعضد الدينا

وفتيانا ثقافوا من دمشق نحو سبعينا

ومنهم ماينا علج وخيل نحو تسعينا

وباقيهم الى الآن من القتل يعزونا

حسان

حسان في مدح مجير الدين صاحب دمشق
• حينئذ قصيدة ذكر فيها هؤلاء الفرنج •
اولها
• عرج على نجد لعلك منجدي بنسيمها وبذكر سعدي مسعدي •
يقول فيها
• من قائل للافرنج دينا غيركم • والخيل مثل السيل عند المشهد •
• ردالامان بكل يذب باسل • ومن الجياد بكل نهد اجرد •
• ومن السيوف بكل عضب ابيض • ومن العجاج بكل نقع اسود •
• حتى لوى الاسلام تحت لوائه • وغدا الجميع من شريعة احمد
وقرات في ديوان محمد بن نصر القيسراني قصيدة
في مدح تاج الملوك بوري جد مجير الدين انشدها اياه عند
كسرة الفرنج على دمشق في اواخر سنة ثلث وعشرين وخمسماية
وهي واقعة تشبه الواقعة في زمن مجير الدين اول القصيدة
• الحق مبتهج والسيف مبتسم • ومالة الاعدا فخر الدين منتقم •
يقول فيها
• فدتك الجياد وحصنت البلاد • وامنت العباد فانت الحل والحرم •
• وجيت بالخيل من اقصى مرابطها • يعافه الحزم في اوساطها الحزم •
• حتى اذا ما احاط المشركون بنا • كالليل تلتهم الدنيا له ظلم •
• واقبلوا لامن الاقبال في عدد • يود حاسبه الاعيا والسام •
• اجريت بحرا من الماذي معتكرا • امواجه يا وابي الباس تلتطم •

وسست جندك والرحمن يكلؤه • سياسة ما بعقبى اثرها ندم
وقفت في الجيش والاعلام خافقة • بالنصر كل قناة فوقها علم
يحوطك الله صونا عن عيونهم • والله يعصم من بالناس يعتصم
حتى اذا بدت الآرا صاحكة • واقبلت اوجه الاقبال تبتسم
ابتعثت جن سرايا بهم مضمرة • منها بحورا اذا جد الوغى زحموا
والنصر دان وخيل الله مقبلة • تزجوا الشهادة في الهيجا وتغتنم
صاب الغمام عليهم والسحاب معا • فما دروا ايما الهطاله الديم
سروا ليغتنموا الاعمار فانتهبوا • قتلا ويغتنموا الاموال فاغتنموا
واقبلت خيلنا تردي بخيلهم • مجنوبة وعلى ارماحنا القمم
وادبر الملك الطاغي يزعزعه • حر الاسنة وهو البارد الشبم
راموا دمشق وظنوا انها جلق • فغادروها وفي ايديهم العدم
وايقنوا مع ضيا الصبح انهم • ان لم يروا لو اسراعا زالت الخيم
فغادروا آلة الغربان وانجفلوا • وخلفوا اكبر الصلبان وانهزموا
مستسلمين لايدي المسلمين وثقة • اغرى الفنا بتمادي خطفهم نهم
لا يملك الجسم دفعا عن مقاتله • كانه حين يغشاه الردى صنم
وحاولوا المسجد الادنى فما عبرت • عن مسجد القدم الاقصى لهم قدم

فصل قال ابن الاثير ولما رحل الفرنج عن دمشق
سار معين الدين الى بعلبك وارسل الى نور الدين وهو مع
اخيه سيف الدين يسأله ان يحضر عنده فاجتمعا فوصل
اليهما كتاب القمص صاحب طرابلس يستنجد عليهما بقصد حصن

العريمة

العزيمة وهو الذي غزا افريقية وفتح مدينة طرابلس المغرب
فلما استولى هذا على العزيمة كانت الغمص نور الدين ومعين
الدين في فصل فنسار اليه مجد ابن فصيحاه وكتبا الى سيف
الدين يستنجداه ويطلبان منه المدد فامدهما فحصرا الحصن
وبه ابن الفنش ونقبوا السور فاذعن الفرنج واستسلموا
والقوا بايديهم فملك المسلمون الحصن واخذوا كل من به
من رجل وصبي وامراة وفيهم ابن الفنش واخربوا الحصن
وعادوا الى سيف الدين وافتتح نور الدين ايضا باسوطا ومابك
وقال الرئيس ابو يعلى قتلوا اكثر من كان فيه بعد في حصن
العزيمة واسروا واخذوا اولاد الملك وامه ونهب ما فيه من
العدد والخيول والاثاث وعاد عسكر سيف الدين الى لحمد
بحمص ونور الدين عاد الى حلب ومعه ولد الملك وامه ومن
اسر معهما وانكفا معين الدين الى دمشق قال وورد
الاخبار في رجب من ناحية حلب بان نور الدين صاحبها كان قد
توجه في عسكره الى ناحية الاعمال الفرنجية وقصد فامية
وظفر بعدد من الحصون والمعاقل الفرنجية وبعدد وافر
من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الافرنج وقصده على
حين غفلة منه فنال من عسكره واثقاله وكراعه ما اوجبته
الاقدار النازلة وانهزم بنفسه وعسكره وعاد الى حلب
سالما في عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل
جماعة وافر من الفرنج واقام بحلب اياما يجدد

ما ذهب له من البركة وما يحتاج اليه من آلات العسكر وعاد الى منزله
وقيل لم يقعد وذكر ابن ابي طي ان اسد الدين لما كان
في نفسه على نور الدين من تقديم ابن الداية عليه لم ينصحه
يومئذ وفي وقعة يغرا ومر به نور الدين فقال له ما هذا الوقوف
والغفلة في مثل هذا الوقت المسلمون قد انكسروا فقال
يا خوند ايش ينفع نحن انما ينفع مجد الدين ابو بكر فهو صاحب
الامر فاستدرك نور الدين ذلك وطيب قلب اسد الدين
بعد ذلك والزم مجد الدين ان يعرف لاسد الدين حقه
واصلح بينهما قال وقتل في هذه الكسرة شاهنشاه بن
ايوب اخو الملك الناصر وقيل في كسرة البقيعة قلت
وهو والد عز الدين فرخشاه وتقي الدين عمر وست عذرا
المنسوب اليها المدرسة العذراوية داخل باب النصر
بدمشق وقبره الآن بالتربة النجمية جوار المدرسة الحسامية
بمقبرة العونية ظاهر دمشق رحمهم الله ولابن منير
من قصيدة تقدمت اعتذارا عما جرى في هذه الغزاة

قال

لم يثنه من ثنايا يغرا اسراد فرة الاشابات اذ دعها انه لا فئة
كان فيها ليث العرين حمى الاشبال منه غضبان كالنار ماقه
وشبيه النبي يوم حنين اذ تلا فادوا بهم درافقه
وهي الحرب محلها يحسنه الكرم ان غض باسها الا نبا فئة
قال ابن الاثير وفي سنة ثلث واربعين ايضا سار

٨

81.

نور الدين الى الغزي وقد اجتمع بها الفرنج في فرضهم وقضيضهم وقد عزموا على قصد بلاد الاسلام فالتقا بهم هنالك فاقتتلوا اشد قتال ثم انزل الله نصره على المسلمين وانهزم الفرنج وكانوا بين قتيل واسير وفي هذا النوع يقول القيسراني من قصيدة اولها

يا ليت ان الصد مصدود • او لا فليت النوم مردود •
الى متى نعرض عن مغرم • في خده للدمع اخدود •
قالوا عيون البيض بيض الظبي • قلت ولكن هذه سود •
يخاف منها وهي في جفنها • والسيف يخشى وهو مغمود •
ثم خرج الى المدح فقال

وكيف لا يثني على عيشنا المحمود والسلطان محمود •
فليشكر الناس ظلال المنى • ان رواق العدل ممدود •
ونيران الملك وهاجة • وطالع الدولة مسعود •
وصارم الاسلام لا ينثني • الا وشلو الكفر مقدود •
مما قبت لم تك موجودة • الا ونور الدين موجود •
مظفر في درع ضيغم • عليه تاج الملك معقود •
نال المعالي حاكما مالكا • فهو سليمان وداود •
ثم تشتف الافواه اسيافه • ان رضاب العز مورود •
وكم له من وقعة يومها • عند ملوك الشرك مشهود •
والقوم اما مرهق صرعة • او موثق بالقد مشدود •
حتى اذا عادوا الى مثلها • قالت لهم هيبته عودوا •

طالت بنار ضمنته الظبى فكل ما تضمن مردود
والكفر والفرنج الى الوغى فطارد طورا ومطرود
والمهالك فرنج من بعضها عاد وقد عادها لمود
قد صح صحراكق فما جاحد في قلبه باسمك محمود
فكله مصر بك مستفتح وكل ثغر بك مسدود

وقال ايضا في نور الدين في فضله والشكر اياما
يظاهر حلب وقد كسر الفرنج على يغرى ومنهم اسر نور
الى حصن حارم وقد كانت الفرنج هزمت المسلمين
أولا بهذا الموضع اولها

بغي يغمانها البيض الحداد ونقضى دينها السمر الصعاد
وتدرك ثارها من كل باغ فوارس من عرابها الجلاد
وبعتسا حومة الهيجا همام تشد بشيعة السبع الشداد
اظنوا ان نار الحرب تخبوا ونور الدين في يده الزناد
وجند كالصقور على صقور اذا انقضوا على الابطال صادوا
اذا خفوا هكبدتهم اخافوا وان ابدوا اعداوتهم اباد
ونصرة دولة خاصمت عنها وهل تخشى وانت لها عماد
وان تلك القوافي ما تلته ثانيت ما بها سنا د
جرت بالنصر اقلام العوالي وليس سوى النجيع لها مداد
وطالت اروس الاعلاج خصبا فمرا دي السيف فذ روح
الحصاد
احطت بهم فكان القتل صبرا ولا طعن هناك ولا طراد

ولا بر نز فوق الرمح راسٌ توسد والسنان له وساد
نرجل للسلام فغز سوه وليس سوى الفناء له جواد
عضيض المقلتين ولا نعاس وعايرها وليس به سهاد
فسر واستوعب الدنيا فتوحا فلا نصب مناله ولا وماد
وردلني الوغى مثوى حبيب ثما عن باب مسلمة ذياد
ولا في باب فارس غير نكلى بغارسها يضيق بها الحداد
انطاكيه تحمى ذراها وقد دانت لسطوتك البلاد
وادعنت الممالك والتجابت مليبه لدعوتك العباد

قلت ووقعة ابنب هذه كانت عظيمة وقد لنر ذكر الشعرا لها وسياتي ذكرها قريبا

فصل

قال ابو يعلى التميمي وفي رجب من هذه السنة ورد الخبر من ناحية حلب بان صاحبها نور الدين بن اتابك امر باطال حي على خير العمل في اواخر تاذين الغراه والتظاهر لسبب الصحابة وانكر ذلك انكارا شديدا وساعده على ذلك جماعة من السنه بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيليه واهل التشيع وضاقت له صدورهم وهاجوا له وماجوا ثم سكنوا واحجموا للخوف من السطوة النوريه المشهوره والهيبة المحذوره

قلت

وانشد ابن منير في رمضان

فدالك من صام ومن افطرا ومن سعى سعيك او قصرا
وما الوزن الملا فتقدى بهم ومهل يوازي عرض جوهرا

عدله تساوى تحت اكنافه ... مطافل العين واسد الشرا
يا نور دين الله كم حادثة ... دجى واسفرت له فانسفرا
وكم حمى للشرك لا يهتدي ... الوهم له غادرته فانسرا
يا ملك العصر الذي صدره ... افسح من اقطارها مصدرا
وابن الذي طاول افلاكها ... فلم تجد من فوقه منظرا
مناقب تكسر كسرى كما ... تقصر عن ادراكها قيصرا
ما عام في اوصافها شاعر ... الا راى اوصافها اشعرا
اصل اثبت فرع له ... ما اطيب المجنا وما انضرا
ما حلب البيضا من صنتها ... الاحرام مثل ام القرا
شيدت في عمور ارجائها ... لكل باغي عمره مستعمرا
فاصبح الشادي اذا ثوب الداعي ... له هلل او كبرا
لا عدم الاسلام من كعبة ... كمعقل لمن ارملوا واحصرا
كانما ساحته جنة ... اجريت بها راحته كوثرا
لغرم الشهر الذي كنت في ... اوقاته من قدام اشهرا
جهاد ليل ونهار رفعته ... اذ كنت فيه الاصبر الاشكرا
اصدق ما بر شفع سامع ... ما هز من اوصافك المنبرا
ابقاك الله للدنيا وللدين منه ... اجلالك في ليلها خيرا
حتى ترى عيسى من القدس فدا ... لجا الى سيفك مستنصرا

جلالك في ليلها نيرا

في الوعظ

قال ابو يعلى وفي رجب البقا اذن لمن يتعاطى الوعظ بالتكلم في الجامع المعمور بدمشق على جاري العادة والرسم فبدا من اختلافهم في اهوائهم ٥

واغراضهم

واغراضهم والخوض في قضايا الحاجة اليها من المذاهب
ما اوجب صرفهم عن هذه الحال وابطال الوعظ لما يتوجه
معه من الفساد وطمع سفهاء الاوغاد وذلك في اخر شعبان
منها قال وكثر فساد الافرنج المقيمين بصور وعكا
والثغور الساحلية في الاعمال الدمشقية بعد رحيلهم عن
دمشق فاغار معين الدين على اعمالهم وخيم في ناحية حوران
بالعسكر وكاتب العرب واستدعى جماعة وافرة من التركمان (1)
واطلق ايديهم في نهبهم والفتك بهم فلم يزل على النكاية
فيهم والمضايقة لهم الى ان الجاهم الى طلب المصالحة ودخلت
سنة اربع واربعين فجددت المهادنة في المحرم منها سنتين
وانفذ نور الدين الى معين الدين يعلمه ان صاحب انطاكية
قد جمع افرنج بلاده واظهر بطلبهم الافساد في الاعمال
الحلبية وانه قد برز في عسكره الى ظاهر حلب للقاية
والحاجة ماسة الى معاضدته فندب معين الدين مجاهد
الدين بزان بن مامين في فريق وافر من العسكر الدمشقي
وبقي معين الدين في باقي العسكر بناحية حوران قال
وفي صفر سنة من السنة المذكورة وردت البشاير من
جهة نور الدين مما اولاه الله تعالى وله الحمد من الظهور
على حشد الافرنج المخذول ولم يفلت منهم الا من خبر بوارهم
وتعجيل دمارهم وذلك ان نور الدين اجتمع له من العساكر
ستة الف فارس مقاتلة سوى الاتباع والسواد فنهض

بهم الى الفرنج في الموضع المعروف بانب وهم في نحو اربعمائة فارس
والف راجل فقتلوهم وغنموهم ووجد اللعين ابرنس
مقدمهم صرعا بين حماته وابطاله فعرف وقطع راسه وحمل
الى نور الدين وكان هذا اللعين من ابطال الفرنج المشهورين
بالفروسيه وشدة الباس وقوة الحيل وعظم الخلقه
مع اشتهار الهيبة وكثرة السطوة والتناهي في الشر
وذلك يوم الاربعا الحادي والعشرين من صفر ثم نزل
نور الدين في العسكر على باب انطاكيه وقد خلت من
حماتها والذابين عنها ولم يبق فيها غير اهلها مع كثرة عددهم
وحصانة بلدهم وترددت المراسلات بينه وبينهم في
طلب التسليم اليه وايمانهم وصيانة اموالهم فوقع
الاحتجاج منهم بان هذا الامر لا يمكنهم الدخول فيه الا بعد
انقطاع امالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم
وحملوا ما امكنهم من التحف والمال واستمهلوا فامهلوا
ثم رتب نور الدين بعض العسكر للاقامة عليها والمنع لمن
يصل اليها ونهض في بقية العسكر الى ناحية فامية وقد كان
رتب الامير صلاح الدين في فرنق وافر من العسكر
لمنازلتها ومضايقتها فالتمسوا الامان فامنوا على
انفسهم وسلموا البلد في ثامن عشر ربيع الاول وانكفا
نور الدين في عسكره الى ناحية انطاكيه وقد انتهى
اليه الخبر بنهوض الفرنج من ناحية الساحل الى صوب

انطاكيه

انطاكيه لانجاده منها فاقتضت الحال مهادنه من في انطاكيه
لهم ورحل عنهم الى جهة غيرهم بحيث قد كان في هذه النوبه
قد ملك مما حول انطاكيه من الحصون والقلاع والمواضع ... قل
وغيرها المغانم الجمة وفصل عنه الامير مجاهد الدين
بزان في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه الوقعه
ولمن في جملته البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف ... ف
به من الشهامة والبسالة واصابة الراي والمعرفة بمواقع
الحروب وقال ابن ابي طي حمل اسد الدين على حامل
صليب الفرنج فقتله وقتل البرنس صاحب انطاكيه وجماعة
من وجوه عسكره ولم يقتل من المسلمين من يوبه له وغنم
المسلمون بالغنايم والاسارى وكان لاسد الدين
في هذه الحرب اليد البيضاء ومدحه بها بعض الشعراء
الحلبيين بقصيدة يقول فيها

• ان كان آل فرنج ادركوا فلجاً في يوم بُصرى فيا للواهبة الظفر •

• ففي الخطيم خطمت الكفر منصلتاً ابا المظفر بالصمصامة الذكر •

• نالوا ببصرى ايابا وانتهيت لنا على الخطيم نفوس المعشر الاشر •

• واستقودوا الخيل عربا واستعدت لنا قوامص الكفر في ذل وفي صغر •

قال وحصل لاسد الدين من هذه الكسرة سلاح
كثير فانفذ لاخيه نجم الدين منها شيا وفي هذه السنه

عظم امر اسد الدين وقال ابن الاثير سار نور
الدين الى حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرب ربضه
ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن انب فحصره فاجتمعت
الافرنج مع البرنس صاحب انطاكيه وساروا اليه
ليرحلوه عن انب فلم يرحل بل لقيهم وتصاف الفريقان
واقتتلوا وصبروا وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر
في الحرب على حداثة سنه ما تعجب الناس منه فانجلت
الحرب عن هزيمة الفرنج وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا
وفيمن قتل البرنس صاحب انطاكيه وكان عاتيا من عتاه
الفرنج وذوي التقدم فيهم والملك ولما قتل البرنس
خلف ابنا صغيرا وهو بيمند فبقي مع امه بانطاكيه
فتزوجت امه بابرنس اخر واقام معها بانطاكيه يدبر
الجيش ويقودهم ويقاتل بهم الى ان يكبر بيمند
ثم ان نور الدين غزا بلد الفرنج غزوة اخرى وهزمهم
وقتل فيهم واسر وكان في الاسرى البرنس الثاني
زوج ام بيمند فلما اسر تملك بيمند انطاكيه بلد
ابيه وتمكن منه وبقي بها الى ان اسره نور الدين بحارم
سنه تسع وخمسين وخمسمائة على ما نذكره ان شا الله
تعالى واكثر الشعرا مدح نور الدين وتهنيته بهذا الفتح
وقتل البرنس فممن قال فيه القيسراني الشاعر من قصيده
السلام ابا ما يخبر الحديث الفاضل بن عمر حلب

دعم

85.

وعمل انطاكيه • اورتها • الكتب •
• هدي الغرائم لا ما تدعي الغضب • وذي المكارم لا ما قالت
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت • تعثرت خلفها الاشعار والخطب
صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها • براحة للمساعي دونها التعب
ما زال جدك يبني كل شاهقه • حتى ابتني قبة اوتادها
الشهب •
لله عزمك ما امضى وهمك ما • اقصى انشاعا بما ضاقت به الحقب
باسا هل الطرف والاجفان راجعه • وثابت القلب والاحشا تضطرب
اعزت سيوفك بالافرنج راجفة • فوآ درومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة • اودى بها الصلب والخطت
بها الصلب •
قل للطغاة وان صمت مسامعها • قولا لصم القنا في ذكره ارب
ما يوم انب والايام دائله • من يوم يعري ببعيد لا ولا كثب
اغركم خدعة الامال ظنكم • كم اسلم الجهل ظنا غره الكذب
غضبته للدين حتى لم يفتك رضى • وكان دين الهدى مرضاته الغضب
طهرت ارض الاعادي من دمائهم • طهارة كل سيف عندها
جنب •
حين استطار شرار الزند قادحه • فالحرب تضرم والاجال تحتطب
والخيل من تحت قتلاها تعثر بها • قوايم خاضهن الركض والخبب
والنقع فوق صقال البيض منعقد • كما استعار دخان تحته
لهب •

والسيف هام على هام معركة • لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليلب
والنبل كالوبل هطال ولبس له • سوى القسي واندفوقها سحب
وللظبي طعن حلو منذ اقتنه • كانما الضرب فيما بينهم ضرب
وللاسنة عما في صدورهم • مصادر القلوب تلك لها
قلب •
خافوا مخافة رماح الطعل بدبهم • فاستسلموا وهي لا نبع ولا غرب
كذاك من لم يوق الله مهجته • لاقا العدا والقنا في كفه قصب
كانت سيوفهم او حي حتوفهم • بارب حاينه منجانها العطب
حتى الطوارق كانت من طوارقهم • ثارت عليهم بها من تحتها
النوب •
اجسادهم في ثياب من دمائهم • مسلوبة وكان القوم ما سلبوا
ابقا ملحمة لواتها ذكرت • فيما مضى نسيت ايامها العرب
من كان يعز وابلاد الشرك مكتسبا • من الملوك فنور الدين محتسب
ذو عزمة ما سمت والليل معتكرا • الا تمزق عن شمس الضحا
الحجب •
افعاله في اسمه في كل حادثة • ووصفه نايب عن وصفه اللقب
في كل يوم لفكري من وقايعه • شغل فكل مديحي فيه مقتضب
من انت الا سد اسري في سلاسله • هل ياشر الغلب الا من له الغلب
فملكوا سلب الابرنز ما سلبه • وهل له غير انطاكيه سلب
من للشقي بما لاقت فوارسه • وان يسايرها من تحته
قتب •

عجبت

عجبت للصعدة السمراء مثمرة • براسه ان اثمار القنا عجب
سما عليها سمو الماء ارتقبه • انبوبة في صعود واصله صبب
ما فارقت عذبات التاج مفرقه • الا وها منه تاج ولا عذب
اذا القناة ابتغت في راسه ثمرا • بدا لتقبلها من نحره
سرب

كنا نعد حمى اطرافنا ظفرا • فملكتك الظبي ما ليس يحتسب
عمت فتوحك بالعدوى معاقلها • كان تسليم هذا عند ذا جرب
لم يبق منهم سوى نبض بلا رمق • كما الثوى بعد راس الحية الذنب
فانهض الى المسجد الاقصى بذي لجب • يوليك اقصى المنى والقدس
مرتقب

وابذل لموجك في تطهير ساحله • فانما انت بحر لجه لجب
يا من اعاد ثغور الشام ساكنة • من الظبي عن ثغور را رما

ضاحكة

الشنب

مازلت تلحق عاصيها بطائعها • حتى اقمت وانطاكيه حلب
حللت من عقدها ايدي معاقلها • واستنجلت والى مينا فك الهرب
وابعدت انها تسلو مراكزها • وكيف يثبت بيت ماله طنب
احييت من ثغر الاعناق انفسها • جري الجفون لما اراها بارح
حصب

فما ركزت القنا الا ومنك على • جسر الحديد مزير غيلة اشب
واسعد بما نلته من كل صالحة • ماوى الى جنة المأوى بها حسب
ان لا تكن احد الابدال في فلك • فلا تماري انك القطب

فلو تناسب املاك السما بها • لكان بلنكما من عفة نسب
مداومه لكان في الاسلام مكرمة • الا شهدت وعيا د الهوي عجب

وله من قصيدة اخرى :. فسمر

الا لله دركة اي درة • صريح جا بالكرم الصريح
وعسكرك الذي استوى منسجا • على ما بين فاميه وسيح
ووقعتك التي تقنت العوالي • صوادر عن قتيل او جريح
يا نب يوم ابرزت المذاكي • من النقع المعزاله في مسوح
غداه كانما العاصي احمر ار • من الدم عدم الجفن القريح
وقد وافاك بالابرنز حتفا • اتيح له في من العذر المنيح
قتلت اشهم بالفقرا د لا • جود بنفسه غير الشحيح
ملات بهم صراخهم فامسوا • وليس سوي العشا عمر منزح
وعدت الي ذري حلب حميدا • سمو البدر من بعد الجنوح
فان حليت بغرتك الليالي • فكم لسناك من زمن مليح
رويدك لتنكر الهيجا فواقا • بحيث تريح من تعب مريح
فانت وان ارحت الخيل وقتا • فهمك غير همر المستريح

وقال احمد بن منير يمدحه ويذكر ظفره بالبرنس واصحابه وحمل راسه الي حلب والسلك ايا ما ايضا بجسر الحديد

يقول

افوي الضلال واقفرت عرصاته • وعلا الهدي وتبلجت قسماته
وانتاش دين محمد محمود • من بعد ما علت دما عبراته

87

ردت على الاسلام عصر شبابه • وثنيا ته من دونه وثنياته
ارسي قواعده ومد عماده • صعدا وشيد سوره سوراته
واعاد وجه الحق ابيض ناصعا • اصلاته وصلاته وصلاته
لما تولا كل حربه وتخاذلت • النصاره وتعاصرت خطواته
رفعت لنور الدين نار عزيمة • رجعت بها عن طبعه ظلماته
ملك مجالس لهوه شهداته • ومسوفه بين الصفوف شد أته
بجري خضخضة البراع بنانه • ان لم تحضحضه الكووس لداته
ويروقه ثغر العدى فاذا دما • لا الثغر يعبق في لماه لثاته
فصبوحه خمر الطلا وغبوقه • نطف النفوس يديرها نشواته
فتح تعممت السما بغباره • ومعت على اعنانها عذباته
سبقت على الاسلام ابيض حجوله • واختال في اوضاحها جبهاته
وانهد فوق الابطحين غمامه • وسرت الى سكنيهما نفحاته
لله بلجة ليلة مخضت به • واليوم ذبح وشبه ساعاته
حط القوامص فيه بعد قماصها • ضرب يصلصل في الطلا صعقاته
بيض والسلاح لضيغم عاداته • فرس الفوارس والقنا غاباته
لحروب عمريه غضبا ثاته • لله معتصميه غزواته
حنا الصليب صفا ن اسراوه • وتغيض مما سوونها نعماته
بين الحبال حواضعا اعناقها • كالذود نابت عن براه حداته
نشزت على حالب عقود بنودهم • حتى الى الرقيع تناسقت زمراته
روض جناه لها مكر جياده • واستوارث حماله حملاته
متساندين على الرحال كما انثني • شرب اماتت هامه قهواته

لم تنبت الآجام قبل رماحهم ۞ سمرا طوال فروعها مرانه
فليحمد الاسلام ما جدحت له ۞ شربات عن سر مده مجانه
وسقى صدا ذال الحيا صوب الحيا ۞ خير الثرى ما كنت انت ثبانه
نصب السرير وما العقد ومهدت ۞ لمم منصبك السري سراته
ما ضر هذا البدر وهو محلق ۞ ان الكواكب في الذرى ضراته
في كل يوم تستظل قبابه ۞ فوق السما وتعتلي درجاته
وتظل يرقم في الضحى اثاره ۞ مجدا والسنة الزمان رواته
ابن الالى ملوا الطروس زخارفا ۞ عن نزف بحر مده قطراته
عقدوا باعناق العوالم ماله ۞ من جوهر فانهم فذاته
لو فصلوا سمطا ببعض فتوحه ۞ سحرت بما فعلوا الدفعلاته
تمسي قنا يبديناة قلوبهم ۞ فوق العوالي والقنا قيناته
فلنا ان من دون الملوك بعزها ۞ حركاته وتنيمها يقظاته
فغدت بهم عن خطوهم هماتهم ۞ وسمت به عن قطوهم هماته
سكنوا مستحقة الجبال واسكنت ۞ رجل الرجال مع السها عزماته
لولاح للطائي غرة فتحه ۞ باتت تحمل ناقة ابياته
او هب للبطري طيب نسيمه ۞ لاحتث من ناديه حسنواته
صدم الصليب على صلابة عوده ۞ فتفرقت ايدي سبا خشباته
وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة ۞ بالروح ممقر ما جنت غدراته
فانقاد في انف خطم المنية انفه ۞ يوم الحطيم واقصرت نزواته
ومضى يرنب تحت ابن همه ۞ امست زوافر عبها زفراته
اسد نبوا كالعريف فجاته ۞ فتبوات طرف السنان نشواته

دون

دون النجوم محصنا ولطالما اغضت وقد كرت لها لحظاته

فجلوته تبكي الاصادق تحته بدم اذا ضحكت له شماته

تمشي القناة براسه وهو الذي نظمت مدار النيرين قنانه

لو عانق العيوق يوم رفعته لازاله شامخ خفقة احيانه

ما انقاد قبلك انقياد لخزامه كلا ولا مسست لها مدرانه

طبا ان خلعت السرج عنه لدبره نطعت سطاله فطال بمانه

لما بدا منسود رايك فوقه مبيض نصرك نكست راياته

ورأى سيوفك كالصوالج قابلت وهنا لك الكرّ فقلصت كرانه

ولى وقد شربت ظباك كماته تحت العجاج واسلمته حماته

تركته الكنايس والكناس لناهب بالبيض ينهب ما حواه عطانه

بغلاب اروع لا يمتع عداته ذل المطال ولا يغيب عداته

للوحش ملقى بالعرا جثمانه ما كان فيك بصيده لعيانه

اليوم ملكك العراق قلاعه متسنما ما استشرفت شرفاته

وغدا تحل لك الحلال باسهم متورعات بينهن نباته

اوطات اطراف السنابك هامه سما دقت بعيد فيها قذفانه

لا زال هذا الملك يبهج شانه ابدا وتلعب في الخصف شبابه

ما اخطاتك يد الزمان فدونه من شا فليسرع اليه سنانه

انت الذي تحيي الحياة حياته وتهب ارواح العضيد سنانه

فصل قال ابن الاثير وفيها سار نور الدين الى حصن
افاميه وهو العين ايضا وبينه وبين مدينة حماه مرحله وهو
حصن منيع على تل مرتفع عال من احصن القلاع وامنعها

وكان من بها من الفرنج يغيرون الى اعمال حماه وشيزر
وفيه ينهبونها فامتلك الاعمال منهم تحت الذله والصغار
فسار نور الدين اليه وحصره وضيق عليه ومنع من به القرار
ليلا ونهارا وتابع عليهم القتال ليمنعوا الاستراحه فاجتمعت
الفرنج من ساير بلادها وساروا نحوه ليرحلوه عنها
فلم يصلوا اليه الا وقد ملك الحصن وملاه ذخاير من طعام
ومال وسلاح ورجال وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه ما يحتاج
فقرب الفرنج سار نحوهم فحين راوا جده في لقايهم رجعوا
واجتمعوا ببلادهم وكان قصاراهم ان صالحوه على ما اخذ
ومدحه الشعرا فاكثر منهم ابو الحسين احمد بن منير

قال

اسنى الممالك ما اطلت منارها وجعلت مرهفة الشفار
دسارها

ولاحق من ملك البلاد دوامها ووقفت عدله اقطارها
من عم سام الخافقين وجامها منا وزاد لهوى فخص نزارها
مضروبه طبعت مضاربه وان عدنه ذروة فان سر
اسوارها
اله الوعيه وهي تجهل الهنا ونعاق نطقتها ونكرم دارها
فافترضجعتها وابنت بيتها واساغ جرعتها واثبت زارها
ملك ابوه سما لها فسما بها والجارها فعلت سهبلا جارها
نهج السبيل له فاوضع خلفه وسنا له نمر العلا فانارها

الشرب

87

البشرى بالمحمود دولة احمد. من بعد ما شمل البلاد ابشارها
ان جانبات عدلت اسنان قوامها. او نابات كان الحسام جبارها
عقلت مع العصم العواصم مذ غدت. هدي العزائم اسرها
واسارها.

فتطلعت لك صمرا نصبيها. في صونها ان يستردد صمارها
كلات ثم امالها وادمطارها. ما اربيته وتعقبت اطارها.
ثم حاولت من كففها غرم. غلب الاسود تعلمت اظفارها.
اني وحامي سرجها من لو سمت. للفلك بسطته احال مدارها.
في كل يوم من فتوحك سوره للدين تحمل سعرم اسفارها.
ومطيلة قصر المنابر ان غدت. الخطباء تنثر فوقها
نعطارها.

هم تجلت الملوك ورامها. بدم العثار وما اعقب اثارها.
وعزائم يستلونثر الاساد عليها نهسر العزايسران احتزاوارها.
ابدا يقصر طولها شرفه الذري. يا مشرفيه او تطيل قصارها.
فغزت فهاميه ملكهم به. كيوا راجيا ها الاراء بعارها.
اد لغت رايك فوق رايك تحتها. خططت من شغفا مها
اعفارها.

ادركت ثارك في البغاة وكنت بالمختار امة احمد مختارها.
عادية الزمن المعبر سماتها. منك المغير فاستردد معارها.
ازار الهزبر فعندت غاياتها. عصب الضلال واسلمت اعيارها.
ضاقت بجومك فوقها ولربما. باتت تنافقها النجوم سرارها.

امست مع الشعرى العبور واصبحت ۝ شعرا مستقل الفحول شوادرها

ولكم قرعت بمعربات مثلها ۝ تلعا وقلدت الكماة عذارها

حتى اذا اشتملتك اشرف سورها ۝ عزا وحلاها سناك سوارها

خر الصليب وقد علت نغماتها ۝ واستوبلت صلوا انه تكرارها

لما وها سمع انطاكيه سيرت ۝ الوقار وكشفت السفارها

فاليوم اضحت تستقدم مجيرها من جوارم وعدا تقدم جوارها

علمت بان سعد وقد جرعن اختها ۝ ان زر اطواق القنا وزارها

ما ضل ذا افزع الركاب لبلدة ۝ الفت له قبل القراع ازارها

واذا بجانبه ركعن لصعيبه الملقاه ۝ اسجد كالجدر سجدارها

ملا البلاد مواهبا ومهابة ۝ حتى استرقت ابنة احرارها

يذكي العيون اذا اقام لعوقها ابدا ويقضي بالتطبي ابكارها

اومى الى رمم البلاد فاعاشه ۝ وسما لسابغة المنى فازارها

ونبوي تشبيه الفتوح كانما ۝ انصار م رجعت له انصارها

احيا الصرح سلامها سمانها ۝ واماس تحت عمارها عارها

ان سار سار وفد تقدم جيشه ۝ رجف تقطع في الهاد عارها

او حل حل حمى القروم بهيبة ۝ سلب البدور بدارها ابدارها

واذا الملوك تنافسوا درج العلا ۝ اذكى بتعسر افرغته خبارها

وبلى اذا ابيضت تذلك بحجرها ۝ وسطى تذلك اذا عنت جبارها

نهى بمحمود السجايا كاسمه ۝ لو لزقا عله بها لا بيارها

القا على القعلات تسطو في الدجى ۝ بين النجوم حسودها

اسمارها ۝

ساع

ساع سبعي والسابغات وراه عنقا فعصفر منتماه عشارها
كالمصرحي اذا يصرصر رابيا خرس البغاث وماجوه اوكارها
عرفت لنور الدين نور وقايع تعشي اذا كحلت به ابصارها
مشهورة سعطت وقد حاولها الا عدا رعجزا ان تشق غبارها
لله وجهك والوجوه كانما حطت بها او قاربت قارها
والبيض تحتلس في الصدور صدورها عبرا وتكحل الشعور
شفارها
والخيل تذرح تحت ادنيه القنا جذب الواتج غاورت ابارها
فيقيت تستجلي الفتوح عرايسا متمليا صدر العلا وصدارها
في دولة للمنصور فوق ابدانها زبرا تشوق في الطلا اسطارها
فالدين موماه رفعته بها العفو وحديقة ضمنت يداك ابارها

وله فيه من قصيدة اخرى

حلف الثعالب حين تحو مصحر ملا البلاد هماهما وزئيرا
تركوا مشاجرم الرماح لحاذق جعلت محافته القصور قبورا
لن يعيبه حرب لم تتول قلاتنه كالدر يلزم لفظة التكبيرا
اسعدا ذا ماعاد من ظعن نفر سراحة لمثله اظفورا
يقنا فد رالاعدا منه سطوة ملك الزمان تعيظا وزفيرا
عرفوا النور الدين وقع وقايع وفي بها الاسلام امسن تذورا
ابدا يظافرك القضا على الذي تبغي فترجع ظافرا منصورا
فوضت بالنقع الظهار بوظلمة وقتلت فاشتعل الدباجر
نورا

وعلى العواصم من دفاعك عاصم * ينسي الرشيد ويلبس المنصورا *

فصل في وفاة معين الدين انر بدمشق

وما كان من الرئيس ابن الصوفي في هذه السنة قال ابو يعلى التميمي فصل معين الدين من عسكره بحوران ووصل الى دمشق في اواخر ربيع الاخر لامر اوجبت ذلك ودعا اليه وافرط في الاكل فلحقه عقيب ذلك انطلاق فتمادى به وحمله اجتهاد فيما يدبره على العود الى عسكره بناحية حوران وهو على هذه الصفة من الانطلاق وقد زاد به وضعفت قوته وتولد معه مرض في الكبد فاوجبت الحال عوده الى دمشق في محفة لمداواته فوصل وقضى نحبه في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الاخر ودفن في ايوان الدار الاتابكية التي كان يسكنها ثم نقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها قلت قبره في قبة بمقابر العونية شمالي دار بطيخ الان واسمه مكتوب على بابها فلعله نقل من ثم اليها وفيها الامير مويد الدولة اسامة بن منقذ وكتب اليه من مصر لما بلغ الفرنج من ارض بصرى وصرخد مع نور الدين وقد تقدم ذلك تشبب اليه قصيدة يقول فيها

* كل يوم فتح مبين ونصر * واعتلا على الاعادى وقهر

وفاة معين الدين انر بدمشق

ق

91.

صدق النعت فيك انت معز الدين ان النعوت فالك و زجر
انت سيف الاسلام حقا فلا فل غرار يك ايها السيف دهر
لم تزل فيهم اجاد مبيرا ثم اعفيت حين امكن جهر
كل دخر الملوك يفني و ذخر ك ما الباقيان اجر و شكر

قال و في يوم الجمعه تاسع رجب قرى المنشور عن
مجير الدين بعد الصلاه على المنبر بابطال الفتنه المستخرجه
من الرعيه و ازاله حكمها و تعفيه رسمها و ابطال دار الضرب
فكثر دعا الناس له وشكرهم قال واستوحش الرئيس
مويد الدوله من مجير الدين استيحاشا اوجب جمع من امكنه
من سفها الاحداث و الغوغا وحمله السلاح من جملة العوام
و ترتيبهم حول دار و دار اخيه زين الدولة حيدره
الاحتما بهم من مكروه يتم عليها و ذلك في ثالث عشر رجب
و وقعت المراسلات من مجير الدين بما يسكنهما و يطيب انفسهما
فما ازدادا بذلك وجدا في الجمع و الاحتشاد من العوام و بعض
الاجناد و اثار الفتنه فقصدوا باب السجن وكسروا اغلاقه
و اطلقوا من فيه و استنفروا جماعة من اهل الشاغور وغيرهم
و قصدوا الباب الشرقي و فعلوا مثل ذلك و حصلوا في جمع
كثير و امتلات بهم الازقه و الدروب فحين عرف مجير الدين
و اصحابه هذه الصوره اجتمعوا في القلعه بالسلاح الشاك
و اخرج ما في خزاينه من السلاح و العدد و فرقت على العسكر
و عزموا على الزحف على جمع الاوباش و الايقاع بهم و النكايه

فيهم فسال جماعة من المقدمين التمهل في هذا الامر وترك العجلة
بحيث تحقن الدما ويسلم البلد من النهب والحريق والحوا عليه
الى ان اجاب سوالهم ووقعت المراسله والتلطف في اصلاح
ذات البين فاشترط الرئيس واخوه شروطا اجيبا الى بعضها
واعرض عن بعض بحيث يكون ملازما لداره ويكون ولده
وولد اخيه في الخدمة في الديوان ولا يركب الى القلعة
الا مستدعى اليها وتقررت الحال على ذلك وسكنت الدهما
ثم حدث بعد هذا التقرير عود الحال الى ما كانت عليه
من العناد والاثارة الفساد وجمع الجمع الكثير من الاجناد
والمقدمين والرعاع والفلاحين واتفقوا على الزحف الى
القلعة وحصر من فيها وطلب من عني عليه من الاعداء الاعيان
في اواخر رجب ونشبت الحرب بين الفريقين وخرج وقتل
بينهم نفر يسير وعاد كل فريق منهم الى مكانه ووافق
ذلك هروب السلار بن الدين اسمعيل الشحنه واخيه الى
ناحية بعلبك ولم تزل الفتنه ثايره والمحاربه متصلة
الى ان اقتضت الصورة ابعاد من التمس ابعاده من خواص
مجير الدين وسكنت الفتنة واطلقت ايدي النهابه في دور
السلارين واصحابهما وعمهما النهب والاخراب ودعت
الضرورة الى تطييب نفس الرئيس واخيه والخلع عليهما واعاده
الرئيس الى الوزارة والرياسة بحيث لا يكون له في ذلك معترض
ولا مشارك قلت وفي هذه الفتنة يقول العرقلة

92.

ذر الاتراك والعربا • وكن في حزب من غلبا •
بجلق اصبحت فتن • تجر الويل والحربا •
كأني ثمت فوا اسفا • ولم تجرب فوا عجبا •

وقال في الرئيس لما زحف الى القلعه •

• زد علوا في المجد يا بن علي • هكذا من اراد ان يتعالا •
• قد حوى الدين يا مويد ملكه • منك مدبرا و دمنة وملالا •
• وغدت جلوتنا ديك نجحا • مكدا مكدي والافلالا •
• جبها في الظلام خيلا ورجلا • وحميت النفوس والاموالا •
• لم تبالي من بعدها بعدو • انما ذاك كان قطعا وزالا •
• قد بلغت المراد من كل ضد • وكفى الله المومنين القتالا •

قال ابو يعلى التميمي وفيها ورد الخبر من ناحية مصر بوفاة المستخلف بها الملقب بالحافظ واسمه عبد المجيد بن الامير بن المستنصر في خامس جمادي الاخرة وولي الامر بعده ولده الاصغر ابو منصور اسمعيل ولقب بالظافر وولي الوزارة امير الجيوش ابو الفتح بن مصال المغربي فصل في وفاة سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل وهو اخو نور الدين الاكبر قال ابن الاثير كان اتابك الشهيد يعني زنكي ملك دارا وبعث بيده الى ان قتل فاخذها صاحب ماردين ثم سار اليها سيف الدين بن الشهيد في سنة اربع واربعين فحاصرها وملكها واستولى على كثير من بلد ماردين بسببها ثم حصر ماردين عازما على ان يدخل

وفاة سيف الدين

ديار بكر وليستعيد ما اخذ من البلاد بعد قتل والده فتفرق
العسكر في بلدها ينهبون ويحرقون فقال صاحب ماردين
كنا نشكوا من اتابك واين ايامه فلقد كانت اعيادًا قد
حصرنا غير مرة فلم يتعد هو وعسكره حاصل السلطان
ولا احد واكفا من التبن بغير ثمنه .

رب دهر بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه .

ثم انه ارسل الى سيف الدين وصالحه على ما اراد وزوجه
ابنته الخاتون ورحل سيف الدين عن ماردين وعاد الى الموصل
وجهزت خاتون وسيرت اليه فوصلت الى الموصل وهو مريض
فتوفي ولم يدخل بها وذلك في اواخر جمادى الاخرة وكان
عمره نحو اربعين سنة وكان من احسن الناس صورة ودفن
بالمدرسة التي انشاها بباطن الموصل وخلف ولدا ذكرا اخذه
عمه نور الدين محمود فرباه فاحسن تربيته وزوجه ابنة عمه
قطب الدين مودود فلم تطل ايامه وادركه اجله في عنفوان
شبابه فتوفي وانقرض عقب سيف الدين وكان كريما شجاعًا
ذا عزم وحزم وهو اول من حمل على راسه سنجق من اصحاب
الاطراف فانه لم يكن فيهم من يفعله لاجل السلاطين السلجوقية
وهو اول من امر عسكره ان لا يركب احد منهم الا والسيف في وسطه
فلما امر هو بذلك اقتدى به غيره من اصحاب الاطراف
وبنى بالموصل المدرسة الاتابكية العتيقة وهي من احسن
المدارس واوسعها وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية

نصفين

لصغر وبني رباط الصوفيه بالموصل ايضا وهو الرباط المجاور
لباب المشرعه ووقف عليها الوقوف الكثيره وكان كثيرما فضل
شهاب الدين حيص بيص وامتدحه بقصايد مشهوره وهي من
جيد شعره فاجازه عنها الف دينار اميري سوى الاقامة
والتعهد مدة مقامه وسوى الخلع والثياب قلت
اول تلك القصيدة • الام براك المجد في زي شاعر •
يقول في اخرها
اتابك ان سميت في المهد غازيا • فسابقه معدود في البشاير
وفيت بها والدين قد مال روقه • وصدقتها والكفر بادي الشعاير
وعن احمد بن منير نور الدين باخيه بقصيدة تقدم بعضها
اولها • هو الجد بر التمام البدورا • يقول فيها
سوى كل ما جنت الحادثات • ما كنت ظلا علينا قريرا
اسان واحسن خلق الهلال • وملا اتنا منك بدرا منيرا
اذا سبح البحر اخطاره • فلا غرو ان يستشعر الغديرا
واصغر بعقدا انما الذاهبين ماعشت تانال ملكا كبيرا
وما غمد الدهر ذاك الحسام • ما سل جدك عضبا بتورا
فسيم علاك ونعم القسيم • اخ ساف نورا واعطى كثيرا
وكان فطرك غار الزمان • مزان يرى لك فيه نظيرا
فدتك نفوس استوطنت شرّ الامن نورا وقد كن بورا
وغيرك يمهد بسط العلا • ويولي المسلمين سمعا وقورا
وما نقص الدهر اعدادكم • اذا اشف قطرا وابقى بحورا

ولو انصف المجد موتاكم لخطّهم ● في السما الفبورا
حيا نك احييت رميم الرجا ● وامطت من الجود طهيرا
بغيت معتوي من اهالكين ● وتوفي الوري وتوفا الاجورا
وللقيسراني قصيدة منها
ما اطرق الجو حتى اشرق الافق ● ان اغمد السيف فالصمصام بانلق
دون الاسى منك نور الدين في حلب ● ملك يجلي عن وجهه الغسق
كنت الشفيق الشفيق الغيب حتى نوى ● اذاق ما الكرى من جفنك الارق
تلع الاشا من لباس الصبر في جنن ● حصينة تحتها الاحشا تحترق
ومد الاجل المحتوم ان خفيت ● فان ايامنا من دونها طرق
وانما نحن في مضمار حلبتها ● خيل الى غاية الاعمار نستبق
شاوا ذا ابتدر والاقوام غاية ● كان الموخر فيها منزله السبق
ان كان صنوك مفقود نوى فذوي ● فنحن مغارسك الاثمار والورق
او اصبحت بعده الاموات افرحه ● ابدي سببا فعلي عليك الشفق
ما غاب من غاب عن افاق مطلعه ● الا ليغتر عن افواركم الافق
ما دام شمسك فينا غير افلة ● فالدين منتظم والملك متسق
فصل قال ابن الاثير ولما توفي سيف الدين غازي
كان اخوه قطب الدين مودود بالموصل فاتفقت كلمة جمال
الدين وزين الدين على توليته وتمليكه طلبا للسلامة منه
فانه كان لين الجانب حسن الاخلاق كثير الحلم كريم الطباع
فاحضروه

فاحضروه من داره وحلفوه لهم وحلفوا له ونزل بدار المملكة
وحلف له الامرا والاجناد واستقر في الملك واطاعه جميع
ما كان لاخيه سيف الدين لان المرجع كان من جميع المملكة
الي جمال الدين وزين الدين ولما ملك واستقر في الملك تزوج
امراة اخيه التي مات ولم يدخل بها الخاتون ابنة حسام
الدين تمرتاش صاحب ماردين فولدت لقطب الدين اولاده
الذين ملكوا الموصل بعده على ما سنذكره ولم يملكها من
اولاد قطب الدين احد من غير اولادها وكانت هذه
الخاتون يحل لها ان تضع خمارها عند خمسة عشر ملكا من
اباءها واجدادها واخوتها وبني اخيها وازواجها واولادها
واولاد اولادها ذكرهم ابن الاثير في كتابه وذكر انها اشبهت
في ذلك فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوج عمر بن عبد العزيز
كان لها ان تضع خمارها عند ثلثة عشر خليفة وهم من معوية
الي اخر خلفا بني امية سوي اخرهم مروان بن محمد فانه ابن
عم لها ليس بمحرم والباقون محارم لها وما تم له ذلك الا بعد
ذكر ان امها عاتكة بنت يزيد بن معوية فمعوية جد امها
ويزيد جدها لامها ومعوية بن يزيد خالها ومروان
جدها لابيها وعبد الملك ابوها والوليد وسليمان ويزيد
وهشام اخوتها وعمر بن عبد العزيز زوجها والوليد بن يزيد
ويزيد بن الوليد وابرهيم بن الوليد اولاد اخوتها
وهولاء كلهم خلفا وعدتهم ثلثة عشر قلت

وهذا كله مبني على اصل فيه خلل وهو ان فاطمه بنت يزيد
بن معويه بل امها امراه محرومه على ما بيناه في ترجمتها
في تاريخ دمشق ولكن الصواب في ذلك ان يقال كان فاطمه
ان تضع خمارها عند عشره من الخلفا وهم مروان بن الحكم
ونسله سوى مروان بن محمد واما عاتكه بنت يزيد
فالجميع محرم لها سوى عمر بن عبد العزيز ومروان بن محمد
بقي اثنا عشر خليفه كلهم محارم لها معويه جدها ويزيد
ابوها ومعويه بن يزيد اخوها ومروان حموها وعبد
الملك زوجها والوليد وسليمان وهشام اولاد زوجها
ويزيد بن عبد الملك ابنها والوليد بن يزيد بن ابنها
ويزيد بن الوليد وابرهيم بن الوليد ابنا ابن زوجها
ولو اضيف الى ذلك المملوك من محارم عاتكه او فاطمه
كالاخوه والاعمام والاخوال وبني الاخوه لتضاعف
العدد كخالد بن يزيد بن معويه اخي عاتكه وعبد العزيز
بن مروان عم فاطمه ومسلمة وعبد الله بن عبد الملك هما
اخو فاطمه وربيبا عاتكه وعمر بن الوليد بن عبد الملك وغيرهم
وذلك ظاهر لمن عرف انساب بني اميه فصل قال
بن الاثير ولما ملك قطب الدين الموصل والبلاد الجزريه
وكان اخوه نور الدين بحلب وهو اكبر من قطب الدين فكاتبه
بعض الامرا وطلبوه اليهم منهم المقدم والد شمس الدين
بن المقدم وهو حينئذ دزدار سنجار فسار نور الدين

جو بلدم

جريدة في سبعين فارسا من اكابر دولته منهم اسد الدين
شيركوه ومجد الدين ابو بكر بن الداية وغيرهما فوصلوا
الى ماكسين في ستة انفس في يوم شديد المطر وعليهم
اللبابيد فلم يعرفهم الذين بالباب وارسلوا الى الشحنة
واخبروه بوصول نفر من الاجناد وكانهم تركمان فلم
يستتم القاصد كلامه حتى وصل نور الدين فحين راه الشحنة
قبل يده وخرج عن الدار فنزلها نور الدين حتى لحق به اصحابه
وسار مجدا الى سنجار فوصلها وليس معه الا نفر يسير فنزل
بظاهر البلد والقى نفسه على مخدة صغيرة من شدة تعبه
وارسل الى المقدم بالقلعة يعرفه وصوله وكان المقدم
قد استدعى من الموصل لان جرم مع نور الدين فسار
الى الموصل وترك ابنه شمس الدين بسنجار وقال له انا
اتاخر في الطريق فان وصل نور الدين فارسل من يعلمني
فلما فارق سنجار وصل نور الدين فلما علم شمس الدين
بوصوله ارسل قاصدا الى ابيه بالخبر فانهى الحال الى نور الدين
فخاف فوات الامر ووصل القاصد الذي سيره ابن المقدم
الى ابيه فادركه بتل يعفر فعاد الى سنجار وسلمها الى نور
الدين وكاتب فخر الدين قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن
يستنجده وبذل له قلعة الهيثم فسار اليه بجنده فلما
سمع قطب الدين الخبر جمع عساكره وسار عن الموصل نحو سنجار
ومعه الجمال والدين ونزلوا بتل يعفر وارسلوا الى نور

الدين ينكرون عليه اقدامه واخذه ماليس له ويهددونه بعضله
واخراجه من البلاد فهرا ان لم يرجع اختيارا فاعاد الجواب
اني انا الاكبر وانا احق ان ادبر امر اخي منكم وما جيت
الا لما تتابعت الي كتب الامرا يذكرون كراهيتهم لولا يتكلم
عليهم بعض ولايه الجمال والزين فخفت منهم ان يحملهم الغيظ
والانفه على ان يخرجوا البلاد من ايدينا فاما تهددكم اياي
بالقتال وانا ما اقاتلكم الا بجندكم وكان قد هرب اليه
جماعة من اجنادهم فخافوا ان يلقوه لئلا يخامر عليهم باقي
العسكر ودخل الامرا في الصلح واشار به جمال الدين الوزير
وقال نحن نظهر للسلطان والخليفه انا نتبع نور الدين
ونور الدين يظهر للفرنج انه يحكمنا ويتهددهم بنا فان قاتلنا
وحاربناه فان ظفر بنا طمع فينا السلطان وان ظفرنا به
طمع فيه الفرنج ولنا بالشام حمص وقد صار له عندنا سنجار
فهذه انفع لنا من هذه والراي ان نسلم اليه حمص وناخذ
سنجار وهو في ثغر بازا الفرنج ويتعين مساعدته فاتفق
الجماعة على هذا الراي وسار جمال الدين الى نور الدين وابرم
معه الامر وتسلم حمص وسلم سنجار الى اخيه وعاد نور
الدين واخذ ما كان بسنجار من المال ولما تسلم قطب الدين
سنجار اقطعها لزين الدين لان حمص كانت لاخيه نيال وهو
مقيم بها واتفقت كلمتهم واتحدت اراوهم وكل واحد منهما
لا يصدر الا عن امر اخيه وطلب نور الدين ان يكون

الجمال عنده فقال له الجمال انت فيك من الكفاية ما تستغني
به عن وزير ومشير وليس عندك من الاعدا مثل ما عند
اخيك لان عدوك ما فرقا الناس يدفعونه ديانة واعدا
اخيك مسلمون فيحتاج من يقوم بدفعهم واذا كنت عند
اخيك فالنفع اليك عايد واريد من بلادك مثل ما لي
من بلاد اخيك معونة على كثرة خرجي فاجابه الى ذلك فقال
له جمال الدين انت عليك خرج كثير لاجل الكفار فيجب
مساعدتك وانا اقنع منك بعشرة الف دينار كل سنة
فامر له بها فكان نايب جمال الدين يقبضها كل سنة ويشتري
بها الاسرى من الفرنج ويطلقهم قلت وقرات في
ديوان القيسراني وقال في نور الدين عند قدومه وقد
استولى على سنجار واعمال الرحبة والغزات وذلك في سنة
ذي القعدة سنة اربع واربعين وخمسماية ٥

هذا الذي ولدت له الافكار • وتمخضت فالابه الاشعار •
وجرت له خيل البهى في حلبة • وددت وصفوهنيرها المضمار
واتت به نذر القوافي برهة • ان القوافي وجهها انذار •
حكمت لسيفك بالممالك عنوة • حكما لعمري ما عليه غبار •
يايها الملك المعظم نجاره • برتدين بهديه الابرار •
يابن السيوف ومن فخرنه بنسبة • الاسما بك قام وعرار •
فارقت دار الملك غير مفارق • لك من علاك بكل ارض دار •
في عسكر تخفي كواكبه قنابله • لفعا فيطلعها القنا الخطار •

جرارا ذيال العجاج وراءه • وامامه بل جحفل جرار •
تدني لك الغايات اكبر همه • تورده همم الملوك كبار •
حتى ملات الخافقين مهابة • دانت لعقد نطاقها الاقطار •
وملكت سنجارا وما من بلدة • الا تمنى انها سنجار •
وبسطت بالاموال كفا طالما • طالت بها الا ما ذوي •
قصار •
وجرت بامداد اجياد سعابها • جرى السيول وما سواك قرار
وثنى الغزاة الى يديك عنانه • والبحر ما انقلت به الانهار
وملكت رحبة مالك فتبرجت • منها لعينك كاعب معطار
جاءتك في حلل الربيع وحليها • قبل الربيع تشقايق وبهار
نثرت عليك هوى القلوب محبة • وتودلو ان النجوم نثار
فاقمت كالشمس المنيرة ان نات • عن افقها فلها به اقمار
من كان نور الدين ثم رجبته • ليل السرى حفت به الانوار
تدعوا البلاد اليك السنة الظبي • فيجيبك الانجاد والاغوار
حتى عمرت الدين يا ابن عماده • بقنا اسنتها عليه منار
وقفلت من اسفار جدك قادما • كالصبح ثم تبتغي الاسفار
يغشي البصائر نور وجهك بعد ما • اعترضت على قسماته
الابصار •
حتى عمرت بكل قلب صدره • حتى الصدور من القلوب قفار
ان تمس في حلب رياحك غضة • فلها باقطاره اعصار •
وعقدت جيادك بالشام مغيرة • ولها باطراف الدروب مغار

همم

97.

هم سبقت بها الى مهج العداة صرف الردى ومسبق احصار
واري صباح الفتح كان نحورعه فطغى وجار وليس ثم وجار
سال الأصيفة غير محفوق بها والحتف يهدم ما بنى الجبار
حتى اذا ما غنت أقدم عابثا اقدام من لم يدن منه فرار
امضى السلاح على عدوك نجده بالعدر يطعن في الوغى الغدار
فاحسم عناد ذوي العناد بجحفل كالليل فيه من الصفيح نهار
جند على جرد امام صدورها صدر عليه من السعير صدار
قد بايع الاخلاص بعد نصره ولكلها دي امة انصار
ملك له من عدله ووقاية جيش به تستفتح الامصار
واذا الملوك تثاقلت عن غاية واراد ها خفت به الاقدار
واذا انتضته الى الغزو عزمة قامت مقام جنوده الاخبار

ولابن منير من قصيدة

نرح معطف الروم لما دعاك لزور سفار لمام
وزلزلت الصعيد وآمصر عداه عليك في قطنا الحمام
زجاهم نبك وتلك خوفه ولو قد سبت منهما قوام
بعيشك يا مبيد الخيل كضا حمام من نخل ام حمام

وقال ابن منير ايضا

يهنيه بتسليم قلعة حمص من نبال والشك في القلعة القصيدة

اولها

اذكرها فهي ازلام المعالي لهن الى الوغى ترق المعالي
اما ومقبلين بكل تبع يغوص باهدي غمر الضلال

وأي سيوفك الحمر الحواشي منزلة متى دعيت نزال
مواضٍ ان سللت سللن جزماً نفاه من الطلا لخط اعتلال
لقد غلبت الصليب بكر حرب بتشييب اوارها لم الليالي
وشيمت لنصرهدا الدين باساً يحرم منه كل حمى حلال
وقايع انزعت في كل فج وقايع جوها دامي العزالي

ومنها

تسايلك حمص عن مقسم دين تفاضاه لك الحج الحوالي
فوائت وهي اخت النجم بعداً وعدا طيد من مطل مطال الخيل
حصان رامتها البزاة دهراً فحجبت كل بعل عن بعال
تشامخ انفها عزاً وشدت على ان لا ينال لها بنال
فما زالت رقاب نجد نقضاً لما تبنيه من مر الحبال
الى ان طلقوا الحسنا كرهاً وآل الى ملاوجه الماآل
شغلت بها يمينك والمواضي تكفل ان مصر الشمال
اذا فتح الفتاح عليك رضاً اباحك اختها الاعز قتال

فصل قال الرئيس ابو يعلى اتصل الخبر بنور
الدين بافساد الفرنج في الاعمال الحوارنيه بالنهب والسبي
فعزم على التاهب لقصدهم وكتب الى من بدمشق يعلمهم ما عزم
عليه من الجهاد ويستدعي منهم المعونه على ذلك بالف
فارس تصل اليه مع مقدم يعول عليه وقد كانوا عاهدوا
الافرنج ان يكونوا يداً واحدة على من يقصدهم من عساكر
المسلمين فاحتج عليه وعولط فلما عرف ذلك رحل ونزل

يفصل الوجه عن تمام الشطر يما ذكر ثم ذكر الاخريات

بمرج

ثم خرج بلوس وبعض العسكرية يبعقوب فلما قربهم من دمشق
وعرف من بها خبرهم ولم يعلموا ابن فضلام وقد كانوا ارسلوا
الافرنج بخبرهم وقصدوا معهم الاتحاد عليه وكانوا قد
نهضوا الى ناحية عسقلان لحمارة غزه ووصلت اوايلهم
الى بانياس وعرف نور الدين خبرهم فلم يحفلهم وقال
لا اخرف عن جهادهم ولموضع ذلك كاف ايدي اصحابه عن
العيث والافساد في الضياع وامروا باحسان الراي في
الفلاحين والتخفيف عنهم والدعا له مع ذلك متواصل من
اهل دمشق واعمالها وساير البلاد واطرافها وكان الغيث
قد احتبس عن حوران عنها للمحل واشتد الامر فلما وصل
نور الدين الى بعلبك انفق نزول الغيث يوم الثلاثا ثالث
ذي الحجة واقام الى مثله فزوى الاكام والوهاد وجرت
الاوديه وزادت الانهار وامتلات برك حوران ودارت
ارحيتها وعاد ما شوح من الزرع والنبات غضا طريا وضج
الناس بالدعا لنور الدين وقالوا هذا ببركة وحسن
معدلته وسيرته ثم رحل من منزله بالاعوج ونزل بجسر
الخشب المعروف بمنازل العساكر في السادس والعشرين
من ذي الحجة وارسل مجير الدين والرئيس وقال انني ما قصدت
بنزولي هذا المنزل طلبا لمحاربتكم ولا منازلتكم وانما دعاني
الى هذا الامر شكاية المسلمين من اهل حوران والعربان
بان الفلاحين اخذت اموالهم وسبيت نساوهم واطفالهم

ببيد الفرنج وعدم الناصر لكم ولا يسعني مع ما اعطاني
الله وله الحمد من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين
وكثرة المال والرجال ان اقعد عنهم ولا انصرهم مع معرفتي
بعجزكم عن حفظ اعمالكم والذب عنها والتقصير الذي دعاكم
الى الاستصراخ بالافرنج على محاربتي وبذلكم لهم اموال
الضعفا والمساكين من الرعية ظلما لهم وتعديا عليهم
وهذا ما لا يرضي الله تعالى ولا احدا من المسلمين ولا بد
من المعونة بالف فارس من اجل الغاة تجرّد مع من يوثق
بشجاعته من المقدمين لتخليص ثغر عسقلان وغيره
قال فكان الجواب عن هذه الرسالة ليس بيننا وبينك
الا السيف وسيوافينا من الافرنج ما يعيننا على دفعك
ان قصدتنا ونزلت علينا. فلما عاد الرسول بهذا الجواب
ووقف عليه اكثر التعجب منه والانكار له وعزم على الزحف
الى البلد ومحاربته في غد ذلك اليوم فارسل الله تعالى
من الامطار وتداركها ودوامها ما منعه من ذلك ودخلت
سنة خمس واربعين ففي مستهل المحرم تقرر الصلح بين
نور الدين اشفق من سفك دما المسلمين ان اقام على
حربها والمضايقة لها بعدما اتصل به من اخبار دعته
الى ذلك واتفقوا انهم يبذلوا له الطاعة واقامة الخطبة
له على منبر دمشق بعد الخليفة والسلطان وكذلك
السكة ووقعت الايمان على ذلك وخلع نور الدين

على

على مجير الدين خلعة كاملة بالطوق واعاده مكرماً
محترماً وخطب له على منبر دمشق يوم الجمعة رابع عشر
محرم ثم استدعى الرئيس الى المخيم وخلع عليه خلعة
كاملة ايضا واعاده الى البلد وخرج اليه جماعة من الاحداث
والخواص الى المخيم واختلطوا به ووصل من استماحه من الطلاب
والقراء والضعفا بحيث ما خاب قاصد ولا اكدى سايله
ورحل عن مخيمه عايداً الى حلب بعد احكام ما قرره وتكميل
ما دبره قلت وفي ذلك يقول القيسراني

لك الله ان حاربت فالنصر والفتح • وان شيت صلحاً عد
من عزمك الصلح •

وما انت الا السيف في كل حالة • فطورا له حد وطورا له
صفح •

سقيت الدنيا بان جئت رددتها • تنح من سكر فخل الفنا
نصح •

وما كان كف العزم الا اشارة • الى الحزم لو لم يغضب السيف والرمح •
وقد علم الاعدا مذ بت جانحاً • الى السلم ما تنوي بذاك وما تنحو •
اذا ما دمشق ملكتك عنانها • تيقن من في ايليا انه الذبح •
متى النفق تقع الجحفلين على الهدى • فلا همة يحمي الضلال ولا سفح •
اذا سار نور الدين في الجيش غازيا • فقولا لليل الافك قد طلع
الصبح •

تركت قلوب الشرك تشكو جراحها • فلا زالت تشكو ولا اندمل الجرح •

صبرت فكان الصبر خير مغبة • فسيق اليك الملك يسعى به النجح
• كان القنا تجلوا له وجه أمره • ولو اهملت بلقيس ما غرها
الصرح •
بدولتك الغرا اصبح ضدها • بهيماً ولولا الحسن ما عرف القبح
وكم من قريح القلب لوبات واردا • مواردة هذا العدل ما مسه قرح
سحابك هذا الدهر جودا على الورى • على انه ما زال في طبعه
شح •
وقد كان يمحوا رسم كل فضيلة • ونحن نراه اليوم يثبت ما يمحو
بك ابتهج الالباب وابتهج الحجا • وابتهرت الاداب واطرد المدح •
ولاذت بك التقوى وعاذت بك العلا • ودانت لك الدنيا وعز
بك السرح •
فلا قلب الا قد تملكته بهوى • ولا صدر الا قد جلاه لك النصح
وما الجود في الاملاك الا تجارة • فمن فاته حمد الورى فاته الربح
ولم اختصر الله ما قلت الا انني • اعبر عما لا يقوم به الشرح •

فصل في فتح عزاز قال ابو يعلى وورد الخبر

في الخامس من المحرم من ناحية حلب بان عسكرها منزلا لان
ظفر بابن جوسلين صاحب عزاز واصحابه وحصلوا في قبضة
الاسر في قلعة حلب فسر بهذا الفتح كافة الناس وتوجه نور
الدين في عسكره الى عزاز ونزل عليها وضايقها وواظب قتالها
الى ان سهل الله تعالى ملكها بالامان وهي على غاية من المنعة
والحصانة والرفعة • فلما تسلمها رتب فيها من ثقاته من وثق

فتح عزاز

به ورحل عنها ظافرا منصورا عايدا الى حلب في ايام
من شهر ربيع الاول **قلت** وذكر بن منير فتح
عزاز وعزة وامر دمشق في قصيدة • اولها •

• فدتك القلوب بالبابها • وساح الملوك بأربابها •

يقول فيها

كتايب ترمي جلود الصليب • منها بتقطيع اصلابها
اذا ما انثنت من قراع الكماة • كست وفدها وبنى اسلابها
تبرنس منها البرنس الثياب • وحليه وقع احلابها •
عشية غصت على انّب • نفوس النصارى بغصابها •
وقام لاحمد محمود دهها • بجدع موارن احرابها •
تجلي بها حيدري المصاع • اغلب مود بغلابها •
مورّث اركاسها مرابٍ • اكول الفوارس شرابها •
همام اذا اعصوصبت • بنوم دهاها بها شم اعصابها
مضى وجنى لك حلو الشهاد • مما تمطق من صابها •
واوصى بها لك من بعد ما • تجرع ممقرا اوصابها •
واقسم جدك ان لا يليق • بغيرك ملبس اثوابها •
صبحت دمشق بمشهو اجياده • ربور الوغى بان اجدابها •
واصلت رايك قبل الحسام • محمد جمة اجلابها •
فاعطتك ما لم تنله يد • وفازت رفاك باصحابها •
وانت تعرف فضل الزمام • من حمص باخير ركابها •
تخونها الجور فاستدركته • بعدلك اغنا لطبطابها •

وفاجأت فورس بالسابلات • نمج القنا سمر اذنابها
فما رمت حتى رمت بيضها • اليك ازمة ضرابها
وعرت عزا زفاف للنهاه • بمجد مضيق لاسهابها
باشمخ من انفها منكبا • واكثر من عد نورابها
دلغت لعبيط ام النجوم • في الام ابيط اثوابها
وعد آرا مذ عمرت ما اعتدت • ظنون الليالي لاخرابها
تنزعها بفروع الوشيح • متمم مام اوشابها
وعوج اذا انبضت اغمضت • ذكاء رسال نشابها
ومحدودبات نظير الخطوب • ملاقط السن خطابها
تصوب عقبان ريب المنون • متى ذبتها باعقابها
وما ركعت حول شم الهضاب • الا سجدن لانصابها
فلاذت بمعتصم بالكتاب • وموهوب الممالك سلابها
بمعتصمي الندى والهدى • وموسر السرى غير مبتابها
محلا المحل بوصف الفتوح • ووصف النهى في واربابها
وبعجز مداحه ان يحيط • باداته فلك اذابها
بدايع لوذت ذمر رمين • بنات حبيب باحيابها
وابن ابن اوس وابياته • من الآل اودت بحسابها
من الآعاد عنبق لحاه • ودد عليها ابن خطابها
فابامه من حبور نكاد • نطير بها فرط اعجابها
لك الفضل ان راسلتك الجياد • وقامت دلة انجابها
اذا اعتسفت صمم الجابرين • انبتت السبيا من بابها

يحيط

ابوك

ابوك ابوها وانت ابنها ساه العربتوود مبه محرابها •
اقول لموجرم بالغرور نعظته لمواها فالموي بها •
حذار فعندا بتسام الفيوسه يختشي صواعق انيابها •
ولا تخدعوا بافزاد الليوثه فالنار في برد ابنابها •
وبقي الطول من هذا

فصل في صفة اسر جوسلين

قال ابن الاثير سار نور الدين الى بلاد جوسلين وهي القلاع التي شمالي حلب منها تل باشر وعين تاب وعزاز وغيرها من الحصون فجمع جوسلين الفرنج فارسهم وراجلهم والتقوا نور الدين وكانت بينهم حرب شديدة اجلت عن انهزام المسلمين وظفر الفرنج واخذ جوسلين سلحدارا كان لنور الدين اسيرا واخذ ما معه من السلاح فانفذه الى السلطان مسعود بن قليج ارسلان السلجوقي صاحب قونيه واقصرا وغيرهما من تلك الاعمال وكان نور الدين قد تزوج ابنته وارسل مع السلاح اليه يقول قد انفذت لك سلاح صهرك وسيأتيك بعد هذا غيره فعظمت هذه الحادثة على نور الدين واعمل الحيلة على جوسلين وعلم انه ان لم يقصده بالعساكر الاسلامية لغطله جمع جوسلين الفرنج وحذره وامتنع فاحضر نور الدين جماعة من التركمان وبذل لهم من الاقطاع والاموال ان هم ظفروا بجوسلين اما قتلا واما اسرا فاتفق ان جوسلين خرج في عسكره واغار على طائفة من التركمان فنهب وسبا فاستحسن من السبي امراة منهم

فخلا معها تحت شجرة فعاجله التركمان فركب فرسه يلقاهم فاخذوه
اسيرا فصانعهم على مال يبذله لهم فرغبوا فيه واجابوه الى ذلك
واخفوا امره عن نور الدين حينئذ بحمص وكان اسره من اعظم
الفتوح على المسلمين فانه كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج
شديد العداوة للمسلمين وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم
لما يعلمون من شجاعته وجودة رايه وشدة عداوته للملة
الاسلامية وقسوة قلبه على اهلها واصيبت النصرانية كافة
باسره وعظمت المصيبة من حافظها وسهل امرهم على المسلمين
بعده وكان كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفي بعهد طالما
صالحه نور الدين وهادنه فاذا امن جانبه بالعهود والمواثيق
نكث وغدر فلقيه غدره وحاق به مكره ولا يحيق المكر السيء
الا باهله فلما اسر تيسر فتح كثير من بلادهم وقلاعهم فمنها
عين تاب وعزاز وقورس والراوندان وحصن بارين وتل
خالد وكفر لاثا وكفرسود وحصن برقون بجبل بني عليم
ودلوك ومرعش ونهر الجوز وبرج الرصاص قال وكان
نور الدين رحمه الله اذا فتح حصنا لا يرحل عنه حتى يملاه رجالا
وذخاير تكفيه عشر سنين خوفا من نصرة يتجدد للفرنج على
المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة الى شيء وقال
الشعرا في هذه الحادثة فاكثروا منهم القيسراني قال
يمدح نور الدين بعد صدوره عن دمشق واستقرار امرها
ويذكر قتل البرنس واسر جوسلين واخذ بلاده

دعا

دعا ما ادعى من عزم النهي والامر • فما الملك الا ما اجاك به القهر

ومن نثرت الدنيا اليه عنانها • تصرف فيما شا عن اذنه الدهر

ومن رام من الاعدا رقي صهوة العلا • فلا تدركه الشعرى مداه ولا

الشعر •

اذا الجد امسى دون غايته المنى • فماذا عسى ان يبلغ النظم والنثر

ولم لا يلي اسنى الممالك مالك • دعيم بجيش من طلايعه النصر

ليهن دمشقا ان كرسي ملكها • حبي منك صدرا ضاق عن همه الصدر

وانك نور الدين مذ زرت ارضها • سمت بك حتى الخط عن سرها

النسر •

خطبت فلم يحجبك عنها وليها • وخطب العلا بالسيف ما دونه ستر

جلاها لك الاقبال حورية السنا • عليها من الفردوس اردية خضر

خلوت بها لكنها من مواكب محبة • تمت فانتمت جهرا وسرا لهو جهر

فسقت اليها الامن والامر خلد • فامست ولا استنكاف ولا اصر

فان صافحت يمناك من بعد هجرها • فاحلا التلاقي ما تقدمه هجر

وهل هي الا كالحصان تمنعت • ولا الا وان عز الحبا وغلا المهر

ولكن اذا ما قستها بصداقها • فليس له قدر وليس لها قدر

هي الثغر امسى بالكراديس عابسا • واصبح عن باب الفراديس يفتر

على انها لو لم تجبك اذعانها • لادمغها من باسك الخوف والذعر

فاما وقفت الجفل نافعة الصدا • على بردى من فوقها الورق النضر

فمنها بعد ما اوردتها حومة الوغا • فاصدرتها والبيض من علق حمر

وجللتها نقعا اضاع شباتها • فلا شبهها شهب ولا شقرها شقر

على النهر لما كان بالعصب القنا ❊ كما شرق في كل نحر لها نحر
وقد شرقت اجرافه بدم العدى ❊ الى ان جرى العاصي ونحصاحه عمر
صدعتهم صدع الزجاجة لا يد ❊ لجابرها ما كل كسر له جبر
ولا ينتحل من بعدها الفخر دايل ❊ ممن بارز الابرنز كان له الفخر
ومن يرا فطاكيه من مليكها ❊ اطاعته الحافظ المولد الحر ر
احق الليث لولا عذاره ❊ تنزعت به الى الذنب ان الذنب شيمته العذر
الى راسه ركضا وعود رشاوه ❊ وليس سوى عافي النسور له
قبر وقد كان في استيفايه لك منة ❊ هي الفتك لو لم تعصب
❊ البيض والسمر ❊
كما هدت الافدار للقمص اسره ❊ واسعد قرن من حواه لك الاسر
طغى وبغى عدوا على علو ليته ❊ واوبقه الكفران عدواه والكفر
والقت بايديها اليك حصونه ❊ ولو لم تجب طوعا لجابها القسر
وامست عزا زكاسمها بك عنوة ❊ شق على الفسرين لوانها وكو
فسروا ملا الدنيا ضيا وبهجة ❊ فبالا فق الداجي الى ذا السنا فقر
كاني لهذا العزم لا فل حده ❊ واقصاه بالاقصى وقد قضي الامر
وقد اصبح البيت المقدس طاهرا ❊ وليس سوى جاري الدما له طهر
وقد اذن البيض الحداد فروضها ❊ فلا عهد في عنق سيف ولا نذر
وصلت بمعراج النبي صوارم ❊ مساجدها شفع وساجدها
❊ وتر ❊
اذا سار نور الدين في عزماته ❊ فقولا لليل الافك قد طلع الفجر
وان يتيمم ساحل البحر مالكا ❊ فلا عجب ان يملك الساحل البحر

سللت

سللت سيوفاً اثكلت كل بلدة • بصاحبها حتى تخوفك البحر

ولو لم يسر في عسكر من جنوده • لكان له من نفسه عسكر مجر

ملوك سمت شم المنابر باسمه • كما زينت بها به الانجم الزهر

فما كعبة ما زال في عرصاتها • مواسم حج لا يروعها النفر

خلعت على الايام من حلل العلا • ملابس من اعلامها الحمد والشكر

وتوجت ثغر الشام منك جلالة • تمنت لها بغداد لو انها ثغر

فلا تفتخر مصر علينا بنيلها • فيمناك نيل كل مصر بها مصر

رددت الجهاد الصعب سهلا سبيله • وباطالما امسى ومسلكه وعر

واطمعت في الافرنج من كان بأسه • تخوف ان يغتام منهم فكر

واقحمت جرد الخيل اعلا حصونهم • ولولاك لم تجسر على كافر كفر

ومن يدعي في مثلك الشرك شركة • اذا لم يكن عند الغواني لمدكر

هي الغانيات الحافظات فروجها • فشاهدها عدل وراويها سحر

ولو لم يكن في فضلها وكمالها • سوى انها من بعد عمر الفتى عمر

وله فيه من قصيدة

يصف فيها وقايعه اولها

اما وخيال زار زمرا حبه • لقد هاج من ذكراه مالا اعيبه

اذا ما صبا قلب المحب الى الصبا • ذكرت نسيما بالثغور مهبه

فيا نفحات الشام رفقا بمهجة • يحامي عليها مدنف الغلا صبه

فلا تسأل الصب اين فؤاده • فان فؤاد المرء مع من يحبه

وفي شعب الاكوار من هو غائب ٭ غداة استطار البرق من طار لبه
نسيم ثغور المزن تهمي كانها ٭ سنا يشير نور الدين تهطل سحبه
اذا ما سما في مبهم الخطب وجهه ٭ تمزق عن بدر الدجنة حجبه
تولد بين الغيث والليث والتقى ٭ مناقبه اي الثلاثة ترجبه
بعيد مضا في الظبى لا وضربه ٭ بها فلل الاعدا اما السيف ضربه
مليك اجار اضر الزمان بنفسه ٭ الى الان حتى الان وانقاد صعبه
حمى فيه الاسلام بالخيل فاغتدت ٭ واوتاد هاجرة الطغاة زوفنه
فكم مبوءا وفعن بالكفر تحتها ٭ فما انفتقت الا وللذل جنبه
كيوم الرها الورها والهام بابغ ٭ ملي بوحي السعد وافي خصبه
وشهبا هاجبها وغى صرخديه ٭ ثناها ونيل الحرب تنقض شهبه
وعادم يوما بالعزيمة فاغتدت ٭ كواذن هو داذ رعى فيه سغبه
وعاصي على العاصي بادعن خاطب ٭ دم الافك حتى انكح النصل خطبه
باني لما انتسب المال وانثنى ٭ بصاحب انطاكيه وهو كسبه
غداه هوى شطرين للسيف راسه ٭ وللرمح حتى توج الراس قلبه
على حين للخطى فيه عوامل ٭ يعاقبه خفض الحسام ونصبه
وقايع محمود بها النصر لم يزل ٭ غريبا بها عن موطن السيف غربه
يقوم مقام الجيش فيها وعيده ٭ وتفعل افعال الكتائب كتبه
وحين انتضته عزمه من قرابه ٭ مضى وهو نصل والممالك قربه
الى ان دعته رهاكل بلدة ٭ فليس من الامصار ما لا يربه
ولما ترا بالغرب عجب هوى به ٭ على ام راس البغي والغدر عجبه

فاصبح

104.

فاصبح في الجحلين يتكر خطوه • بعيد على الرجلين في السعي قربه •
تعاقبه البشرى باخذ حصونه • فيا عاينا ضرب البشاير ضربه •
يناجي عزازباسمه نال بالشرة • فلعنه لعن المزح وسبه
فان يكن المقهور منه عرشه • فهذا عمود الكفر قد طاح طنبه •
فقل لملوك الخافقين فصيحة • كذى عن طريق الليث تمار غلبه
وخلوا عن الافاق فالشرق شرقه • بحكم الدبيناق والغرب غربه •
ولا يعتصم بالدرب طاع على القنا • فان القنا في ثغرة الكرد ربه •
رحيب فضا الحلم عن ذات فده • اذا ضاق عن صدر الملك رحبه
عفوا عن الجاني دكاد الذي جناه • يكربه شوقا الى العفو ذنبه •
امتخذ الاخلاص لله جنة • ومن يعتصم بالله فالله حسبه •
ابوك استرد الشام بالسيف عنوة • وللروم باس طالما غاله •
خطبه •
اذا ذبت عن اصقاع دنياه مالك • فانت الذي عن حوزه الله ذبه
رايت اتباع الحق خير مغبة • فارجت عن راي يسرك غبه •
واوضحت ما بين الغز تغر سنة • بها عرق المربوب من هو ربه •
وبينت ما قد كان من كان يبتغي • دليلا بان الله من انت حزبه

وقال ابن منير

يمدح نور الدين بظاهر حمص •

بها ان يعصم من اردت جزاره • اني ومن اوهاقك الاقدار •
طلعت عليك بجحفل من ذريعة • الاسحل الانسا هاولا امرار •
وسعان ماغري خلعها • فكشف وهو التانق المدار •

فاذتك ما يجني الوفي وفاوه . واذتك كيف نتايج الغدار
غوده اشرع على اباركه طلعه مخاحيلة آل البرو هو بوار
ما زلت تنعم وهو يكفر عامدا . والله يهدم ما بني الكفار
حتى اتاح لقومه ما جره . لثمود من عقر الفصيل قدار
اسرى فاصبح في بوائق اشره . ما زال يدني صفوة الاظفار
سام كقرن الشمس يقبس نوره . ويقعدون محله الابصار
يهب البلاد من البلاد وما حوت . ان السماحة للبحار بحار
يقظان يختشي الله في خلواته . لا مترف لاه ولا جبار
نصب المراقب للعواقب ناظرا . فيها كمن لم يقرب الاوزار
لا كالذين تعجلوا احسوانها . وتقلسوها بعد وهي خسار
درجوا وادرج في ملف رفاتهم . ستوى لتسالك كرها الآثار
والمرء من يطوى فينشر طيبه . ما اوفت عنه صدورها الاخبار
فلله لي ناموا على نا ما تحه . ما كل منبه بارح اعصار
لانا متوافي الله يطشريا بروسه ملك سريرم اسرار
صاق ا فداكه المعاد رتعاد ليه . ان خاق حكام الملوك
وجاروا .
اعلا ابوه له النجاد وشيد في . صهواتها مما ابتناه منار
محمود المحمود دانا رال ذا . نظمت على جيد الدجى الاقمار
دانت له الايام صاغرة كما . دانت له في ظله الامصار
وله من احزي . اولها .
ما الملك الا ما حواه بجاره

بقول

يقول فيها

وندين حسك بحكم ابيه ۰ والفضل ما شهدت به حسان

شمراذ اما الحروب زحيونها ۰ حل المعاقل كرّه وطراد

المرء الدهمي الشريعه جهله ۰ فادّلي ناصية الضلال جهان

صعق البرلنزو قد نلالابو قد ۰ واطارسا كن جاشه ادعان

ولي وقد سلت قسلت ضعته ۰ زبر بيبقي فود من قوان

مستقلها مستفسلا لاعلى ۰ رد المنى عنه ولا استعدان

وبجو سلين احنتهن فاصبحت ۰ نهبي لهن بلان وتلان

جاءت به تبعد الشما سرعوابس ۰ قود بلين لعنقهن قبان

وتصيد تحه لك السعو دوفلها ۰ بيني بحبه مزا رعت مصان

دانا له فيناه ادمم كلما ۰ غناه طار بشماته عوان

بسليت عزا زعزاه وبغور ۰ محجوبة فرتست له اقنان

وبنا لجا لديوم تلجيبها ۰ خلط الثرى بجبينه احلان

وعدا ببا بشر تلا بابتر قلبه ۰ باحرما حملت القلوب عدان

مننت اما به بشابرك التي ۰ عادت لهن ما تما اعيان

وحبوت ملكك من نظيم تغوره ۰ حلبا بنا به تحته اجبان

لا يحذءنك فانما اصلاح من ۰ يحيى نشتا طفا قدا فسان

انزله جنف قضت له غدرانه ۰ واحله طغيانه وعنان

في حيث لا باوي له سجانه ۰ حنقا وبلبسط جلده جلان

وتن هدمت بني الضلال مهدمه ۰ وغدت عبادك

عنوم عنان

فنكت به ايات من محمد ولدينه ابداوى وهوان
لو انشط البلاد الحرام تواهت تثنى عليه تلاعه ووهان
ولو ان منبرها اطاق تكلما نطقت بما من فضله اعوان
تم الخليفه واستطار لديه عن سعد نيه واستطير قان
رجعت لك الغزالقدم سيوفه ما زان رونق ماهيها اعمان
من بعد ما لقوا الصليب بحزبه ورايت زرع الملك حان
حصاد
الى نميله الحادثان دواقه بهبوبها ولبن العماد عماد
فصل قال ابن الاثير ولما سار نور الدين
الى قلاع جوسلين ملك بعضا وبقى بعضا فاجتمعت الفرنج
فاتفقوا مع نور الدين بدلوك فهزمهم واستولى على دلوك وغيرها
فقيها يقول احمد بن منير قصيدة منها
بى الخيل خير عتاد الكرام تحضرتهم احضارها
ضمنت فاردت افواهها وسرت فقلبت اظفارها
الام ولم تبلو مما عزوته فلوبا تكابد اذعارها
اما في مفصل اى الفراح ان تضع الحرب اوزارها
عسى ان يحم بهذي الحمام ان يلتو كرا وكارها
وما يوم من غلبه واحد فلتو دعها البيس اشعارها
وان المعا ولم مما قوله ولو شفع الغطر اكثارها
فكم اجلبت خلفه الجافات فصلصل فخزان فخارها
اعدت بعصرك هذا الانيق فتوح النبى واعصارها

دكان

وكان مهاجرها تابعيك • وتصار رأيك انصارها •
فجددت اسلام سلمانها • وعمر جدك عمارها •
وما يوم انب الا كملك بل طال بالنوع اشبارها •
واياماك الغر من بعدها • تعيد الى الطى اعمارها •
ولما نبيت ببصرى سماته بامنا خيلك ابصارها •
وبوم على الجون جون السراة عن فسعطتها عارها •
صدمت عزيمتها صدمة • اذابت مع الما احجارها •
وفي تل باشر باشرتهم • بزحف تسور اسوارها •
وان دلكتهم دلوك فقد • شددت فصدقت اخبارها
وشيب النواصر حتى طلعت عليها فولتك ادبارها •
مشاهد مشهورة منممة على صفحة الدهر اسطارها
بلاد الاعادي نرجيعها • وبسقف الشعر اسفارها •
ينبت لو نذر المنج كعبة • بحجر المعلوم اسنارها •
وملكت والارض معمورة قفاد تحدث اخبارها •
فما زلت نرجز حتى محوت رجاها وشعشعت
انوارها •
وصلت فاعوزت مسكينها • وصلت فادت للت جبارها •
وضعت حلامن علا احكمت • على عنق الدهر ازرارها •
قال ابو يعلى التميمي وفي رجب وردت الاخبار من ناحية
نور الدين بظفره بعسكر الافرنج النازلين بانه قريب
من تل باشر وعظيم النكاية فيهم والفتك بهم والمنال ت

الابدي من غنايمهم وسبيهم واستولى على حصن خالد الذي كان
مضايقه ومنازله قال وفي ايام من المحرم وصل جماعة
من حجاج العراق وخراسان الماخوذين في طريق الحج عند عودهم
جماعة من كفار العربان وحلوا مصيبة ما نزل مثلها باحد
من السنين الخاليه ولا يكون ابشع منها وذكر انه كان
في هذا الحج من وجوه خراسان وتناها وفقهايها وعلمايها وقضاتها
وخواتين امرا العساكر السلطانيه والحرم العدد الكثير
والاموال الجمه والامتعة الوافرة فاخذ جميع ذلك وقتل
الاكثر منهم الاقل وهتكت النسا وسلبن وهلك من هلك
بالجوع والعطش فضاقت الصدر وذهل الناظر فكسي
العاري منهم واطلق لهم ما استعانوا به على عودهم الى اوطانهم
من اصحاب المروة بدمشق وذلك لعدم المعز بن العلم قال
وكان مجاهد الدين بزان توجه الى حصنه صرخد لتفقد
احواله فوقعت بعده تغرم بين مجير الدين وبينه بسعايات
اصحاب الاغراض والفساد واقتضت الحال اسناد على مجاهد
الدين لاصلاح الحال فوصل وتم ذلك بوساطته على شرط
ابعاد الحاجب يوسف صاحب مجير الدين عن البلد مع اصحابه
وتوجهوا ولم يعرض لشي من اموالهم وقصد بعلبك فاكرمه
واليها قال وورد الاخبار من مصر بأن الخلف المستمر
بين وزيرها ابن مصال وبين الامير المظفر بن السلار
ووقوع الحرب وسفك الدما الى ان اسفرت الحال عن قتل

ابن

ابن مصال الوزير وانتصاب ابن السلار موضعه في الوزارة
قال وفي سابع عشر رجب توفي القاضي بهاء الدين عبد
الملك بن الفقيه عبد الوهاب الحنبلي وكان اماما فاضلا
مناظرا مستقلا مفتيا على مذهب الامامين احمد وابي حنيفة
بحكم ما كان عليه عند اقامته بخراسان لطلب العلم والتفقه
وكان يعرف اللسان الفارسي مع العربي وهو حسن الحديث
في الجد والهزل وكان له يوم مشهود ودفن في جوار ابيه
وجده في مقابر الشهداء قال وتوفي عقيبه وفاة
الشريف القاضي ابو الحسين فخر الدولة ابن ابي الجن وتفجع
الناس له لخيريته وشرف بيته ثم دخلت سنة
ست واربعين وفيها حاصر نور الدين دمشق لما صنكرم
اهلها الفرنج واستنصارهم بهم ومدحه ابن منير بقصيدة
يحرضه فيها عليهم وكتبها اليه من حماه وهو محاصر دمشق
وقد تخلف عن الخدمة لمرض عرض له منها

اخليفة الله الذي ضمنت له • قصد تق واصفه سراه المنبر
لا المستطيل بمصر ظل قصوره • والمستطال اليه شقه صرصر
يا نور دين الله وابن عمادها • والكوثر بن الكوثر بن الكوثر
صفو بحد السيف دار اشايبا • عقلوا حيا دك عن بنات الاصفر
هم شيد واصرخ الثغا وواوفدوا • نار الخشن بهم غداة المحشر
اذ كو ابجلو وجهها فاستشرفت • لتحلها بين الصفا والمشعر
شرد بهم من خلفهم مستنجدا • ما طار الكفار من لم يكفر

الا نعف بارسة الهدي نفسر الذي ٭ ادرع الضلال على اغر مشهر

قلدم ما اهدي على لمن حب ٭ فلقد نهكم في الجداع الحيبر

ما العشر بمزامه نصرا نه ٭ لم تحتتن كالعشر من متنصر

ادركت لنا بهدى العزايم لاجتمع ٭ ما غادر من سمة الملوك الغير

اتغاب ارا المعز وحقوق ٭ رايات العزيز وبقطة المستنصر

شمرفوقه مدت اليك رقابها ٭ لا يدركه الطايات غير مشمر

اولست من ملاء البسيطه عدلته ٭ واحيت بالمعروف انف المنكر ٭

حدب الاب البر الكبير وراقه ٭ الام الحفيه بالبتيم الاصغر

يا مصبة الاسلام من يعصم لها ٭ يومن ومن يتولها عنها يكفر

كانوا على صلب الصليب سرادقا ٭ ابيت بغيته فقل منه كر

اثارهم بحسراه اك المسجد ٭ فقضى فصدما دنسوه وطهر

جار الخليل ومن يحرم ما شم ٭ بها امك المتد مشوق المتمصر

بعم موم تلمت وعاوعه عرى ٭ اسماع جيحون وسيف البربر

نعر عن ملك الملوك منحل ٭ الا نوابك سعد السعود الاكبر

عن طاعن العرسان عن مكذب ٭ ومتمم الاحسان غير مكدر

بيد الجحافل والمحافل فارس ٭ الاسناد في غاب الوشيج الاسمر

ملك تساوي الناس في اوصافه ٭ عدد المقل وبان عجز المكثر

يا ايها الملك المنادي جوده ٭ في سائر الافاق هل من معسر

ان القصايد اصبحت ابكارها ٭ في ظل ملكك غاليات الامهر

ان كنت اجتبيت ابن حمدانها ٭ فانا الذي غيرت في وجه السري

ولانت

108.

ولا تنس الكرم من اناس تولهوا باسم ابن اوس واستخفوا ٭ البحتري

ذللت له دونك الرقاب ولا تزل ٭ ان تغز تغنم او تغالب تظفر

وكتب اليه ايضا من حماه

وهو محاصر دمشق قصيدة ينال فيها من صاحبها ٭

منها

منها

ابوك ابي لو كان للناس كلهم ٭ ابا ودوضوا اوطا النجوم لعندوا
وما ماخذ حتى سهمه مثله ٭ بك الله ترمي ما رماه فتفرد
صدمت ابن ذي اللغدين فانحل عقده ٭ وكان لسلك قد امسى
يحل ويعقد ٭
يقلب خلف السجف عينا سخينة ٭ ويبكي باخرى ذات شفر وسهد
ولا عز وقد ابقى اليوم وجده ٭ له ثوب عجز كل يوم يجدد
فيا راكبا اما عرضت فبلغن ٭ بيوتا على جيرون بالذل تعمد
وقل لمنير الدين وهو مجيره ٭ يزعم له وجه الحقيقة اربد
حملت الصليب باغيا ونبذته ٭ وثغراك موطوس بناب وادرد
وحاربت حزب الله والله ناصر ٭ لناصره ودين احمد احمد
تغرك جيشا والبلا موكل ٭ ولا بد من يوم به يتهود
واقسم ما ذاق اليهود بايليا ٭ وموضعها من بخت نصر اسود
كبعض الذي جرعته فشرطته ٭ وابدفيه من عماك الموسد
ولا بنه عز اليك موجه ٭ وتصحيفه قتل عليك موبد
رماك بيا فلا دمشق فلم تكن ٭ سوى بغلة حمقا بالحمق تحصد

وجالدت جلادا وانت مؤنثه تذكرت واجلاد ذا دبي واجلد
تطاولت لا تقصر تشمت واه ابت • وراك زحفا اما انت مقعد
امسعاة نور الدين تبغي ودونها • الا سنة تبر والعوامل تعضد
بمحمود المحمود سيفا وساعدا • حملت لقد باخت صما موئد
وهل يستوي سارنا سد طويا • ونشوان يعلى معصما ويزيد
تنصرت اما بالمحسن والدا • وعما فوق الكفر فيك مزند
تخذت بني العلو في اسرا واسرة • لكي يصلحوا ما في يديك فافسدوا
لعمري لنعم العبد انت بجيعه • المولى ونوليه مولانا فيحمد
الكم بني العلات عن متشاور • له الشام مرقا والعراق مرقد
وما مصر الا بعض امصاره التي • الى امره تسعى قمأ وتحفد
انيبوا اليه فهو ارحم فاذ رت له الصفح دين واقبلوا النصح ترشدوا
ولا تستشفوا نعت الموبد انه • عن الخير يروى او الى الشر يسند
وعودوا الى مولاكم والذي له • عليكم اياد وسمها ليس يجحد
ولا تكفروه انما انتم له • ومنه ويوم عند حوران يشهد
غداة على الحوران جول وللظبى • رعود وقد يمطر الموت مرعد
ولما اكفهر اليوم وارتد وجهه • وعوذ مرهون وقرم مد بد
وايقن من بني الاسد سروجاسم • بان الحرار الشهود بالجود تجرد
رددتم على بصرى وصرخد خيله • وقد البرت بصرى وداها وصرخد
وطاروا وانهز الموهفات طلابهم • كما انصاع من اسد نعام مشرد
وليله القى الشرك بالمرج بركه • وما زحزحرا ن الوغى يتوقد
رمى واخو معرب الشمر دونكم • بمشرقها عضبان يعدوا ويسند

فمن وردت ما الارنط معلمة * اثارت بثوري غلة ليس تبرد
ابا سيف شامته يد الملك صارما * فيهدا اذ يسري فيهد
دمشق دمشق انما القدس رحمه * ومركزها صح عليه محمود
حموها الكي يحموا وقد بلغ المدا * بهم اجل حتم وعمر محدد
متى انا رائي طاير الفتح صبه * رجاه برق في ارجائه ويرعد

وله من قصيدة اخرى

تدارك بها الغوطتين فقد ضمنت * دنوتها رعد ومقراها
اطلع لها الشمس من جبينك لم * تنج سواها في النوم جفناها
فالخيل صور الى سنا بهم سممتها * وملهى في بيعة لهباها
دولة من دانت البلاد له * وعمها ظله فاغناها
لا بسواها يليق بهجتها * ولا سواه تبغي دعاياها

قال ابو يعلى في العاشر من المحرم نزلت اوايل عسكر
نور الدين على ارض عذرا من عمل دمشق وما والاها وفي
الغد قصد فريق وافر منهم ناحية السهم والنيرب
وكمنوا عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرج منها اليهم
اسرع النذير اليهم بحذرهم وقد ظهر الكمين فانهزموا الى البلد
وفي الغد نزل نور الدين بعسكره على عيون فاسريا بين
عذرا ونومه وامتد والى تلك الجهات ونزلوا من الغد في ارض
حجيرا وراويه في الخلق الكثير والجم الغفير وايقنت ايدي

المفسدين من العسكر الدمشقي والاوباش من اهل العيث
والفساد في زروع الناس فحصدوها وفي الثمار فاتلفوها
بلا مانع ولا دافع وتحركت الاسعار وانقطعت السابلة ووقع
الناس في الحصاد ووافت رسل نور الدين الى ولاة امر البلد
يقول انا ما اوثر الا صلاح المسلمين وجهاد المشركين وخلاص
من في ايديهم من الاسارى فان ظهرتم معي في عسكر دمشق
وتعاضدنا على الجهاد فذلك المراد فلم يعد الجواب الله بما يرضاه
فنزل في ارض مسجد القدم وما والاه من الشرق والغرب وبلغ
منتهى الخيم الى المسجد الجديد قبلي البلد قلت هو الذي
يسمى في زماننا مقبرة المعتمد بين مسجد القدم ومسجد طوش
قال وهذا منزل ما نزله احد من مقدمي العساكر فيما سلف من
السنين واهمل الزحف الى البلد اشفاقا من قتل النفوس
ووصلت الاخبار باحتشاد الافرنج واجتماعهم للانجاد لاهل
لاهل دمشق فضاقت صدور اهل الصلاح وزاد انكارهم
لمثل هذه الاحوال المنكرة والمناوشات في كل يوم متصلة
من غير مزاحفة ولا محاربة فلم يزل ذلك الى ثالث عشر صفر
فرحل العسكر النوري من هذه المنزلة ونزل في اراضي
فذايا وحلفبلتين والخامسين المصاقبة للبلد وما عرف
في قديم الزمان من اقدم على الدنو منها ثم دخل في العشرين
من صفر الى ناحية داريا لتواصل الارجاف بقرب عسكر

الافرنج

الافرنج من البلد لقوة عزمه على لقايهم وصار العسكر
التوركي في عدد لا يحصى وفي كل يوم يتزايد بتواصل من
الجهات وطوايف التركمان ونور الدين مع هذه الحال لا ياذن
لاحد من عسكره في التسرع الى قتال احد من المسلمين وكانوا
يعني اهل البلد يحملهم الجهل والغرور على التسرع والظهور
ولا يعودون الا خاسرين مغلولين واقام على هذه الصورة
ثم رحل الى ناحية الاعوج لقرب عسكر الافرنج وعزمهم
على قصده واقتضى رايه الرحيل الى ناحية الزبداني
استجرارا لهم وافرز من عسكره فريقا نابيا من اربعة
الف فارس مع جماعة من المقدمين ليكونوا في اعمال حوران
مع العرب لقصد الفرنج ولقايهم وترقبا لوصولهم وخرج
العسكر الدمشقي اليهم واجتماعهم بهم ثم تقاطع عليهم
واتفقوا ان عسكر الفرنج رحل عقيب رحيله الى الاعوج
ونزل به في ثالث ربيع الاول ودخل منهم خلق كثير الى
البلد لقضا حوايجهم وخرج مجير الدين ومويد الدين في خواصهما
وجماعة وافرة من الرعية واجتمعا بملكهم وخواصه
وما صادفا عندهم شيا مما يجري في النفوس من كثرة ولا
قوة ونفر بينهم النزول بالعسكرين على حصن بصرى
لتملكه واستغلال اعماله ثم رحل عسكر الفرنج الى راس
الما ولم يتهيا خروج العسكر الدمشقي اليهم لعجزهم
واختلافهم وقصد من كان بحوران من العسكر النوري

ومن انضاف اليهم من العرب في خلق كثير ناحية الفرنج للايقاع
بهم والنكاية فيهم والتجا عسكر الفرنج الى اجاه حوران للاعتصام
بها ونمى الخبر الى نور الدين فرحل ونزل على عين الجر من البقاع عايدا
الى دمشق وطالبا قصد الفرنج والعسكر الدمشقي وكان الفرنج
حين اجتمعوا مع العسكر الدمشقي قد قصدوا بصرى لمضايقتها
ومحاربتها فلم يتهيا ذلك لهم وظهر اليهم سرخاك واليها في رجاله
وعادوا عنها خاسرين وانكفا عسكر الفرنج الى اعماله وراسلوا
مجير الدين ومويد الدين يلتمسون باقي القطيعة المبذوله لهم على
تنحية نور الدين عن دمشق وقالوا لولا نحن ما رحل عنكم
قال ابو يعلى وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاسطول
المصري الى ثغور الساحل في غاية من القوة وكثرة العدد والعدد
وذكر ان عدة مراكبه سبعون مركبا حربيه مشحنة بالرجال
ولم يخرج مثله في السنين الخاليه وقد انفق عليه فيما حكي تقرب
ثلثماية الف دينار وقرب من يافا من ثغور الافرنج فقتلوا واسروا
واحرقوا ما ظفروا به واستولوا على عدة وافرة من مراكب
الروم والفرنج ثم قصدوا ثغر عكا ففعلوا فيه مثل ذلك
وحصل في ايديهم عدة وافرة من المراكب الحربيه والافرنجيه
وقتلوا من حجاجهم وغيرهم خلقا عظيما وقصدوا ثغر صيدا
وبيروت وطرابلس وفعلوا في الكل مثل ذلك ووعد نور الدين
بمسيره الى ناحية الاسطول المذكور لاعانته على قصد وجه
الفرنجيه فاتفق اشتغاله بامر دمشق وعوده اليها لمضايقتها

وحدث

وحرّت نفسه لملكها لعلمه بضعفها وميل الاجناد والرعية
اليه واشارتهم لولايته وعدله وذكر ان نور الدين
امر بعرض عسكره فبلغ كمال ثلثين الف مقاتله ثم رحل ونزل
بالدهمية من عمل البقاع ثم نزل بارض كوكبا غربي داريا ثم
نزل بارض داريا الى جسر الخشب ونودي في البلد بخروج الا جناد
والاحداث اليه فلم يظهر منهم الا اليسير ممن كان يخرج اوله
ثم تقدم ونزل القطيعة وما ولاها ودنا منها بحيث قرب من
البلد ووقعت المناوشة بين الفريقين من غير زحف ولا شدة
في محاربة تحرجا من قتل المسلمين وقال لا حاجة الى قتل المسلمين
بايدي بعضهم بعضا وانا ارفههم ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة
المشركين وورد الخبر الى نور الدين بتسليم نايب الامير حسن
المنبجي مدينة تل باشر بالامان في الخامس والعشرين من ربيع الاول
وورد مع المبشر جماعة من اعيان تل باشر لتقرير الاحوال وترددت
المراسلات في عقد الصلح مع اهل دمشق على شروط واقتراحات
وتردد فيها الفقيه برهان الدين علي البلخي والامير اسد الدين
شيركوه واخوه نجم الدين ايوب وتقارب الامر في ذلك الى
ان استقرت الحال على قبول الشروط المقترحه ووقعت
الايمان من الجهتين على ذلك والرضا به في عاشر ربيع الاخر
ثم رحل نور الدين من الغوطة الى ناحية بصرى للنزول
عليها والتمس من دمشق ما تدعوا اليه الحاجة من الات

الحرب لان واليها سرخاك كان شاع عصيانه وخلافه ومال
الى الافرنج واعتضد بهم فانكر نور الدين ذلك عليه وانهض
اليه فريقا وافرا من عسكره فلـــــــ ولابن منير في نور
الدين يذكر وقعة الجولان وغيرها قصيدة اولها

ما برقت بيضك في غمامها ۞ الا وغيث الدين لابتسامها

يقول فيها

محمود المحمود جدًا وجدًا ۞ ان حصّ جلد الارض حلم عامها
ملك ازال الروم عن صلبانها ۞ د فاعمه وكبت من اصنامها
جال على الجولان امس جولة ۞ صعرت الادحى من نعامها
والجون قد جرعها الجون وفله ۞ مستحوذا من اعتزامها
وسنه في الغد له مثلها ۞ فود عبود القوط في سامها
وفي الدها صابت له سحابة ۞ صادو الحفاخف في انتظامها
ونبت في ماب له عواصف ۞ نجمها الهف من جهامها
وكم لاثا لاث في جيبها ۞ لثم ظبي لانت على لثامها
وقابع بر فضّ ختّ وقعها ۞ نظم الثريا في فضا مصامها
فساعد البيض اذا عدّدها ۞ سوط عذاب صبت في ايامها
واعجبا العصب لشركه التي ۞ ولم يعصب الرشد على احلامها
حكمه استوا وها في عتبها ۞ في نقض ما احصد من ابرامها
مظفر الرايات والراى اذا ۞ الحرب مشت تعثر في خطامها
عدمته به حد العلا متمم ۞ من النجوم او نواصي هامها

يقول فيها

جلت

جلت له الدنيا على زبرجها • عفوا فلم يلو على حطامها
رأته وهو الليث يدمي ظفره • انفذ في المشكل من حكامها
فتوجته العز في موتبة • تمنطق الجوزاء في نظامها
عصيان للاسلام لا يعتبط • استسلامها للنفس من
اسلامها
خط على مثال اي طاعت له • الافاق واستشرق الاعتنامها
فصرف الدنيا على ايثاره • عراقها مستترد فابشامها
لو لم تكن دون منى فات امنى • واقعد القايز من قوامها
وامتكت ما مكة ذو اضع • يقصر باع الدهر عن فطامها
وصار كالجحر الجماد وخلا • من امثله الاشرف من مقامها
حميتها لا زلت توفي في حمى • من مولم الاذى او لمامها
تلبس بيت الله وشيء عن • يقرا اياك من اعلامها
فانما الدين رحى فطليها • وبازله هلبت من زمامها
امت بنا الامال منك كعبة • سلم الليالي ابة استسلامها
واد شفعتنا بك نحن نغم الاه • نسال الله سوى دوامها

وقال الفاضل

بجدك اصحب الجد الحرون • واطلع نجم الفتح المبين
وفي تنفيذك سولمت الليالي • وفارق طبعه الزمن الخؤون
ومنك تعلم القطع المواضي • وقد زبنت لها الحرب الزبون
والنت السيف لم تنبس نار • ولا شحذت مضاربه العيون
تترقرق فوق صفحته الاماني • وتقطر من غراربه المنون

وقبلك ما سمعت بذي فخار ° يبين الفقر كان ولا يكون
ولا غيث سماوته سرور ° ولا ليث وسادته عرين
ولا قمر له الهيجا هالة ° ولا تاج له الدنيا جبين
جبلت ندى وعفوا وانتقاما ° وما كل مجبول وطين
وملك يعم الاقطار قطرا ° فامرعت الاواعث والحزون
فلا تحتج عن الليالي ° اذ الايام عند سواك جون
وانت اقمت للمجد منارا ° يبين لشانيه ولا يبين
وعندك مشرب للنعمى زلال ° اذا عيفت مشاربها الاجون
تحكم في عطاياك كل عاط ° وقد شيدت من المنع الحصون
لقد اشرقت دين الله عزا ° تغنيه له المشاعر والحجون
وقام بنصره والناس فوضى ° قوي منك في الحق امين
رجعت ملوكهم وبهم خشوع ° اسير في صفادك او رهين
فرنسيس البرنس لقاع خسف ° وجرع مر جوسك جوسلين
اذا ما الفعل غل يداه حذف ° بساح لمثلها او سكون
غزوا في غزوتهم فغنا ° الصدا في ارضهم خف القطين
وكم عبر الصليب بهم صليبا ° فردته قناك وفيه لين
وما خطرت بدار الشرك الا ° سوى الناقوس وارتفع الاذين
ملات عظام ساحهم عظاما ° وكل ملا التوك به حرين
بانت والقنا تجري نجيعا ° كان عيون اكعبها عيون
وبين حدا رمح جد بن جد ° له في كل جمجمة كمين
وحين من العزيمة في عراق ° له في جوفها الاقصى وجون

وكم حرم لحارم غادرته ٭ وداريه لمنفسها دفين

وفي شعر افورس صعق شواه ٭ تدار على عراريه اللحون

وقايع صرن في صنعا طيرا ٭ يوقعها على عدن عدون

فما كان اذا عدا انتسابا ٭ تراقا مصعدا والناس دون

سماه كان املاك ايرانا ٭ وقد فيسوا به وهو اليمين

قضا وقضاوم في الارض حتم ٭ وطاعة اهلها لبنيه دين

لهذا اليوم تسحب الغواني ٭ ويدخر لنفسه الدر المصون

ونحن احق منك بان نهنا ٭ اذا قرت برونتك العيون

سهلت لنا فانا كل صعب ٭ نوازنه بان تبقى يهون

تواسطنا بعقوتك التهاني ٭ وتغبطنا به وليك القرون

فصل في باقي حوادث هذه السنة قال ابو يعلى

ورد الخبر من ناحية ديار مصر بان اهل دمياط حدث فيهم فناء ما عهد مثله في حديث ولا قديم بحيث احصي المفقود منهم في سنة خمس واربعين سبعة الف شخص وفي سنة ست واربعين مثلهم فصار الجميع اربعة عشر الفا وخلت دور الكثير من اهلها وبقيت مغلقة لا ساكن فيها ولا طالب لها قال وفي ثاني جمادى الآخرة توفي القاضي السديد الخطيب ابو الحسين ابن ابي الحديد خطيب دمشق وكان خطيبا بليغا صينا عفيفا ولم يكن له من يقوم مقامه في منصبه سوى ابي الحسن الفضل ولده وهو حدث السن فنصب مكانه وخطب وصلى بالناس

واستمر الامر له ومضى فيه قال وورد الحكايات بحدوث زلزلة وافت الليلة الثالثة عشر من جمادى الاخرة اهتزت الارض لها ثلاث رجفات في اعمال بصرى وحوران وما والاها من ساير الجهات وهدمت عدة وافرة من حيطان امثال بصرى وغيرها ثم سكنت بقدرة من حركها سبحانه وتعالى

قال وفي ثالث عشر رجب توجه مجير الدين صاحب دمشق الى حلب في خواصه ووصل اليها ودخل على نور الدين صاحبها واكرمه وبالغ في الفعل الجميل في حقه وقرر معه تقريرات افرجها عليه بعد ان بذل له الطاعة وحسن النيابة عنه في دمشق ورجع الى دمشق مسرورا في سادس شعبان

قلت وفي ذلك يقول القيسراني

وقد لك الدنيا بمعادها ٭ ياذله اولاذا كبادها
واوقدت غير سلاطينها ٭ عليك في حضرة اجنادها
تبتغي منا قصدت فقدم ٭ طايعة طايع اجنادها
خاضعة تعتد اعمارها ٭ يوم التلاقي يوم ميلادها
شامة دمشق بك برق العلا ٭ فارسلت اسد وورادها
اتاك نور الدين نور الهدى ٭ قد اشرق الافق بايقادها
فيممت منك حيا مزنة ٭ بيض الايادي ورد ورادها
فاسال مجير الدين عن جرم اوردها ٭ محمود ابرادها
تبا ومن غيرها فتنة ٭ سمر القنا الطاب اوتادها

تنافس

تنافس الناس على دولة ۔ وتبها اعين حسادها

بعد والمعادي كالموالي لها ۔ فوالها ان شيت او عادها

يا ملكا تزهى باسمائه ۔ منابر تسموا باعوادها

وتاخذ الاسماع اوصافه ۔ عن جمع الدنيا واعبادها

كم للمعالي فيك من رغبة ۔ تغني الاماني دون تعدادها

لكن المساعي الغر با جامعا ۔ من طرفيها بين اضدادها

تغشى الوغى افرس فرسانها ۔ وفي التقى ازهد زهادها

فانت نسكا عنت ابدالها ۔ وانت فتكا ليث اسادها

في امة انت حمى دينها ۔ حينا وحينا شمس عبادها

يطوي بك العمر الى غاية ۔ حسبك تقوى الله من زادها

هذا وكم من سنة بدعة ۔ اعدمتها من بعد ايجادها

ما ضر لو عدمت دواليا ۔ تكفل النظم باسنادها

قال ابو يعلى وفي اخر شعبان اغار بعض التركمان
على ظاهر بانياس فخرج اليهم واليها من الافرنج في اصحابه
وظهر التركمان عليهم فقتلوا واسروا قال وفي رمضان
قصد بعض الفرنج ناحية من البقاع واغاروا فانهض
اليهم والي بعلبك رجاله فلحقوهم وقد ارسل الله عليهم
من الثلوج المتداركة ما ثبطهم فاستخلصوا منهم الغنيمة
قلت ووالي بعلبك هذا هو نجم الدين ايوب والد صلاح
الدين يوسف قال ابن ابي طي في سنة ست واربعين

اغار التركمان على بانياس فخرج اهل بانياس من الفرنج ليستنقذوا
ما اخذوه فعاد التركمان عليهم فكسروهم ونهبوهم واتصل ذلك
بصاحب دمشق فاغضبه فعل التركمان لمكان الهدنة المنعقدة
بينه وبين الفرنج فانفذ عسكرا الى التركمان استعاد منهم
ما اخذوه واتصل خبر التركمان بالفرنج فجيشوا وخرجوا
في جيش عظيم وشنوا الغارة على البقاع والناس غافلون
فامتلات ايديهم من الغنائم والاسارى واتصل خبر غارة
الفرنج بنجم الدين ايوب وهو في بعلبك وعنده جماعة من عسكر
دمشق واصحابه فتقدم عليهم ولده شمس الدولة فخرج واوقع
بالفرنج والغزاة كان قد اصاب الفرنج ثلج عظيم هلك به
اكثرهم وجا شمس الدولة وهم متورطون فقتل فيهم مقتلة
عظيمة وخلص من كان مع الفرنج من الاسارى قال
وفي هذه السنة فارق صلاح الدين والده وصار الى خدمة عمه
اسد الدين بحلب فقدمه بين يدي نور الدين فقبله واقطعه
اقطاعا حسنا قال ابو يعلى وفي ثاني شوال وهو الثالث
من شباط وافق قبيل الظهر زلزلة اهتزت لها الارض ثلث
هزات هايلة وتحركت الدور والجدران ثم سكنت قلت
وفي هذه السنة في غرة جمادى الاولى كتب احمد بن منير من حماه
الى نور الدين قصيدة يهنيه بوصول الخلع اليه من بغداد
من عند الخليفه على يد الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون

زلزله

وبصول

115.

وبصف الفرس الاصفر الاسود المعارف والقوايم والسيف الغربي . اولها

لعلاك التايبد والتامبل . ولملكك التأييد والتحبيل
ابدا لهم ويعتني فتنال ما . عن الورى ادراكه وتنيل
اما كتاب يستقل به الكتايب . او رسول للنجاح رسيل
لك من ابي سعد نعيم سعادة . قمن يغال فيك ليس يغيل
نعم الحسام جلوته وبلوته . يرضيك حين يصل ثم يصول
سهم تعوّد في الكنانة عودة . ويقصر المطلوب وهو طويل
سددته فمضى وقرطس صادرا . كالنجم لا وهل ولا تهليل
فثنى القلوب الى ولايك حوله . منه بما تحنى رضاك كفيل
واقام يلشرق العراق ودجلة . ايا تا وهل لمصر النيل
وكسالة من راي الخليفة جنة . لا النقص يومها ولا التقليل
كنت الشريف افضت في تشريفه . ما عليه من سالك دليل
اليوسف لما طلعت مفرطقا . طمشت حصانك واستحق ابيل
ام عن سليمان تفرج ضاحكا . سجف الرواق وضعضع الكنول
ومملك في السرج امملك سطته . بها يه عقل وتاه عقول
وبرزت في بلس الخلافة كالهلال . اجلاه في حلل الدجى التهليل
خلع خلعن على القلوب مسرة . سدكابها التعظيم والتبجيل
نشرت نضارا جامكا اعلامها . ودكادجري دقة وتسيل
لقضي لها ان لاعديل لفخرها . رب براكة فلا لك عديل
انت المهند منذ سلته العلا . لم تخل من مهج عليه تسيل

مذهب قايمة الامام نالتقي • عن رشد حزن ملكه وحجول
والبيت دولته فتهت بدولة • متكال بصعيدها الاكليل
ونصرته فخلاك البيض دونه • صرف الزمان اذا استكال كليل
فلذاته وكلاكما متلهذم • غضب فران المغمد المسلول
وحبا ركابك حين قربرحفه • واستحدي له الاخيل
باقبة اصفر مشرق الهادي له • التحجيل لون والتما تحجيل
قسم الدجى بين الغدائر والسنو • والقيام رونقه الاصيل اصيل
وتقاسم الداوقم خباك انه • جيزوم صرف عطفه جبريل
يختال في حبك الحلل مخيلا • ان السوابح للبيد وخيول
مرحا الدوايب كالعروس تبينه • طرف باطراف الرماح كحيل
يتصاعق البعراق تحت لبانه • ان سبت رقوا استحنس صهيل
لم يحب مثلك مثله مهد ولم • يسلك على برق سواه شليل

وانشد في هذه السنة ايضا

يمدحه قصيدة منها •

الدهرانت وداركه الدنيا • ومن في العد بعد مومل وحسود
وازمة الاقدار طوع يديك • والايام جندك والانام عبيد
فتق الوري وعقدت ناصية الهدى • بهمة مثل الشعرى فابن تريد
قالوا اباك فهل سليمان يري • في الدست مهد ملكه داود
جلا وسدت مصليا لا يرفع • المعدوم ما لم يشفع الموجود
لم تكترم جدك ولا ابيك • ان النيابة في الخليفة خلود
نتيجة منا ركن في البقاع وانما • من لم يسد قادته كيف يسود

وسبت

وبنيت للاسلام وهو مطوّح • فاءت امضاب ورف بجود •
وقنات حمرة صافية تصيلم • بضع الاجنة يومها المشهود •
خطمتهم فوق الخطيم لسوار فحى • تنشر الارض لوا رمن برود •
ورموا على الجولان منك بجولة • بونيه بها اسر الضلال وتيد •
فكأ عظامهم بعرقه عارق • ما زلت بحض جوه فيجود •
وتسللت بالروج السروج وفوقها • زرع لحصد الرماح حصيد •
وعلى عدا زعموا وثل عروشهم • ملك مقيد من عصاه مقيد •
وسل باشر باشروك فعاقبوا • بعث الاساود حشوهن أسود •
اودي كما ودي بها دغتها • وعتوا كما استغوى الفصيل ثمود •
ان المواعظ فانك صالح • او المواعد زافانك هود •
وزرعتهم فبكل مهبط قلعة • جذبة من وازع احدود •
وعصيتهم بعصا به الملا شتى • والاخر البساله عود •
اثارها محموده واثارها • مشهوره وشعارها محمود •
لبست من اسمك في الكريهة ميسما • يبلى جديد الدهر وهو •
• جديد •
وقصرت الاجال الطوال باعها • بوغ بسامي هامها وقدود •
مطروقة الشبهات مذ مرعتها • تاه الهدى وتبجح •
• التوحيد •
انشرعتها فعلى شريعة احمد • مما جنته بوارق ورعود •
ولكم نثرت نظيمها في موقف • لغربه صالحرة المتوبه •
بحلو سناك ظلامه وحل ما • عقدت قناه لواؤك المعقود

في مهو دجم السما رواقها ٭ والارض ترجف تحته وتميد
ضربت مخيمه فكان كانها ٭ او تاده القطوي وانت عمود
في كل يوم من فتوحك صاح ٭ مزج الغنا وطاير غريد
تهدي لغانه كاسه فرغانه ٭ وتشيع زبد ماشداه زبيد
فنوان سبقك للاجالس مجلس ٭ ومنا رنغوك للصعيد صعيد
لا تعد من هذا المقلد امه ٭ ملقى اليه لرعيها الاقليد
الورد فيه والمسارح رحبة ٭ والرفد مدد والظلال مديد
والعيش ابلج مشرق الغسما ٭ والاسحار غر والاصايل غيد
والملك ممدود الرواق منور الافاق ٭ وضا المنى محسود
في دولة مذهبة تنشر ببيعها ٭ نشر الدفات واثم الجلمود
محمودة الاثار محمود به ٭ دنه كل المواسم عندها تعييد

قال يمدحه بليلة الميلاد
ويصف النار التي في الجبل من قلعة
حلب قصيدة ٭ منها

ميت زوري ذراك صومك ٭ والميلاد جا والسعد في نسق
فذاك خلت فيه كل يد ٭ وذاك اخملت منه كل شقي
وجه كصدر الحسام تصحبه العين ٭ ويبقي القلب من فرق
ومقلة تشوقها بيقظتها ٭ سوق حسادها الى الارق
ومن تغي تعجب السما له ٭ اذا استطالت اليه كيف رقي
توجت شهبا ها مشرقة ٭ مشرقة شهبها على الافق
جو تها وبه منه كواكبه ٭ طرف طرف رجوم مسترق

فوارس تنذر ملك الفوارس انه نها قنت من اشاقها الرشق ٭
من راكض في الهوا من الفنخ ٭ ومجتر من تحته البلق ٭
شا وامن الخضر لونحا وله ٭ الخضر لزلت عن موطئ زلق ٭
يقوله من دينه الفروسة ما ٭ لا فاته الا ضرب من الالق ٭
بدايع تونبط الشما بها ٭ الارض ونحكي الاشفاق في الشفق ٭
في دولة جمعت ابالها من ٭ بعد الحسن كل مفترق ٭
نحز اطواقها على ملك ٭ مكتفل رزق كل مرتزق ٭
محمود اسما ومبسما وندا ٭ واعتصب الذم كل مرتفق ٭
طبق طوقا نه فلست ترى ٭ ~~مكتفل رزق كل مرتزق~~
الا مفتنا مشفق على غرق ٭
يا بحر لا خلق يدعي شبها ٭ فات المدى ما حويت من خلق ٭
ملكك منذ الذي ملاه ٭ صباه بحري والدهر في طلق ٭

امو ص

واعتصب

ثم دخلت سنة سبع واربعين قال ابو يعلى وورد الخبر في المحرم بنزول نور الدين على حصن انطرسوس في عسكره وافتتاحه له وقتل من كان فيه من الفرنج وطلب الباقون الامان على النفوس فاجيبوا الى ذلك ورتب فيه الحفظة وعاد عنه وملك عدة من الحصون بالسبي والسيف والاخراب والاحراق والامان قال وورد الخبر بظفر رجال عسقلان بالفرنج المجاورين لهم بغزة بحيث هلك منهم العدد الكثير وانهزم الباقون قلت وقرات في ديوان ابن منير قال ويمدح نور الدين ويهنيه

منها ۞ قصيدة فذكر عنها وعون وجمور ونس انطرسوس بفتح
ابدا اتيناشر وجه غزوك ضاحكا ۞ وتوقد منه موبدًا امنطورا
مدنى لك الامد البعيد سوابهم محجوب اهلها وكن بدورا
مثل السهام لو ابتغي ذوا ريح ۞ في الجو مطلبًا الكن طيورا
نبذت علائقها بحمص واغلقت ۞ سحرًا المعرق عرقد الاظفورا
وغدون صافية الآج شوارها ۞ قد اتلعت عنقا اليك مشيرا
القلب انت فان تغامى عن هدى ۞ عضو اهاب به فؤاد بصيرا
عرفوا مكانك والظهيرة بينهم ۞ تعري بياض ادمها دجورا
ابن الذبال من الغزالة اشرقت ۞ وجها وطبقت البسيطة نورا
غضبا ان اقسم لايبتسم حسامه ۞ والارض تحمل في الكفور كفورا
غسل العواصم امس من ادرانهم ۞ واليوم درب السواحل بورا
لم يبق بين الحولتين والسيد ۞ وتر المصطفى والا موتورا
نشروا به فعهود نهم وعهادهم ۞ تمحى تحت لوائه منشورا

والنثل حلب في هلال السنه

قصيدة ۞ اولها

المجد ما ادرعت ثراك مضاربه ۞ وتتغشاك شعوبه وشعابه
ملك تكنف دين احمد كنفه ۞ فاضا نيرة وصاب شهابه
فالعدل حيث تصرفت احكامه ۞ والامن حيث تصرمت اسرابه
متهلل والموت في بزاته ۞ برجي ويرهب جوده وعقابه
عقد اللواء وسار يقدمه وما ۞ حلت عقود تميمها اترابه
اسد فرايسه الفوارس والظبي اظفاره والسمهرية غابه

طبع الحديد فكان منه جنانه • وسنانه واهابه وثيابه

ومهشران تيت الوجوم كانما • اعداوهم تحت الوغى احبابه

نشرت بمحمود شريعة احمد • واري الصحابة ما احتذاه صحابه

ما غاب اصلع هاشم فيها ولا • الفاروق انا لخطبه خطابه

لبنا قبله فايون بنصره • ان احليت من فاسط احزابه

صبحوا لحلقة البرنس بحالق • حرش الضباب من القلوب ضبابه

ما زال يغلب من بغاه ضلاله • حتى اتيح من الهدى غلابه

ملغ بوحش الاصرمين تزيلت • ارابه وتزايلت الانبه

دون الاريط سحت نجداته • ونجا ن وقرابه وقرابه

سلبته درع تاجه بد ضيغم • لم تنجه من باسه اسلابه

واتته تجلبه جوسلين جنايث • مبت فعلا الى القتال صحابه

اسرته لا منعت سراه وعزه • بالقاع ان رام الورود سرابه

تمشي فيسحبه فعاقم قيده • منجا يبقي دما له انسرابه

لا تك ناسرم ولا كيسوند • صدت منا عنه ولا اعتابه

ضمنت سقاونه سعادة صالح • عطل على اعناقه اعتابه

ما زال يغدر ثم يعدر فاذراه • حتى اتاه نجاح اصحابه

قصر الاماني ان يملا عمرك • الاسلام مصروبا عليك حجابه

يجري بحر الى الغنايم قبسة • وحمى بيرار على الفتوح قباحه

والنشيد بحلب ايضا في شوال من هذه السنة فضيلة

لقد اوطات دين الله عزا • ادبهم الشعر قلبن له رغام

دعاك وقد نبا وشت الرزايا • له اما بابو زعها العزام

فقمت بنصره والناس فوضى ❊ فيام ثم ما افترقت فئام

جذبت بضبعه من قعر نيق ❊ له من فوق مقسمه النظام

ولو لم يعترق ويشم امسى ❊ ويصبح لا عراق ولا شام

صببت على الصليب صليب باس ❊ قواه تحت كلكله حطام

وملت على معاقلهم بخرقه ❊ ولاء مثل ما انتقض النظام

بمرجد والحطيم وفي عزاز ❊ وقايع هز مشهدها الانام

ويوم بالعريمة كان خنقا ❊ على الاشراك اعرم العرام

لقوك كان ما سلبوه شيح ❊ وما اعتقلوه من خور ثمام

وهاب وقورس وبكفرلاثا ❊ دممت وانت للجلى دمام

صدمتهم بارعن من جنن ❊ كان مطار السهم غمام

واية ليلة لم تلف فيها ❊ لهم طيفا يروع به منام

فنور الدين اشرك عدله ❊ تعوث في الترك منه الزمام

دعا داكو تعدها لا حياته ❊ حمى من ان يراع له سوام

تالق عدله ونكت سطاه ❊ فلا حيف نخاف ولا انتضام

بقاوك خير ما يرجوه راج ❊ وانفع ما يبل به اوام

قلت وفي هذه السنة ولد بحمص لنور الدين ابن سماه احمد وهناه به ابن منير في بعض قصائده ثم توفي بدمشق ودفن خلف قبر معاوية رضي الله عنه داخل الحظيرة في مقابر الباب الصغير وقصيدة ابن منير تقدم بعضها في اول الكتاب ومنها في ذكر المولود

ثوالث الاعياد لا زالت لها ❊ تبلي دبابيج البقا وتجده

الوطو

الفطر والميلاد والمولود لو فاته بدر التمام لسجد *
ثلثة يعرب عن تثليثه * لمثلها يدخر حمدا من حمد *
فتح مبين وطلاب مدرك * ودولة ما تنتهي الى امد *

وله

وجيت باحمد فألا حمدا * موارد كان معدها عذابا *
تهلل وجه ملكك يوم ابدت * قوابله لك الملك العبابا *
شبيهك لا يغادر منك شيا * سنا وحيا وبذلا واستلابا *
فتمم احمد الا ان حرفا * من اسمك زاد للمعنى مثابا *
الا انه يوم قر عينه * وركب نصره للبشرى الركابا *

قال الرئيس ابو يعلى وفي اواخر صفر توجه مجير الدين
في العسكر ومعه موید الدين الوزير الى ناحية حصن بصرى
ونزل عليه محاصرا لسرخاك واليه لمخالفته وجوره واراد
مجير الدين المصير الى حصن صرخد لمشاهدته فاستاذن
مجاهد الدين واليه في ذلك فقال له هذا المكان بحكمك وانا
فيه وال من قبلك وانفذ الي ولده سيف الدين محمد النايب
فيه باعداد ما يحتاج اليه وتلقي مجير الدين بما يجب له فالتقى
مجير الدين بما يجب له فخرج اليه اصحابه ومعه المفاتيح واخلا
الحصن من الرجال ودخل اليه في خواصه وسر بذلك وتعجب
من فعل مجاهد الدين وشكره على ذلك وعاد الى مخيمه
على بصرى وحاربها عدة ايام الى ان استقر الصلح والدخول
فيما اراد وعاد الى دمشق قال وفي شوال توفي الامير

سعد الدولة ابو عبد الله محمد بن الحسن بن الملحي ودفن
في مقابر الكهف وكان فيه ادب وافر وكتابه حسنة ونظم
جيد وتقدم والدي في حلب في التدبير والسياسة وعرض
الاجناد قال ابن الاثير وفيها توفي السلطان
مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وعهد الى ابن اخيه ملك
شاه ابن السلطان محمود بن محمد وخطب له ببلاد الجبل
وكان الغالب على البلاد والعساكر ايام السلطان مسعود
خاص بك ابن بلنكري فقام بامر ملكشاه ولم يمهله غير قليل
حتى قبض عليه وكتب الى اخيه الملك محمد بن محمود وهو بخوزستان
يستدعيه اليه ليخطب له بالسلطنة وكان غرض خاص بك
ان يقبض عليه ايضا فيخلوا وجهه من منازع من السلجقيه
وحينئذ يطلب السلطنة لنفسه فلما كاتب محمدا اجابه
الى الحضور عنده وسار اليه وهو بهمذان واجتمع به وخدمه
خاص بك خدمة عظيمة فلما كان الغد دخل اليه
خاص بك فقتله محمد والقا راسه الى اصحابه فتفرقوا والتقى
محمد وتثبت قدمه واستولى على بلاد الجبل جميعها وكان
قتل خاص بك سنة ثمان واربعين وبقي مطروحا حتى
اكلته الكلاب وكان ابتدا حاله انه كان من اولاد بعض
التركمان فخدم السلطان ومال اليه وقدمه حتى فاق
ساير الامرا واستولى على اكثر البلاد وهو كان السبب
في اكثر الحوادث الشاغلة للسلطان مسعود فان الامرا

حيلة انقلبت على صاحبها

الاكابر

120

الاكابر كالنوايا نفوس من اتباعه لما كان يقابلهم به من
الهوان والاحتشام عليهم ثم دخلت سنة ثمان
واربعين فيها اخذت الفرنج خذلهم الله عسقلان وبقيت
في ايديهم الى ان فتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله
سنة ثلث وثمانين كما سياتي ان شا الله تعالى قال
الوليد ابو يعلى التميمي وتواصلت الاخبار من ناحية نور
الدين بقوة عزمه على جمع العساكر والتركمان من ساير
الاعمال والبلدان للغزو في احزاب الشرك والطغيان
ولنصرة اهل عسقلان على الافرنج النازلين عليها وقد
ضايقوها بالزحف اليها بالبرج المخذول وهم في الجمع الكثير
واقتضت الحال توجه مجير الدين صاحب دمشق الى نور
الدين في جمهور عسكره للتعاضد على الجهاد في ثالث
عشر المحرم واجتمع معه في ناحية الشمال وقد ملك نور
الدين الحصن المعروف بافليس بالسيف وهو في غاية
المنعة والحصانة وقتل من كان فيه من الافرنج
والارمن وحصل للعسكر من المال والامتعة الشي الكثير
ونهضوا طالبين ثغر بانياس ونزلوا عليه في اخر صفر
وقد خلا من حماته وتسهلت اسباب ملكته وقد تواصلت استغاثة
اهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين وقضى الله تعالى بالخلف
بينهم في القتال وهم في تقدير عشرة الف فارس وراجل فاجفلوا
عنها من غير طارق من الافرنج طرقهم ولا عسكر دهمهم فنزلوا

على المنزل المعروف بالاعوج وعزموا على معاودة النزول على بانياس واخذها ثم احجموا عن ذلك من غير سبب ولا موجب وتفرقوا وعاد مجير الدين الى دمشق ودخلها سالما في نفسه وجملته حادي عشر ربيع الاول وعاد نور الدين الى حمص وتركها في عسكره ووردت الاخبار بوصول الاصطول المصري الى عسقلان فقويت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال وظفروا بالعدو واسروا من مراكب العدو في البحر وهم على حالهم في محاصرتها ومضايقتها والزحف بالبرج اليها واستمر ذلك الى ان تيسرت لهم اسباب الهجوم عليها من بعض جوانب سورها فهدموه وهجموا البلد وقتل من الفريقين الخلق الكثير والجات الضرورة والغلبة الى طلب الامان فاجيبوا اليه وخرج من امكنه الخروج في البر والبحر الى ناحية مصر وغيرها وقيل ان في هذا الثغر المفتتح من العدد الحربية والاموال والسلاح والغلات ما لا يحصى فيذكر ولما شاع هذا الخبر في الاقطار شنع سماعه وضاقت الصدور وتضاعفت الافكار بحدوث مثله فسبحان من لا يرد ما قد قضاه ولا يدفع محتوم امره عند نفوذه ومضائه فاما وعرض بين الرئيس ابن الصوفي وبين اخويه عز الدولة وزينها مشاحنات ومشاجرات اقتضت المساعاة الى مجير الدين في جمادى الاولى فانفذ مجير الدين الى الرئيس يستدعيه للاصلاح بينهم في القلعة فامتنع من ذلك وجلس في داره وهم بالتحصن عنه باحداث البلد والغوغاء والرجال

ابى

الى تمكن زين الدين منه بمعاونه مجير الدين عليه وتقرر بينهما
اخراج الرئيس من البلد وجماعة الى حصن صرخد مع مجاهد
الدين بزان واليه بعد ان قرر له بقاء داره وبستانه وما
يخصه ويخص اصحابه وتقلد اخوه زين الدوله مكانه وامر
ونهى ونفذ الاشغال على عادته في العجز والتقصير وسوء
الافعال والتماس الرشا على اقل الاعمال وراى مجير الدين
عقيب ذلك التوصل الى بعلبك لتطييب نفس واليها عطا
الخادم واستصحابه معه الى دمشق لينوب عنه في تدبير
الامور وعاد وهو معه واستشعر مجاهد الدين بزان
ان ابنه مجير الدين قد تغير فيه فاستوحش من عوده الى البلد
بغير يمين يحلف له بها على امانه على نفسه فوعد بالاجابة
وعاد الى داره بدمشق ثم هجس في خاطره من مجير الدين واصحا
ما اوحشه منهم فدعاه ذلك الى الخروج من البلد سرا طالبا
صرخد مجتنبا عن قصد فجد الامر في طلبه وقص اثره فادركه وقد
قرب من صرخد فقبض عليه واعيد الى القلعه بدمشق واعتقل
بها اعتقالا جميلا ثم تجدد من الرئيس الوزير حيدره المقدم
ذكره اسباب ظهرت عنه مما في نفس الملك مجير الدين منه ومن
اخيه المسيب من العسف بالسعي والفساد ما اقتضت الحال
استدعاه الى القلعة على حين غفله من القضا النازل به لسوء
افعاله وقبح ظلمه وخبثه ثم عدل به اجنادا به الى الحمام بالقلعه
مستهل ذي القعده وضربت عنقه صبرا واخرج راسه ونصب

وزير

على حافة الخندق ثم طيف به والناس يلعنونه ويصفون انواع
ظلمه وتعنته في الفساد ومقاسمة اللصوص وقطاع الطريق
على اموال الناس المستباحه بتقديره وتدبيره وحمايته وكسر
السرور بمصرعه وابتهج بالراحه منه ثم زحفت العامه والغوغا
ومن كان من اعوانه على الفساد من اهل العيث الى منازله
وخزاينه ومخازن غلته واثاثه وذخايره فانتهبوا
منها ما لا يحصى وغلبوا اعوان السلطان والجند عليها
بالكثره فلم يحصل للسلطان من ذلك الا النزر اليسير ورد
امر الرياسه والنظر في البلد الى الرييس رضي الدين ابي غالب
عبد المنعم بن محمد بن اسد بن علي التميمي في اليوم المقدم
ذكره فطاف في البلد مع اقاربه واهله وسكنت الدهما
ويولغ في اخراب منازل الظالم وفعل احسابه قال
وكان عطا الخادم قد استبد بتدبير الامور ومد يده
في الظلم واطلق لسانه بالهجر وافرط في الاحتجاب وقصر
في قضا الاشغال فتقدم مجير الدين باعتقاله وتقييده والاستيلا
على ما في داره ومطالبته بتسليم تعليقه وما فيها من مال
وغلال ثم ضربت عنقه ونهبت العوام والغوغا بيوت
اسبابه واصحابه قال وورد الخبر من ناحية مصر
بان العادل المعروف بابن السلار الذي كانت رتبته قد
علت ومنزلته في الوزاره قد تمكنت كان له زوجه ولد
يعرف بالامير عباس قد قدمه واعتمد عليه في الاعمال

والعباس

ولعباس هذا ولد فقدمه الوزير وانعم عليه واذن له
في الدخول بغير اذن ابيه فدخل عليه وهو نايم في فرشه
فقطع راسه وحصل عباس في منصب العادل ثم كان من امره
ما سياتي ذكره قلت هو ابو الحسن علي السلار وزير
خليفة مصر وهو الذي بنى مدرسة الشافعيه بالاسكندريه
للحافظ ابي طاهر السلفي رحمه الله وكان قتله في سادس المحرم
بمواطاه من الخليفه الملقب بالظافر بن الحافظ قال وفيها
في اخر شعبان توفي الفقيه برهان الدين ابو الحسن علي البلخي
رئيس الحنفيه ودفن في مقابر باب الصغير المجاوره لقبور الشهدا
وكان من التفقه على مذهبه ما هو مشهور شايع مع الورع
والدين والعفاف والتصون وحفظ ناموس العلم والتواضع
والتودد الى الناس على طريقه مرضيه وسجيه محموده قال
وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الاديب ابو الحسين احمد
ابن منير الشاعر في جمادى الاخره ووصل في ثاني عشر
شعبان الى دمشق الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن نصر
ابن صغير القيسراني من حلب باستدعا مجير الدين له ومات
بعد عشرة ايام في الثاني والعشرين من شعبان قلت
هما شاعرا الشام في وقتهما وقد شبههما العماد الكاتب في
كتاب الخريده بالفرزدق وجرير وكذلك كان اتفق موتهما
في سنه واحده مات جرير بعد الفرزدق بقليل وقد سبق
من شعرهما في مدح نور الدين رحمه الله قصايد حسنه

وسيأتي غير ذلك في موضعه لغرض سنذكره • قال ابن منير من قصيدة له • • اولها •

أيا سيفاً أعز الدين منه الغرار • الغضب والنوم الغرار
ملأت جوانح الأقطار رجفاً • كأن الأرض خامرها دوار
علا لك حلا على الدنيا فتاح • تطوقها وفي يدها سوار
أضاءت شمس عدلك في دجاها • فكل زمان ساكنها نهار
تحرق من عصاك وأنت ماء • وتغرق من رجاك وأنت نار
ألا لله وجهك والمنايا • مكالحة وللبيض افترار
بنكت حجابه والنصر غيب • وللهبوات طي وانتشار
بطعن للقلوب به انتظام • وضرب للرؤوس به انتثار
تبادره كأن الموت غنم • وما من عاره ابد وابدار
أنخت على الصليب مطا صليبا • به من صك مبرمه ادكار
بمشرفة المناكب مقربات • لهن بكل وغى حصار
جنين بانب انب العواصي • واشر وللقنا منها ثمار
وفي هاب نبت بها فجات • كما اجلى من الكثم الصوار
وكم في فج حارم من حريم • عفته فلا جدير ولا جدار
وانطاكيه استغنت اليها • فاجفل حيطها وله غرار
وصبح في عزاز بها عزاز • فامسى وهو عنت او جبار
تستوفها دجى الغراف عسفا • جواد لا يشق له غبار

وله مراخي

وله من اخرى

وما يوم الفرنجة منك فذ • فيحصر عده خطط الحساب
اجاش الارتغا لهم خميسا • بعيد الغور ملتطم العباب
ولعكم بالخطيم لهم خطاما • امرّ بزمه مرّ الصراب
مشوا متشاوذين الى طبيب • ترفع هبوه الصم الصلاب
تلقهم المنايا في الثنايا • وتفجاهم شعوب من الشعاب
املست راس كبشهم نباه • فكنت ذباب طايشه الذباب
حللت التاج عنه وحل تاجا • مكان العقد من عقد الكعاب
اناف على العقاب فكان راسي • واربى منه في ظل العقاب
فاشرق وهو عن شرق معوق • واصعد وهي غاية الانضباب
فكان شرم الشوامت وهو مغض • ثناه مناه عن رجع الجواب
بعيدا من نزاع واعتراع • يؤوب له الى يوم الماب
وكم سوط بحبلك اعتلوه • الصدور فكان سوطا من عذاب
تركتهم بارض الشام شاما • لطير تنقبه او لئاب
منكت حجابه والشمس وسنى • بشمس لا توارى بالحجاب
بابيض من حبيك الهند صاف • مصون المتن مبتذل الذباب
له سمه الشيوخ صفا مشيبه • وفي خطراته نزق الشباب
الا يا ناظر الدنيا بعين • اراته علانها خدع السراب
تنطنها فطلقها ثلاثا • على عز التملق والخلاب
فلا ياوي الى راي شعاع • ولا يثنى الى امل خراب
ترفع عن مجاورة الاماني • وجلوا عن مخاضرة التصابي
صلاة الله كل ذرور شمس • على مثوى ابيك من التراب

الانصباب

فقد البغي الى الاسلام عضبا • يطبق في الذوائب غير نابي
تجيش له رواسي كالرواسي • تمد له جفان كالجوابي

وله من اخرى

منطقة العزم ممدود الرواق • على معالم الدين يوفيها ويبنيها
رد الكنائس كنسا للهدى وخبت • نار الضلال وواديها اثافيها
واورد العلم عذبا من اياديه • فاستقى واوثر عبا في صوافيها
وبث للشرك اسرا كاغماد رجيد • طريقة منه الا استوثقت فيها
بايد ومد اشرقت في الدست غرته • غيث الرعية واحصلت مراعيها
اقام احمد من محمود دها علما • به استقام على البيضا ساديها
محيي شريعته من بعد ما درست • واستعجمت بعد افصاح معانيها
شنامت مواهبه فيها مهابته • حتى استقرت على سمت سواديها

وله من اخرى

عزت سيوفك فالعراق عراقها • والشام غير مدافعات شامها
ان اغمدت حل العزايم حليها • او جردت حرم الكرى احرامها
شجيت عداك بها فلا اشرافها • بمفارقة منها ولا اعتامها
سرت فصحتها بغفلاتها • هداتي فمسستها بها احلامها
كالماء الا ان في رشفاته • نارا حشاشات النفوس ضرامها
خفقت على ايمانكم اوزانها • يوم الوغى واستقلها هامها
حتى احلت الشام شاما صرت • فيه جنادبها وصدح هامها
وحضرت ادران الجزيرة بعدما • غمرت بها ومدائها واكامها
شطر البرت ومثله انظرته • وقع الخطوب تكرها ايامها

ما شمت

بالخاطبات

بالخابطات الغاب نزا راسه ● والجحفل الجي اللقاح صيامها
اوردتها اجمات انطاكيه ● عنقا وقد شبت الصدا اجامها
تلقى المشاقر في مراسقها ● بردت بها الاكباد ذا دهيامها
فغدت وقد عز السراح سراحها ● وتوزعت في كنسها ارامها
ومشى الضلال القهقرى واستاصل ● الاذان من رجع الاذان صلامها
وغدا الخليل الخليل سواجبا ● عذبا يمر لها العذاب غمامها
غضبا لدين الله خص جناحه ● بغيا وادمى صفحته لدامها
فالان رد النور فيه نوره ● وانجاب من تلك البتان ظلامها
محمود المحمود اقدامنا اذا ● خام الكماه وزلزلت اقدامها
الفاتح الكرب العظام نفتحت ● اشداقها وفرا القلوب ضغامها

ولـه من اخرى

اما الرعايا فانها رشفت ● لديك نعمى عدنا تنابا ها
سلكت نهج العدل القديم بها ● فاحمدت دينها ودنياها
ذكرا مسيت خوفا فامنتها ● مثالف الخوف خوفا الله
لله اقطارك التي فطرت لها ● لها مناها الى منايا ها
اثبت في ابن فوارسها ● تردى فردى اوائلها اخرا ها
اشجت لهاة البرنس هبوتها ● وكم عشا عانيا فاشجاها
وجو سلين استشاع نطقتها ● فاختلب لذلك تحت مغدا ها
ردته صفرا من كل ما ملكت ● يداه ايدما صال مسراها
جوسلين جاسيتك اوجه لارات ● بوسنا وجاد الجنا محياها
في سرية لو تكون فارسها ● يوميذ ما انبعثت اشقاها

لا زال ظل النعمى عن ملك … ما الشمس كفوا له اذا باها

والله جازيه عن معدلة … اعزها الله مذ تولاها

محمود المعتلي الى فلك … احمد ونير اله ولا باها

اعطاكه جدك المتوج بالجد … ونفس لله معزاها

نفس عزوف عن الخنا طبعت … نزهها الله يوم سواها

انت الذي سلم الانام له … بمبني طباق العلى وبسراها

وانت مولى الملوك فاطبنه … من كان فنا خسرو وشهنشاها

والشعر هذا الا قول احمد … اوه بدله من قولي اواها

ولد من اخرى

يا ابن الذي لم يزل في نصر … الاسلام ادلاجا وتهجيرا

تكنف الشام وقد شام برق الخوف انجادا وتغويرا

فكف كلب الروم من بعد ان … اشبه نابا واظفارا

فاهله دونك ان انصفوا … رقا بحد السيف مسطورا

بدر هوى وانخلف الشمس في … دستك اشراقا وتاثيرا

وله من اخرى

ملك كسى الاسلام من ذمته … بردا ايثبته يحي الظبا معلما

من اصبح الشام به شامة … يقطر من قتل عداه دما

لولم يعم منصلنا دونه … لم تلق في اقطارها مسلما

وقال يمدحه بعد مصالحه

صاحب حماه

واهتمامه بالعسر وعوده الى حلب

الدهر ما رضته بالجود والباس ۞ مقسم بين اغراس واعراس
فتح يعاقبه فتح ومطلب ۞ دانى المنال وملك ثابت راسى
نصر ببصرى وصفحا عن حماه لقد ۞ احسنت لله احسانا الى الناس
يا بن الذى عقب الدنيا الدولته ۞ من فاطمى اعزته وعباسى

وله فيه

عز الدين باسمك سامى العلم ۞ امين العماد مكين القدم
لذلك لقيت دينا له ۞ وقد اعطش الظلم فيه الظلم
اضاء بعدلك آفاقه ۞ وفضت عرى الدين لما ادلهم
ولم يثن دهوا النصر الرها ۞ ومثلك ادرك لما عزم
ويوم بسوط انبسطت الحمام ۞ على الهضب من ركنها فانهدم
وبصرى وصرخد لو لم تشا ۞ دنا كالطانا ردبغى ارم
وقد فض جيشك فى الفوطنين ۞ فضر الصليب له ما فطم
وفى كفرلاثا وهاب حللت ۞ عقد البرنس ببيض حزم
معودة انها لا تسل ۞ الا مقعقعة للقمم
ويوم بسرفود جرعتهم ۞ اجاجا اغصهم واسطلم
وفوق العزيمة غشاهم ۞ عرام جيوشك سيل العرم
وابت بكلبهم فى الكبول ۞ مباح الحريم مذال الحرم
وبارتهم ادنت انها ۞ ابادتهم فلسوا اجذم
بنوها فاعلوا ولم يعلموا ۞ بما خط فى اللوح منك القلم
وانك خارم ما احكموه ۞ من دينها دافع ما اخترم
ترفع من بعد خفض منه ۞ وتخفض من بعد رفع صنم

سمكت المدارس فوق النجوم * فكم منجم تحتها قد نجم

وعاش الحنيفي والشافعي * بما شدت منهما وكانا رمم

وان لم تكن هاشمي الاصول * فانك فرع الهزبر الهشم

وان لم يدعي في العلا ما ادعيت * وانت ابن من عز لما احتكم

واقسم ما غاب مبت سقت * مغارسه عين هدي الشيم

قلت وقصايد ابن منير في مدح نور الدين كثيرة ونفسه فيها طويل ولم يبق بعد موت القيسراني ولابن منير فحل من الشعرا يصف مناقب نور الدين كما ينبغي الا ابن اسعد الموصلي وسياتي شي من شعره الي ان قدم العماد الكاتب الشام في سنة اثنتين فتسلم هذا الامر وعبر عن اوصاف نور الدين ومناقبه وغزواته باحسن العبارات وابهاها نظما ونثرا وسياتي كل ذلك في موضعه ان شا الله تعالى قال ابن الاثير وفي هذه السنة توفي صاحب ماردين حسام الدين تمرتاش وولها بعده ولده نجم الدين البي بن تمرتاش بن ارتق قلت وقد مدحه القيسراني والعرقله وغيرهما من الشعرا ثم دخلت سنة تسع واربعين قال ابن الاثير فيها ملك نور الدين مدينة دمشق واخذها من صاحبها مجير الدين ابق بن محمد وكان الذي حمل نور الدين علي الجد في ملكها ان الفرنج ملكوا في السنة الخالية عسقلان وهي مدينة فلسطين حسنا وحصانة ولما كانوا يحصرونها كان نور الدين يتلهف ولا يقدر علي ازعاجهم

عنها

عنها لان دمشق في طريقه وليس له على غيرها ممر لاعتراض
بلاد الفرنج في الوسط وقوي الفرنج بملكها حتى طمعوا في
دمشق واستضعفوا مجير الدين وتابعوا الغارة على
اعماله واكثروا القتل بها والنهب والسبي وزاد الامر بالمسلمين
بها الى ان جعل الفرنج على املاك المدينة قطيعة في كل سنة
وكان رسولهم يجي الى دمشق ويجبيها من املاك دمشق البلد
ثم استمر البلاء على اهلها حين ارسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم
واما هم الذين نهبوا من سائر النصرانية وخيروهم بين المقام
عند مواليهم والعود الى اوطانهم فمن احب المقام تركوه
ومن احب وطنه سار اليه وزالت طاعة مجير الدين عن
اهل البلد فحصروه في القلعة مع انسان منهم كان يقال
له مؤيد الدين ابن الصوفي فلما كانت الامور بها هكذا خاف
اهلها واشفقوا من العدو فجاروا الى الله تعالى ودعوه ان
يكشف ما بهم من الخوف فاستجاب لهم واذن في خلاصهم
مما هم فيه على يد احب عباد الله واحسنهم طريقة وامثلهم
سيرة وهو الملك العادل حقا نور الدين محمود فحسن له السعي
في ملك البلد والقاه في روعه فلما خطر له ذلك افكر فيه
فعلم انه ان رام ملكه بالقوة والحصار تعذر عليه
لان صاحبه متى راى شيا من ذلك راسل الفرنج واستعان
بهم واستمالهم **قلت** وقد كان سبق له بذلك سوابق قد
تقدم ذكر شي منها وكذلك قال ——— العرقلة يمدح اتابك

قلت

معين الدين انر من قصيدة ٥ اولها ٥

يظن صلاح الدين فرسان جلق كفرسانه ما الاسد مثل الثعالب
غدا نطلع الشام الفرنج بخيلنا معونة ابطاله بالمصايب
رجال اذا قام الصليب تصليبت رماحهم في كل ماش وراكب
لها النقع ليل والاسنة انجم فما غير ابطال وغير جنايب

وصلاح الدين هذا المذكور ليس هو يوسف بن ايوب المشهور فان ذلك حينئذ لم يكن ملكا يقود الجيوش وانما هذا والله اعلم هو صلاح الدين محمد الباغيساني صاحب حماه احد اصحاب زنكي المقدم ذكره مرارا وكانه كان في مقدمة الجيش النوري لما قصد دمشق في المرتين الاولتين او في احداهما وفي زمن حصار زنكي والله اعلم قال ابن الاثير وكان الغرض الاشيا الى الفرنج ان ملك نور الدين دمشق لانه كان ياخذ حصونهم ومعاقلهم وليست له دمشق فكيف اذا اخذها وقوي بها وانضاف الى ذلك كراهته لسفك دما المسلمين فان الدم كان عنده عظيما لما كان قد جبل عليه من الرافة والرحمة والعدل فلما راى الحال هكذا اعدل الى اعمال الحيلة فراسل مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق اليه ثم صار يكاتبه في بعض الاوقات ويقول له ان فلانا ويذكر بعض الامرا الذين مجير الدين قد كاتبني في المخامرة عليك فاحذره فتارة ياخذ اقطاع احدهم وتارة يقبض عليه فلما خلت

حيله

دمشق

دمشق من الامرا اقدم اميرا كان عنده يسمى عطا بن حفاظ
السلمي الخادم وكان شهما شجاعا وفوض اليه امره ولته وكان
نور الدين لا يتمكن من دمشق معه فقبض عليه مجير الدين
وقتله فقال له عند قتله ان الحيلة قد تمت عليك فلا
تقتلني فانه سيظهر لك ما اقول فلم يصغ الى قوله وقتله
قال وفي بعض قصايد ابن منير ما يدل على ان عطا
هذا كان له في دمشق مع نور الدين حديث فانه قال

ودمشق في دمشق رجال السلم • لحور بشابهم منهم شبا •
بي الورد وسر اصبح وهو عاف • من العافي ومن خال خلا •
جنان لعرق الجنات فيها • ولا راي هناك ولا رواء •
لا سمح صعبها ودنت قطاها • وامكنك اقتيادا وامتطاء •
وبالنعم العظا عطا دبت • توسطه فاسقطه عطاء •
تفال باسمه فالفال وعد • يكون على ظباك له الوفاء •
هو السيف الذي شرب قواه • ومد به لحد منك القضاء •
وسيف ان يشمه يشم حتفا • وان يغمد فثاو بل ذكاء •
جنته لك السعادة قطعه اي لتغتب الخادعيك به دهاء •
ويجوز انه لم يكن لعطا • في ذلك حديث وانما اي

هذه الابيات اوما في معناها كان سبب قتله • لما
بلغ مجير الدين ذلك وعطا هذا هو الذي ينسب اليه مسجد
عطا تحت القنات وهي ارض فيها اخشاب كبار من الجوز تلي
اونادا الجامع دمشق وهي وقف عليه وقد مدحه العرقله

وعزم من الشعرا قال ابن الاثير فلما قتل عطا

قوي طمع نور الدين في البلد فراسل احداث البلد ورناطرته

واستمالهم فاجابوه الي تسليم البلد فسار اليهم وحصرهم عشرة

ايام فكاتب مجير الدين الفرنج وبذل لهم الاموال وقلعة بعلبك

ان رحلوا نور الدين عنه فالي ان جمعوا وجاوا بلغهم احذ نور

الدين دمشق فعادوا بخفي حنين واما نور الدين فانه لما

حصرهم وضيق علي من به ثار الاحداث الذين كاتبهم نور

الدين وسلموا اليه البلد من الباب الشرقي فدخله بالامان

عاشر صفر وحصر مجير الدين في القلعه وراسله وبذل له الاقطاع

الكثير من جملته مدينة حمص فاجاب الي تسليم القلعه وسار

الي حمص قال ابن ابي طي انفذ نور الدين اسد الدين رسولا

الي صاحب دمشق فخرج في تجمل عظيم ومعه الف فارس فعظم

علي مجير الدين ذلك وقال ما هذه رساله هذه مكيدة فلم

يتجاسر علي الخروج الي لقايه ولا احد من امرا دمشق فاستوحش

اسد الدين ونزل بمرج القصب واغلظ لصاحب دمشق

في المقال وانفذ الي نور الدين فعرفه بما جري عليه فسار

نور الدين في عساكره وزحف الي البلد من شرقيه وكانت

الحرب في عاشر صفر وتولي اسد الدين القتال وابلي الجهد فكسر

عساكر دمشق الي الاسوار من قبلي البلد ولم يكن احد من

المقاتله علي السور من ذلك الجانب لان نور الدين كان من

شرقيها وخيل العسكر مقابله وراي من كان مع نور الدين

من

من الجانب [illegible] والحلبيين خلو السور من المقاتلة فتسرعوا
الى السور وتعلقوا به وحصلوا في الحال على الاسوار وقيل
ان امرأة كانت على السور فدلت حبلا فصعدوا فيه وصار
على السور جماعة ونصبوا السلالم وصعدت جماعة اخرى
ونصبوا عليها وصاحوا بشعار نور الدين فوقع على اهل البلد
الخذلان وكسر باب البلد ودخلت الخيالة منه وملك نور
الدين دمشق وكان لاسد الدين اليد الطولى في فتحها وولاه
نور الدين امرها ورد اليه جمع احوالها وفي هذه السنة اقطعه
نور الدين الرحبة قال الرئيس ابو يعلى في العشر الثاني
من المحرم وصل الامير اسد الدين شيركوه رسولا من نور
الدين الى ظاهر دمشق وخيم بناحية القصب من المرج في عسكر
يناهز الالف فانكر ذلك ووقع الاستيحاش منه واهمال
الخروج اليه لتلقيه والاختلاط به وتكررت المراسلات
فيما اقتضته الحال ولم يسفر عن سداد ولا بلغ مراد وغلا
سعر الاقوات لانقطاع الواصلين بالغلات ووصل نور
الدين في عسكره الى شيركوه ثالث صفر وخيم بعيون الفاسريا
عند دومه ورحل في الغد ونزل بيت الابار من الغوطة وزحف
الى البلد من شرقيه وزحف اليه من عسكرها واحداثها الخلق
الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين الى مكانه
ثم زحف يوما بعد يوم وتاكد الزحف يوم الاحد عاشر صفر
وظهر اليه العسكر الدمشقي فاندفع بين ايديهم حتى قربوا

من سور باب كيسان والدباغه من قبلي البلد وليس على
السور احد من العسكريه والبلديه لسوء تدبير صاحب
الامر غير نفر يسير الا يوبه لهم فشرع بعض الرجاله الى السور
وعليه امراة يهوديه فارسلت اليه حبلا فصعد فيه وحصل
على السور ولم يشعر به احد وتبعه من تبعه واطلعوا علما نصبوه
على السور وصاحوا نور الدين يا منصور وامتنع الرعيه والاجناد
من الممانعه لما هم عليه من المحبه لنور الدين وحسن ذكره وبادر
بعض قطاعي الخشب بفاسه الى الباب الشرقي فكسر اغلاقه
وفتحه فدخل منه العسكر وسعوا في الطرقات ولم يقف
احد بين ايديهم وفتح باب توما ايضا ودخل الناس منه ثم دخل
نور الدين وخواصه وسر كافة الناس من الاجناد والعسكريه
لما هم عليه من الجوع وغلا الاسعار والخوف من منازله الفرنج
الكفار وكان مجير الدين لما احس بالغلبه والقهر قد انهزم
في خواصه الى القلعة وانفذ اليه فاومن على نفسه وماله
وخرج الى نور الدين فطيب نفسه ووعده الجميل ودخل
نور الدين القلعة في يوم الاحد المقدم ذكره وامر بالمناداه
بالامان للرعيه والمنع من انتهاب شي من دورهم وشرع
قوم من الرعاع والاوباش الى سوق علي وغيره فعاثوا ونهبوا
وانفذ نور الدين الى اهل البلد بما طيب نفسه نفوسهم
وازال النفرة عنهم واحتج مجير الدين ما كان له في دوره بالقلعه
والخزاين من المال والالات والاثاث على كثرته الى الدار

الاتابكيه

الا بما يكفيه زاد رحله واقام اياماً ثم تقدم اليه بالمسير الى حمص
في خواصه ومن اراد الكون معه من اسبابه واتباعه بعد
ان كتب له المنشور باقطاعه عدة ضياع باعمال حمص برسمه
ورسم جنده وتوجه الى حمص على القضية المقررة ثم احضر
نور الدين عنده ذلك اليوم اماثل الرعية من القضاة والفقهاء
والتجار وخوطبوا بما زاد في ايناسهم وسرور نفوسهم وحسن
النظر لهم بما يعود بصلاح احوالهم وتحقيق امالهم فاكثروا
الدعا له والثنا عليه والشكر لله تعالى على ما اصاره اليه
ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطيخ وسوق البقل
وضمان الانهار وانشا بذلك المنشور وقرئ على المنبر بعد
صلاة الجمعة فاستبشر الناس بصلاح الحال واعلن الناس برفع
الدعا الى الله تعالى بدوام ايامه ونصرة اعلامه **وقال**
ابن الاثير لما استقر نور الدين في البلد عمل مع اهله مكرمة
عظيمة واظهر فيهم عدلا عاما **قلت** قد تقدم ذكره
في اول الكتاب وسياتي منه اشيا نعرفه فيما بعد **قال**
والقى الاسلام جرانه بدمشق وثبتت اوتاده وايقن الكفار
بالبوار ووهنوا واستكانوا وصار جميع ما بالشام من البلاد
الاسلامية بيد نور الدين واما مجير الدين فانه اقام
بحمص وراسل اهل دمشق في اثارة الفتنة فانتهى ذلك الى
نور الدين فخاف ان يحدث ما يشق تلافيه بل ربما تعذر لا سيما
مع مجاورة الفرنج فاخذ حمص من مجير الدين وعوضه عنها مدينة

بالسر فلم يرضها وسار عن الشام الى العراق فاقام ببغداد
وابتنى دارا بجاور المدرسة النظاميه وتوفى بها قال
ولما ملك نور الدين دمشق خافه الفرنج كافه وعلموا
ان لاقبل لهم بقتاله وقتل في غزو بلادهم والمبادرة الى قتالهم فراسله
كل كند وقمص وتقربوا اليه ثم ان من بتل باشر راسلوه وبذلوا
له تسليمها اليه فارسل الى الامير حسان المنبجي وهو من
اكابر امرا نور الدين واقطاعه منبج فامره ان يتسلمها
منهم فسار اليها وتسلمها وحصنها ورفع اليها ذخاير كثيرة
فصل قال الرييس ابو يعلى وقد كان مجاهد
الدين بزان قد اطلق يوم الفتح من الاعتقال واعيد الى
داره ووصل الرييس مويد الدين المسيب الى دمشق مع
ولده النايب عنه في صرخد الى داره معولا على لزومها وترك
التعرض لشي من التصرفات والاعمال فيما امنه من الاسباب
المعرب به عن اضمار الفساد والعدول الى خلاف مناهج السداد
والرشاد ما كان داعيا الى نسيا واليد فيه وكان في احدى
رجليه فتح قد طاله به وتسببه ثم لحقه مرض وانطلاق
منه ادى افرط عليه واسقط قوته مع فهاق متصل
وقلاع في فيه زايد فقضى نحبه في رابع ربيع الاول ودفن
في داره واستبشر الناس بهلاكه والراحه من سو افعاله
قال وورد الاخبار بقتل خليفة مصر الملقب
بالظافر بن الحافظ واقيم ولده عيسى مقامه وهو صغير

بناهن ثلث سنين ولقبوه بالفايز وعباس الوزير
ثم ورد الخبر بان الامير فارس الدين طلايع بن رزيك
وهو من اكابر الامرا المقدمين والشجعان المذكورين لما
انتهى اليه الخبر وهو غايب عن مصر قلق لذلك وامتعض
وجمع واحتشد وقصد العود الى مصر فلما عرف
عباس بما جمع ضاق عليه فتاهب للهرب في خواصه واسبابه
وحرمه وما تهيا من ماله وسار مغذا فلما قرب من
اعمال عسقلان وغزة خرج اليه جماعة من خيالة الفرنج
فاغتر بكثرة من معه وقلة من قصده فلما حملوا عليه
فشل اصحابه واعانوا عليه وانهزموا اقبح هزيمة هو وابنه
الصغير واسر ابنه الكبير الذي قتل العادل بن السلار
مع ولده وحرمه وماله وكراعه وحصلوا في ايدي الفرنج
ومن هرب لقي من الجوع والعطش شدة ومات العدد
الكثير من الناس والدواب ووصل في اثرهم بهم فارس
المسلمين فوضع السيف فيمن ظفر به من اصحاب عباس وانتصب
في الوزارة وتدبير الامور موضعه ووصل الى دمشق منهم
من نجا من الهرب على اشنع صفة من العدم والعري في اواخر
ربيع الاخر **قلت** وفي ذلك يقول عمارة اليمني
من قصيدة له

لكم يا بني رزيك لا زال ظلكم ... مواطن سحب الموت فيها مواطر
سللتم على عباس بيض صوارم ... قهرتم بها سلطانه وهو قاهر

وذكر الامير اسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار
ان نصر بن عباس لما قتل ابن السلار وتوزر ابوه عباس
كان نصر يعاشر الخليفة الظافر ويخالطه وعباس كاره لذلك
مستوحش من ابنه لعلمه بمذهب القوم وضرب بعض الناس ببعض
حتى يفنونهم وشرع الظافر مع ابن عباس في حمله على ابيه ومواصلته
بالعطايا الكثيرة فعاتبني في ذلك فنهيته فاطمع والده على الامر
فاستماله ابوه ولطف به وقرر معه قتل الظافر وكانا يخرجان
متنكرين وهما تربان سنهما واحد فدعاه الى داره فاستماله
ورتب من اصحابه معه في جانب الدار نفرا ثم لما استقر به المجلس
خرجوا عليه فقتلوه وذلك سلخ محرم سنة تسع واربعين وخمس
مايه ورمي في جب في الدار واصبح عباس جا الى القصر ضحوة نهار
السلام فجلس في مجلس الوزارة ينتظر جلوس الظافر فلما تجاوز
وقت جلوسه استدعى زمام القصر وقال ما لمولانا ما جلس
للسلام فتلدد الاستاذ في الجواب فصاح عليه وقال ما لك
لا تجاوبني قال يا مولاي مولانا ما ندري اين هو قال مثل مولانا
يضيع ارجع واكشف الحال فمضى ورجع فقال ما وجدنا مولانا
فقال لا يبقى الناس بلا خليفة ادخل الى الموالي اخوته يخرج منهم
واحد لنبايعه فمضى وعاد وقال الموالي يقولون لك ما لنا في
الامر شي والدنا عزله عنا وجعله في الظافر والامر لولده
بعده قال اخرجوه حتى نبايعه قال وعباس قد قتل الظافر
وعزم على ان يقول الاخوة انتم قتلتموه ويقتلهم فخرج ولده

الظافر ولعله عمره خمس سنين تحمله الاستاد فاخذه عباس
فحمله وبكا وبكا الناس ثم دخل به الي مجلس ابيه وهو حامله
وفيه اولاد الحافظ قال ابن منقذ ونحن في الدواق جلوس
وفي القصر اكثر من الف رجل من المصريين فما راعنا الا قوم قد
خرجوا من المجلس مجتمعين الى القاعه فاذا السيوف تختلف
على انسان فقلت لغلام لي ارضي ابصر من هذا المقتول
فمضى وعاد وقال ما هولا مسلمين هذا مولاي ابو الامانة
جبريل بن الحافظ قد قتلوه وواحد قد قتلوه شق بطنه
يجذب مصارينه ثم خرج عباس وهو قد اخذ براس الامير
يوسف تحت ابطه وفي راسه ضربه سيف والدم يفور منها
وابو البقا ابن اخيهم مع ابنه نصر ادخلوهم خزانة في القصر
فقتلوهما وفي القصر الف سيف مجرد قال وكان ذلك
اليوم من اشد الايام التي جرت علي لاني رايت من الفساد
والبغي ما ينكره الله سبحانه وجميع خلقه وذكر اسامة
ايضا في ديوانه قال كان لعباس ادعمانه جمل تحمل ثقاله ومايتا
بغل رحل ومايتا جنيب فلما اراد الخروج من مصر يوم
الجمعة الرابعة عشر ربيع الاول سنة تسع واربعين وخمسمايه
وقد قام عليه اهل مصر وعسكريتها فارسهم وراجلهم
تقدم بشد جمله والبغاله وجماله بالتحمل وبخرج فلما صار
الجميع على باب داره وقد ملات ذلك الفضا الى قصر السلطان
الى الايوان خرج غلام له يقال له عنبر كان على كل ه

اشغاله وغلمانه كلهم تحت بيله تغال الجمالين والخربندية
والركابيه روحوا الى بيوتكم وسيبوا الدواب ففعلوا
ذلك وانحازوا الى المصريين يقاتلو معهم وكان ما جرى من
تسييل الدواب لطفا من الله تعالى به فانها سدت الطريق
بينه وبين المصريين ومنعتهم من الوصول اليه وهم فى خلق
كثير ونحن فى قله ما يبلغ خمسين رجلا وغلمان عباس
مماليكه فى الف وما يبقى غلام بالخيول الجياد والسلاح التام
وثمان مايتى فارس من الاتراك خرجوا كلهم من باب النصر
ووقفوا فى الفضا الذى بينه وبين راس الطابيه فوارا من
القتال فشرع المصريون فى نهب الخيل والجمال والبغال فلما
فتحوا الطريق اليه خرج عباس من باب النصر وجاوا فى اثرهم
حتى اغلقوا الباب وعادوا الى نهب دوابهم وكان عباس
قد احضر من العرب نحوا من ثلثه الف فارس يتقوى بهم
على المصريين واستخلفهم ووهبهم هبات عظيمة فلما
خرج من باب مصر غدروا به وقاتلوه اشد قتال سته
ايام فقاتلهم من الفجر الى الليل فاذا انزلا مهلوهم الى
نصف الليل ثم يركبون ويهدون خيلهم على جانب الناس
ويصيحون صيحه واحده فتجفل الخيل وتقطع وتخرج
اليهم منها ما فيه منه وقوه فياخذونه فكان ذلك سبب
هلاك خيله وتمكن العربخ منه واشتغاله عن سلوك
طريق لا يقصد الفرنج اليه قال ودامت

الحرب

الحرب بينه وبينهم من يوم الجمعة ضحى نهارا الى اخر يوم الخميس
ثم جاوا اليه واخذوا منه حسبًا على اموالهم وانفسهم
وبيوتهم ظنا منهم ان له عونا اليهم وانصرفوا عنه
وهم اكثر من ثلثة الف فارس ويوم الاحد صبحهم الافرنج
وقد هلك الناس من الجوع والعطش وماتت خيلهم فقتلوا
عباسًا وابنه الاوسط واسروا ابنه الاكبر وقتلوا خلقا
كثيرًا واخذوا النسا عباس وخزائنه واولاده وماله صغارًا
وانصرفوا **قلت** عباس هذا هو عباس ابن ابى الفتوح
بن تميم بن المعز بن باديس الحميرى ويلقب بالافضل ركن
الدين ويكنى بابى الفضل ورايت علامته فى الكتب ايام
وزارته الحمد لله وبه الثق **وفيه**

يقول اسامة ابن منقذ

لقد عمّ جود الافضل السيد الورى ٭ واغنى غنا الغيث
٭ حيث يصوب ٭

ومن ابيات لابن اسعد فيه لما قتل الظافر ٭
وانفق من انعامهم فى هلاكهم ٭ واظهر ما قد كان عنه
٭ ينافق ٭
ومدّ يدًا منهم طولوها اليهم ٭ وحلت باهل القصر منه
٭ البوايق ٭
سقى ربّه كاس المنايا وما الذى له الشهر الا وهو
٭ للكاس ذايق ٭

وكان عباس قد تخيل من اسامة عند خروجه من مصر
لما يعلم بينه وبين الملك الصالح من المودة والمصافاة
فاحترز واستحلفه انه لا ينفصل عنه ثم لم يقنعه ذلك حتى
نفذ من استاذي داره من يدخل على حرمه الى داره واخذ
اهله واولاده فتركهم عنده اهله واولاده وقال له قد حملت
ثقلهم عنك ثم اسوة بوالده ناصر الدين يحيى ولده ناصر
وباخوانه فلما خرجوا ونهبت دورهم ودوابهم عجز عن حمل
من تخلفه فاعادهم اسامة من تلبيس ونفذ الى الملك الصالح
يقول له قد نفذت اهلي واولادي اليك وانت ولي ما تراه
فيهم فانزلهم في دار واجرى عليهم الجاري الواسع واحسن
اليهم غاية الاحسان وكان يكاتبه في الرجوع الى مصر وهو
يتلطف الامر معه فقصد اخلاف اهله واولاده فلما عرف
ذلك منه نسبه الى وحشة قلبه من الفطور ونفوره
من المصريين فنفذ اليه يقول له تصل الى مكة في المواسم
ويلقاك رسولي اليها يسلم اليك مدينة اسوان وانفذ
اليك اهلك وامدك بالاموال وهي كما علمت الثغر بيننا
وبين السودان وما يسد ذلك الثغر مثلك واكثر
من الوعد وذكر رغبته في قربه ودعاته ما بينه
وبينه من قدم الصحبة واستاذن اسامة في ذلك
الملك العادل نور الدين وكان في خدمته فقال يا فلان
ما تساوي الحياة الشتات والرجوع الى الاخطار والبعد

عن

عن الاوطان ومنعه من ذلك باحسانه ووعده ان يستخلص
اهله فكتب اسامة الى الملك الصالح بعد ذلك رسالة
يستدعي اهله وترددت بينهما مكاتبات واشعار منفصلات
الى ان سيرهم ونيف وخمسون نسمة في الاكرام والاحترام
الى اخوه ولابنه . وذكر ان اهل القصور والامرا انكروا
تسييرهم وقالوا يكون اهله رهاين عندنا لئلا يمر ما يكون
منه ووصله بعض اصحابه من دمشق وهو بالعسكر النوري
بحلب فاخبر ان من كان له بمصر من الاهل والاولاد
والاصحاب وصلوا وان المركب انكسر بهم في ساحل عكا ونهب
الفرنج كل ما فيه ولم يصلوا الى دمشق الا بانفسهم وان ملك
الفرنج اعطاهم خمسماية دينار اصلحوا منها حالهم واكتروا
ظهرا الى دمشق فقال اسامة
الى الله اشكو فرقة دميت لها جفوني وادنت بالهموم مشيبي
تمادت الى ان لا ذت النفس بالمنى وطارت بها الاشواق كل مطير
فلما قضى الله التلاقي عرضت مساءة دهري في طريق سروري
فصل قال ابو يعلى وفي اخر ربيع الاول وصل الامير
مجد الدين ابو بكر محمد نايب نور الدين في حلب الى دمشق
عقيب عوده من الحج واقام اياما وعاد الى منصبه في حلب
وتدبير اعمالها قلت هذا هو ابن الداية وكان نور
الدين كثير الاعتماد عليه وعلى اخوته وسنذكر نبذة من ذكرهم
في هذا الكتاب ومجد الدين اكبر اخوته وقد مدحه الشعرا

قال القيسراني من بعض ما قاله فيه

دعوا ما مضى من قبل هذا الماء بعد فاقسم لولا المجد ما عرف . المجد

كريم سمت اوصافه لعفافه . فراين كال النقش بينهما عقد .
محياه والبشرى ويمناه والندى . وجدواه والتقوى ودنياه والزهد .
فمع قربه الزلفى وفي وعده الغنى . وفي نيله الحسنى وفي رايه الرشد .
اذا وجه نور الدين قابل مجده . فعد في كمال البدر قارنه السعد .

وفي موسم هذه السنه مات امير الحرمين هاشم بن فليته وولي الحرمين ولده قاسم بن هاشم وهو الذي ارسل عمارة اليمني الفقيه الشاعر الى الديار المصريه وسياتي ذكره قال ابو يعلى وفي ثامن جمادى الاولى ورد الخبر من ناحية مصر بان عدة وافره من مراكب الفرنج من صقليه وصلت الى مدينة تنيس على حين غفلة من اهلها فهجمت عليها وقتلت واسرت وسبت ونهبت وعادت بالغنايم بعد ثلثه ايام وتركتها صفرا وبعد ذلك عاد من كان هرب منها في البحر بعد الحادثه ومن سلم واختفى وضاقت الصدور وغمت لسماع هذا الخبر المذكور قال وفي شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي فخر الدين ابي منصور محمد بن عبد الصمد بن الطرسوسي وكان ذا همة ماضيه ويقظه ومروة ظاهره في دار ه وولده ومن يلم به من غريب ووافد وقد نفذ امره وتصرفه

بزق

في اعمال حلب في الايام النوريه واثر في الوقوف اثرا حسنا
توفر فيه ارتفاعها ثم اعتزل عن ذلك اجمل اعتزال ثم
دخلت سنة خمسين فيها تسلم نور الدين بعلبك من واليها
ضحاك وذكر ابن الاثير ان ذلك كان سنة اثنتين وخمسين
وقال كان ضحاك البقاعي ينوب ببعلبك عن صاحب
دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك بها ولم يمكن
نور الدين محاصرتها لقربه من الفرنج فتلطف الحال معه الى ذلك
الوقت فملكها واستولى عليها وقال ابن ابي طي لما فتح نور
الدين دمشق امتنع ضحاك بها ولم يمكن نور الدين محاصرتها
لقربه من الفرنج فتلطف الحال معه الى ذلك الوقت فملكها
واستولى عليها اتصل ذلك بنجم الدين ايوب فكاتب نور
الدين في تسليم بعلبك فانفذ اليه وتسلمها منه والحقه
باصحابه قال ورايت بعض المورخين قد ذكر ان مجير
الدين اتق صاحب دمشق انزل نجم الدين من القلعه وجعله
في البلد وولى البلد رجلا يقال له ضحاك فلما ملك نور الدين
دمشق خرج الى بعلبك واستنزل منها ضحاكا وتوسط اسد
الدين امر اخيه نجم الدين مع نور الدين فاقطعه اقطاعا
وسيره الى دمشق فاقام فيها ورد نظر دمشق اليه وولي
ولده تورانشاه شحنكيه دمشق فساسها احسن سياسه
ولم يزل بها الى ان توفي فولي صلاح الدين شحنكيه دمشق
قلت وهذا وهم تورانشاه هو الملك المعظم شمس

الدوله الذي فتح اليمن في ايام اخيه صلاح الدين فكيف يقول
انه مات قبل ان يلي صلاح الدين شحكنيه دمشق وأما
كونه ولي الشحكنيه بدمشق قبل صلاح الدين فهذا قريب
وقد رايت ما يوكده قوان في ديوان العرقله وقال
يهنيه بالشحكنيه بدمشق وهو في دار عمه اسد الدين
قلت لحسادك زيدوا في الحسد قد سكن الدار وقد حاز البلد
لا تعجبوا ان حل دار عمه اما تحل الشمس في برج الاسد
وقال في صلاح الدين لما ولي الشحكنيه
لصوص الشام توبوا من ذنوب تكفرها العقوبة والصفاد
لين كان الفساد لكم صلاحًا فمولاي الصلاح لكم فساد
وله
رويدكم يا لصوص الشام فاني لكم ناصح في مقالي
واياكم وسمي النبي يوسف رب الحجا والجمال
فذاك مقطع ايدي النسا وهذا مقطع ايدي الرجال
وقال ابن ابي طي وولي صلاح شحكنيه دمشق والديوان
فاقام فيه اياما ثم تركه وصار الي حلب لاجل وقوع جرت
بينه وبين صاحب الديوان ابي سالم ابن همام فانفذ نور
الدين واخذ ابن همام وحلق لحيته وطيف به في دمشق
قلت وابن همام هذا هو الذي ذكره الشيباني
في قصيدته واشار الي حلق راسه لحيته بقوله
كابي سالم بن همام لما قام للنصح عاد نمشي ملتم

ثم قال

ثم قال ابن ابي طي واستخص نور الدين صلاح الدين والحقه بخواصه فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر وكان يفوق الناس جميعا في لعب الكرة وكان نور الدين يحب لعب الكرة قال ابو يعلي ونزل نور الدين بعسكره بالاعمال المختصة بالملك قليج ارسلان ابن الملك مسعود بن سليمان بن قتلمش ملك قونيه وما والاها فملك عدة من قلاعها وحصونها بالسيف والامان وكان الملك قليج ارسلان واخواه ذو النون ودولات مستقلين بمحاربة اولاد الداسمند وينزلون عليهم في وقعة كانت باقصرا في شعبان فلما عاد قليج ارسلان وعرف ما كان من نور الدين في بلاده عظم عليه هذا الامر واستبشعه منه بينهما من الموادعة والمهادنة والصهر وراسله بالمكاتبة والانكار والوعيد والتهديد فاجابه نور الدين بحسن الاعتذار وجميل المقال وبقي الامر بينهما مستمرا علي هذه الحال وعاد نور الدين من حلب الي دمشق قال وولي الاسطول المصري مقدم شديد البأس بصير باشغال البحر فاختار جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الفرنج والبسهم ثيابهم ونهض منه في عدة من المراكب الاسطولية واقلع في البحر لكشف الاماكن والمكامن والمسالك المعروفة لمراكب الروم ويعرف احوالها ثم قصد مينا صور وقد ذكر له ان فيه شختورة رومية كبيرة فيها رجال كثيرة ومال وافر فهجم عليها وملكها وقتل من فيها واستولي

على ما حوته واقام ثلثة ايام ثم احرقها وعاد عنها في البحر فظفر
بمراكب حجاج الفرنج فقتل واسر وانتهب وعاد الى مصر
بالغنايم والاسرى قلت وفي هذه السنة ورد امر
الخليفة ببغداد وهو المقتفي الى امير الحرمين قاسم بن
هاشم يامره ان يركب على باب القلعة الكعبة المكرمة باب
ساج جديدا قد البس جميع خشبه فضه وطلي بذهب
وان ياخذ امير الحرمين حليه الباب القديم لنفسه ويسير
اليه خشب الباب القديم محرزا ليجعله تابوتا يدفن فيه
عند موته ذكر ذلك الفقيه عمارة الشاعر وقال
سالني امير الحرمين ان ابيع له الفضه التي اخذها من الباب
في اليمن ومبلغ وزنها خمسة عشر الف درهم فتوجهت
الى زبيد وعدن من مكه في صفر سنة احدى وخمسين
وحجيت في الموسم منها فدفعت لامير الحرمين ماله قال وزمني
الترسل عنه الى مصر يعني مع نايبه بسبب جنايه جناها
خدمه على حاج مصر والشام ثم دخلت سنة احدى وخمسين
قال ابن الاثير فيها حاصر نور الدين قلعة حارم وهي
حصن غربي حلب بالقرب من انطاكيه وصلوا على اهلها
وهي من امنع الحصون واحصنها في نحور المسلمين فاجتمعت
الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا الخوم لمنعه وكان
بالحصن شيطان من شياطين الفرنج يرجعون الى رايه
فارسل اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ

الحصن

الحصن والذب عنه بما عندهم من العدد والعدد
وحصانة القلعة ويشير عليهم بالمطاولة وترك اللقا
وقال لهم ان لقيتموه هزمكم واخذ حارم وغيرها
وان حفظتم انفسكم منه اطقنا الامتناع عليه ففعلوا
ما اشار به عليهم وراسلوا نور الدين في الصلح على
ان يعطوه حصة من اعمال حارم فابا ان يجيبهم الا على
مناصفة الولاية فاجابوه الى ذلك فصالحهم وعاد وفي ذلك
يقول بعض الشعرا من قصيدة فذكروا ابياتا من قصيدة لابن
منير وقد سبق ان ابن منير توفي سنة تسع واربعين
فاما ان يكون ابن منير قال هذا الشعر في غير هذه الغزاة
واما ان تكون هذه الغزاة في غير هذه السنة وقد
قرات في ديوان ابن منير وقال يمدحه ويهنيه بالعود
من غزاة حارم

ما تم شاوك في العلا مزداد . فلا يعلق عزمك الاجهاد .
همم ضربن على السما سرادقا . فالشهب اطناب لها وعماد .
انت الذي خطبت له حساده . والفضل ما اعترفت به الحساد .
قام الدليل وسلم الخصم البلند وانجلا للاثر الاسناد .
ثمرت له ولتلك البلاد فتوحها . ارج المهب ودوحها مياد .
احيا ربيع العدل ميت ربوعها . فالبرض لج والهشيم مراد .
فالعيش الا في جنابك ميتة . والنوم الا في حماك سهاد .
فاذا العدى زرعوا الشقا واحصدوا . كيف افقومك ناقض حصاد

يا المغربات كان فوق متونها ۰ جن الملا وكانها اطواد
نداي ومن وحي الكلاه صعوبها ۰ فالزجر فيه والندا
فساد
البست دين محمد بالنور ۰ عزا له فوق السها اسناد
ما زلت تمسكه بمياد القناه حتى تشقق عوده المياد
لم تبق مدرا معتب عومك دونه ۰ عددا ابراع بدو ولا
استعداد
ان المنابر لو تطيق فكلما ۰ حدثتك عن خطبايها الاعواد
ولئن حميت منك الاعادي بمله ۰ فيهم الى الموعى الوبى معاد
ولكم لكم في ارضهم من مشهد ۰ قامت به لطيباكم الاشهاد
ملقي باطراف العريجر للكلاه ۰ طرفاه ضرب صادق وجلاد
حاموا فلما عاينوا حوض الردى ۰ حاموا ابو ليس لهم اوكادوا
ورجا البرنس وقد تبرنس ذله ۰ حرما تحاوم والمصار مصاد
صبحت ثعالبه فاخرس جرسها ۰ بيض تناسب في الحديد حداد
وسواعد ضربت بهن وبالقنا ۰ من دون ملة احمد الاسداد
يركزون في حلب ومن افنانها ۰ تجني فواكه امنها بغداد
يا من اذا اعصفت زعازع بأسه ۰ خمدت جحيم الشرك فهي رماد
فجئنا القوم حاولوك وحاولوا ۰ عودا فوافاتهم اليه مراد
ورأوا لواء النصر فوقك خافقا ۰ فما قام منهم في الضلوع فؤاد
من منكر ان يخسف السيل الربا ۰ وابوك ذاك العارض المداد
اوان يعيد الشمس كاسفة السنا ۰ نارها ذاك الشهاب زناد

لا ينفع

137

لا ينفع الآبا ما سمكوا من العليا ترفع الاولاد
ملك نعيمك خوفه ورجاؤه ولعلها يتضافر الاضداد

وقال يهنيه بالنصر يوم حازم

قصيدة اولها

لملكك ما تشا من الدوام

يقول فيها

خطبت من المعالي بالمعاني ولاذ الناس بعدك بالاسامي
عزيز المنتمي عالي المراقي بعيد المرتمى عالي المسامي
فما احد الى العليا يدلي بمجدك القشيري العصامي
ابوك المعتلي قمم الاعادي اذا استغوى مزاحم الغمام
زكا عرق العراق وقد تكني به واطال من شمم الشام
وجدك جد حتى قال قوم على الفلك ابتنى عمد الخيام
نخرت ففقت ابا عظاما اذا فخر المفاخر بالعظام
وفعنا والنواظر مسجداته وروح العز داري الختام
اساطر كالزبور مفصلاته كانا من صلاه في نظام
لدى ملك سجاياه سجال يعاقب بين عفو وانتقام
فاظللنا لسانتنع ملالة وكنا الضاحكين حسام
ذهلنا والسماط اخال سمطا وقد سجد المقاول للسلام
هل الدست استعمل ليث غاب ام الفلك ارتدى بدر التمام
لئن اكثرت بذل ايادي العفاه فقلت عدد الكرام

وخير سماعه ضرب مراده • اذا طرب الملوك الى المدام

تطير به الى العليا نفس • غرور عن ملاء منه الملام

سقى اسد العوامل من جبال • تشقق النقع عن نقع الاوام

فكم انتجت من امل عقيم • بها وحسمت من داء عقام

بابيض والرعال كان تولاه • تطاوح تحت عثير من ابام

وايدي الخيل تدرع لج بحر • من الدم من جثث التجين طام

مقام كنت قطب رحاه ارحى • مقام بين زمزم والمقام

احلت الدين فيه وكان نهبا • عزيز القوم معتدل القوام

رميتهم بارعن من جنود • ابادهم وكنت ابر رامي

وفي شجر احارم شاجرتهم • صوارم كالسهام بكالسهام

تطاير حمت بهم حماما • تطاير تحته مثل الحمام

فلو قد مثل الاسلام شخصا • لرشف ما وطيت من السلام

حماه وقد تقاعس كل راع • وقام وقد تقاعس كل حام

فاكذب مدعين هفوا وغروا • بان الارض تخلو من امام

اولي الابصار كم هذا التعاشي • عن النور المبين بلا التعامي

عن القمر الذي يجلو ظلام • العواصم في صبا الليل التهامي

هو المهدي لا من ضل فيه • كثير واستخف هوى هشام

وقائم عصرنا لا ما تمنى • به من صوغ اضغاث المنام

يبور الدين الشرك كل حق • اطيل ثواؤه تحت الرجام

وطالت قنة الاسلام حتى • استوت بين الفوارس والغمام

تطابق لاسمه لفظ ومعنى • احلاه الطباق على الانام

جرى

جرى قدامه ابن سبكتكين • وقبل الوبل همهمة الرهام •
وكان من النجوم بحيث يوفي • اليه من غيابات التسامي •
وحيث فصار انسخ ما بناه • لما شيدت الطا من رغام •
الا ان ما اتفق الاسامي • وفاصل بينهما درج التسامي •
جنا شرفا من استغواه حتفا اليك وكم حياة من حمام •
نو شفك الكماه وانت موت • كانك من طعان في طعام •
اطاعك اذا طعت الله جدا • ركبت به الزمان بلا زمام •

فصل قال الرئيس ابو يعلى توجه نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في الرابع والعشرين من صفر عند انتهاء خبر الفرنج اليه بعيثهم في اعمال حلب وافسادهم وصادفه في طريقه المبشر بظفر عسكره الحلبي بالافرنج المفسدين على حارم وقتل جماعة منهم واسرهم ووصل مع المبشر علم وافره من روس الفرنج المذكورين وطيف بها في دمشق

قال وعاد نور الدين الى دمشق في رمضان سالما بعد تهذيب حلب واعمالها وتفقد احوالها واستقرت الموادعه بينه وبين ولد السلطان مسعود صاحب قونيه وزال ما كان حدث بينهما وفي شوال تقررت الموادعه بينه وبين ملك الفرنج مدة سنه كامله اولها شعبان وان المقاطعه المحمول اليهم من دمشق ثمانية الف دينار صوريه وكتبت الموصفه بذلك بعد تاكيدها بالايمان والمواثيق المشدده

وقال في العشر الاخر من ذي الحجة غدر الفرنج ونقضوا ما كان استقر

من الموادعه والمهادنه بحكم وطول علو وافرم من الفرنج
في البحر وقوة شوكتهم بهم ونهضوا الى ناحية الثغر المجاور
لبانياس وقد اجتمع فيها من حشارات خيول العسكرية
والرعيه وعوامل فلاحي الضياع ومواشي الجلا بين
العرب والفلاحين الشي الكثير الذي لا يحصى فبذكرنا الحاجة
الى الرعي بها والسكون الى الهدنه المستقره ووقع للمتدينين
بحفظها تقصير فانتهزوا الفرصه واستاقوا جميع ماوجدوه
وافقروا اهله منه مع من اسروه من تركمان وغيرهم وعادوا
ظافرين غانمين آمنين والله عادل في حكمه يتولى المكافاه
بهم والادالة منهم وقد فعل الله سبحانه ذلك على ماسياتي
في حوادث السنة الاتيه قال وفي يوم الثلثا الثالث
من ربيع الاول من السنة توفي الفقيه الزاهد ابو البيان
بنا بن محمد المعروف بابن الحوراني وكان حسن الطريقة منذ نشا
صبيا الى ان قضى متدينا نقيا عفيفا سخيا محبا للعلم والادب
والمطالعه للغة العرب وكان له عند خروج سريره لقبره
في مقابر باب الصغير المجاور لقبور الصحابه من الشهدا
رضي الله عنهم يوم مشهود من كثرة المتاسفين له والمتنين
عليه قلت وفي هذه السنه توفي القاضي ابو الفتح
محمود بن اسمعيل بن قادوس كاتب الانشا بالحضرة المصريه
واصله من دمياط ذكره العماد في الخريدة فاثنى عليه ومن
شعره في رجل كان يطيل التكبير في اول الصلاه

دوافى

١

139.

• وفاتر البقية عينيها • مع كثرة الدعاء والهزم •
• مكبر سبعين في مرة • كانه صلى على حمزه •

ولـه في صفة كتاب

• مداد في الطرس لما بدا • قبله الصب ومن بره •
• كانما قد حل فيه اللما • او ذاب فيه الحجر الاسود •

وفيها بلغني ان القاضي الفاضل كان يعظمه كثيرا ويسميه ذا البلاغتين وهو احد من اشتغل الفاضل عليه وكان لا يتمكن من اقتباس فوايده غالبا الا في ركوبه من القصر الى منزله بمصر ومن منزله الى القصر فيسايره الفاضل ويجاريه في فنون الكتابة والادب والشعر وفي هذه السنه والتي بعدها كثرت الزلازل بالشام وقال ابو يعلى وفي ليلة الثاني والعشرين منه وافت زلزله هايله وجات فيها وبعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جا بعد ذلك ثلث دونهن بحيث احصين ست مرات وفي ليلة الخامس والعشرين منه جات زلزله ارتاع الناس منها في اول النهار واخره وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وحماه بانهدام مواضع كثيره وانهدام برج من ابراج فاميه بهذه الزلازل المباركه وذكر ان الذي احصى عدته منها تقدير الاربعين وما عرف مثل ذلك في السنين الماضيه والاعصار الخاليه وفي التاسع والعشرين من الشهر وافت زلزله اخر النهار وبالليل

زلزله

زلزله

ثانيه في اخره وفي اول شهر رمضان زلزله مروعه وثانيه
وثالثه وفي ثالث رمضان ثلاث زلازل واخري وقت الظهر
واخري هايله ايقظت النيام وروعت القلوب انتصاف الليل
وفي ليلة نصف رمضان زلزله هايله اعظم مما سبق وعند
الصباح اخري وفي الليلة التي يليها زلزلتان اولها واخرها
وفي اليوم الذي بعد يومها وفي ليلة الثالث والعشرين
زلزله مزعجه وفي ثالث شوال زلزله اعظم مما تقدم وفي
سابعه وسادس عشره وفي اليوم بعده اربع زلازل وليلة
الثاني والعشرين منه ودفع الله تعالي عن دمشق وضواحيها
ما خاف اهلها من اهلها توالي ذلك وتتابعه برافته بهم ورحمته
بهم فله الحمد والشكر لكن وردت الاخبار من ناحية حلب
بكثرة ذلك فيها وانهدام مساكنها الاسنين وان الكثير من
منازلها انهدم علي سكانه بحيث قتل منهم العدد الكثير واما
كفرطاب فهرب اهلها منها خوفا علي ارواحهم واما
حماه فكانت كذلك واما باقي الاعمال الشاميه فما عرف
ما حدث فيها من هذه الغدرة الباهرة ودخلت سنة
اثنين وخمسين ففي ليله تاسع عشر صفر وافت زلزلة
عظيمة وتلاها اخري وكذلك في ليلة العشرين واليوم بعدها
وتواصلت الاخبار من ناحية الشام بعظيم تاثير هذه
الزلازل وفي ليلة الخامس والعشرين من جمادي الاولي
وافت اربع زلازل وضج الناس بالتهليل والتسبيح

زلزله
زلزله
زلزله

والتقديس

والتقديس وفي ليلة رابع جمادى الآخرة وافت زلزلتان
وتواصلت الاخبار من ناحية الشمال بان هذه الزلازل اثرت
في حلب تاثيرا ازعج اهلها واقلقهم وكذلك في حمص وهدمت
مواضع فيها وفي حماه وكفرطاب وافاميه وهدمت ما كان
بني من مهدوم الزلازل الاول وحكي ان فيما اثرت
فيها هذه الزلازل تاثيرا مهولا وفي رابع رجب منها زلزلة
وافت بدمشق زلزلة عظيمة لم ير مثلها فيما تقدم ودامت
رجفانها حتى خاف الناس على انفسهم ومنازلهم وهربوا من
الدور والحوانيت والسقائف وانزعجوا واثرت في مواضع
كثيرة ورمت من فص الجامع السبعي الكبير الذي يعجز عن اعادة
مثله ثم وافت عقيبها زلزلة في الحال ثم سكنتا بقدرة
من حركهما ثم تبع ذلك في اول ليلة اليوم المذكور زلزلة وفي
وسطه زلزلة وفي اخره زلزلة وفي ليلة الجمعة ثامن رجب
زلزلة مهولة ازعجت الناس وتلاها في النصف منها ثانية
وعند انبلاج الصبح ثالثة وكذلك في ليلة السبت وليلة
الاحد وليلة الاثنين وتتابعت بعد ذلك بما يطول به الشرح
ووردت الاخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه ويرعب
النفوس ذكره بحيث انهدمت حماه وقلعتها وسائر دورها
ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنسوان
وهم العدد الكثير والجم الغفير بحيث لم يسلم منهم الا القليل
اليسير واما شيزر فان ربضها سلم الا ما كان حرب

زلزلة

زلزلة

زلزلة

واما حصنها المشهور فانه انهدم علي واليها تاج الدولة
ابن ابي العساكر بن منقذ ومن تبعه الا اليسير ممن
كان خارجا واما حمص فان اهلها كانوا قد اختلعوا
منها الي ظاهرها فسلموا وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها
واما حلب فهدمت بعض دورها وخرج اهلها منها الي
ظاهر البلد وكفرطاب وافاميه وما والاها ودنا منها
وبعد عنها من الحصون والمعاقل الي جبله وجبيل وانلفت
سلميه وما اتصل بها الي ناحية الرحبه وما جاورها ولو
لم يتدارك البلاد والعباد رحمة الله تعالي ولطفه ورافته
لكان الخطب اقطع وقد نظم في ذلك

من قوله

روعتنا زلازل حادثات ٭ بقضا قضاه رب السماء
هدمت حصن شيزر وحماه ٭ اهلكت اهله بسوء القضا
وبلاد الكثير وحصونا ٭ وثغورا موثقات البناء
واذا ما رنت عيون اليها ٭ اجرت الدمع عندها بالدما
واذا ما قضى من الله امر ٭ سابق في عباده بالمضاء
حار قلب اللبيب فيه ومن كان له فطنه وحسن ذكاء
وتراه مسبحا باكي العين ٭ مروعا من سخطه وبلاء
جل ربي في ملكه وتعالي ٭ عن مقال الجهال والسفهاء
قال واما اهل دمشق فلما وافتهم الزلزلة
في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب ارتاع

الناس

الناس من هولها واجفلوا من منازلهم والمسقف الى الجامع
والاماكن الخاليه من البنيان خوفا على نفوسهم ووافت بعد ذلك
اخرى فتفقع البلد وخرج الناس الى ظاهره والبساتين والصحرا
واقاموا عدة ليال وايام على الخوف والجزع يسبحون ويهللون
ويتضرعون الى خالقهم ورازقهم في اللطف بهم والعفو عنهم قال
وفي الرابع والعشرين من رمضان وافت دمشق زلزله روعت
الناس وازعجتهم لما قد وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد
الشام من تتابع الزلازل فيها ووافت الاخبار من ناحية
حلب بان هذه الزلازل الزلزله جات فيها هايله فقلعت
من دورها وجدرانها العدد الكثير وانها كانت بحماه اعظم
مما كانت في غيرها وانها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت يلتجي
اليها وانها دامت فيها اياما تترى في كل يوم عده وافر من
الرجفات الهايله يتبعها صيحات مختلفات تو في على اصوات
الرعود القاصفه المزعجه فسبحان من له الحكم والامر
ويتلى ذلك رجفات متواليه اخف من غيرهن فلما كان ليلة
السبت العاشر من شوال واخت زلزله هايله بعد صلاة
عشا الاخرة ازعجت وقلقلت وتلاها في اثرها هزه خفيفه
وكذى ليله العاشر من ذي القعده وفي غدها زلازل
وليلة الثالث والعشرين والخامس والعشرين منه ايضا
زلازل نفر الناس من هولها الى الجامع والاماكن المنكشفه
وضجوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعا والتضرع

زلزله

زلزله

الى الله تعالى وفي يوم الجمعة انسلاخ ذي القعدة وافت زلزلة
رجفت لها الارض وانزعج لها الناس وقال ابن الاثير
في سنة اثنين وخمسين كان بالشام زلزلة شديدة ذات
رجفات عظيمة متتابعة اخربت البلاد واهلكت العباد
وكان اشدها بمدينة حماه وحصن شيزر فانهما خربا بمرة
وكذلك ما جاورهما كحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد
والزوايا وهلك تحت الهدم من الخلق ما لا يحصيه الا الله
تعالى وتهدمت الاسوار والدور والقلاع ولولا ان الله
تعالى من على المسلمين بنور الدين جمع وحفظ البلاد والا كان
دخلها الافرنج بغير حصار ولا قتال قال ولقد بلغني من كثرة
الهلكى ان بعض المعلمين بحماه ذكر انه فارق المكتب لمهم له
فجائت الزلزلة فاخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان
جميعهم قال المعلم فلم يات احد يسال عن صبي له في المكتب
قلت وقرات في ديوان الامير الفاضل مويد الدولة
اسامة بن مرشد بن منقذ وقال في الزلازل التي
اهلكت كثيرا من اهل الشام وكان ابتداوها في شهر
الله رجب سنة احدى وخمسين وخمسماية وهلك بها من
هلك من الخلق ولا توا لحوا من عشرة الف نسمه قال وكتب
هذا المكتوب والزلازل الى الان بتعاهد البلاد
نمنا عن الموت والمعاد وأصبحنا نظن اليقين احلاما
فحركتنا مدى الزلازل تنقضوا كم ينام من نا ما

دفار

142.

وقال ايضا

ايها الغافلون عن سكرة الموت • واذ لا يسوغ في الحلق ريق •
كم الى كم هذا التشاغل • والغفلة جاد الساري وضل الطريق •

انما مرت الزلازل هدي • الارض بالغافلين كي يستفيقوا •

وقال في الزلازل ايضا وقد سكن الناس بعد الدور والترهه في اكواخ عملوها بالاخشاب ليلا تهدها الزلازل

يا ارحم الراحمين ارحم عبادك • من هدي الزلازل فهي الهلك والعطب •

ماجت بهم ارضهم حتى كانهم • ركاب بحر مع الامواج تضطرب
فبعضهم هلكوا فيها وبعضهم • لمصرع السلف الماضين مكتئبين يرتقب •
تعوضوا من مشيدات المنازل بالاكواخ فهي قبور سقفها خشب
كانها سفن قد اقلعت وهم • فيها فلا ملجأ منها ولا هرب •

وقال يرثي اهله الذين هلكوا بالزلازل بحصن شيزر وقصيدة منها

ما استدرج الموت قومي في هلاكهم • ولا تخرمهم مثنى ووحدانا •
فكنت اصبر عنهم صبر محتسب • واحمل الخطب فيهم عز او هانا •

واقتدي بالورى قبلي فكم فقدوا • اخا وكم فارقوا اهلا وجيرانا •
لكن سبقت المنايا وسط جمعهم • فعاجلوا على الاذقان اذعانا

وفاجأتهم من الايام فادعة • سقتهم بكووس الموت زيفانا •
• ماتوا جميعًا كرجع الطرف وانقرضوا • هل ما ترى تارك للعين
• انسانا •
اعزز علي بهم من معشر صبروا • على الحفيظة ان ذولوثة لانا •
لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم • قلبًا احسته صبرًا وسلوانا •
فلو راوني لقالوا مات اسعدنا • وعاش للهم والاحزان اشقانا •
لم يترك الموت منهم من يخبرني • عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا •
بادوا جميعًا وما شادوا واقوا جميعًا • للخطب ١٨٨ عمارًا وعمرانا
هذي قصورهم امست قبورهم • كذاك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل افنت معشري فاذا • ذكرتهم خلتني في القوم سكرانا
لا التفي الدهر من بعد الزلازل ما • حييت الا كسير القلب حيرانا
اخنت على معشري الادنين فاصطلمت • منهم كهولا وشبانا وولدانا
لم يحمهم حصنهم منها ولا رهبت • بأسًا تشاذ من الاقران ازمانا
ان اقبرت شيز منهم فهم جعلوا • منيع اسوارها بيضا وخرصانا
هم حموها فلو شاهدتها ومهم • بها لشاهدت اسادًا وخفانا
تراهم في الوغى اسدًا وبوم ندى • غيثًا مغيثا وفي الظلماء رهبانا
بنو ابي وبنو عمي دمهم • وان اروني مناواة وشنأنا
يطيب النفس عنهم انهم رحلوا • وخلفوني على الاثار عجلانا
وكتب اليه الصالح بن رزيك يعزيه عن اهله قصيدة
منها
بابي شخصك الذي لا يغيب • عن عياني فهو البعيد القريب

بالفلاة

يا اخلاي بالشام لبن عيشتم • فعيشو في اليكم لا يطيب

غصبتنا الايام فيكم منا • ولا بد ان ترد الغصوب

كره الشام اهله فهو • محقوق بان لا يقيم فيه لبيب

ان تجلت عنه الحروب قليلا • خلفتها زلازل وخطوب

رقصت ارضه عشيه غنى • الرعد في الجو والكرام طروب

وتثنت حيطانه اذ امالتها • شمال بزمرها وجنوب

لا هبوب لنايم منزلما به • وللعاصفات فيها هبوب

وارى البرق شامتا باحلك السن • وللجو بالغمام قطوب

ذكروا انه تذوب به • السحب فما للقلوب الصا تذوب

ابه بنى اصابها قدر الله • فللارض كالانام ذنوب

ان ظني والظن مثل سهام • الرمي منها المخطي ومنها المصيب

ان مدا الان عدت ساحة • القدس وما للاسلام فيها نصيب

منزل الوحي قبل بعث رسول • الله فهو المحجوج والمحجوب

نزلت وسط الكنائس والخمر • وبات الناقوس فيه الطنيب

توراة المسيح لم يرض فعلا • ذكروا انه له منسوب

ابعد الناس من عبادة • رب الناس قوم الا منهم مصلوب

لهف نفسي على ديار من • السكان اقوت فالسر فيها غريب

فاحتسب ما اصاب قومك • مجد الدين واصبر فالحادثات ضروب

ان تخصكم نوائب ما زالت • لكم دون من سواكم تنوب

فلذلك القناة تكسر يوم • الروع منها صدر ويبقى كعوب

وقرأت في ديوان العرقلة كان المولى صلاح الدين
يوسف بن ايوب مع عبيد غلام المولى وكان عبيد هذا
موصوفا بالثقل كانا في بيت بمدينة حماه يوم الزلزله
فوقعت المدينه باسرها سوى ذلك البيت الذي هما فيه

فقال العرقله

قل لصلاح الدين رب الندى ٭ لولا عبيد كان ما ابله
بثقله لما انتصا حيطنا ٭ سلمك الله من الزلزله

فصل قال الرئيس ابو يعلي في ثالث عشر ربيع الاول
توجّه نور الدين الي ناحية بعلبك ليتفقد احوالها وتقرير
امر المستحفظين بها وتواصلت الاخبار اليه من ناحية
حمص وحماه باغارة الفرنج على تلك الاعمال وفي خامس عشر
ربيع الاول ورد المبشر من العسكر المنصور بواسطة الماء بان
ناصر الدين امير اميران لما انتهى اليه خبر الفرنج انهم قد
انهضوا سرية وافرة العدد الى ناحية بانياس ليقووها
اسرع النهضة اليهم وعدتهم سبعماية فارس سوى الرجالة
فادركهم قبل الوصول الى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها
من حماتها فاوقع بهم وقد كان كمن لهم في مواضع كمنا من شجعان
الاتراك واندفع المسلمون بين ايديهم في اول المجال وظهر
عليهم الكمنا فانزل الله نصره على المسلمين بحيث لم ينج منهم الا
القليل وصاروا باجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب
واسير وحصل في ايدي المسلمين من خيولهم وسلاحهم

واموالهم

واموالهم واسرابهم وروس قتلاهم ما لا يحد كثرة ومحق
السيوف عامة رجالتهم من الغرنج ومسهى جبل عامله
المضافين اليهم ووصلت الاسرى وروس القتلى والعدد
الى دمشق وطيف بهم • وقد اجتمع لمشاهدتهم الخلق
وكان يوما مشهودا وانفذ الى نور الدين الى بعلبك
جماعة من اسرى المشركين فامر بضرب اعناقهم صبرا قال
وتبع هذا الفتح ورود البشرى الثانيه من اسد الدين
باجتماع العدد الكثير اليه من شجعان التركمان وانه قد
ظفر من المشركين بسرية وافرة ظهرت في معاقلهم من ناحية
الشمال فانهزمت وتخطف التركمان منهم من ظفر وابه قال
ووصل اسد الدين الى بعلبك في العسكر من مقدمي التركمان
وابطالهم للجهاد وهم في العدد الكثير والجم الغفير واجتمعوا
بنور الدين وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لقصدها
والابتدا بالنزول على بانياس وقدم نور الدين دمشق
في اخراج الات الحرب وتجهيزها الى العسكر بحيث يقيم اياما
يسيرة ويتوجه وامر بالندا بدمشق في الغزاة والمجاهدين
فتبعه من الاحداث والمتطوعة والفقها والصوفية المتدينين
خلق كثير وخرج يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الاول
وفي سابع ربيع الاخر عقيب نزول نور الدين على بانياس
ومضايقته لها بالمنجنيقات والحرب سقط بدمشق الطاير
من العسكر المنصور ببطاقة من بانياس يتضمن كتابة الاعلام بورود

المبشر من معسكر اسد الدين بناحية لمويبن في التركمان والوب
بان الفرنج خذلهم الله تعالى انهضوا سرية من اعيان
مقدميهم وابطالهم يزيد على مائة فارس سوى اتباعهم
لكبس المذكورين ظنا منهم بانهم في قلة ولم يعلموا انهم في
الوفر فلما دنوا منهم ونبوا اليهم كالليوث الى فرايسها
فاطبقوا عليهم بالقتل والاسر والسلب ولم ينج منهم الا
اليسير ووصلت الاسرى ورووس القتلى وعددهم
من الخيول المنتخبه والطوارق والقنطاريات الى دمشق
وطيف بهم فيه يوم الاثنين تالي اليوم المذكور قال
وتلا هذه الموهبة المتجددة سقوط الطاير من المعسكر المحروس
ببانياس في يوم الثلثا تلو المذكور يذكر افتتاح مدينة بانياس
بالسيف قهرا على مضي اربع ساعات من يوم الثلثا المذكور
عند تناهي النقب واطلاق النار فيه وسقوط البرج المنقوب
وهجوم الرجال فيه وبذل الرجال السيف في قتل من فيه ونهب
ما حواه وانهزام من سلم من القلعة وانحصارهم بها وان اخذهم
بمشية الله تعالى لا يبطي والله يسهله ويعجله قال
والغنو بعد ذلك ان الفرنج تجمعوا من معاقلهم عازمين على
استنقاذ الهنفري صاحب بانياس ومن معه من اصحابه المحصورين
بقلعة بانياس وقد اشرفوا على الهلاك وبادروا بالغنوا
في السوال لنور الدين الامان ويسلمون ما في ايديهم من
القلعة وما حوته ليتخلوا سالمين فلم يجبهم الى ما سالوا وعنبوا

فقد

فيه فلما وصل ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل
من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازل على بانياس
لحصارها والنازل على الطريق لمنع الواصل اليها اقتضت
السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا اليها واستخلصوا
من كان فيها وحين شاهدوا ما عم بانياس من خراب سورها
ومنازل سكانها يئسوا من عمارتها بعد خرابها
وفي تاسع جمادى الاولى سقطت الاطيار بالكتب من المعسكر
النوري يتضمن الاعلام بان الملك العادل نور الدين اعز الله
نصره لما عرف ان معسكر الكفرة الافرنج على الملاحة بين طبرية
وبانياس نهض في عسكره المنصور من الاتراك والعرب وجد
في السير فلما شارفهم وهم غارون وشاهدوا راياته قد
اظلتهم بادروا بلبس السلاح والركوب وافترقوا اربع
فرق وحملوا على المسلمين فعند ذلك ترجل الملك العادل
نور الدين فترجلت معه الابطال وارشقوهم بالسهام وخرصان
الرماح حتى تزلزلت بهم الاقدام ودهمهم البوار والحمام
فانزل الله نصره على المسلمين وتمكنوا من فرسانهم قتلا واسرا
واستاصلت السيوف الرجالة وهم العدد الكثير فلم يفلت
منهم غير عشرة نفر وقيل ان ملكهم لعنه الله فيهم وقيل
انه في جملة القتلى ولم يعرف له خبر ولم يفقد من عسكر
الاسلام سوى رجلين احدهما من الابطال المذكورين قتل
من لقيه من شجعان الكفرة وقتل عند حضور اجله

الى رحمة الله والاخر غريب لا يعرف وكل منهما مضى شهيدا مثابا
ماجورا رحمهما الله وامتلات ايدى العساكر من خيولهم وعددهم
وكراعهم واسارى سوادهم وحصلت كنيستهم فى يد الملك
نور الدين بالاثقال المشهورة وكان فتحا مبينا ونصرا عزيزا
ووصلت الاسرا وروس القتلى الى دمشق يوم الاحد
تالى يوم الفتح وقد ربطوا على كل جمل فارسين من ابطالهم
ومعهما راية من راياتهم منشورة وفيها من جلود روسهم بشعرها
عدة والمقدمون منهم وولاة المعاقل والاعمال كل واحد
منهم على فرس وعليه الزردية والخوذة وفى يده راية والرجالة
كل ثلثة واربعة واقل واكثر فى حبل وخرج من اهل البلد
الخلق الذى لا يحصى لهم عدد من الشيوخ والشبان والنسا
والصبيان لمشاهدة ما منح الله تعالى كافة المسلمين من
من هذا النصر المبين واكثروا شكر الله تعالى والدعا لنور الدين
المحامى عنهم المرامى دونهم والثنا على مكارمه والوصف لمحاسنه
ونظم فى ذلك ابيات فى هذا المعنى

ما راينا فيما تقدم يوما • كامل الحسن غاية فى البها
مثل يوم العرج حين علتهم • ذلة الاسر والبلا • والعنا
وبراياتهم على العيس زفوا • بين ذل وحسرة وعنا •
بعد عز لهم وهيبة تذكر • فى مصاف الحروب والهيجا •
هكذا هكذى هلاك الاعادى • عند شن الاغارة الشعوا
شوم اخذ الجيشار كان • وبالا عمهم فى صباحهم • والمسا

والوصف

متقهوا

نقضوا هدنة الصلاح بجهل • بعد تاكيدها بحسن الوفاد •
فلقوا بغيهم بما كان منهم • من فساد بجهلهم واعتداد •
لا حمى الله شملهم من شتات • بمواض يعوق حد المضاء •
فجزا الكفور قتل واسر • وجزا الشكور خير الجزاء •
وكرب العباد حمد وشكر • دائم مع تواصل الانعماد •

قال وشرع في قصد اعمالهم لتملكها وتدويخها والله هو المعين والموفق

وقال ابن ابي طي في سنة اثنتين وخمسين غارت الفرنج على بلد حمص وحماه وافسدوا واكثروا العبث واتصل ذلك بنور الدين فانفذ اليهم عسكرا كثيفا فاوقع بهم وهزمهم الى ابن باناس وخرج نور الدين حتى نزل على باناس وحصرها اشد حصار حتى افتتحها في الثامن والعشرين من ربيع الاول واخذ جميع ما كان للفرنج فيها وانفذ الغنيمة والاسارى مع اسد الدين الى دمشق وانفذ معه مقدار الفي فارس واتصل ذلك بالفرنج فانتصبت الى معارضة اسد الدين فقطعه من خيالتها واتصل باسد الدين وفود جمع الفرنج فلبس لامته وتقدم في جماعة من مماليكه بين يدي العسكر وامر الرجالة بلقاء الفرنج وناجزهم الحرب فلم يتماسكوا بين يديه ورجعوا على اعقابهم وتبعهم مقدار فرسخين يقتل ويأسر وغنم منهم غنيمة حسنة وعاد الى اصحابه ظافرا وتوجه في وجهته مؤيدا

فصل

قال الرئيس ابو يعلى وفي العشر الثاني من جمادى الاخرة تواصلت الاخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق

كثير للنزول على انطاكيه واوجبت الطول تغير سوالمهادنه
بين نور الدين وملك الفرنج وتكررت المراسلات بينهما والاقتراحات
والمشاجرات بحيث فسد الامر ولم يستقر على مصلحه ووصل
نور الدين الى معرة عزره في بعض عسكره واقرباقيه ومقدميه
مع العرب باذا اعمال المشركين قال وفي ثالث رجب
توجه نور الدين الى ناحية حلب واعمالها لتجديد مشاهدتها
والنظر في حمايتها عندما عاث المشركون فيها وقربت عساكر
الملك ابن مسعود منها ثم قال بعد ذلك قد تقدم من ذكر
نور الدين ونهوضه في عسكره من دمشق الى بلاد الشام
عند انتهاء الخبر اليه بتجمع احزاب الفرنج خذلهم الله وقصدهم
لها وطمعهم بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابعه
لها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل في اعمالها
وثغورها لحمايتها والذب عنها والناس من سلم من اهل حمص
وشيزر وكفرطاب وحماه وغيرها بحيث اجتمع اليه العدد
الكثير والجم الغفير من رجال المعاقل والاعمال والتركمان
وخيم بهم بازا جمع الفرنج بالقرب من انطاكيه وحصرهم بحيث
لم يقدر فارس منهم على الاقدام على الافساد فلما مضت
ايام من شهر رمضان عرض لنور الدين ابتدا امرض حاد فلما
اشتد به وخاف منه على نفسه استدعى اخاه نصرة الدين
امير ميران واسد الدين شيركوه واعيان الامرا والمقدمين
واوصى اليهم ما اقتضاه رايه واستصوبه وقرر معهم كون

اخيه

اخيه نصرة الدين القائم في منصبه من بعده والساد لثلمة
فقده لاشتهاره بالشهامة وشدة الباس ويكون مقيما
بحلب ويكون اسد الدين في دمشق في نيابة نصرة الدين
واستحلف الجماعة على هذه القاعدة فلما تعزز اشتد
به المرض فتوجه به في محفة الى حلب وحصل في قلعتها وتوجه
اسد الدين الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الفرنج وتواصلت
الاراجيف بنور الدين وانزعجت القلوب فتفرقت جموع المسلمين
واضطربت الاعمال وطمع الافرنج فقصدوا مدينة شيزر
وهجموها وحصلوا فيها فقتلوا واسروا ونهبوا وتجمع من عدة
جهات خلق كثير من رجال الاسماعيلية وغيرهم وظهروا
عليهم فقتلوا منهم واخرجوهم من شيزر بعد الظفر واتفق
وصول نصرة الدين الى حلب فاغلق والي القلعة مجد الدين
في وجهه الابواب وعصى عليه فثارت احداث حلب وقالوا
هذا صاحبنا وملكنا بعد اخيه فزحفوا في السلاح الى باب
البلد وكسروا اغلاقه ودخل نصرة الدين في اصحابه وحصل
في البلد وقامت الاحداث على والي القلعة باللوم والانكار
والوعيد واقترحوا على نصرة الدين اقتراحات من جملتها
اعادة رسمهم في التاذين بحي على خير العمل محمد وعلي خير
البشر فاجابهم الى ما رغبوا فيه واحسن القول لهم والوعد
ونزل في داره وانفذ والي القلعة اليه والى الحلبيين يقول
مولانا نور الدين حي في نفسه وما كان الى ما فعل حاجة

فعيل الذنب في ذلك للوالي وصعد الى القلعة من شاهد
نور الدين حيا يفهم ما يقول وما يقال له فانكر ما جرى وقال
انا اصفح للاحداث عن هذا الخطل ولا اواخذهم بالزلل
وما طلبوا الاصلاح حال اخي وولي عهدي من بعدي وشاعت
الاخبار وانتشرت البشارات في الاقطار بعافيته وانست
القلوب بعد الاستيحاش وانتهجت النفوس بعد القلق والارتعاج
وتوابدت العافيه وصرفت الهمم الى مكاتبات المتقدمين
بالعود الى جهاد الملاعين وكان نصرة الدين قد ولي بمدينة
حران وما اضيف اليها وتوجه نحوها ولما تناصرت الاخبار
بالبشاير الى اسد الدين بدمشق بعافيه نور الدين واعتزامه
على استنهاض العساكر الاسلاميه للجهاد سارع بالنهوض
من دمشق الى حلب ووصل اليها في خيله واجتمع بنور الدين
فاكرم لقاه وشكر مسعاه وشرعوا في حمايه الاعمال من شر
عصب الكفر والضلال قال وقلت هذه الابيات
في هذا المعنى
لقد حسنت صفاتك يا زماني وفزت بما رجوت من الاماني
فلم اصبحت مرتاعًا لخوف فبدلت المخافه بالامان
وجاتنا اراجيف بملك عظيم الشان مسعود الزمان
فروعت القلوب من الرايا وصار شجاعها مثل الجبان
وثارت فتنة يخشى اذاها على الاسلام في قاص وداني
ووافا بعد ذاك بشير صدق بعافيه المليك مع التهاني

تولى

زلزلة

فولى الخوف منهدم المباني ◦ وعاد الامن معمور المعاني ◦

وقال ابن ابي طي الحلبي وفي هذه السنه كانت الزلزله
التي هدمت شيزر فخرج نور الدين واخذها من بني منقذ
وسلمها الى مجد الدين ابن الدايه وسار الى سرمين ثم
بلغه حركة الفرنج فاعترضه هناك مرض اشفي منه فاحضر
شيركوه واوصاه بالعساكر وان يكون الامر بعده الى اخيه
نصرة الدين امير اميران فسار اسد الدين الى دمشق ليقيم
بمرج الصفر خوفا ان يتحرك الفرنج الى جهة دمشق وغيرها
ولم يزل هناك حتى تعافا نور الدين فعاد الى خدمته مهنيا له
بالعافيه وكان اخوه نصرة الدين قد حاصر قلعة حلب في مدة
مرض نور الدين فلما افاق نور الدين من مرضه سيره الى
حران وجعل ولي عهده اخاه قطب الدين صاحب الموصل
وقد كان مجد الدين طمع في الملك لنفسه فتحرم الامر وتقرب
الى الناس وجعل له اصحاب اخبار وشحن الطرقات والسبل
بالرجال يتفتشون الخارجين من حلب وغيرها والداخلين
اليها قلت ولابن منير يهنيه لنور الدين بالعافيه
من مرض عرض هذا

• يا شمس لا كسف ولا تكدار • ولا خلت من نورك الانوار •
• البدر منقوص وانت كامل • لك السرايا وله السرار •
• برؤك للاسلام من دوايه • برء وفي اعدايه بوار •
• ما انت الا السيف صد صدا • عن متنه مضربه البتار •

لو كان محمولا اذى عن منفس لحملته دونك الابصار
ولو فدت ارض سما سافت الملوك ففي فدايك الامصار
انت غياث محلهم ان اجدبوا وخيرهم ان ذكر الخيار
وفي سرير الملك منها ملك لله في اسراره اسرار
خير ملوك الارض جدا وابا ان فخر عطفي ماجد نجار
مؤيد على الدين واق دولة تنازعت اثمارها الاستمار
علت بناياه وحلت بلكه فهي عليه السور والسوار
محمود المحمود عصر ملكه فللحيا من مونه اعتصار
بنور دين اظلمت افاقه لو لم تبلج هذه الاثار
لله ايام ما تخطه بالمسك من اسفارها الاسفار
سلمت للاسلام ترعى سرحه اذا ونا رعاته وجاروا
شكوت فالدنيا على سكانها قرار جانبها الغرار
كادت تمور الارض من اشفاقها لولا استفادها تمار
درت عليك البركة حيث لنسب تحسدها بزرقه نزار
لا عدمت منك الاماني دهرها معطى من الاقبال ما تختار
ما سمح الدهر بان تبقى لنا فكل جرح مسنا جبار

وله من قصيدة اخرى

لا لوذي لانعم الله شكرا ايك يا اعظم البرية قدرا
ذو رعشروا فالافلاع ذا جملا المنة المماه عشرا
ام معناكه ضامنا ان ايامك تفني الاحقاب عصرا
فعصرا

في محل

149.

في محل له السماكان سمك وجدود لها النجوم مجرا

ايها العادل المظفر لا فضت شيا الدهر من شبابك ظفرا

جعل الله ما استهل من الاشهر بهل في مغازيك نصرا

ابدا يستمر البهاني على ساحاتك الزهر في المواسم نشرا

انت اشرى الملوك نفسا وقلبا والى اسمهم من الطيف اسرا

ملك عنده المشارب تستمرا والخلائق الجود نثرا فتنثرا

فلك الله من مثمر بارد يصطفي صالحا ويحصد اجرا

عش لملك اصبحت في الدست منه فوق كسري عدلا وتبعا وكسرا

تقطر الطيبات للفطر قطرا وتعم الاعياد في النحر نحرا

نفتني من كساك النفس ملبوس وبقيتك منه اطول عمرا

انت تملي ونحن ننظم مما سنته العزم من مساعيك نثرا

صرف الله عنك عن زمان بك صارت بعد الاصابة عبرا

وتوالت لك الفتوح الى ان تملا الخافقين نهبا واسرا

كلما اهجت ملابس نعمى وتمليتهن جددت اخرى

وقال القيسراني

من قصيدة

اشرق البهو يا جميل الجلال فحلاه لوجهك المتلالى

عن لبال حجبن عنها سناها انما غيبة الهلال الليالي

لم يكن ما ألم بالجسم شكوى • فهنيئاً لنا بقد الاقبال •
لا ولا كان زائراً من سقام • انما كان طائفاً من خيال •
وعكة اقلقت وانت صحيح • ويصح النسيم بالاعتلال •
او ما منذ السما سرات الله فيها على طريق الكمال •
نعمة الله لا تخص لحصر • الخالق الآمر كان منه ببال •
ولباس من المثوبة والغفران البسته ضافي الاذيال •
فهنيئاً لك البقا وان • كان مما تخص فيه المعالي •
والتقى والندى ومعروفه • الجم وبيض الظبى وسمر العوالي •
والخلال التي اذا ما تخلت • صدرت عنك عن كريم الخلال •
ان وقتك النفوس ما يتوقى • فحقيق بذي الموالي الموالي •
او تخصصت في شعار من • التقوى فما زلت منه في سربال •
فشفى الله من اجلك راية • صريح الدعا والابتهال •
ملك ابدل المخافة بالامن • واضحى بعد في الابدال •
وهو تاج الملوك فالملك • العاطل حال به على كل حال •
واذا البدر ان غاب فنور • الدين شمس بحربه الاهمال •
تداركت من وجهك العلا ماء يزينها وهي مرآة صالح الاعمال •
وقضى الله ان تحمك في الانجم سام وان جدك عال •
كل يوم تهدى التحايا بحيث • بالتهاني على يد الاقبال •

فصل في حصن شيزر وولاية بني منقذ

قال ابن الاثير وهو حصن قريب من حماه بينهما نحو نصف نهار وهو امنع القلاع واحصنها على حجر عال له طريق منقور

فصل في حصن شيزر وولاية بني منقذ

في

في طرف الجبل وقد قطع الطريق في وسطه وجعل عليه جسر
من خشب فاذا قطع ذلك الخشب تعذر الصعود اليه وكان
لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه من ايام صالح بن مرداس
الى ان انتهى الامر الى الامير ابي المرهف نصر بن علي بن المقلد
بن نصر بن منقذ بن نصر بن هاشم بعد ابيه ابي الحسن علي
فبقي به مدة طويلة الى ان مات بشيزر من سنة احدى وتسعين
واربعماية وكان شجاعا كريما جوادا فلما حضره الوفاة
استخلف اخاه الامير ابا سلامة مرشد بن علي وهو والد
اسامة فقال والله لا وليتها ولاخرجن من الدنيا كما دخلتها
وكان عالما بالقران والادب كثير الصلاح فولاها اخاه ابا
العساكر سلطان بن علي وكان اصغر منه واصطحبا اجمل صحبة
مدة من الزمان فولد لابي سلامة مرشد عدة اولاد ذكور
فكبروا وسادوا منهم عز الدولة ابو الحسن علي ومؤيد
الدولة اسامة بن مرشد وغيرهما ولم يولد لاخيه سلطان
ولد ذكر الى ان كبر فجاه اولاد فحسد اخاه على ذلك فكان
كلما راى صغر اولاده وكبر اولاد اخيه وسيادتهم ساه ذلك
وخافهم على اولاده وسعى المفسدون بينهما فغيروا كلا منهما
على اخيه فكتب الامير سلطان الى اخيه شعرا يعاتبه على
اشيا بلغته عنه فاجابه بابيات جيدة في معناه وكلهم كان
اديبا شاعرا • فمنها

• ظلوم ابت في الظلم الا تماديا • وفي الصد والهجران الا تناهيا

شكت هجرنا في ذاك والذنب دينها • فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا

وطاوعت الواشين فيّ وطالما • عصيت عذولا في هواها وواشيا

ومال بها تيه الجمال الى القلى • وهيهات ان امسي لها الدهر قاليا

ولا ناسيا ما اودعت من عهودها • وان هي ابدت جفوة وتناسيا

ولما اتاني من قريضك جوهر • جمعت المعاني فيه لي والمعانيا

وكنت هجرت الشعر حينا لانه • تولى برغمي حين ولى شبابيا

واين من المشتاق لفظ مفوق • اذا رمت ادنى القول منه عصانيا

وقلت اخي يرعى بنيّ واسرتي • ويحفظ عهدي فيهم وذماميا

ويجزيهم ما لم اكلفه فعله • لنفسي فقد اعددته من تراثيا

فمالك لما ان حنى الدهر صعدتي • وثلم مني صارما كان ماضيا

تنكرت حتى صار برك قسوة • وقربك مني جفوة وتنائيا

فاصبحت صفر الكف مما رجوته • كذي الياس قد عفى سبيل رجائيا

على انني ما حلت عما عهدته • ولا غيرت هذي السنون ودادبا

فلا غرو عند الحادثات فانني • اراك يميني والانام شماليا

نحن بها عذرا الوفيرت بها • نجوم السما لم تعتدد دراريا

تحلت بدر من صفات كانها • كما زان منظوم اللآلي الغوانيا

وعثرنا بيا للجود ما كان وانيا • مشيدا من الاحسان ما كان واهيا

قال وكان الامر فيه في حياة الامير مرشد بعض الستر فلما مات سنة احدى وثلثين وخمسمائة قلب اخوه لاولاده

ظهر

ظهر العجز وبادا بهم بما يسوهم وتمادت الايام بينهم الى ان قوي
عليهم فاخرجهم من شيزر وكان اعظم الاسباب في اخراجهم
ما حدثت به عن مويد الدوله اسامة بن منقذ قال
كنت من الشجاعة والاقدام على ما قد علمت الناس فبينما
انا بشيزر واذا قد اتاني انسان فاخبرني ان بدجله بقارنه
اسدا اصاد بنا قال فركبت فرسي واخذت سيفي وسرت
اليه لا قتله ولم اعلم احدا من الناس لئلا امنع من ذلك فلما
قربت من الاسد نزلت عن فرسي وربطته ومشيت نحوه فلما
راني قصدني ووثب فضربته على راسه بالسيف فانفلق
ثم اجهزت عليه واخذت راسه في مخلاة فرسي وعدت الى
شيزر ودخلت على والدتي والقيت الراس بين يديها
وحدثتها الحال فقالت يا بني تجهز للخروج من شيزر فوالله
لا يمكنك عمك من المقام ولا احد من اخوتك وانتم على
هذه الحال من الاقدام والجراه فلما كان الغد امر عمي
باخراجنا من عنده والزمنا به الزاما لا مهلة فيه فتفرقنا
في البلاد فقصدت الملك العادل نور الدين وشكر الله
ما لقوا من عمهم فلم يمكنه فصله ولا الاخذ بثارهم واعادهم
الى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج وخوفه من ان يسلم شيزر
الى الفرنج وبقي في نفسه ولو في الامير سلطان وولي بعده
اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فاشتد ما في
نفسه وهو ينتظر الفرصه فلما خربت القلعه بالزلزلة لم يسلم

لم يسلم منها احد كان في الحصن فبادر اليها ومَلَكها واضافها الى بلاده وعمرها واسوارها واعادها كان لم تخرب وكذلك ايضا فعل بمدينة حماه وكلها خرب بالشام بهذه الزلزله فعادت البلاد احسن ما كانت **قلت** وسيأتي ذكر اسامة بن منقذ في اخبار سنة اثنين وسبعين وهي السنة التي قدم فيها دمشق من بلاد الشرق وذلك انه لما خرج من شيزر استوطن دمشق ثم فارقها الى الديار المصرية وكتب الى معين الدين انر اتابك صاحب دمشق يعاتبه في اسباب المفارقه قصيده **اولها**

ولو اخلى رجونا عدلهم ظلموا • فليتهم حكموا فينا بما علموا •
ما مرّ يوما بفكري ما يريبهم • ولا سعت بي الى ما ساءهم قدم •
ولا اضعت لهم عهدًا ولا اطّلعت • على ودائعهم في صدري التهم •
فليت شعري بم استوجبت هجرهم • ملّوا فصدّهم عن وصلي السأم •
حفظت ما ضيّعوا اغضيت حين جنوا • وفيت اذ غدروا واصلت انصرموا •
حرمت ما كنت ارجو امن ودادهم • ما الرزق الا الذي يجري به القسم •
وبعد لو قيل لي ماذا تحبّ وما • تختار من زينة الدنيا لقلت هم •
هم مجال الكرى من مقلتي ومن • قلبي محل المنى جاروا او احتكموا •
تبدلوا بي ولا ابغي بهم بدلا • حسبي هم انصفوا في الحكم ام ظلموا •
بلّغ اميري معين الدين مالكة • من نازح الدار لكن وده امم •

وقال

وقال له انت خير الترك فضلك الحيا والدين والاقدام والكرم
هلا انفت حيا او محافظة من فعل ما انكرته العرب والعجم
اسلمتنا وسيوف الهند مغمدة ولم يرق بسنان السمهري دم
وكنت احسب من والاك في حرم لا يعتريه به شين ولا هرم
وما ظننا باولى من اسامة بالـ ـوفا لكن جرى بالكاين القلم
فما جنينا ذنوبا لا نكفرها عند الغماد لحنا الاطفال والحرم
القيتهم في يد الافرنج متبعا رضى عدي بسخط الرحمن فعلهم
حين تم مثل تجريبي لتخبرهم فللرجال اذا جربتهم قيم

وفي طويله وطمان المذكور خادم تركي كان لاتابك
ملك الامرا زنكي بن اق سنقر هرب من خدمته الى دمشق
فطلبه ولج فيه فاشتمل عليه معين الدين لجنسيته فلما
لج فيه سيره الى العرب وقام له بما يحتاج اليه الى ان دل الى
لحقه منه بدمشق وبقي اسامة بمصر الى ان خرج منها مع
عباس كما سبق ذكره واسر الفرنج اخاه نجم الدوله محمد بن مرشد
وطلب من ابن عمه ناصر الدين محمد بن سلطان صاحب شيزر
الاعانه في فكاكه فلم يفعل فادخر الله سبحانه اجر
خلاصه وحسن ذكره للملك العادل نور الدين رحمه الله فوهبه
فارسا من مقدمي الداويه يغالى له المستطوب فقد بذل الافرنج
فيه عشرة الاف دينار فاستخلص به اخاه من الاسر وبلغ
اسامة ان القاضي كمال الدين بن الشهرزوري انشد نور الدين
ملك بني منقذ تولى وكان فوق السماك سمكه

فاعتبروا وانظروا وقولوا سبحان من لا يزول ملكه والمعروف ملك بني برمك فعبّر المشتبه لما تمثّل به في عرضه فاجاز بما اسامة بهذه الابيات

وكل ملك الى زوال • لا يعتري ذا اليقين شكه
ان لم يزل بانتقال حال • ازال ذا الملك عنه ملكه
والله رب العباد باق • وهالك نده وشركه
فقل لمن يظلم البرايا • غرّه امهاله وتركه
تلبس ذنوبا عليك تحصى • بحصرها نقله وحكه
كم ناسك نسكه دنيا • او بغيه في المعاد نسكه
فاحذر مما يختفي عليه • من عبده صدقه وافكه

وما احسن ما قال اسامة في كبره

مع الثمانين عاق الضعف في جلدي • وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي

اذا كتبت فخطي جد مضطرب • كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما • من بعد حطم القنا في لبة الاسد
وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت • رجلي كاني اخوض الوحل في الجلد
فقل لمن يتمنى طول مدته • هذي عواقب طول العمر والمدد

فصل في بواقي حوادث سنة اثنين وخمسين قال

المؤيّدي ابو يعلى ثنا مرتب الاخبار بظهور امير المومنين المقتفي على عسكر السلطان المخالف الامر ومن انضم اليه من عسكر

الموصل وعزم بحيث قتل منهم العدد الكثير ورحلوا عن بغداد
موقنين مغلولين خاسرين بعد المضايقة والتناهي في المحاصرة
والمصابرة قال وورد الاخبار في اوايل رجب
بوفاة السلطان غياث الدنيا والدين ابي الحرث سنجر بن ابي
الفتح بن البارسلان سلطان خراسان عقيب خلاصه
من الشدة التي وقع فيها والاسر الذي حصل فيه وكان بحيث
العدل والانصاف للرعايا حسن السيرة جميل الفعل وقد
علت سنه وطال عمره وكان قد ورد كتابه في اواخر صفر
من هذه السنة الى نور الدين بالتشوق اليه والاحماد لخلاله
وما ينتهي اليه من جميل افعاله واعلامه ما من الله عليه به من
خلاصه من الشدة التي وقع فيها والاسر الذي بلي به من خلاصه
في ايدي الكفار من ملوك التركمان بحيلة دبرها وسياسة احكمها
وقررها بحيث عاد الى منصبه من السلطنة المشهورة واجتماع
العساكر المتفرقة عنه اليه قال وفي شهر رمضان
ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشيخ مخلص الدين ابو البركات
عبد القاهر ابن علي بن ابي جرادة الحلبي وهو الامين على خزاين
مال نور الدين وكان كاتبا بليغا حسن البلاغة نظما ونثرا
مستحسن الفنون من التذهيب البديع وحسن الخط المحرر
على الاصول القديمة المستطرفة مع صفا الذهن وتوقد الفطنة
والذكا قال وفي رابع عشر شوال ورد الخبر من ناحية
بصرى بان واليها فخر الدين سرخاك قتل غيلة بموافقة من

اعيان خاصته وكان فيه افراط في التحرز واستعمال التيقظ
ولكن القضا لا يغالب ولا يدافع قال وفي اوايل ذي
القعده ورد الخبر من حمص بوفاة واليها الملقب بصلاح
الدين وكان في ايام شبيبته وقد حظي في خدمة عماد الدين
زنكي وتقدم عنده بالمناصحه وسداد التدبير وحسن
السفاره وصواب الراي ولما علت سنه ضعف عن ركوب
الخيل والجاته الضروره الي الحمل في المحفه لتدبير الاحوال
والنظر في الاعمال ولم ينقص من حسبه وفيه ماينكر عليه
حين وفاته وخلفه من بعده اولاده في منصبه وولايته
قال وورد الي دمشق امام من ايمة فقهاء بلخ في
عنفوان شبابه وعصاره عوده ما رايت افصح من لسانه
بيلاغتيه العربيه والفارسيه ولا اسرع من جوابه براعته
ولا اطيش قلمه في كتابته ابو الحياه محمد بن ابي القسم بن عمر
السلمي ووعظ في جامع دمشق عدة ايام والناس يستحسنون
وعظه ويستطرفون فنه وسلاطة لسانه وسرعة جوابه
وحدة خاطره وفصاحته وصفا حسه قال ابن الاثير
وفيها في ذي الحجة توفي الامير عز الدين ابو بكر الدبيسي
صاحب جزيرة ابن عمر وكان من اكابر الامرا باخذ بقسنه
ماخذ الملوك وكان عاقلا حازما ذا راي وكيد ومكر وملك
الجزيرة قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل اخو نور
الدين ثم دخلت سنة ثلث وخمسين قال الوليد

ابو

قتال الافرنج بالبلاد

الوبعلي في اوايل المحرم تناصرت الاخبار من ناحية الافرنج المقيمين
بالشام بمصابقتهم لحصن حارم ومواظبتهم علي رميه بحجارة
المناجيق الي ان اضعفوه وملكوه بالسيف وتزايد طمعهم في شن
الغارات في الاعمال الشاميه واطلاق الايدي في العيث والافساد
في معاقلها وضياعها بحكم تفرق العساكر الاسلاميه والخلف
الواقع بينهم باشتغال نور الدين بعقابيل المرض العارض
له وسه المتتبعه التي لا تدافع والاقضيه التي لا تمانع
وفي صفر ورد الخبر والمبشر بنزول نور الدين من حلب
للتوجه الي دمشق واتفق للكفره الملاعين تواتر الطمع في شن
الغارات علي اعمال حوران والاقليم واطلاق ايدي الفساد
والعيث والاحراق والاخراب في الضياع والنهب والاسر
والسبي وقصد داريا والنزول عليها في انسلاخ صفر واحراق
منازلها وجامعها والتناهي في اخرابها وظهر اليهم العسكريه
والاحداث وهموا بقصدهم والاسراع الي لقايهم وكفهم فمنعوا
من ذلك بعد ان قتلوا منهم وحين شاهد الكفار خذلهم
الله تعالي كثرة العدد الظاهر اليهم رحلوا في اخر النهار
الي ناحية الاقليم ووصل نور الدين الي دمشق وحصل في قلعته
سادس ربيع الاول سالما في نفسه وجملته ولقي باحسن زي
وترتيب وتجمل واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا
وبالغوا في شكر الله تعالي علي سلامته وعافيته والدعا له
بدوام ايامه وشرع في تدبير امر الاجناد والتاهب

للجهاد قال وفي اوايل ربيع الاول ورد الخبر من
ربيع الاول ورد الخبر من ناحية مصر بخروج قطعة وافرة
من عسكرها الى غزة وعسقلان واغاروا على اعمالها وخرج
اليهم من كان بها من الفرنج الملاعين فاظهر الله تعالى المسلمين
عليهم قتلا واسرا بحيث لم يفلت منهم الا اليسير وغنموا ما ظفروا
به وعادوا سالمين ظافرين وقيل ان مقدم الغزاة
في البحر ظفر بعدة من مراكب المشركين وهي مشحونة بالفرنج
فقتل واسر منهم العدد الكثير وحاز من اموالهم وعددهم
والاتهم ما لا يكاد يحصى وعاد ظافرا غانما قلت وارسل
الى مويد الدوله اسامة بن منقذ من مصر وزيرها الملك
الصالح ابو الغارات طلايع بن رزيك قصيدة يشرح فيها حال
هذه الغزاة ويحرض فيها نور الدين على قتال المشركين ويذكر
بما من الله تعالى عليه به من العافية والسلامة من تلك المرضة
المتقدم ذكرها وكان كثيرا ما يكاتبه طالبا منه اعلام نور الدين
به للغزاة حثه عليها واول هذه القصيدة

الا هكذا في الله تمضي العزايم ⁘ وتنضى لدى الحرب السيوف الصوارم

وتستنزل الاعدا من طود عزهم ⁘ وليس سوى سمر الرماح سلالم

وتغزى جيوش الكفر في عقر دارها ⁘ ويوطا حماها والانوف رواغم

ويوفي الكرام الناذرون بنذرهم ⁘ وان بذلت فيها النفوس الكرايم

نهوضا مسير الجيش في صفر ⁘ فما مضى نصفه حتى انثنا وهو غانم

بعثناه

يقتنا من مصر الى الشام قاطعا مفاوز وخد العيس فيهن دايم
فما هاله بعد الديار ولا ثنى عزيمته جهد الظما والسمايم
يهجر والعصفور في فحو وكنه ويسري الى الاعدا والليل نايم
[illegible] يباري خيولا ما تزال كانها اذا ما هي انقضت قشاعم

يسير بها ضرغام في كل مارق وما يصحب الضرغام الا الضراغم
ورفقته عمر الزمان وحاتم وكانوا ان لاقا المنية حاتم
وواجههم جمع الفرنجة كله يهون على الشجعان فيها الهزايم
فلقوهم زرق الاسنة وانطووا عليهم فلم يرجع من الكفر ناجم
وما زالت الحرب العوان اشدها اذا ما تلاقى العسكر المتصادم
يشبههم من لاح جمعهم له بلجة بحر موجه متلاطم
وعادوا الى سل السيوف فقطعت رؤوس وحزت للفرنج غلاصم

فلم ينج منهم يوم ذلك مخبر ولا قيل هذا وحده اليوم سالم
بعثتهم بالراي طورا وتارة يدوسهم منا المذاكي الصلادم
فقولوا الثور الدين اقبل حلمه ولا حكمت فيه الليالي الغواشم
تجهز الى ارض العدو ولا تهن وتظهر فتورا ان مضت منك حادم
فما مثلها تبدي احتفالا به ولا يعض عليها للملوك الاباهم
فعندك من الطاف ربك ما به علمنا يقينا انه بك راحم
اعادك حيا بعد ان زعم الورى بانك قد لاقيت ما الله حاتم
بوقت اصاب الارض ما قد اصابها وحلت بها تلك الدواهي العظايم

وجيم جيش الكفر في ارض شيزر فسيقت سبايا واستحلت محارم
وقد كان تاريخ الشام وهلكه ومن يحتويه انه لك عادم
فقم واشكر الله الكريم بنهضه اليهم فشكر الله للخلق لازم
فنحن على ما قد عهدت نروعهم وخلق جميع الناس الا نسالم
وغاراتنا ليست تفتر عنهم وليست بنجي القوم منا الهزايم
فاسطولنا اضعاف ما كان سايرا اليهم فلا حصنا لهم منه عاصم
ونرجوا بان تحتاج باقيهم به وتحوي الاسارى منهم والغنايم

وكتب اليه ايضا

يا سيدا يسمو بهمته الى الرتب العليه
قيل المهاجرين تحوم عيره او ثامر به
انت الصديق وان تبعدت وصاحب الشيم الرضيه
نبيك ان جيوشنا فعلت فعال الجاهليه
سارت الى الاعدا من ابطالها مايتا سريه
فتغير هذي بكرة وتعاود الاخرى عشيه
فالويل منها للفرنج لقد لقوا جهد البليه
جاءت روسهم تلوح على روس السمهريه
وقلايع قد قسمت بين الجنود على السويه
وخلايق كثرت من الاسرى تقاد الى المنيه
فانهض فقد ابقيت مجد الدين بالحال الجليه
والمم بنور الدين واعلمه بهاتيك القضيه
فهو الذي ما زال يخلص منه افعالا ونيه

ونيه

ونبيه جمع الكفر . بالبيض الدقاق المشرفيه
فعساه ينهض نهضة . تغني بها تلك البقيه
اما لنصر دينه . او ملكه او للحميه

وكتب اليه ايضا

ايها المقتدي انت على البعد . صديق لنا ونعم الصديق
ليس فيما يأتيه من بر افعالك . للطالب الحقوق عقوق
فلهذا نروي مواصلة . الكتب تباعا اليك مما يليق
ونناجيك بالمهمات اذ . انت باعبائها اليك خليق
واهم المهم امر جهاد . الكفر فاسمع فعندنا التحقيق
واصلتهم منا السرايا . فاشجاهم يكون منا لهم وطروق
واباحت ديارهم فاباد . القوم قتل ملازم وحريق
وانتظرنا برجعنا بروز نور . الدين علما بان سيلحق
وهو الان في امان من الله . وما يعتريه امر يعوق
ما لهذا المهم مثلك مجد . الدين فانهض به فانت حقيق
قل له لا عدمت رايك ولا زال . لديه لكل خير طريق
انت في حسم داء طاغية . الكفار ذاك المرجو والموموق
فاغتنم بالجهاد اجرك كي . يلقى رفيقا له ونعم الرفيق

فاجابه اسامة بقصيدة منها

يا امير الجيوش ما زال . للاسلام والدين منك ركن وثيق
اسمعت دعوة الجهاد فلبتها . ملوك بالمكرمات خليق
ملك عادل انار به . الدين فعم الاسلام منه الشروق

ماله عن جها ن الكفر والغدل ... وفعل الخيرات شغل يعوق

هو مثل الحسام صد رصقيل ... لين مسه وحد ذليق

د وانا ه بحالها الغرامهالا ... وفيها حتف الاعادي المحلق

فاسلما للاسلام كهفين ما طرز ثوب الظلام برق خفوق

وكتب الصالح اليه ايضا

قل لابن منقذ الذي قد ... حاز في الفضل الكمالا

فلذاك قد اضحى الانام ... على مكارمه عيالا

كم قد بعثنا نحوك ... الاشعار مسرعة عجالا

وصددت عنها حين رامت ... من محاسنك الوصالا

هلا بدلت لنا مقا لا ... حين لم تبذل فعالا

مع اننا نوليك صبرا ... في المودة واحتمالا

وتبثك الاخبار ان ... اضحت قصارا وطوالا

سارت سرايانا لقصد ... الشام تعتسف الرمالا

ترجي الى الاعدا اجرد ... الخيل اتباعا توالا

تمضي حفافا فاستغا ... بها وتاتينا ثقالا

حتى لقد رام الاعادي ... من ديارهم ارتحالا

وعلى الوعير معشر ... لم يعهدوا فيها القتالا

لما اتت عمت بخف ... بها يمينا وشمالا

نهضت اليها خيلنا ... من مصر تحتمل الرجالا

والبيض لامعة وبيض ... الهند والاسل النهالا

فغدت كان لم يعهدوا في ارضها حيا حلالا

هذا

هذا وفي تل العجول ملان بالقتلى الفلالا

اذ مر مرتي ليس يلوي نحو رفقته اشتغالا

واشتاق عسكرنا له املا نجيهم ومالا

وسريته ابن فنوج الطاي طالت بها وصالا

سارت الى ارض الخليل فلم تدع فيها خلالا

فلوان نور الدين يجعل فعلنا فيهم مثالا

وبسير الاجناد جهرا كي يبازيهم نزالا

ووفى لنا ولآل دولته بما قد كان قالا

لرايت للافرنج طرا في معاقلها اعتقالا

وتجهزوا للسير نحو الغرب او قصدوا الشمالا

واذا ابا الا اطراحا للنصيحة واعتزالا

عدنا بتسليم الامور لحكم خالقنا تعالى

فاجابه ابن منقذ بقصيدة منها

يا اشرف الوزرا اخلاقا واكرمهم فعالا

نبهت عبدا ظالما نبهته قدرا وحالا

وعنيته فانلته فخرا ومجدا لن ينالا

لكن ذاك العتب يشعل في جوانحه اشتعالا

اسفا لجد مال عنه الى مساءته ومالا

ومسيرها في كل ارض تبتغي فيها المجالا

فلذلك فضلك مثل عدلك في الدنيا سارا وجالا

قاسم لنا حتى نرى لك في بني الدنيا مثالا

واشدد يديك بود نور الدين والقوبه الرجالا • فهو المحامي عن بلاد الشام جمعًا ان تدالا
ومبيد املاك الفرنج وجمعهم حالا فحالا • ملك بنته الدهر والدنيا بدولته احتفالا
جمع الخلال الصالحات فلم يدع منها خلالا • واذا بدا للناظرين رات عيونهم الكمالا
فبغيثها للمسلمين حمى وللدنيا جمالا

وكتب اليه الضالح في العضد

المقدم ذكرها في الزلازل

ولعمري ان المناصح في الدين على الله اجره محسوب • وجهاد العدو بالفعل والقول على كل مسلم مكتوب
ولكن الهمة العالية في الامر منه كنت اذ تشب الحروب • انت فيها الشجاع ما لك في الطعن ولا في الضراب يوما ضريب
واذا ما حرضت فالشاعر المفلق فيما يقوله والخطيب • واذا ما اشرت فالحزم لا ينكر ان التدبير منك مصيب
لك راي يقظان ان ضعف الراي على حامل الصليب صليب • فانهض الان مسرعا فبامثالك ما زال يدرك المطلوب
الكمنا دساله عند نور الدين ما في انقائها ما يريب

فلله دام ملكه وعليه ٭ من لباس الاقبال برد قشيب
ايها العادل الذي هو للدين ٭ شباب وللحروب شبيب
والذي لم يزل قديماً عن الاسلام ٭ بالعزم منه تجلى الكروب
وعداً منه للفرنج اذا لاقوه ٭ يوماً من الزمان عصيب
ان يوم يزوجفهم فلا سلطان ٭ رقباه في كل قلب قليب
غيرنا من يقول ما ليس بمضيه ٭ بفعل وغيرك المكذوب
قد كتبنا اليك ما وضح الان ٭ بما ذا عن الكتاب يجيب
قصدنا ان يكون منا ومنكم ٭ اجل في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضاق ٭ بادنا بهم الفضا الرحيب
وعلينا ان نستهل على الشام ٭ مكان الغيوث مال صبيب
او تراها مثل العروس ثيابها ٭ كله من دم العداة مخضوب
لظبى السيوف في فلق الصبح ٭ على هام اهلها تطريب
وبجمع الجنود في كل حصن ٭ سلبت منهم لهم ونهوب
وبحول الاله ذاك ومن غالب ٭ الله فانه مغلوب

وكتب اليه ايضاً

ايها الشائر المجد الى الشام ٭ تبارك ركابه والخيول
خذ على بلدة بها دار مجد الدين ٭ لا ريع ربعها المأهول
ولتعرف اخبارة واقره منا ٭ سلاماً فيه العتاب يجول
فالله انت نعم ذخر الصديق ٭ اليوم لكنك الصديق الملول
ما ظننا بان حالك في القرب ٭ ولا في البعد بالملال يحول
لا كتاب ولا جواب ولا ٭ قول به للبعيد منا حصول

غير انا نواصل الكتب اذ قصر منك البر الكريم الوصول
ذلك ان الفتح الذي فتح الله علينا بالفضل منه جميل
جانا بعد ما ذكرناه في كتب اتاكم بهن منا رسول
ان بعض الاسطول نال من الافرنج مالا ينال له التاميل
سار في قلة وما زال بالله وصدق النيات يغني القليل
وبغانا بالاسطول ليس له بعد الى جانب الشام وصول
نحو مرعكا وانطرسوس وعده لم يحط بها التحصيل
جمع ذي بوية بهم كانت الافرنج تسطو على الورى وتصول
قيد في وسطهم مقدمهم يهدي الينا وجيده مغلول
بعد مثوى جماعة هلكوا بالسيف منها الغريق والمقتول
هذه نعمة الاله وتعديد ايادي الاله شي يطول
فابلغن قولنا الى الملك العادل فهو المرجو والمامول
قل له كم تماطل الدين في الكفار فاحذر ان يغضب الممطول
سر الى القدس واحتسب ذاك في الله فبالسير منك يشفى الغليل
واذا ما ابطا مسيرك فالله اذن حسبنا ونعم الوكيل

فاجابه اسامة بقصيدة منها

يا امير الجيوش يا اعدل الحكام في فعله وفيما يقول
انت حليت بالمكارم اهل العصر حتى تعرف المجهول
وقسمت الفرنج بالغزو شطرين فهذا عان وهذا قتيل
بالغ العبد في النيابة والتحريض وهو المقوم المقبول
فراى من عزيمة الغزو ما كادت له الارض والجبال تميل

واذا

واذا عاقت المقادير فالله اذا حسبنا ونعم الوكيل

وكتب الصالح اليه جواب قصيدته
الطائية التي اولها

هي البدر لكن الثريا لها قرط ومن انجم الجوزا في نحرها سمط

ثم قال بعد وصف السيوف

ذخرنا سطاها للفرنج لانها بهم دون اهل الارض اجدر ان تسطوا
وقد كاتبوا في الصلح لكن جوابهم لحضرتنا ما يثبت الخط الا الخط
سطور خيول لا تغب ديارهم لها بالمواضي والقنا الشكل والنقط
اذا ارسلت فرعا من النقع فاحما اتيتنا فاسنان الرماح لها مشط
رددنا بها ابن الغلش عنا وانما بليته في سرحه الشاء والربط
فقولوا لنور الدين ليس لجايف الجراحات الا الكي في الطب والبط
وحسم اصول الداء اولى بعاقل لبيب اذا استولى على المدنف الخلط
فدع عنك ميلا للفرنج فمعشر بها ايد الخطي سواهم ولم تخطو
تامل فكم شرط شرطت عليهم فقدما وكم عذر به نقض الشرط
وشمر فانا قد اعنا بكل ما سالت وجهزنا الجيوش ولن يبطوا

قال العماد في كتاب الخريدة الصالح ابو الغارات
طلايع بن رزيك سلطان مصر في زمان الفايز واول زمان
العاضد ملك مصر واستولى على امر صاحب القصر ونفق في زمانه
النظم والنثر وقرب الفضلا واتخذهم جلسا ورحل اليه ذوو
الرجا وافاض على الداني والقاصي والعطا وله قصايد كثيرة مستحسنة
نفذها الى الشام يذكر فيها قيامه بنصر الاسلام وما يصدق

احد ان ذلك شعره لجودته واحكام مباني حكمته واتساع معاني
بلاغته فيقال ان المهذب بن الزبير كان ينظم له وان
الجليس ابن الجبار كان يعينه وله ديوان كبير واحسان كثير
ولما جلس في دست الوزاره نظم هذه الابيات بديهة
• انظر الي هذا الدار كم • قد حل ساحتها وزير •
• ولكم تبختر امنا • وسط الصفوف بها امير •
• ذهبوا فلا والله ما • تبقى الصغير ولا الكبير •
• ولمثل ما صاروا اليه من الفناعة المصير •
فصل قال ابو يعلى وورد الخبر في خامس
عشر ربيع الاول من ناحية حلب بحدوث زلزله هايله روعت
اهلها وازعجتهم وزعزعت مواضع من مساكنها ثم سكنت بقدرة
الله سبحانه وتعالى. وفي ليلة الخامس والعشرين من ربيع الاول
وافت زلزله في دمشق روعت واقلقت ثم سكنت. وفي التاسع
من ربيع الاخر برز نور الدين من دمشق الي جسر الخشب في العسكر
المنصور بالات الحرب والجهاد الكلزم وقد كان اسد الدين
قبل ذلك عند وصوله فيمن جمعه من فرسان التركمان اغار
بهم علي اعمال صيدا وما قرب منها فغنموا الحسن غنيمة واوفرها
وخرج اليهم من كان بها من خيالة الفرنج ورجالتها وقد
كمنوا لهم فقهروهم وقتل الكثر منهم واسر الباقون بالاسري وروس
القتلى والغنيمه ولم يصب منهم غير فارس واحد قال
وفي اوايل شهر تموز الموافق لاول جمادي الاخر من السنة

وافا

160.

زلزلة

وافى البقاع مطر عظيم بحيث حدث منه سيل أحمر كما جرت
به العادة في تدبوك الشتا ووصل إلى بردى ووصل إلى دمشق
وكثر التعجب من آثار قدرة الله تعالى بحدوث مثل ذلك في هذا
الوقت قال وفي ليلة الثالث والعشرين من رجب
وافت زلزلة عند تأذين الغداة ثم أخرى في الليلة بعدها
وقت صلاة الغداة وورد الخبر من العسكر بأن الفرنج
تجمعوا ورجعوا إلى العسكر المنصور وأن المولى نور الدين
نهض في الحال في العسكر والتقى الجمعان واتفق أن عسكر الإسلام
حدث فيه فشل لبعض المقدمين فاندفعوا وتفرقوا بعد الاجتماع
وبقي نور الدين ثابتا مكانه في عدة يسيرة من شجعان غلمانه
وأبطال خواصه في وجوه الفرنج وأطلقوا فيهم السهام
فقتلوا منهم ومن خيولهم العدد الكثير ثم ولوا منهزمين
خوفا من كمين يظهر عليهم من عسكر الإسلام ونجا الله وله
الحمد نور الدين من بأسهم بمعونة الله تعالى وشدة بأسه وثبات
جأشه ومشهور شجاعته وعاد إلى مخيمه سالما في جماعته ولام
من كان السبب في اندفاعه بين يدي الفرنج وتفرق جمع
الفرنج إلى أعمالهم وراسل ملكهم لنور الدين في طلب الصلح
والمهادنة وحرص على ذلك وتردد بين الفريقين مراسلات
ولم يستقر بينهما حال وعاد نور الدين إلى دمشق سالما قلت
وذكر أبو الفتح بنجير بن أبي الحسن بن بنجير الأشتري
المعيد كان بالمدرسة النظامية في سيرة مختصرة جمعها لنور

الدين وقد تقدم شي منها قال وبلغنا انه خرج الى
الجهاد في سنة ست وخمسين وخمسماية فقضى الله بانهزام عسكر
المسلمين وبقي الملك العادل مع شرذمة قليله وطايفه يسيره
واقفا على تل يقال له تل حبيش وقد قرب عسكر الكفار
بحيث اختلط رجاله الكفار فوقف الملك العادل تحذا ايهم
موليا وجهه الى قبلة الدعا حاضرا بجميع قلبه مناجيا ربه بسره
ويقوله يارب انا العبد الضعيف ملكتني هذه الولاية واعطيتني
هذه النيابة عمرت بلادك ونصحت عبادك وامرتهم بما امرتني
به ونهيتهم عما نهيتني عنه فرفعت المنكرات من بينهم واظهرت
شعار دينك في بلادهم وقد انهزم المسلمون وانا لا اقدر
على دفع هولاء الكفار اعدا دينك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم
ولا املك الا نفسي هذه وقد سلمتها اليهم ذابا عن دينك وناصر
لنبيك فاستجاب الله تعالى دعاه واوقع في قلوبهم الرعب
وارسل عليهم الخذلان فوقفوا مواضعهم وما جسروا على
الاقدام عليه وظنوا ان الملك العادل عمل عليهم الحيله
وان عسكر المسلمين في الكمين فان اقدموا عليه يخرج عساكر
المسلمين عليهم من الكمين فلا ينفلت منهم احد فوقفوا وما
اقدموا عليه قال ولولا ذلك الالهام من الله تعالى لكانوا
قد استاسروا المسلمين وما كان ينفلت واحد من المسلمين
فوقف عسكر الكفار وبرز اثنان منهم يجولان بين الصفين
يطلبان البراز من المسلمين فامر الملك العادل بخطلخ الزامه

موبي

161.

مولى الشهيد بالخروج إليهما فخرج وجال بينهما ساعة وحمل على واحد
منهما فقتله ثم جال ساعة وعمل حيلة وخدعة ورجع الى قريب
صف الكفار وحمل على الاخر فقتله ورجع إلى الصف قال
وحدثنا الشيخ داود المقدسي خادم قبر شعيب عليه السلام
قال كان اعطاني ملك القدس بغله كنت راكبا عليها يعني في ذلك
اليوم واقفا مع الملك العادل فلما وصل الكفار وقربوا منا
شممت بغلتي رائحة خيل الكفار فصهلت تطلب خيلهم فسمعوا
صهيل بغلتي فقالوا هذا داود راكب على البغله مع نور الدين
واقف ولولا الحيله والكمين من المسلمين لما وقفوا مع هذه الشرذمة
القليله والطايفه اليسيره فتصور ذلك في قلوبهم فوقفوا وما
جسروا على الاقدام عليه قال فنزل كل من كان مع الملك
العادل وتشفعوا اليه وباسوا الارض بين يديه وقالوا ايها
الملك انت بجميع المسلمين في هذا الموضع وفي هذا الاقليم فان
جرى والعياذ بالله وهن وضعف من استيلا الكفار على المسلمين
من الذي يقدر على تداركه قال وحلف هذا الشيخ داود
انهم اخذوا ابعنان فرسه كرها ورحلوا من ذلك الموضع له
وما كان في عزم الملك العادل ان يرحل من ذلك الموضع فلما
عرف الكفار ذلك وانه ما كان عليهم حيلة ولا كمين ندموا
على ذلك ندامة عظيمة قال وكان قبل هذه الوقعة
بسنه كسر الملك العادل الكفار وقتل منهم مقتله عظيمة
واسر منهم خلقا كثيرا على ما حكى عن صلاح الدين صاحب حمص انه

قد جاز التركمان علينا فحصل في الجريدة الف اسير مع التركمان
هذا ما جاز على بلد حمص وحده وكان قد انفلت ملك القدس
ودخل الى قليعة فلما دخل عليه الليل خرج من القلعة
ومضى فصل قال ابو يعلى وفي رجب تجمع قوم من
السفهاء العوام وعزموا على التحريض لنور الدين على اعادة
ما كان ابطله وسامح به اهل دمشق من رسوم دار البطيخ
وعرصة البقل والانهار وضمانهم من اعناق شرار الضمان
وحوالة الاجناد وكثروا السخف عقوبتهم الخطاب وضمنوا
القيام بعشرة الاف دينار وكتبوا بذلك حتى اجيبوا الى
ما راموا وشرعوا في فرضها على ارباب الاملاك من المقدمين
والاعيان والرعايا فما امتدوا الى كواب ولا نجح لهم
قصد في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث
تألموا واكثروا الضجيج والاستغاثة الى نور الدين فصرف
همه الى النظر في هذا الامر فنجحت له السعادة وايثار
العدل في الرعية الاعادة الى ما كان عليه فامر في عاشر رمضان
باعادة الرسوم المعادة الى ما كانت من ازمانها وتعفية
اثر ضمانها فاضاف الى ذلك تبرعا من نفسه ابطال ضمان
الهريسة والجبن واللبن ورسم بكتب منشور يقرا على كافة
الناس بابطال هذه الرسوم جميعها وتعفية ذكرها فبالغ
العالم عند ذلك في مواصلة الادعية له والثنا عليه والنشر
لمحاسنه قال وفي الحادي والعشرين من رمضان

فصل

وصل الحاجب محمود المسترشدي من ناحية مصر بجواب
ما كان تحمله من المراسلات من الملك الصالح متولي امرها
ومعه رسول من مقدمي امرائها ومعه المال المنفذ برسم
الخزانة النورية وانواع الاثواب المصرية والجياد العربية
وكانت فرقة من الفرنج خذلهم الله قد ضربوا لهم في المعابر
فاظفر الله بهم فلم يفلت منهم الا القليل النزر ثم تلا ذلك
ورود الخبر من العسكر المصري بظفره بجملة وافرة من الفرنج
نيفا من اربعمائة فارس وبزيادة على ذلك في ناحية العريش
من الجفار بحيث استولى عليهم القتل والاسر والسلب
قال وكانت الاخبار قد تناصرت من ناحية القسطنطينية
في ذي الحجة ببروز ملك الروم منها في العدد الكثير لقصد
الاعمال والمعاقل الاسلامية ووصوله الى مروج الديباج
وتخيمه فيها وبث سراياه للاغارة على اعمال انطاكية وما
والاها وان قوما من التركمان ظفروا بجماعة منهم هذا بعد
ان افتتح من اعمال لاون بن ملك الارمن عدة من حصونه
ومعاقله . ولما عرف نور الدين هذا اسرع في مكاتبة ولاة
الاعمال والمعاقل باعلامهم ما حدث من الروم وبحثهم على
استعمال التيقظ والتاهب للجهاد فيهم والاستعداد
للنكاية بمن يظهر منهم قال ابن الاثير وفي سنة ثلث
وخمسين سار الملك محمد بن السلطان محمود فحصر بغداد
وبها الخليفة المقتفي لامر الله ومعه زين الدين

بن ميمون فكاتب اصحاب الاطراف فتحركوا ووصل الخبر
الى الملك محمد بان اخاه ملك شاه قصد همدان ودخلها
في عسكر كثير ونهبها واخذ نسا الامرا الذين معه
واولادهم فاختلط العسكر وتفرقوا وعاد محمد الى همدان
وخرج امل بغداد فنهبوا اواخر العسكر المنقطعين وشعثوا
دار السلطان وفيها توفي ابو الوقت عبد الاول
المحدث المتفرد بعلو رواية كتاب الجامع الصحيح للبخاري
رحمه الله ثم دخلت سنة اربع وخمسين فان
ابو يعلى في اول يوم منها وافت زلزله عظيمة ضحى نهار
وتلاها ثنتان دونها وكان قد عرض لنور الدين مرض
تزايد به بحيث اضعف قوته ووقع الارجاف به من
حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتاعت
الرعايا واعيان الاجناد وضاقت صدور قطان
الثغور والبلاد خوفا عليه واشفاقا من سو يصل
اليه لاسيما مع اخبار الروم والفرنج ولما احس من نفسه
بالضعف تقدم الى خواص اصحابه وقال لهم انني قد
عزمت على وصية اليكم بما قد وقع في نفسي فكونوا لها
سامعين مطيعين وبشروطها عاملين اني مشفق على
الرعايا وكافة المسلمين ممن يلون بعدي من الولاة الجاهلين
والظلمة الجايرين فان اخي نصرة الدين اعرف من خلاقه
وسوا افعاله ما لا ارتضي معه بتوليته امرا من امور

المسلمين

المسلمين وقد وقع اختياري على اخي الامير قطب الدين
مورود متولي الموصل لما يرجع اليه من عقل وسداد
ودين وصحة اعتقاد فخلعوا اله وانفذ رسله الى اخيه
باعلامه صورة الحال ليكون لها مستعدا ثم تفضل الله
تعالى بابلاله من المرض وتزايد القوة في النفس والحس
وجلس للدخول اليه والسلام عليه وكان الامير مجد
الدين النايب في حلب قد رتب في الطرقات من يحفظ
السابلين فيها فظفر المقيمين في منبج برجل جمال من اهل
دمشق معه كتب فانفذها الى مجد الدين متولي حلب
فلما وقف عليها امر بصلب متحملها وانفذها في الحال الى
نور الدين فوجد منها من امين الدين زين الحاج ابي
القاسم متولي ديوانه ومن عز الدين والي القلعة مملوكه
ومن محمد بن جعفر اخي احد حجابه الى اخيه نصرة الدين امير
ميران صاحب حران باعلامه بوقوع الياس من اخيه
ويحثونه على المبادره والاسراع الى دمشق لتتسلم اليه
فلما عرف نور الدين ذلك عرض الكتب على اربابها فاعترفوا
بها فامر باعتقالهم وكان رابعهم سعد الدين عثمان
وكان قد خاف فهرب قبل ذلك بيومين وورد في الحال
كتاب صاحب قلعة جعبر يخبر بقطع نصرة الدين الفراه
مجدا الى دمشق فانهض اسد الدين في العسكر المنصور
لرده ومنعه من الوصول فاتصل به خبر عوده الى مقره

عنه معرفته بعاقبته اخيه فعاد اسد الدين الى دمشق
ووصلت رسل الملك العادل من ناحية الموصل بجواب
ما تحملوه الى اخيه قطب الدين وفارقوه وقد برز في عسكره
متوجها الى ناحية حلب ودمشق فلما فصل عن الموصل
اتصل به خبر عافيته فاقام بحيث هو وانفذ وزيره جمال
الدين ابا جعفر محمد بن علي لكشف الحال فوصل الى دمشق
يوم السبت الثامن من صفر في احسن زي واهى تجمل
وخرج الى لقايه الخلق الكثير قال ومن هذا الوزير
قد الهمه الله تعالى من جميل الافعال وحميد الخلال وكرم
النفس وانفاق امواله في ابواب البر والصلاة والصدقات
ومستحسن الاثار في مدينة الرسول عليه السلام ومكة
ذات الحرم والبيت المعظم ما شاع ذكره وتضاعف عليه
حمده وشكره واجتمع مع نور الدين وجرى بينهما من
المفاوضات والتقريرات ما انتهى الى عوده الى جهته بعد
الاكرام له وتوفيته حقه من الاحترام واصحبه برسم قطب
الدين اخيه وخواصه من الملاطفة ما اقتضته الحال
الحاضر وتوجه مع الامير اسد الدين
ابن ابي طي لما وصل الامير جمال الدين الى حلب تلقاه موكب
نور الدين وفيه وجوه الدوله وكبرا المدينة وانزل في دار ابن
الصوفي واكرم غاية الاكرام واعيد الى صاحبه شاكرا عن
نور الدين وسير معه الامير اسد الدين شيركوه رسولا

الى

الى قطب الدين بالشكر والثنا عليه وانفذت معه هدايا سنيه
فسار وعاد الى حلب مكرمًا فوجد نور الدين عازمًا على الخروج
الى دمشق لما بلغه من افساد الفرنج في بلد حوران فسار في
صحابته ووصل نور الدين الى دمشق فامر الناس بالتاهب لقتال
الفرنج ثم انفذ اسد الدين في قطعة من العسكر للاغاره على بلد
صيدا فسار ومعه اخوه نجم الدين ايوب واولاده ولم يشعر
الفرنج الا وهو قد عاث في بلد صيدا وقتل واسر عالمًا عظيمًا
وغنم غنيمة جليله وعاد فاجتمع بنور الدين على جسر الخشب
قلت وهذا هو ما تقدم ذكره بعد المرصد الاولى وكان
ابن ابي طي جعل المرصدين واحدة بحلب وابو يعلى ذكر ان
الاولى بحلب والثانيه بدمشق وهو الاصح والله اعلم فصل
قال ابو يعلى وقد كان قد وصل من ملك الروم رسول
من معسكره ومعه هديه لحقت بها الملك العادل من ثواب
ديباج وغير ذلك وجميل خطاب وفعال وقوبل بمثل ذلك
وحكى عن ملك الفرنج خذله الله تعالى ان المصالحه بينه
وبين ملك الروم تقررت والمهادنه انعقدت والله يرد
باس كل واحد منهما الى نحره ويذيقه عاقبه غدره ومكره .
ووردت الاخبار من ناحية ملك الروم باعتزامه على انطاكيه
وقصد المعاقل الاسلاميه فبادر نور الدين بالتوجه الى
البلاد الشاميه لايناس اهلها من استيحاشهم من شر الروم
والافرنج خذلهم الله فسار في العسكر حلوب

حمص وحماه وشيزر وفي ثالث ربيع الاول وافت زلزلة
هايلة ماجت اربع موجات وايقظت النيام وازعجت
المستيقظ وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه
وفي تاسع جمادى الاولى هبت ريح عاصف شديدة اقامت
يومها وليلتها فاتلفت اكثر الثمار صيفيها وشتويها وافسدت
بعض الاشجار ثم وافت اخر الليل زلزلة هايلة ماجت
موجتين ازعجت واقلقت وتجددت المهادنة
الموكدة لنور الدين مع ملك الروم بعد تكرر المراسلات
والاقتراحات في التسويات واجيب ملك الروم الى ما التمسه
من اطلاق مقدمي الافرنج المقيمين في حبس نور الدين فانفذهم
باسرهم وقابل ملك الروم هذا التفضل بما يضاهيه من
الالطاف باثواب الديباج الفاخرة المختلفة الاجناس الوافرة
العدد ومن الجوهر النفيس وخيمة من الديباج لها قيمة
وافرة وما استحسن من الخيول الجبلية ثم رحل عقيب
ذلك في عساكره من منزله عايدًا الى بلاده مشكورًا محمودًا
ولم يؤذ احدًا من المسلمين في العشر الاوسط من جمادى
الاولى فاطمانت القلوب بعد انزعاجها وقلقها
وورد بعد ذلك الخبر بان نور الدين صنع لاخيه قطب
الدين ولعسكره ولمن ورد معه من المقدمين والولاة
واصحابهم الواردين لجهاد الروم والافرنج سماطًا عظيمًا
هايلا تناهي فيه وفرق من الحصن العربية والخيول والبغال

العدد

165.

العدد الكثير ومن الخلع من أنواع الديباج المختلف
وغيره واستحوذ الذهب الشي الكثير لرايه وعلى الكثرة
وكان يوماً مشهوداً في الحسن والجمال واتفق ان جماعة
من عرب التركمان وجدوا من الناس غفلة باشتغالهم بالسماط
والانتهاب فغاروا على العرب من بني سامة وغيرهم واستاقوا
مواشيهم فلما ورد الخبر بذلك الى نور الدين في اثرهم
فريقاً وافراً من العسكر فادركوهم واستخلصوا منهم
جميع ما اخذوه واعيد الى اربابه قال وتقرر
الراي النوري على التوجه الى مدينة حران لمنازلتها واستغا
من يد صاحبه نصرة الدين حسب ما راه في ذلك من الصلاح
فرحل في عسكره اول جمادى الاخرة فلما نزل عليها واحاط
بها وقعت المراسلات الى ان تقرر الحال على امان من بها
وسلمت في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الاخرة
وقررت احوالها واحسن النظر في احوال اهلها وسلمها
للامير زين الدين على سبيل الاقطاع وفوض اليه تدبير
امرها ثم دخلت سنة خمس وخمسين قال
الرئيس ابو يعلي في صفر توفي الامير مجاهد الدين بزان
ابن مامين احد مقدمي امراء الاكراد وهو من ذوي الوجاهة
في الدولة موصوف بالشجاعة والبسالة والسماحة مواظب
على بث الصلات والصدقات في المساكين والضعفاء والفقراء
مع الزمان في كل عصر ينقضي واوان جميل الحسنا

حسن البشر في اللقا وحمل من داره بباب الفراديس الى الجامع للصلاة ثم الى المدرسة المشهورة باسمه فدفن فيها في اليوم ولم يخل من باكٍ عليه ومتأسف على فقده لجميل افعاله وخصال له قلت وله اوقاف على ابواب البر منها المدرستان المنسوبتان اليه احداهما التي دفن فيها وهي التي بباب الفراديس الجديد والاخرى قبالة باب دار سيف العربي في صف مدرسة نور الدين رحمه الله وله وقف على من يقرأ السبع كل يوم بمقصورة الخضر بجامع دمشق وغير ذلك وقد مدحه العرقلة وغيره قال ابو يعلى وفي مستهل صفر رفع القاضي زكي الدين ابو الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي قاضي دمشق الى الملك العادل نور الدين رقعة يسأله فيها الاعفاء من القضاء والاستبدال به فاجاب سؤاله وولي قضاء دمشق القاضي كمال الدين الشهرزوري وهو المشهور بالتقدم ووفور العلم وصفاء الفهم والمعرفة بقوانين الاحكام وشروط استعمال الانصاف والعدل والنزاهة وتجنب الهوى والظلم واستقام له الامر على ما يهواه ويؤثره ويرضاه على ان القضاء من بعض ادواته واستقر ان يكون النايب عنه عند اشتغاله ولده وكمال الدين رحمه الله الصدقة الجارية بعطاء على الفقرا كل يوم جمعة واليه ينسب الشباك الكمالي بجامع دمشق من الغرب وهو الذي حكمت فيه القضاة مدة ويصلون فيه الجمعة

في

166.

في زماننا والى ما هنا انتهى ما نقلناه من كتاب الرئيس
ابي يعلى التميمي فانه اخر كتابه وفي هذه السنة توفي احمد
اسه قال ابن الاثير وفي سنة خمس وخمسين توفي
امير المومنين المقتفي بن المستظهر ومولده سنة تسع
وثمانين واربعماية وكانت خلافته اربعا وعشرين سنة
وشهرين وبويع ولده ابو المظفر يوسف ولقب المستنجد
بالله قال ابن هبيرة علي وزارته قال ويهاج زين
الدين علي واحسن الى الناس في طريق مكة واكثر الصدقات
فلما وصل بغداد اكرمه المستنجد بالله فلما لبس الخلعة
كانت طويلة وكان قصيرا جدا فمد يده الى كمه وانه واخرج
ما شد به وسطه وقصر الجبة فنظر المستنجد اليه واكثر
ذلك منه وقال لمن عنده مثل هذا يكون الامير والجندي
لا مثلكم قلت وفي هذه السنة توفي المستخلف
بمصر الملقب بالفايز بن الظافر وولي بعده بن عمه العاضد
بن يوسف بن الحافظ وهو اخر خلفا مصر ووصل من الصالح
بن رزيك كتاب الى بن منقذ اسامة بذلك فكتب اليه
هناء بنعمى قل عن قدرها مدحها الشكر وصبرا الرزا لا يقوم
به الصبر
مضى الفايز الطهر الامام وقام بالامامة فينا بعده
العاضد الطهر
اماما هدى لله في نقله الى كرامته وفي اقامة ذا امتثر

فعش ابدًا واسلم لهم باكفيلهم ، تدافع عنهم كل حادثة نعروا
ثم دخلت سنة ست وخمسين قال ابن ابي طي
الحلبي في هذه السنة حج اسد الدين من الشام وخرج
في تجمل عظيم وشارة رائعة واستصحب معه من الازواد
والكسى اشيا عظيمة ويقال انه كان معه الف نفس يجري
عليهم الطعام والشراب وحج علي كوجك المعروف بزين
الدين من العراق وحج مليح اخو ضرغام وزين مصر فكان الموسم
بهولاء الثلاثة كثير الخير واستغنى بسببهم اهل الحجاز
وعاد اسد الدين سالمًا وخرج نور الدين الى لقايه وكان
يوم وروده يومًا عظيمًا وقال ايضًا فيها قتل الصالح
ابن رزيك وكان سبب قتله ان عمة العاضد عملت على
قتله وانفذت الاموال الى الامرا فبلغ ذلك الصالح فاستعاد
الاموال واحتاط على عمة العاضد وانما كرهته عمة العاضد
لاستيلايه على الامور والدولة وحفظه للاموال وقتل
الصالح بسببها جماعة من الامرا ونكبهم وتمكن من الدولة
تمكنا حسنا ثم ان عمة العاضد عاودت واحكمت الحيلة
عليه وبذلت لقوم من السودان مالا جزيلا حتى اوقعوا
به القتل جلسوا له في بيت في دهليز القصر مختفين
فيه فلما كان يوم تاسع عشر رمضان ركب الى القصر
ودخله وسلم على العاضد وخرج من عنده فخرج عليه الجماعة
ووقعت الصيحة فعثر الصالح باذياله فطعنه احدهم بالسيف

وزير

بغ

في ظاهر قبته فقطع احد عمودي الرقبه وحمل الي باب القصر
واصيب ولده رزيك في كتفه • ولما حصل الصالح في دار
اوصى ولده رزيك ومات بعد ساعه من ذلك اليوم قال
العماد وانكسفت شمس الفضايل ورخص سعر الشعر وانخفض
علم العلم وضاق فضا الفضل وعم رزء ابن رزيك وملك صرف
الدهر ذلك الملك فلم تزل مصر بعده منحوسه الحظ منحوسة
الجد منكوسة الرايه معكوسة الايه الي ان ملكها يوسفها
الثاني وجمع معاني المعاني واشرق ميمها وعطر نسيمها
وتسلم قصرها والتزم حصرها قال زين الدين الواعظ
عمل فارس المسلمين اخو الصالح دعوة في شعبان من السنة
التي قتل فيها فحمل من الابيات وسمها الي •

انست بكم دهرا فلما ظعنتم • استغرق قلبي وحشة للتفرق

ومنها

واعجب شي انني يوم بينكم • بقيت وقلبي بين جنبي ما بقي •
ارى البعد ما بيني وبين احبتي • كبعد المدى ما بين غرب ومشرق
الا جد في بالنفس وجدا وحسرة • فهذا فراق بعده ليس نلتقي

قال فلم نلتق بعدها لم اجتماع في مسرة وقتل في شهر
رمضان قلت وللعمارة اليمني وغيره في الصالح
مدايح ومراث جليله وقد اثنى عليه كثيرا في كتاب الوزراء
المصريه وقال لم يكن مجلس انسه ينقطع الا بالمذاكره
في انواع العلوم الشرعيه والادبيه وفي مذاكرة وقايع

الحروب مع امرا دولته قال وكان مرتاضا قد شم اطراف
المعارف وتميز عن اخلاف الملوك وكان شاعراً يحب الادب
واهله يكرم جليسه ويبسط انيسه ولكنه كان مفرط
العصبية في مذهب الامامية وكان مرتاضا حصيفا وقد
لغ في ولايته فقها السنه وسمع كلامهم قال ودخلت
عليه قبل ان يموت بثلث ليال وفي يده قرطاس قد كتب فيه
بيتين من شعره عملها في تلك الساعة وهما

• نحن في غفلة ونوم • وللموت عيون يقظانة لا تنام •
• قد رحلنا الى الحمام سنينا • ليت شعري متى يكون الحمام •

قال ومن عجيب الاتفاق اني انشدت ابنه مجد الدين
الاسلام في دار سعيد السعدا ليلة السادس عشر من شهر
رمضان والسابع عشر قصيدة اقول فيها

• ابوك الذي تسطو الليالي بحده • وانت يمين ان سطا وشمالة •
• لرتبته العظمى وان طال عمره • اليك مصير واجب ومآل •
• تخالسك اللحظ المصون ودونها • حجاب شريف لا انقضى وحجال •

قال فانتقل الملك بعد ثلث اليه قال وما ذنبيه
به وان كان كثيرا اقول

اني اهل ذا النادي عليم اسايله • فاني لما بي ذاهب القلب ذاهله
سمعت حديثا احسد الصم عنده • ويذهل واعيه ويخرس قايله
فقد رابني من شاهد الحال انني • ارى الدست منقولا وما
عنه كا فله

168.

وانى ارى فوق الوجوه كآبة ۞ تدل على ان الوجوه ثواكله
دعونى فما هذا الوقت بكاية ۞ سيأتيكم طول البكا وأوايله
ولم لا ابكيه واندب فضله ۞ واولادنا ايتامه واراملّه
فياليت شعري بعد حسن فعاله ۞ وقد غاب عنا ما بنا الدهر فاعله
ايكرم مثوى ضيفكم وغريبكم ۞ فتمسكن ام تطوى ببين مراحله

ولهُ من اخرى يرثيه ويذكر ولايه ابنه

طمع المرء فى الحياة غرور ۞ وطويل الامال فيها قصير
ولكم قدر الفتى فاتته ۞ نوب لم تخطها التقدير
فرض حتم الحياة عند حمام ۞ لا يراعى ادنا ولا يستشير
ما تخطا الى جلالك الا ۞ وقد امر علينا قدير
بامير الجيوش مالك علم ۞ ان حزن الاسى علينا امير
ان قبرا حللته لغنى ۞ ان دهرا فارقته لفقير
انطوى ذلك البساط وعنه ۞ وهو بالعلم والهدى معمور
لا تظن الانام انك ميت ۞ لم يمت من بناؤه منشور
ان مضى كاملٌ فهذا كفيل ۞ او وزير تغيب فهذا وزير
دوله صالحة خلفتها ۞ دوله عادلة لا تجور
اعقب الدهر بوسه بنعيم ۞ رب حزن فى الطى منه سرور
ما شكونا كسر النوايب حتى ۞ قيل فى الحال كسركم مجبور
نصر الناصر العلا بالعوالى ۞ ولنعم المولى ونعم النصير

وقال ايضا يرثيه

ويذكر الظفر بقاتليه ويصف قتل ابا بونه

في مشهد بالعراق قصيدة . منها

قد كنت اشرق من تماد مدامعي اسفا فكيف وقد طما التيار

عم الورى يوم الخميس وحصني خطب بانف الدهر منه صغار

مالو حشر للمساعد جه فارقت فطنا رحا الدنيا عليه تدار

خربت ربوع المكرمات لواحد عمرت به الاجداث وهي قفار

نعش الجدود العاثرات مشيع عشيت بروية نعشه الابصار

نعش تود بنات نعش لو غدت ونظامها اسفا عليه نثار

شخص الانام اليه تحت جنازة خضعت لرفعة قدرها الاقدار

سار الامام امامها فعلمت ان قد شيعتها الخمسة الابرار

ومشى الملوك بها حفاة بعد ما حفت ملايكة بها اطهار

فكانها تابوت موسى اودعت في جانبيه سكينة ووقار

لكنه ما ضم غير بقية الاسلام وهو الصالح المختار

اقطعته دار الوزارة ريثما بنيت لنقلته الكريمة دار

وتغاير الهرمان والحرمان في هذا بنوته وعلى الكريم يغار

اثرت مصر امنه بالشرف الذي حسدت قرافتها له الامصار

وجعلتها امنا به ومثابة يرجوا مثابة قصدها الزوار

قد قلت اذ تقلوا انقله ظاعن بوحت به دار وشط مزار

ما كان الا السيف جدد غمده بسواه وهو الصارم البتار

والبدر فارق برجه متنقلا برحابه تتشعشع الانوار

والغيث روى بلدة ثم انتحى اخرى فنوء سحابه مدرار

يا مسبل الاستار دون جلاله ماذا الذي رفعت له الاستار

مالي

مالي أرى الزوار بعد مهابة * فوضى ولا إذن ولا استئمار
غضب الإله على رجال اقدموا * جهلا عليك وآخرين أشاروا
لا تعجبا الغدار نا قة صالح * فلكل عصر صالح وقدار
واجللنا للبيض كم نطاولته * سفها بأيدي السود وهي قصار
واحسرتا كيف انزوت لأعيبة * وعبيدك السادات والأحرار
رصدوك في ضنك المجال بحيث لا * الخطو متسع ولا الخطار
ما كان أقصر باعهم عن مثلها * لو كنت متروكا وما تختار
ولقد ثبت ثبات منفرد على * خذلانهم لو ساعد المقدار
وتقدمت أقدامهم بك ميتة * لو لم يكن لك بالذيول عثار
أخلاك داء كرامة لا تنقضي * أبدا وجلت نعا تلبك بوار
يا ليت عينك شاهدت أحوالهم * من بعدها ورأت إلى ما صاروا
وقع القصاص بهم وليسوا مقنعا * برضى وأين من السما غبار
ضاقت بهم سعة الفجاج وربما * نام العدو ولا ينام الثار
وتوهموا أن الفرار مطية * تنجي وأين من القضا فرار
طاردوا فغدا أبو الشجاع لصيدهم * شرك الردى فكأنهم ما طاروا
فهم بأحجار الجزيل وميتة * درجت عليها قبلك الأخيار
مات الوصي بها وحمزة عمه * وابن البتول وجعفر الطيار
تلك السعادة والشهادة والعلى * حيا وميتا إن ذا لفخار
ولقد أقر العين بعدك أروع * لولاه لم يك للعلا استقرار
الناصر الهادي الذي حسناته * عن سيئات زماننا أعذار
لما استقام لحفظ أمة أحمد * عمرت به الأوطان والأوطار

ثم دخلت سنه سبع وخمسين قال ابن الاثير
فيها جمع نور الدين العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم
وحصرها وجد في قتالها فامتنعت عليه لحصانتها وكثرة
من بها من فرسان الفرنج وشجعانهم واجتمع الفرنج من
سابر البلاد وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلما قاربوه
طلب منهم المصاف فلم يجيبوه الى ذلك وراسلوه وتلطفوا
الحال معه فعاد الى بلاده ومن كان معه في هذه الغزاه
الامير موبد الدوله اسامة بن مرشد بن منقذ وكان
من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها فلما عاد الى حلب
دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله في العام الماضي
سايرا الى الحج فلما دخله عام يذ كتب على حايطه

لك الحمد يا مولاي كم لك منة علي وفضل لا يحيط به شكري
نزلت بهذا المسجد العام قافلا من الغزو موفور الصيب
من الاجر

ومنه دخلته العيس في عامي الذي مضى نحو بيت الله والركن
والحجر

فاديت مفروضي واسقطت ثقل ما تحملت من وزر الشبيبة
عن ظهري

قلت اذكرني هذا ما كتبه اسامة ايضا بمدينة
صور وقد دخل دار ابن ابي عقيل فراها وقد تهدمت
وتغيرت زخرفتها فكتب على لوح من رخام

لصدر

احذر من الدنيا ولا تغتر بالعمر القصير
وانظر الى انا من صرعته منا بالغرور
وعمروا وشادوا ما تراه من المنازل والقصور
وتحولوا من بعد سكناها الى سكنى القبور

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين قال ابن الاثير

فيها جمع نور الدين عساكره ودخل بلاد الفرنج فنزل بالبقيعة
تحت حصن الاكراد وهو للفرنج عازما على دخول بلادهم
ومنازلة طرابلس فبينا الناس في بعض الايام في خيامهم وسط
النهار لم يرعهم الا ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذي
عليه الحصن فكبسوهم فاراد المسلمون دفعهم فلم يطيقوا
فانهزموا ووضع الفرنج السيف واكثروا القتل والاسر
وقصدوا خيمة الملك العادل فخرج من ظهر خيمته عجلا
بغير قباء وركب فرسا هناك للنوبة ولسرعته ركبه وفي
رجله شبحه فنزل انسان من الاكراد فقطعها فنجا نور الدين
وقتل الكردي فسال نور الدين عن مخلفي ذلك الكردي
فاحسن اليهم جزا لفعله وكان اكثر القتل في السوقة والغلمان
وسار نور الدين الى مدينة حمص فاقام بظاهرها واحضر منها
ما فيها من الخيام ونصبها على بحيرة قدس على فرسخ من حمص وبينها
وبين مكان الوقعة اربعة فراسخ وكان الناس يظنون انه
لا يقف دون حلب وكان رحمه الله اشجع من ذلك واقوى
عزما ولما نزل على بحيرة قدس اجتمع اليه كل من نجا من

من المعركة فقال له بعض اصحابه ليس من الراي ان يقيم مامنا فان الفرنج ربما حملهم الطمع على المجي الينا ونحن على هذا الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معي الف فارس لا ابالي بهم قلوا او كثروا ووالله لا استظل بجدار حتى اخذ بثار الاسلام وثاري ثم انه ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والدواب والاسلحة والخيام وساير ما يحتاج اليه الجند وفرق ذلك جميعه على من سلم واما من قتل فانه اقر اقطاعه على اولاده فان لم يكن له ولد فعل بعض اهله فعاد العسكر كانه لم يفقد منه احد واما الفرنج فانهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لانها اقرب البلاد اليهم فلما بلغهم من القوة مقام نور الدين عندها قالوا انه لم يفعل هذا الا وعنده من القوة ان يمنعنا وكان نور الدين رحمه الله قد اكثر الخرج الى ان قسم في يوم واحد ما يبقي الف دينار سوى غيرها من الدواب والخيام والسلاح وغير ذلك وتقدم الى ديوانه ان يحضروا الجند ويسالوا كل واحد منهم عن الذي اخذ منه فكل من ذكر شيا اعطوه عوضه فحضر بعض الجند وادعى شيا كثيرا اعلم بعض النواب كذبه فيما ادعاه لمعرفتهم بحاله فارسلوا الى نور الدين ينهون اليه القصة ويستاذنونه في تحليفه على ما ادعاه فاعاد الجواب لا تكدروا عطانا فاني ارجو الثواب والاجر على قليله وكثيره وقال له اصحابه ان لك في بلادك ادرارات كثيرة وصلات عظيمة

للفقها

للفقها والفقرا والصوفيه والقرا فلو استعنت بها الان لكان
امثل فغضب من هذا وقال والله اني لا ارجوا النصر الا باوليك
فانما ترزقون وتنصرون بضعفايكم كيف اقطع صلات قوم
يقاتلون عني وانا نايم في فراشي بسهام لا تخطي واصرفها الى من
لا يقاتل عني الا اذا راني بسهام قد تخطي وتصيب ثم هولاء
القوم لهم نصيب في بيت المال اصرفه اليهم كيف اعطيه غيرهم
فسكتوا ثم ان الافرنج ارسلوا الى نور الدين في المهادنه فلم
يجبهم فتركوا عند الحصن من يحميه وعادوا الى بلادهم وتفرقوا
قلت وفي هذه الحادثه تحت حصن الاكراد يقول
ابو الفرج عبد الله بن اسعد الموصلي نزيل حمص من جمله قصيده
رابعه يمدح بها نور الدين رحمهما الله اوله

ظبي المواضي واطراف القنا الذبل ۞ ضوامن لك ما حازوه من نفل
وكافل لك كاف ما تحاوله ۞ عز وعزم وباس غير منتقل
وما يعيبك ما حازوه من سلب ۞ بالختل قد يؤسر الاساد بالحيل
وانما اخلدوا جبنا الى خدع ۞ اذ لم يكن لهم بالجيش من قبل
وليستيقظوا واراد الله غفلتكم ۞ لينفذ القدر المحتوم في الازل
حتى اتوكم ولا الماذي من امم ۞ ولا الظبي كثب من مرهف عجل
فنالها ونبي غير موترة ۞ والخيل عازبه ترعى مع الهمل
ما يصنع الليث لا ناب ولا ظفر ۞ بما حواليه من عفر ومن وعل
هلا وقد ركب الاسد الصقور وقد ۞ سلوا الظبي تحت
غابات من الاسل

وانما هم اضاعوا حزمهم ثقة بجمعهم ولكنهم من وانق خجل
بني الاصافر ما نلتم بمكر مكم والمكر في كل انسان اخو الفشل
وما رجعتم باسري خاب سعيكم غير الارا ذل والاتباع والسفل
سلبتم الجرد اعرا بلا لجم والسمر مركوزة والبيض في الخلل
هلا اخذا الخيل قدار دى فوارسها مثال اخذها في السهل والطول

ام سالب الرمح مركوزا كسالبه والحرب ذا ابن من كمي معتقل
جيش اصابتهم عين الكمال وما يخلوا من العين الاعين مكتمل
لهم بيوم حنين اسوة وهم خير الانام وفيه خاتم الرسل
سيقتضيكم بدين عند الموفين البيض كالبيض والادراع كالحلل
ملك بعيد من الادناس ذو كلف بالصدق في القول والاخلاص في العمل
فالشمس ما اصبحت والشمس ما افلت والسيف ما فل والاطواد لم تزل

كم قد تجلت بنور الدين من ظلم للظلم وانجاب للاضلال من ظلل
قل للمولين لغوا الطرف من جبن عند اللقا وغضوا الطرف من خجل
طلبتم السهل تبغون النجاة ولو لذتم بملككم لذتم الى جبل
اسلمتموه وولبتم فسلمكم بثبته اوبغاها الطود لم ينل
فقام فردا وقد ولت جحافله فكان من نفسه في جحفل زجل
في مشهد لو ليوث الارض تشهده خرت ولا ذقانها من شدة الوجل
وسط العدا وحده ثبت الجنان وقد طارت قلوب على بعد من الوجل

يعود

يعود عنهم ويداً غير مكترث بهم وقد كرّ فيهم غير محتفل
بؤداً وقدما اليهم من تفقته ان التاخر لا يحمي من الاجل
ما كان اقربهم من اسر ابعدكم لولا هم لم يكونوا منه في سغل
ثباته في صدور الخيل انقذكم لا تحسبوا وثبات الضيم الذلل
ما كل حين تصاب الاسد غافلة ولا يصيب الشديد البطش ذو
الشلل
والله عونك فيما انت مزمعه كما اعانك في ايامك الأول
كم قد ملكت لهم ملكا بلا عوض وحزت من بلد منها بلا بدل
وكم سفكت العوالي من طلى ملك وكم قربت العوافي من قرابطل
لا تكبت سهمك الاقدار عن غرض ولا تنت يدك الايام عن امل

قلت خاول ابن اسعد في هذه القصيدة ما حاول
المتنبي في قوله غيري باكثر هذا الناس ينخدع
القصيدة فان كل واحد منهما اعتذر عن اصحابه وهم
وهم المنهزمون وقد احسنا معا عفى الله عنهما وعبد الله بن
اسعد هذا فقيه فاضل وشاعر مغلق كان مدرسا بحمص يعرف
بابن الدهان وله ترجمه في تاريخ دمشق وقد ذكره العماد
الكاتب في خريدته فاحسن ذكره واكثر الثنا على علمه وشعره
وسيأتي ذكره ايضا في هذا الكتاب في اخبار سنة سبعين
وثمانين وسبعين ان شا الله تعالى وفي هذه السنة اعني
سنة ثمان وخمسين توفي عبد المومن بن علي خليفة المهدي
محمد بن تومرت صاحب المغرب وولي بعده ابنه يوسف

ثم دخلت سنة تسع وخمسين فيها سار اسد الدين
شيركوه الى مصر المرة الاولى وهو من الاكابر الامرا الذين
في الخدمة النورية عازما على ملك الديار المصرية واستضافتها
الى المملكة النورية وكان اسد الدين واخوه نجم الدين ايوب
وهو الاكبر ابنا شاذي من بلد دوين وهي بلدة من اخر بلاد
اذربيجان مما يلي الروم واصلهما من الاكراد الروادية
وهذا القبيل هو اشرف الاكراد وقدما العراق وخدما
مجاهد الدين بهروز الخادم وهو شحنة العراق فراي من
نجم الدين عقلا وراييا وحسن سيرة فجعله دزدارا
بتكريت وهي له فسار اليها ومعه اخوه اسد الدين فلما انهزم
اتابك زنكي الشهيد والد نور الدين بالعراق من قراجة الساقي
وهو اتابك داود بن السلطان محمود وذلك من المسترشد بالله
سنة ست وعشرين وخمسمائة وصل الى تكريت فخدمه نجم الدين
ايوب واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن
نجم الدين صحبتهم وسيرهم ثم ان اسد الدين قتل انسانا
بقرابتنا بتكريت لملاحاة جرت بينهما فارسل مجاهد الدين اليه
والى اخيه نجم الدين واخرجهما من تكريت وقيل ان ايوب
كان يحسن الرماية فرمى شخصا من مماليك بهروز ليسهم فقتله
فخشي على نفسه فتوجه نحو الشام وخدم مع زنكي وقيل
لما قتل شيركوه النصراني وكان عزيزا عند بهروز هرب الى
الموصل والتحق ايوب به وسنوضح هذه القصة ان شا

اسد ضوء

ان شا الله تعالى عند ذكر وفات ايوب في اخبار سنة ثمان وستين
ثم ان ايوب وشيركوه قصدا اتابك الشهيد فاحسن اليهما
وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا وصارا من جملة
جنده فلما فتح حصن بعلبك جعل نجم الدين دزدارا فيه
فلما قتل الشهيد حصر عسكر دمشق نجم الدين فارسل
الى سيف الدين غازي وقد قام بالملك بعد والده ينهي
انجادا اليه فلم يتفرغ لبعلبك وضاق الامر على من بها وخاف
نجم الدين ان يوخذ عنوة وينال له اذى فارسل في تسليم
القلعة وطلب اقطاعا ذكره فاجيب الى ذلك وحلف
له صاحب دمشق عليه وسلم القلعة ووفا له بما حلف عليه
له من الاقطاع والتقدم وصار عنده من اكابر الامرا واتصل
اخوه اسد الدين شيركوه بالخدمة النوريه بعد قتل
الشهيد وكان يخدمه في ايام والده فقربه نور الدين
واقطعه وراى منه في حروبه ومشاهده اثارا يعجز عنها
غيره لشجاعته وجراته فزاده اقطاعا وقربا حتى صار
له حمص والرحبه وغيرهما وجعله مقدم عسكره. فلما
تعلقت الهمة النوريه بملك دمشق امر اسد الدين فراسل
اخاه نجم الدين وهو بها وطلب منه المساعدة على
فتحها فاجاب الى ما يراد منه وطلب هو واسد الدين
من نور الدين كثيرا من الاقطاع والاملاك ببلد دمشق
وغيرها فبذل لهما ما طلبا منه وحلف لهما عليه ووفا لهما

ملكها وصار اعنده في اعلا المنازل لا سيما نجم الدين فان جميع
الامرا كانوا لا يقعدون عند نور الدين الا ان يامرهم او
احدهم بذلك الا نجم الدين فانه كان اذا دخل اليه قعد
من غير ان يومر بذلك فلما كان سنة تسع وخمسين وعزم
نور الدين على ارسال العساكر الى مصر لم ير لهذا الامر الكبير
اقوم ولا اشجع من اسد الدين فسيره وكان سبب
ذلك ان شاور بن مجير ابا شجاع السعدي وهو الملقب
امير الجيوش الذي يقول فيه عمارة من جملة قصيدة
ضجر الحديد من الحديد وشاور في نصر آل محمد لم يضجر
حلف الزمان لياتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر
وهو وزير الملقب بالعاضد لدين الله اخر المستخلفين
بمصر كان قد وصل الى دمشق في سنة ثمان وخمسين سادس
ربيع الاول الى نور الدين مستنجدا به على ما اخذ منه منصبه
قهرا وكانت عادة المصريين انه اذا غلب شخص صاحب المنصب
عن دفعه وعرفوا عجزه وقفوا للغالب منهم ورتبوه ومكنوه
فان قوتهم انما كانت تكون بعسكر وزيرهم وهو الملقب
عندهم بالسلطان وما كانوا يرون المكاشفة واغراضهم
مستقيمة وقواعدهم مستقرة من اول زمانهم على هذا
المثال وكان شاور قد غلب على الوزارة وانتزعها من
بني رزيك وقتل العادل بن الصالح بن رزيك الذي وزر
بعد ابيه واسمه رزيك ويلقب بالناصر ايضا وهو الذي
استحضر القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي من الاسكندرية

وزير

واستخدمه

واستخدمه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش على ما ذكره
عمارة اليمني في كتاب الوزرا المصرية وقال عنه غرس
منه للدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النما اصلها
ثابت وفرعها في السما ثم خرج على شاور نايب الباب
وهو امير يقال له ضرغام بن سوار ويلقب بالمنصور
فجمع له جموعا كثيرة لم يكن له بها قبل فغلبه واخرجه من
القاهرة وقتل ولده طيّبا واستولى على الوزارة فرحل
شاور الى الشام قاصدا خدمة نور الدين مستصرخا به
ومستنصرا فاحسن لقاه واكرم مثواه فطلب منه
ارسال العسكر الى مصر ليعود اليها ويكون له فيها حصة
ذكرها له ويتصرف على امره ونهيه واختياره ونور الدين
يقدم في ذلك رجلا ويوخر اخرى تارة يحمله رعاية
قصد شاور وطلب الزيادة في الملك والتقوي على
الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق وكون الفرنج
فيه الا ان يوغلوا في البر فيتعرضوا لخطر اخر مع الخوف
من الفرنج ايضا ثم استخار الله تعالى وامر اسد الدين
بالتجهز للمسير معه قضا لحق الوافد المستصرخ وجسا
للبلاد وتطوعا وتطلعا على احوالها وكان هو اسد الدين
في ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي
بمخافة فتجهز وسار مع شاور في جمادى الاخرة من سنة
تسع وخمسين هكذا ذكره ابن الاثير والعماد الكاتب

قال القاضي بن شداد كان ذلك سنة ثمان وخمسين
والقول في ذلك قولهما فقد تبين ان قدوم شاور الى الشام
كان سنة ثمان وخمسين وارسال نور الدين العسكر
كان في جمادى سنة تسع وخمسين قالوا وامر نور
الدين اسد الدين باعادة شاور الى منصبه والانتقام
ممن نازعه في الوزارة وساروا جميعا وسار معهم نور
الدين الى اطراف بلاد الاسلام مما يلي الفرنج بعساكره
ليشغلهم عن التعرض لاسد الدين فكان قصارى الفرنج
حفظ بلادهم من نور الدين ووصل اسد الدين سالما
الى مصر هو ومن معه فهرب المنازع لشاور في الوزارة
وقتل وطيف براسه وعاد شاور وزيرا وتمكن من
منصبه وكان عمارة قد مدح ضرغام بقصيدة منها
ولحق من وزرا الخلافة من نشا . في حضرة الاكرام والاجلال
واختص بالخلفا واكشفت له . اسرارها بقراين الاحوال
وتصرف الوزرا عن رايه . كتصرف الاسما بالافعال
قال عمارة ولما جاوز براسه على الخليج وكنت اسكن
فوق الخليج بالقاهرة قلت ارتجالا .
ارى حنك الوزارة صار سيفا . يجذ بحده صيد الرقاب
كانك رايد البلوى وإلا . بشيرا بالمنية والمصاب
ولعمارة اليمني ايضا من جملة قصيدة
مدح بها شاورا وذكر وزارته .

فتفرق

ولمرة في الاولى بضرب ذلزلت الاقدام وهي شديدة الاقدام
ولمرة في الاخرى بضرب صادق اضحى يطير به عن اب الهام
ادركت ثارا وارتجعت وزارة منزعا ليستوفك من يدي ضرغام

وكان ضرغام اولا من اصحاب شاور واتباعه وقد اشار
الى ذلك عمارة في قوله من قصيدة له

كانت وزارتك القديمة مشرعا صفوا ولكن كدرت غدرانها
عصبت رجال ناجه وسريره من بعد ما سجدت له تيجانها

وله من قصيدة اخرى في شاور

وزير تمنته الوزارة اولا وثانية عفوا بغير طلاب
تخاننه في الاولى بطانة دونه ورب حبيب في قميص حباب
وجاته تبغي الصلح ثاني مرة فلم يرض الا بعد ضرب رقاب

ولم يتغلبه وزيرهم وعاد غير شاور وكان مدة اخر
الوزارة منه الى ان عادت اليه تسعة اشهر سوا وهي
مدة الحمل فصنع عمارة على ذلك وقال فتل ولده طي يوم
الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان وجاز راسه
على رمح تحت الطيقان والنسا يولولن بالصراخ وكان فيهن
واحدة تحفظ قولي في الصالح

ايلبسني وفي العشرين صورة وجهه الكريم وعهد الانتقال قريب
فما زالت تكرر حتى زال راس ضرغام قال وادرك
شاور ثاره في يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الاخر
فيكون بينهما تسعة اشهر قال وقلت في ذلك

ونوعت ملكك من رجال نازعوك فيه وكنت به احق واقعدا
جذبوا رداك غاصبين فلم تزل حتى كسوت القوم اردية الردا
وبردت قلبك من حرارة حرقة امرت نسيم الليل الا تبردا
تاريخ هذا تلته في مثله يوما بيوم عبرة لمن اهتدى
حملت به الايام تسعة اشهر حتى جعلن له جمادى مولدا

ولـه فيه ايضا

لله درك مولوا افخرت به دست وسرج واجفان ومضطجع
ما عبت الا يسيرا ثم حثت لنا والثار مستدرك والملك مرتجع

قضية لم ينل منها ابن ذي يزن الا كمالك والآثار تتبع
فافخر على الحي من قيس ومن يمن اباشجاع فليس الحق يندفع

قال ابن الاثير واقام اسد الدين بظاهر القاهرة
وغدر به شاور وعاد عما كان قرر لنور الدين من البلاد
المصرية ولاسد الدين ايضا وارسل اليه يأمره بالعود
الى الشام فانف اسد الدين من هذه الحال واعاد
الجواب يطلب ما كان استقر فلم يجبه شاور اليه فلما
راى ذلك ارسل نوابه فتسلموا مدينة بلبيس وحكم
على البلاد الشرقية فارسل شاور الى الفرنج يستمدهم
ويخوفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج
قد ايقنوا بالهلاك ان ملكها نور الدين ان ملك مصر
منهم ما يخوفهم فلما ارسل شاور اليهم يستنجدهم ويطلب

منهم

منهم ان يساعدوهم على اخراج اسد الدين من البلاد جاءهم
فرح لم يكتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته والمبادرة
الى نصرته وطمعوا في ملك بلاد مصر وكان قد بذل لهم مالاً
على المسير اليه فتجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين خبر
تجهزهم للمسير سار بعساكره في اطراف بلادهم مما يلي الفرنج
ليمتنعوا عن المسير فلم يمتنعوا لعلمهم ان الخطر في مقامهم
اذا ملك اسد الدين مصر اشد من الخطر بمسيرهم فتركوا
في بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس في الباقين الى مصر
وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير من الفرنج في البحر لزيارة
البيت المقدس فاستعان بهم ملك الفرنج واعانوه وسار
بعضهم معه واقام بعض في البلاد يحفظها فلما قارب الفرنج
مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس واقام بها
هو وعسكره وجعلها ظهراً يتحصن به فاجتمعت العساكر
المصرية والفرنجية ونازلوا اسد الدين بمدينة بلبيس
وحصروه بها ثلثة اشهر وقد امتنع اسد الدين وسورها
من طين قصير جداً وليس له خندق ولا فصيل يحميها وهو
يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضاً ولا نالوا
منه شيئاً فبينما هو كذلك اتاهم الخبر بهزيمة الفرنج بحارم
وملك نور الدين الحصن ومسيره الى بانياس فحينئذ سقط
في ايديهم وارادوا العود الى بلادهم ليحفظوها وليعلم ٥

يدركون باناس قبل اخذها فلم يدركوها الا وقد ملكها
على ما سياتي بيانه ان شا الله تعالى وراسلوا اسد
الدين في الصلح والعود الى الشام ومفارقة مصر وتخلد
وتسليم ما بيده منها الى المصريين فاجابهم الى ذلك لانه
لم يعلم بما فعله نور الدين بالفرنج في الساحل قال
ابن الاثير حدثني من راى اسد الدين حين خرج من
بلبيس قال رايته وقد اخرج اصحابه بين يديه وبقي
في اخرهم وبيده لت من حديد يحمي ساقتهم والمسلمون
ينظرون قال فاتاه فرنجي من الفرنج الغربا فقال له
له اما تخاف ان يغدر بك هولاء المسلمون والفرنج وقد
احاطوا بك وباصحابك فلا يبقى لكم معهم بقية فقال
شيركوه ياليتهم فعلوا حتى كنت ترى ما لم تر مثله كنت
والله اضع السيف فلا اقتل حتى اقتل رجالا وحينئذ
يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفني
ابطالهم فيملك بلادهم ويفني من بقي منهم ووالله لو اطاعني
هولاء يعني اصحابه لخرجت اليكم اول يوم لكنهم امتنعوا
فصلب الفرنجي على وجهه وقال كنا نعجب من فرنج هذه
الديار ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك والان فقد
عذرناهم ثم رجع عنه وسار شيركوه الى الشام وعاد
سالما قال العماد الكاتب وصل شاور الى نور الدين

ملتجيا

ملتجئا فالقاه على عدوه معديا مشكيا وسير معه اسد
الدين على قرار غيبته وامر بينه وبغيته بدركها وخطة
يملكها ومحجة واضحة في الملك يسلكها فمضى معه ونصره
واصفى له مشرعه واسترد له موضعه واظهره بعلوه والمز
بعدوه فلما باد خصمه بدا وصمه وغدا الجهل والطف
في وعده وكان قد راسل الفرنج ومداهم في حرب الاسلام
فوصلوا فانحصر شيركوه ومن معه بمدينة بلبيس فحاصره
شاور والجبلوه دمصر والفرنج ثلثة اشهر من مستهل رمضان
الى ذي الحجة فبذلوا له قطيعة فانصرف عنهم وعاد الى الشام
وفي قلبه من شر شاور الاخر وكيف تمت بغدره تلك المحن

قلت وقد اشار الى ذلك عمارة في قوله في مدح
شاور وذكر الافرنج فقال

وانقذت من مصر عدوا لمثله ... فلله من ظفر فللت وناب
صدمت جموع الكفر والشام صدمة ... اقمت بها للقوم سوق ضراب
وقد جردت اجناد مصر عزائما ... مضاربها في الصخر غير نوابي
تولوا عن الافرنج فارتج ثقلها ... ودارت رحاها منهم بمصاب
اقامت دروع الجند تسعين ليلة ... ثيابا لهم ما بدلت بثياب
وهم بين مطروح هناك وطارح ... وبين مصيب خصمه ومصاب

وقال القاضي ابن شداد سار اسد الدين الى مصر
واستصحب معه ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب
وجعله مقدم عسكره وصاحب رايه وكان لا يفصل امرا

ولا يعترض حاله الا بمشورته ورايه لما لاح له من امارات
الاقبال والسعادة والفكرة الصحيحة واقتران النصر
بحركاته وسكناته فسار وواجه ووصلوا مصر وشاور
معهم وكان لوصولهم الى مصر وقع عظيم وخافه اهل مصر
ونصر شاور على خصمه واعاده الى منصبه ومرتبته وقرر
قواعده وشاهد البلاد وعرف احوالها وعلم انها بلاد
بغير رجال تمشي الامور فيها بمجرد الايهام والمحال وكان
ابتدا رحيله عنها متوجها الى الشام في السابع من ذي
الحجة فاقام بالشام مدبرا للامر مفكرا في كيفية رجوعه
الى البلاد المصرية محدثا بذلك نفسه مقررا القواعد
ذلك مع نور الدين الى سنة اثنين وستين قلت ولفعله
شاور وما فعل مع اسد الدين وصفته الشعرا بالغدر
ووقعوا فيه قبل قتله وبعده على ما سنذكره وبقي متخوفا
من اسد الدين فقال عرقلة الكلبي من جملة قصيدة له

وملوا بمل يوما شيركوه بجلق • الى الصعيد الارتاع في مصر شاور
هو الملك المنصور والاسد الذي • سمعنا ذكره في الشرق والغرب سائر

وفي ذي الحجة من هذه السنة احترقت جيرون بعد رجوع
اسد الدين الى دمشق فقال العرقلة يمدحه ويذكر
ذلك

جار صرف الردى على جيرون • وسقى اهلها كؤوس المنون
اصبحت جنة وامست جحيما • تتلظى وكل قلب حزين
كيف لا تذرف الدموع عليها • وهي في الشام نزهة للعيون

حبذا

178.

حبذا حصنها الحصين لقد كان جمالا لكل حصن حصين
اي سيف سطا على دار سيف وزبون ابى لحرب زبون
خلت قبرانها وكل ظلوم ثار ليلي يلوح للمجنون
كم غني اليمين امسى فقيرا وفقير امسى غني اليمين
كل حين لها حريق جديد ليت شعري ما ذا لها بعد
حين
كل هذا البلا عاقبة الفسوق وشرب الخمور والتلحين
ولقد ردها بحزم وعزم اسد الدين غاية المسكين
وحمى الجامع المقدس واف لمشهد من خمرها بما معين
ملك فعله بسدكه والباب فعال الامام في صفين

فصل في فتح حارم قال العماد الكاتب
وفي تلك السنة يعني سنة تسع وخمسين اغتنم نور الدين خلو الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف فرزقه الله تعالى الانتقام منهم فاسرهم وقتلهم ووقع في الاسارى برنس انطاكيه وقومص طرابلس وابن الجوسلين ودوك الروم وذلك في رمضان وقال في الخريدة كانت نوبة البقيعة نوبة عظيمة على المسلمين واولئك نور الدين في قل من عسكره ثم كسر الافرنج بعد ثلثة اشهر على حارم وقتل في معركة واحدة منهم عشرون الفا واسر من نجا واخذ القومص والابرنس والدوقس وجميع ملوكهم وكان فتحا عظيما وفتحا مبينا قال

في فتح حارم

ابن الاثير والسبب في هذا الفتح ان نور الدين لما عاد منهزما على ما سبق من غزوة ناحية حصن الاكراد اقبل على الجد والاجتهاد والاستعداد للجهاد والاخذ بثار وخذ والعدق في عقر دار ولم يرتق ذلك الفتق ويمحوا سمة الوهن وبعيد ر [illegible] المال فراسل اخاه قطب الدين بالموصل وفخر الدين قرا ارسلان بالحصن ونجم الدين ابي تمادرين وغيرهم من اصحاب الاطراف اما قطب الدين اتابك فانه جمع عساكره وسار مجدا وعلى مقدمه عسكره زين الدين نايبه واما قرا ارسلان فبلغني عنه انه قال له خواصه على اي شي عزمت فقال على القعود فان نور الدين قد تحشف من كثرة الصوم والصلاة فهو يلقي نفسه والناس معه في المهالك وكلهم وافقه على ذلك فلما كان الغد امر بالنداء في العسكر بالتجهز للغزاه فقال له اولئك ما عدا مما بدا فارقناك بالامس على حال ونرى الان ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معي طريقا ان لم انجده خرج اهل بلادي عن طاعتي واخرجوا البلاد عن يدي فانه كاتب زهادها وعبادها والمنقطعين عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج وما نالهم من الاسر والقتل والنهب ويستمد منهم الدعا ويطلب منهم ان يحثوا المسلمين على الغزاه فقد قعد كل واحد من اولئك ويبكون ويلعنوني ويدعون علي

فلا

179

فلابد من اجابة دعوته ثم تجهز ايضا وسار الى نور الدين
بنفسه • واما نجم الدين فانه سير عسكره فلما
اجتمعت العساكر سار نحو حارم فنزل عليها وحصرها وبلغ
الخبر الى من بقي من الفرنج بالساحل لم يسر الى مصر فحشدوا
وجاوا ومقدم الفرنج البرنس صاحب انطاكيه وقمص صاحب
اطرابلس واعمالها وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج
واعيانها وابطالها والدوك وهو رئيس الروم ومقدمها وجمعوا
معهم من الرجال ما لا يقع عليه الاحصا قد ملوا الارض
وتجنبوا بقسطلهم الشما فحرض نور الدين اصحابه وفرق
نفايس الاموال على شجعان الرجال فلما قاربه الفرنج
رحل عن حارم الى ارتاح وهو الى لقاهم مرتاح وانما رحل
طمعا ان يتبعوه ويتمكن منهم اذ القوم فساروا حتى نزلوا
على عم ومن على الحقيقه تحقيق ما القوم من الهم ثم تيقنوا
انهم لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرة لهم على نزاله فعادوا
الى حارم وقد حرمهم كل خير وتبعهم نور الدين فلما
تقاربوا اصطفوا للقتال وبدات الفرنج بالحمله على
ميمنة المسلمين وبها عسكر حلب وفخر الدين فبددوا
نظامهم وزلزلوا اقدامهم وولوا الادبار وتبعهم
الافرنج وكانت تلك الهزم من الميمنة عن اتفاق وراي
دبروه ومكر بالعدو مكروه وهو ان يبعدوا عن راجلهم
فيميل عليهم من بقي من المسلمين ويضعوا فيهم السيف

فبددوا

من مكايد الحرب

ويعلموا انهم الا لوقوف فاذا عاد فرسانهم من اثر المنهزمين
لم يلقوا راجلا يلجوون اليه ويعود المنهزمون في اثارهم
وتاخذهم سيوف الله من بين ايديهم ومن خلفهم فكان
الامر على ما دبروا فان الفرنج لما تبعوا المنهزمين
عطف زين الدين في عسكر الموصل على راجلهم فافناهم قتلا
واسرا وعادت خيالتهم ولم يمعنوا في الطلب خوفا على راجلهم
من العطب فصادفوا راجلهم على الصعيد صرعى معفرين بدمايهم
مضرجين فسقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا وخضعت
رقابهم وذلوا . فلما رجعوا عطف المنهزمون اعنتهم
وعادوا فبقي العدو في الوسط وقد احدق بهم المسلمون
من كل جانب فحينيذ حمي الوطيس وباشر الحرب المروس والرييس
وقاتل الفرنج قتال من يرجوا ان قد امد النجاة وحاربوا
حراب من ايس من الحياة وانقضت العساكر الاسلامية
عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطيور فمزقوهم بددا
وجعلوهم قددا فالقى الفرنج بايديهم الى الاسار وعجزوا
عن الهزيمة والفرار واكثر المسلمون فيهم القتل وزادت
عدة القتلى على عشرة الف واما الاسرى فلم يحصوا
كثرة ويكفيك دليلا على كثرتهم ان ملوكهم اسروا وهم الذين
من قبل ذكروا وسار نور الدين بعد الكسرة الى حارم
فملكها في الحادي والعشرين من رمضان واشار اصحابه
عليه بالمسير الى انطاكيه ليملكها لخلوها ممن يحميها ويدفع

عنها

180.

رأي صاحب

عنها فلم يفعل وقال اما المدينة فامرها سهل
واما القلعة التي لها فهي منيعة لا تؤخذ الا بعد
طول حصار واذا ضيقنا عليهم ارسلوا الى صاحب
القسطنطينية وسلموها اليه ومجاورة بيمند اخبث
الي من جوار ملك الروم وبث سراياه في تلك الاعمال والولا

باد

فنهبوا وسلبوا وسبوا واوغلوا في البلاد حتى بلغوا
اللاذقية والسويدا وغير ذلك وعادوا سالمين ثم ان
نور الدين اطلق بيمند صاحب انطاكية بمال جزيل اخذه
منه واسرى كثير من المسلمين اطلقهم قال الحافظ
ابو القسم كسر نور الدين الروم والارمن والفرنج وكان
عدتهم ثلثين الفا قال ووقع بيمنت في اسره في
نوبة حارم وباعه نفسه بمال عظيم انفقه في الجهاد
قلت وبلغني ان نور الدين رحمه الله لما التقى الجمعان
او فتيله انفرد على تل حارم وسجد لربه عز وجل
وامرغ وجهه وتضرع وقال يارب هولا عبيدك
وهم اولياوك وهولا عبيدك وهم اعداوك فانصر اولياك
على اعدائك ايش فضول محمود في الوسط يشير الى
انك يارب ان نصرت المسلمين فدينك نصرت فلا تمنعهم
النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق النصر وبلغني
انه قال اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود
الكلب حتى ينصر وجرى بسبب ذلك منام حسن نذكره

في اخبار سنة خمس وستين عند رحيل الفرنج من دمياط بعد
نزولهم عليها وهذا فتح عظيم ونصر عزيز انعم الله به على
نور الدين على المسلمين مع ان جيشه عامئذ كان منه طائفة
كبيرة بمصر مع شيركوه كما سبق وهذا من عجيب ما وقع واتفق

الوزير جمال الموصلي

فصل في ذكر وزير الموصل جمال الدين الجواد
الممدح ووفاته في هذه السنة رحمه الله وقد ذكره
العماد الكاتب في مواضع من مصنفاته واثنى عليه ثناء عظيما
حسنا فمما ذكره في كتابه الموسوم بنصرة الفترة وعصرة
الفطرة في اخبار الوزرا السلجقية ان قال ذكر
جمال الدين ابي جعفر محمد بن علي بن ابي منصور كان والده من
اصفهان يدعى الكامل علي وهو حاجب الوزير شمس الملك
بن نظام الملك وكان ابوه ابو منصور فهادا في عهد
السلطان ملكشاه بن الب ارسلان وابنه الكامل اديب
لبيب وزادت ايامه في السمو وايامنه في النمو حتى تنافس
في استخدامه الملوك والوزرا واستصوبت برايه في الحوادث
الارا وكان قد زوج بنتا له ببعض اولاد اخوال العزيز
يعني عم العماد الكاتب قال فاشتمل لذلك العزيز
رحمه الله على ولده جمال الدين ابي جعفر محمد وخرجه في الادب
ودرجه في الرتب قال ما دلته في ديوان العرض
السلطاني المحمودي وغلب في تحليته ذكر الانجب فنعته
الاتراك بالانجب واستقام في نجابته على المنهج واتفق انه

لما تولى

لما تولى زنكي بن آق سنقر الشام تزوج بامرأة الامير كندغدي
ووالدها خاصبك بن كندغدي من امرا الدولة واعيان المملكة
ولم يتيسر معها فرتبه العزيز لخاصبك وزيرا فسار في
الصحبة وكان مقبل الوجاهة مقبول الفكاهة شهي الهشاشة
بهي البشاشة فتوفرت مني زنكي على مساعدته وقصر صباحه
ومساه على مسامحته وعول عليه في احكام امره في اشراف
ديوانه وزاد المال وزان الحال بتمكينه ومكانه فلم يظهر
لجمال الدين في زمان زنكي جود ولا عرف له موجود فانه
كان يقنع باقواته ويزجيه اوقاته ويرفع جميع ما يحصل
له الى خزانة زنكي استبقاء لجاهه واستعلاء به على اشباهه
فمكنه زنكي من اصحاب ديوانه فمنهم من استظهر باسائته
ومنهم من انتفع باحسانه فلما قتل زنكي صار للدولة
الاتابكية ملاذا وللبيت الاقسنقري معاذا واستوزره
الامير غازي بن زنكي ووازره علي كوجك على وزارته
وحلف له على مظاهرته ومظافرته وجرى بين جمال الدين
الوزير وبين زين الدين علي كوجك وبين سيف الدين غازي
التعاقد على التعاضد والتعاهد على التساعد وتولى
جمال الدين وزارة الموصل واستولى فعاشر بنداه الجود
وعشا الى ناديه الوفود وعادت به الموصل قبلة الاقبال
وكعبة الامال فانارت مطالع سعوده وسارت في
الافاق صنايع جوده وعم اكرمه السربعين وشمل بالبر

اليها دجع بالامن شمله واجري بحر السماح ونادي حي على الفلاح
فصاحت بافضاله الفاظ الفصاح والتوا اليه من كل فج عميق
وقصد من كل بلد سحيق وفضله الفضلا العظما ومدحه
الشعرا وممن وفد اليه ابو الفوارس سعد بن محمد بن الصيفي
المعروف بحيص بيص قال [illegible] واستدني لنفسه فيه قصيدة
اولها بالصوارم والرماح الذبل نصرًا وامر الحديثا لم يحلل
لو شيبها ومشيبه مستيه • جاد الزمان وبالعلام يبخل
فاقني فخارك بالمحاسن واعني الي لكم من بمتي في جحفل
انا فارس اليوم بوم مقالة • ووعي اصول بصارمي ومقولي
ظلمت فضايل المعاول مثلها ظلمت جمال الدين ماوي العيل
مدحوم كي كوو مناقب نفسه فظمت فسالت بالمدايح من عل
فانت ابذل ما استطوت ومن يرد نقل الحضيض الي المزان يحمل
شمس من الحسان عم ضياوها بل بهجات بحجة مرسل
يعطي الجزيل السايلين معروفه وتجود بالنعمي اذا لم يسال
ويزيل نفوس الخطوب طلاقة فيكون اسم ما يرى في المعضل
ثقلت به الاعناق من منن البها فالهام مطرقة اذا لك المثقل
فاذا تلاقي الناس كان حديثهم عن كل جفن بالجلالة مسدل
اثر امعروف الوزير فكلهم عاف تراه مطلقا كمكبل
من سمرقند الى تهامة شامل فضل الجمال على الحيا المتهلل
السحب تمطر ما نظل وجوده بسرى ودار مقامه بالموصل
ونعز عين محمد محمد محمد • محيي وربي علمه والمنزل

معمار

محارم من فلك وحافظ دينه ○ ومعز امته بجود مسبل

جعل المدينة مصر ريف أهلها ○ نشوان يمرح بالنعيم المخضل

فكانها بالخصب من قربانه ○ يلد على شط الفرات السلسل

فلو انه في عصر نزلت له ○ في مدحه سور الكتاب المنزل

عبد اخ في ضيفه ووداده ○ لا يستحيل وسيد في المحفل

خرق نشاط قميصه ورداؤه ○ بعباب زخار وهضبة يذبل

قال العماد الكاتب وكنت انا في ذلك العهد ببغداد متفقها واتفق حضوري بالموصل في ذي القعدة سنة اثنتين واربعين وخمسمائة فحضرت عند جمال الدين بالجامع في جمعتين وتكلمت عنده مع الفقهاء في مسئلتين

وهما مدحته به

قصيدة ○ اولها ○

اظنهم وقد عزموا ارتحالا ○ نووا عنا جمالا لا جمالا

سروا والصبح مبيض الحواشي ○ فلما طال عهد الوصل حالا

هم اعتادوا الملال فكيف ملوا ○ وصالهم وما ملوا الملالا

احادي عيسهم بالله رفقا ○ فان السير اودعها الكلالا

وعج نحو الاراك بها فاني ○ اراه لاجتماع الشمل فالا

سقى صوب الحيا تلعات نجد ○ وحيا بالحمى تلك التلالا

لاخلاي ومالي في الناس خل ○ به احلى منازله حزان بالا

لئن لم اشف صدري من حسود ○ ولم اذق العدى داء عضالا

فلا ادركت من ادني مراما ○ ولا صادفت من حسبي منالا

ولا وجدت ابيكم في جماك ○ ولا والبت مولانا الجمالا

هو المغني اذا ما الموافقون • هو المنجي اذا ما الخطب هالا •
وقايلة اتى الدنيا كريم • سواه فقلت لا واي العلا لا •
اطلت على الورى كرما وفخرا • كذلك من حوى بعد بن طالا •
وحزت المجد عن كسب وارث • فيا صدر الورى حزت الكمالا •
خصصت بكل منقبة وفضل • تعالى عز جيناك به تعالا •

وقد اكثر الشعرا في مدحه منهم للوقلية

قصيدة منها •

يهوى تجنبه والصدود كما • يهوى المعالي محمد بن علي •
جمال دين الاله خير فتى • المورق اقلامه والاسل •
معطي القرى والقرى لقاصده • بغير من والبخل والخول •
مثل فتوح الفاروق نائله • شرقا وغربا في السهل والجبل •
من قال لم يجود او يسكن ذى • اصبح مما يقول في خجل •
محمد خاتم الكرام كما • سميه كان خاتم الرسل •

احمد بن مير مر قصيدة

كسى الحرمين لبسه عبد شمس • وهاشم عن تسلسل الخلل •
والبلد الامين اجد امنا • تكنف مثله جدث الرسول •
عشيهم بآلاء الامير عما • انتج له من الاثر الجميل •
وطار بها واشغفهم فشد • اليدين على عرى المجد الاثيل •
بيوت بالحجاز مقدسات • دهاها الدهر بالخطب الجليل •
وكان اذا الاثر فضاب صوتا • لمن اوته من ولد البتول •
ما تو بافنيات يوم تجنا • المقال ويشتري طيب المقيل •

دكم

183.

وكم للوصل الحد يا ممشا • تنبيل يداه من ريف ونيل •
برود الصبح ملتهب الحواشي • تهبّ لبطش فراش الرحول •

ولابي المجد بن قسيم الحموي

فيه من قصيدة

اغر تبصر منه الناس في رجل • والليث في بشر والبدر في غصن •
سما بهمته في المكرمات إلى • عليا يقصر عنها همّة الزمن •
يلقاك واضح ليل الفكر د أُجح • نيل الكف طاهر ذيل السر والعلن •
ماضي العزيمة ميمون النقيبة • ريبال الكتيبة عين العايل اللسن •
اذا تكلم واستجليت غرّته • في محفل دحت خال العين والاذن •
كان في الدست منه حين تنظره • شمس النهار وصوب العارض الهتن •

وكان ابن الاثير وفي شعبان من هذه السنة

وهي سنة تسع وخمسين وخمسماية توفي الوزير جمال الدين
محمد بن علي بن ابي منصور الاصفهاني وكان قد خدم الشهيد
فولاه نصيبين وظهرت كفايته فاضاف اليه الرحبه فابان
عن كفايته وعفه وكان من خواصه فجعله مشرف مملكته
كلها وحكمه تحكيما لا مزيد عليه حتى كان وزير الشهيد والحاكم
في بلاده ضيا الدين بن الكفرتوثي يحكي عن جمال الدين قال
كان يدخل الى اتابك قبلي ويخرج بعدي ولم يزل كذلك
الى ان قتل الشهيد ثم وزر لولدي الشهيد سيف الدين
ثم قطب الدين وكان بينه وبين زين الدين علي كوجك عهود
ومواثيق على المصافاه والاتفاق وكان اصحاب

اصحاب زين الدين يكرهونه ويقعون فيه عند زين الدين فنهاهم
وكانت الموصل في ايامه ملجاً لكل ملهوف ومأمناً لكل خائف
فسعي به الحسدة الى قطب الدين حتى اوغروا صدره عليه
وقالوا له انه ياخذ اموالك فيتصدق بها فلم يمكنه ان يغير
عليه شيئاً بسبب اتفاقه مع زين الدين فوضع على زين
الدين من غيره عن مصافاته ومواخاته فقبض عليه قطب
الدين وحبسه بقلعة الموصل ثم ندم زين الدين على الموافقة
على قبضه لان خواص قطب الدين واصحابه كانوا يخافون
جمال الدين فلما قبض بسطوا في الامر والنهي على خلاف غرض
زين الدين فبقي جمال الدين في الحبس نحواً من سنة ثم مرض ومضى
لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر رعد ثم
النظر في سعة نفس لم ير وفي كتب الاولين ان احداً من
الوزراء اتسعت نفسه ومروته لما اتسعت له نفس جمال
الدين فلقد كان عظيم القنوة كامل المروة قال
ابن الاثير حكى لي جماعة عن الشيخ ابي القسم الصوفي وهو
رجل من الصالحين كان يتولى خدمة جمال الدين في محبسه
قال لم يزل الجمال مشغولاً بامر اخرته مدة حبسه وكان
يقول كنت اخشى ان انقل من الدست الى القبر قال
في بعض الايام يا ابا القسم اذا جا طاير ابيض الى الدار فعرفني
فقلت في نفسي قد اختلط الرجل فلما كان الغد اكثر السوال
عن ذلك الطاير وذا طاير ابيض لم ار مثله قد سقط فقلت

لدجا

له جا الطاير فاستبشر ثم قال جا الحق واقبل على الشهادة
وذكر الله تعالى وتوفي فلما توفي طار ذلك الطاير
قال فعلمت انه راى شيا في معناه ودفن بالموصل نحو سنة
وكان قد قال للشيخ ابي القسم ان بيني وبين اسد الدين
شيركوه عهدا من مات منا قبل صاحبه حمله الحي الى المدينة
على ساكنها السلام فدفنه بها في التربة التي عملها فان انا مت
فامض اليه وذكره فلما توفي سار الشيخ ابو القسم الى
اسد الدين في هذا المعنى فاعطاه مالا صالحا ليحمله به
الى مكة والمدينة وامر ان يحج معه جماعة من الصوفية
ومن يقرا بين يدي تابوته عند النزول والرحيل وقدوم
مدينة تكون في الطريق وينادون في البلاد الصلاة
على فلان ففعلوا ذلك فكان يصلى عليه في كل مدينة
خلق كثير فلما كان الحلة اجتمع الناس للصلاة عليه فاذا
شاب قد ارتفع على موضع عال ونادى باعلا صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما . سرى جوده فوق الركاب
ونايله
يمر على الوادي فتثني رماله . عليه وبالنادي فتثني ارامله

فلم ير باكيا اكثر من ذلك اليوم ثم وصلوا به الى مكة فطافوا
حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم وحملوه الى المدينة فصلوا
عليه ايضا ودفنوه بالرباط الذي انشاه بينه وبين
قبر النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر ذراعا

كذا قال ابن الاثير ولعله اراد الحائط الشرقي
من مسجد النبي صلى الله عليه لا نفس القبر الشريف قال
كان جمال الدين رحمه الله اسخا الناس واكثرهم عطا وبذلا للمال
رحيما بالناس منعطفا عليهم عادلا فيهم فمن اعماله الحسنة
انه جدد بنا مسجد الخيف بمنى وغرم عليه اموالا عظيمة
وبني الحجر بجانب الكعبة ورايت اسمه عليه ثم غير وبني
غيرهم سنة ست وسبعين وخمسماية وزخرف الكعبة بالذهب
والنقوش فكل ما فيها من ذلك فهي عمله الى سنة تسع وثمانية
ولما اراد ذلك ارسل الى الامام المقتفي لامر الله هدية
جليلة حتى اذن له فيه وارسل الى امير مكة عيسى ابن
هاشم خلعا سنية وهدية كثيرة حتى مكنه منه وعمر
ايضا المسجد الذي على جبل عرفات وعمل الدرج التي تصعد
فيها اليه وكان الناس يلقون شدة في صعودهم وعمل
بعرفات مصانع للما واجرى الما اليها من نعمان في طرق
معمولة تحت الجبل مبنية بالكلس فغرم على ذلك مالا
كثيرا وكان يعطي اهل نعمان كل سنة مالا كثيرا ليتركوا
الما يجري الى المصانع ايام مقام الحجاج بعرفات فكان
الناس يجدون به راحة عظيمة ومن اعظم الاعمال
الاعمال التي عملها نفعا انه بنى سورا على مدينة النبي صلى
الله عليه وسلم فانها كانت بغير سور ينهبها الاعراب
وكان اهلها في ضنك وضر معهم ورايت بالمدينة انسانا

يصلي

185

يصلي الجمعة فلما فرغ ترحم على جمال الدين ودعا له فسالناه
عن سبب ذلك فقال يجب على كل من بالمدينة
ان يدعوا له لاننا كنا في ضر وضيق ونكد عيش مع العرب
لا يتركون لاحدنا ما يواريه ويشبع جوعته فبنى
علينا سورا احتمينا به ممن يريدنا بسوء فاستغنينا
فكيف لا ندعو له قال وكان الخطيب بالمدينة يقول
في خطبته يقول اللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور
محمد بن علي بن ابي منصور فلو لم يكن له الا هذه المكرمة
لكفاه فخرا فكيف وقد كانت صدقاته تجوب شرق الارض
وغربها وسمعت عن متولي ديوان صدقاته التي
يخرجها على باب داره للفقرا سوى الادرارات والتعهدات
قال كان له كل يوم مائة دينار اميرية يتصدق
بها على باب داره قال ومن ابنيته العجيبة التي
لا يرى الناس مثلها الجسر الذي بناه على دجلة عند جزيرة
ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس الا انه
لم يفرغ لانه قبض قبل فراغه وبنى ايضا جسرا
على نهر الاربار عند الجزيرة ايضا وبنى الربط بالموصل
وسنجار ونصيبين وغيرها وقصد الناس من اقطار الارض
وبلغني ان صدر الدين الخجندي رئيس اصحاب الشافعي
باصبهان وابن القاضي الكافي قاضي قضاة همدان قصداه
فاخرج عليهما مالا جزيلا وكذلك غيرهما من الصدور والعلما

ومشايخ الصوفيه وصارت الموصل في ايامه مقصدا
وملجا وكان احب الاشيا اليه اخراج المال في الصدقات
وكان ينفق على نفسه وبيته ليتصدق حكى لي والدي قال
كنت يوما عنده وقد احضر بين يديه قند ذ ليعمل
على وبر ليلبسه بخمسة دنانير فقال هذا الثمن كثير
اشترو الي قند زابد بسابرز ونصدقوا بتلته دنانير
قال فراجعناه غير مره فلم يفعل قال وحكى لي
من اثق اليه من الجدول بالموصل ان الاقوات تعذرت
بعض السنين بها وعلت الاسعار وكان بالموصل رجل
من الصالحين يقال له الشيخ عمر الملا فاحضر جمال الدين
وسلم اليه مالا وقال له تخرج هذا على مستحقه وكلما
فرغ ارسل الي لانفذ غيره فلم تمض الا ايام يسيره حتى
فرغ ذلك المال لكثرة المحتاجين فانفذ له شيا اخر ففني
ثم ارسل يطلب ما يخرجه فقال جمال الدين للرسول
والله ما عندي شي ولكن خذ هذه المحافير التي في داري
فبيعوها وتصدقوا بثمنها الى ان ياتينا شي اخر فارسله
الى الشيخ عمر فبيعت المحافير وتصدقوا بثمنها وعرفوه
ذلك فلم يكن عنده ما يرسله فاعطاه ثيابه التي كان
يلبسها مع العمامه التي كانت على راسه وارسل الجميع
وقال للرسول قل للشيخ لا تمتنع من الطلب فهذه ايام
مواساه فلما وصلت الثياب الى الشيخ عمر بكا وباعها

منقبة عظيمة

وتصدق

ونتصدق بثمنها قال وحكى لي بعض الصوفية ممن كان
يصحب الشيخ عمر النسائي شيخ الشيوخ بالموصل قال
احضرني الشيخ فقال لي انطلق الى مسجد وذكره وهو
بظاهر الموصل واقعد هناك فاذا اتاك شي فاحفظه
الى ان احضر عندك ففعلت واذا فيما قبل جمع كثير
من الجمالين يحملون احمالا من الصوف والخام واذا فيه
جانايب جمال الدين مع الشيخ ومعهما قماش كثير وثمانية
عشر الف دينار وعدة كثيرة من الجمال فقال لي تاخذ هذه
الاحمال وتسير الى الرحبة فتوصل هذه الرزمة وهذا
الكتاب الى متوليها فلان فاذا احضر لك فلانا العربي
فتوصل اليه هذه الرزمة الاخرى وهذا الكتاب وتسير
معه فاذا اوصلك الى فلان العربي توصل اليه هذه الرزمة
وهذا الكتاب ويوصلك الى المدينة على ساكنها السلام
توصل الى وكيلي فلان هذه الاحمال وهذه الكسوات
والمال الذي عليه اسم المدينة ليخرجها بمقتضى هذه الجريدة
ثم تاخذ الباقي الذي عليه اسم مكة وتسير اليها فتصدق
به وكيلي بها بموجب الجريدة الاخرى قال فسرنا كذلك الى
وادي العقيق فرأينا به نحو مائة جمل تحمل الطعام الى المدينة
وقد منعهم خوف الطريق فلما راونا ساروا معنا اليها
فوصلناها واخبطنا بها كل صاع بدينار مصري والصاع
خمسة عشر رطلا بالبغدادي فلما راوا الطعام والمال

اشتر واكل سبعة اصبع بدينار فانقلبت المدينة بالدعا
له ثم سرنا الى مكة تفعلنا ما امرنا قالت وحكى
وحكى لي والدي قال رايت جمال الدين وقد حضر عنده
رجل فقيه فسال ان يصير وزيرا فطلب منه شيا وتردد
اليه عدة ايام ثم انقطع فسال عنه فقيل انه سافر
فشق ذلك عليه ثم قال هكذا ينصرف الاحرار عنا دون
الكلاب ورددت ذلك غير مرة ثم سال عنه فقيل انه سار
نحو ماردين فارسل اليه خلعة ونفقة الى ماردين قال
ولو رمت شرح مفردات اعماله لاطلت واضجرت وهي
ظاهرة لا يحتاج الى بيان فلهذا تركنا ذكرها قلت
وقد ذكر الامير مويد الدولة اسامة بن منقذ
في كتاب الاعتبار فقال اجتمعت بجمال الدين الموصلي
سنة خمس وخمسين وخمسماية وانا متوجه الى الحج وكانت
بيني وبينه مودة قديمة وعشرة وموانسة فعرض على الدخول
الى دار في الموصل فامتنعت ونزلت بخيمتي على الشط
فكان مدة مقامي كل يوم يركب يجوز على الجسر نحو نينوى
وانا بكرة قد ركب الى الميدان ويبعث الي يقول اركب فانا
واقف انتظرك فاركب فاسير انا وهو نتحدث فوجدت
منه يوما منه خلوة فقلت له في نفسي شي يتردد من حيث اجتمعنا
استحيي ان اقوله لك وما يتفق لي خلوة وقد خلونا الساعة
قال فقلت اقول لك ما قاله الشريف الرضي

من اصحابي

ما انا صحبتك

مهم

خطايان

ما ناصحتك خطايا الود من احد • ما لم يصبك بمكروه من العذل •
مودتي لك تاباني ان تسامحني • بان اراك على شي من الزلل •
قد بسطت يدك في انفاق المال في الصدقات ووجوه البر والمعروف والسلاطين ما يحتملون اخراج المال ولا تصبر نفوسهم عليه ولو ان الانسان يخرجه من ميراثه وهذا الذي اهلك البرامكة فانظر لنفسك كيف المخرج فانك قد دخلت فيه فاطرق ساعة وقال جزاك الله خيرا لكن الامر قد عبر عما تخافه فما رفقته وسرت الى الحجاز وعدت من مكة على طريق الشام ونكب جمال الدين ومات في الحبس قلت ولعلم الدين الحسن بن سعيد الشاناني في هذا الوزير الجواد لما نكب

ماحط قدرك من اوج العلى القدر • كلا ولا غيرت افعالك الغير •
انت الذي عم اهل الارض نائله • ولم يزل بشاره في سودده بشر •
سارت صفاتك في الافاق وانفصحت • وصدق السمع عنها ما راى البصر •
فاصبر لصرف زمان قد منيت به • فاخر الصبر ما طوّلته الظفر •
فما ترى احدا في الخلق يسلم من • صروف دهر له في اهله غير •
سعوا بعضدك شرا واستتب لهم • ولو سعوا النجوم جهرا لما قدروا

لولا الاماني التي تحيي النفوس بها ٭ لمت من لوعة في القلب تستعر ٭

ومنها في ذكر الشيخ عمر الملا

واصدق الناس في حفظ العهود ٭ اذا ميزت بالفكر احوال الورى عمر ٭

الزاهد العابد البر التقي ومن ٭ يزوره ويقوي آل الخضر

وقال العرقلة يرثي جمال الدين

الوزير والصالح بن رزيك ٭

للخير في الدنيا ولا اهلها ٭ بعد جمال الدين والصالح ٭

بحران لولا دمع باكيهما ٭ ما كان ما البحر بالمالح ٭

قال ابن الاثير قال والدي كنت ارى من جمال الدين الوزير في الايام الشهيد به من الكفاية والنظر في صغير الامور وكبيرها والمحافظة فيها ما يدل على تمكنه من الكفاية فلما وصل الامر الى الملك قطب الدين مودود بن اتابك الشهيد وجمال الدين وزير حينئذ وقد تمكن زين الدين علي بن بكتكين في الدولة تمكنا عظيما وتقدم عند قطب الدين جماعة من اصحابه وكان جمال الدين مع تمكنه وعلو محله يهمل بعض الامور قال فقلت له يوما اين تلك الكفاية التي كنا نراها منك في الايام الشهيدية ما ارى الان منها شيء فقال لي والان ما عندي كفاية فقلت ما هذا القول من ذا كنت تبشني فقال انت صبي غر لبست الكفاية

عبارة

عبارة عن فعل واحد في كل زمان انما الكفاية ان يسلك الانسان
في كل زمان ما يناسبه ذلك الوقت كان لنا صاحب متمكن
قوي العزم لا يتجاسر احد على الاعتراض عليه ولا يثقون باقوال
اصحابه فحفظناه وكان ما افعله هو الكفاية واما الان
فلنا سلطان غير متمكن وهو محكوم عليه فهذا الذي افعله
هو الكفاية ثم دخلت سنة ستين وخمسماية

قال ابن الاثير فيها فتح نور الدين قلعة بانياس من
الفرنج وكان قد سار اليها بعد عوده من فتح حارم واذن
لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انه
يريد طبرية فجعل من بقي من الفرنج همهم حفظها وتقويتها
فسار نور الدين مجدا الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من
الحماة الممانعين عنها ونازلها وضيق عليها وقاتلها وكان في جملة
عسكره اخوه نصرة الدين امير اميران فاصابه سهم اذهب
احدى عينيه فلما راه نور الدين قال له لو كشف لك عن
الاجر الذي اعد لك لتمنيت ان تذهب الاخرى قلت
وفي نصرة الدين هذا يقول احمد بن منير من قصيدة له

يا نصرة الدين الذي عزمه . منه ترجا نصرة الدين
وابن الذي لم يزل من خوفه . ما بين اغمات الى الصين

قال ابن الاثير وجد في حصارها وسمع الفرنج
بذلك فجمعوا اله فلم يتكامل عدتهم حتى فتحه الله تعالى
على ان الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم

فتح بانياس

واسرهم فملك القلعة وملاها ذخاير وعدة ورجالاً عدة
وعاد نور الدين الي دمشق وفي يده خاتم بفص من ياقوت
من احسن الجوهر فسقط من يده في شعرا بانياس وهي كثيرة
الاشجار ملتفة الاغصان فلما ابعد من المكان الذي ضاع
فيه الفص علم به فاعاد بعض اصحابه في طلبه ودلهم علي مكانه
وقال اظنه هناك ضاع فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض
الشعرا الشاميين واظنه احمد بن منير من جملة قصيدة يمدحه
بها ويهنيه بهذه الغزاة وعود الفص الياقوت

ان يمتري الشكاك فيك فانك المهدي ومطفي جمرة الدجال
فلعود الحجر الذي اضللته بالامس بين غياطل وجبال
مسترجعاً لك بالسعادة اية ردت مطال الفال غير مطال
لم يعطها الا سليمان وقد ملت الرقاب بموشك الاعجال
زجر جري لسرير ملكك انه كسرير من عن كل جدير عال
فلو البحار السبعة استهويته وامرتهن قذفنه في الحال

قلت هذه الابيات لابن منير بلا شك ولكن في غير
هذه الغزاة فان ابن منير قد سبق انه توفي سنة ثمان
واربعين وفتح بانياس كما تراه في سنة ستين وقد
قرأت في ديوان ابن منير وقال يمدحه يعني
نور الدين ويهنيه بالعود من غزاة وضاع فص ياقوت
جبل من يده لاشتغاله بالصيد شراه الف وماية دينار
وفي نسخة ووجدان خاتم ضاع منه في الصيد قيمته

ياقوت جبل

الف

189.

الف ومايه دينار واستنك اياها بقلعة حمص فذكر العصيلة

واورها

يوماك يوم ندي ويوم نزال

يقول فيها

احرست شقشقة الضلال وقدته قود الذلول الطايع بعد صيال

ورميت دار المشركين بصيلم اللحت فيها الحرب بعد حيال
وسعرت بين نزيهم وثرابهم ذعرا يشيب نواصي الاطفال
فوق الحطيم وقد خطمت زعيمهم ضربا سوابقه بغير توالي
ضربا ملات محولجه من حسن رهبا به سيف الصقال صال
وبلغ حارم احرمت لراعهم فيهم احلت النوم غير حلال
عجموا على جسر الحديد حديدها منعا يعاذمه اذ يرد ضال
ذلذلت ارضهم بوقع صوعوا عطيفنا امنا من الزلزال
في مارق شمرت ذيلك نحته والنصر فوقك مسبل الاذيال
في دولة عز امحمود ذبته سحبت ردا الحمد غير مذال
نلبس الفتوح بها الفتوح وتجتني امر المغاذ بيا مر الافعال
لبست بنور الدين نور حدايق غرائب غرايب الافضال
ملك تحجب في المشير برارق زرت حواشيها على رببال
تنجاب عن ذي لبد نثر شدا مه في بردتي بدل من الابدال
رفع الرواق بروق انطاكيه فرمي الخليج بمرهق البلبال
بدر لاربع عشره اقتبل السنا من خمس عشره سورة الانفال

فوز المآل اخاصة ما الطلي وسواه يعمل اختيار المال
منقسم بين القسمين العلا عن عمر عمرا ومخايل خال
لا زلت تطلع من ثنايا مجمل يعفو النوال كالكوكب المنهال
تغزو افنيهب وتووب فتنهب العافين سلب قنا وكسب نصال
لك ان تطل على الكواكب راقيا ولحاسديك بكا على الاطلال
ومما يناسب ملك السلطان في وجدان الخاتم بعد
وقوعه في مظنة الهلاك والضياع ما يحكى ان موسى الهادي
لما ولي الخلافة سال عن خاتم عظيم القيمة كان لابيه المهدي
فبلغه ان اخاه الرشيد اخذه فطلبه منه فامتنع
فالح عليه فيه فحنق الرشيد ومر على جسر بغداد فرماه
في دجلة فلما مات الهادي وولي الرشيد الخلافة اتى ذلك
المكان بعينه ومعه خاتم من رصاص فرماه ثم وامر الغطاسين
ان يفتشوه ففعلوا واستخرجوا الخاتم الاول فعد
ذلك من سعادة الرشيد وبقاء ملكه قال ابن
الاثير ولما فتح نور الدين حصن بانياس كان والد معين
الدين انر الذي سلم بانياس الى الفرنج قائما على راسه
فالتفت اليه وقال له للناس بهذا الفتح فرحة واحدة
ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان الله اليوم برد
جلد والدك من نار جهنم وقد تقدم انه كان صانع
بها عن دمشق لما نزل الفرنج عليها ثم دخلت سنة
احدى وستين فيها توفي فتح الدين بن اسد الدين شيركوه اخو ا

اخو والاد ا

ناصر

190.

ناصر الدين وقبر بالمقبرة النجمية الى جانب قبر ابن عمه شاهنشاه بن ايوب في قبة فيها اربعة قبور هما الاوسطاني منها وفي مدن الاخوين ناصر الدين وفخر الدين تقول العرقلة حسان

لله شبلا اسد حادر ما فيهما جبن ولا شح
ما اقبلا الا وقال الورى قد جا نصر الله والفتح

وفيها سار نور الدين الى حصن المنيطرة وهو ايضا للفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره انما سار اليه على غرة من الفرنج وعلم انه ان جمع العساكر حذروا واجتمعوا فانتهز الفرصة وسار الى المنيطرة وحصرها وجد في قتالها واخذها عنوة وقهرا وقتل من بها وسبا وغنم غنيمة كثيرة لامن بها فاخذهم خيل الدفعة وهم لا يشعرون ولم يقدر الفرنج على ان يجتمعوا الدفعة الا وقد ملكه ولو علموا انه جريدة لاسرعوا وانما ظنوا انه في جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا منه هذا قول ابن الاثير وذكر القاضي ابن شداد ان ذلك كان في سنة اثنين وستين كما سياتي فالله اعلم وفيها توفي الجليس ابن الحباب بمصر قال العماد الكاتب في الخريدة القاضي الجليس ابو المعالي عبد العزيز بن الحسين ابن الحباب الاغلبي السعدي التميمي جليس صاحب مصر فضله مشهور وشعره مأثور وكان اوحد عصره في مصره نظما ونثرا ترسلا وشعرا ومات بها في سنة احدى وستين وقد اناف على السبعين انشدني له الامير نجم الدين بن مصال من قصيدة

ومن عجب ان السيوف لديهم تحيض دما والسيوف ذكور

وجمعوا

واسرهم فملك القلعة وملاها ذخاير وعدة ورجالا عدة
وعاد نور الدين الى دمشق وفي يده خاتم بفص من ياقوت
من احسن الجوهر فسقط من يده في شعرا بانياس وهي كثيرة
الاشجار ملتفة الاغصان فلما ابعد من المكان الذي ضاع
فيه الفص علم به فاعاد بعض اصحابه في طلبه ودلهم على مكانه
وقال اظنه هناك ضاع فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض
الشعرا الشاميين واظنه احمد بن منير من جملة قصيدة يمدحه
بها ويهنيه بهذه الغزاة وعود الفص الياقوت

ان يمتري الشكاك فيك فانك المهدي ومطفي جمرة الدجال
فلعوده الجبل الذي اضللته بالامس بين غياطل وجبال
مسترجعا لك بالشعار اية ردت مطال الفال غير مطال
لم يعطها الا سليمان وقد ملك الدنيا بوشك الاعجال
زجر جرى لسرير ملكك انه كسريره عن كل جد عال
فلو البحار السبعة استهوينه وامرتهن قذفنه في الحال

قلت هذه الابيات لابن منير بلا شك ولكن في غير
هذه الغزاة فان ابن منير قد سبق انه توفي في سنة ثمان
واربعين وفتح بانياس كما تقوله في سنة ستين وقد
قرات في ديوان ابن منير وقال يمدحه يعني
نور الدين ويهنيه بالعود من غزاه وضاع فص ياقوت
جبل من يده لاشتغاله بالصيد شراه الف ومائة دينار
وفي نسخة ووجدان خاتم ضاع منه في الصيد قيمته

ياقوت جبل

الف

الف ومائة دينار واشتري اياها بقلعة حمص فذكر الفضل

وله فيها

يوماك يوم ندى ويوم نزال

يقول فيها

احرست شقشقة الضلال وقدته قود الذلول اطاع بعد صيال

ورميت دار المشركين بصيلم الفحت فيها الحرب بعد حيال
وسعرت بين ثغورهم وثغورهم ذعرا يشيب نواصي الاطفال
فوق الخطيم وقد خططت زعيمهم ضربا سوابقه بغير توالي
ضربا ملات عويجه من حرثهم رعبا به سيف العقاب صال
وبغيج حارم احرمت لزاعهم فيهم احلن النوم غير حلال
عجموا على جسر الحديد حديدها فثنها بعادمه اد بيرد ضال
زلزلت ارضهم بوقع صوعق اعطيتنا امنا من الزلزال
في مارق سمرت ذيلك تحته والنصر فوقك مسبل الاذيال
في دولة غرا محمود ربيبة سحبت ردا الحمد عن منه الى
نفس الفتوح بها الفتوح وجتني زهر المغانم بيا من الافعال
لبست بنور الدين نور حدائق عمرانهن غرايب الافضال
ملك تحجب في العرين بزارة زرت حواشيها على رئبال
تنجاب عن ذي لبدتين شدائد في بردتي بدل من الابدال
دفع الدواق بروق انطاكية فرمى الخليج بمرملو البلبال
بدر الاربع عشرة اقتبس السنا من خمس عشرة سورة الانفال

فوز المال احاصة ما الطل وسواه يفعل اختيار المال
منقسم بين القسم من العلا عن عم عمرا ومخايل خال
لا زلت تطلع من ثنايا جحفل يتعقوا الكوال كالكوى المهال
تغزو افتنهب وتووب فتنهب العافين سلب قنا وكسب نصال
لك ان تظل على الكواكب راقيا ولحاسديك بكا على الاطلال
ومما يناسب ملك السعان في وجدان الخاتم بعد
وقوعه في مظنة الهلاك والضياع ما يلعني ان موسى الهادي
لما ولي الخلافة سال عن خاتم عظيم القيمة كان لابيه المهدي
فبلغه ان اخاه الرشيد اخذه فطلبه منه فامتنع
فالح عليه فيه فحنق الرشيد ومر على جسر بغداد فرماه
في دجلة فلما مات الهادي وولي الرشيد الخلافة اتى ذلك
المكان بعينه ومعه خاتم من رصاص فرماه ثم وامر الغطاسين
ان يلتمسوه ففعلوا واستخرجوا الخاتم الاول فعد
ذلك من سعادة الرشيد وبقا ملكه قال ابن
الاثير ولما فتح نور الدين حصن بانياس كان والد معين
الدين اترا الذي سلم بانياس الى الفرنج قايما على راسه
فالتفت اليه وقال له للناس بهذا الفتح فرحة واحدة
ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان الله اليوم برد
جلد والدك من نار جهنم وقد تقدم انه كان صاحب
بهاءين ودمشق لما نزل الفرنج عليها ثم دخلت سنة
احدى وستين فيها توفي فتح الدين بن اسد الدين شيركوه اخو

اخو والاد

ناصر

190.

ناصر الدين و قبر بالمقبرة النجمية الى جانب قبر ابن عمه شاهنشاه بن ايوب في قبة فيها اربعة قبور هما الاوسطاني منها وفي مدن الاخوين ناصر الدين و فتح الدين يقول العرقلة حسان

لله شبلا اسد جادا ۝ ما فيهما جبن ولا شح
ما اقبلا الا وقال الورى ۝ قد جا نصر الله والفتح

فتح حصن المنيطرة

وفيها سار نور الدين الى حصن المنيطرة وهو ايضا للفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره انما سار اليه على غرة من الفرنج وعلم انه ان جمع العساكر حذروا واجتمعوا فانتهز الفرصة وسار الى المنيطرة وحصرها وجد في قتالها واخذها عنوة وقهرا وقتل من بها وسبا وغنم غنيمة كثيرة لامن بها فاخذتهم خيل السرعة وهم لا يشعرون ولم يقدر الفرنج على ان يجتمعوا لدفعه الا وقد ملكه ولو علموا انه جريدة لاسرعوا وانما ظنوا انه في جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا منه هذا قول ابن الاثير

وجمعوا

و ذكر القاضي ابن شداد ان ذلك كان في سنة اثنتين وستين كما سياتي فالله اعلم وفيها توفي الجليس ابن الحباب بمصر قال العماد الكاتب في الخريدة القاضي الجليس ابو المعالي عبد العزيز بن الحسين ابن الحباب الاغلبي السعدي التميمي جليس صاحب مصر فضله مشهور وشعره ماثور وكان اوحد عصره في مصره نظما و نثرا ترسلا وشعرا ومات بها في سنة احدى وستين وقد اناف على السبعين انشدني له الامير نجم الدين بن مصال من قصيدة

ومن عجب ان السيوف لديهم ۝ تحيض دما والسيوف ذكور

واعجب منها انها باكفهم ... تاجج نارا والاكف تجود

قال وانشدني له الشريف ادريس الادريسي قصيدة
سيرها الى الصالح بن رزيك قبل وزارته يحرضه على ادراك
ثار الظافر وكان عباس وزيرهم قتله وقتل اخويه يوسف
وجبريل يقول فيها

اصادفهم قولا وغيبا ومشهدا ... تجوهم على عمد بفعل اعادي
فاين بنوا رزيك عنها ونصرهم ... وما لهم من منعة وذياد
تدارك من الايمان قبل دثوره ... حشاشة نفس آذنت بنفاد
فلو عاينت بالقصر عيناك يومهم ... ومصرعهم لم تكتحل برقاد
ممزق جموع المارقين فانها ... بقايا زروع آذنت بحصاد

وله فيه من اخرى في هذه الحادثة

ولما ترامى البربري بجهله ... الى فتكه ما رامها قط رايم
ركبت الله مثر عزمك التي ... بامثالها تلقى الخطوب العظايم
اعدت اليهم ملكهم بعد ما لوى ... به غاصب حق الامامة ظالم

وله فيه في المعنى

اعدت الى جسم الوزارة روحه ... وما كان يرجى بعثها ونشورها
اقامت زمانا عند غيرك طامثا ... فهذا اوان قرئها وطهورها
من العدل ان تحيا بها مستحقها ... ويخلعها مردودة مستعيرها
اذا خطب الحسنا من ليس كفوها ... اشار عليه بالطلاق مشيرها

وله يشكو طبيبا

واصل البني من فم غزالي ... من النسيم الملح بعسكرين

طبيب

طيّبته كغراب بين • يفرق بين عافيتي وبيني •
أتى الحمى وقد شاخت وباخت • فردّ لها الشباب بنسختين •
ودبّرها بتدبير لطيف • حكاه عن سنان أو حنين •
وكانت نوبة في كل يوم • فصيّرها بحذق نوبتين •

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ففيها عاد أسد الدين
إلى مصر تاسع ربيع الآخر وقد كان بعد رجوعه من مصر لا يزال
يحدّث نفسه بقصدها ومعاودتها حريصا على الدخول إليها
يتحدث به مع كل من يتوالاه وكان مما يهيجه على العود زيادة
حنقه على شاور وما عمل معه فلما كان هذه السنة تجهز وسار
إليها وسيّر معه نور الدين جماعة من الأمراء وابن أخيه نور الدين
صلاح الدين يوسف بن أيوب وفي ذلك يقول العرقلة

أقول والأتراك قد أزمعت • مصر إلى حرب الأعاريب •
ربّ كما ملّكتها يوسف الـ • ـصدّيق من أولاد يعقوب •
يملكها في عصرنا يوسف الـ • ـصادق من أولاد أيوب •
من لم يزل ضرّاب هام العدا • حقا وضرّاب العراقيب •

ثم إن أسد الدين جدّ في السير على البر وترك بلاد الفرنج
عن يمينه فوصل الديار المصرية وقصد أطفيح وعبر النيل عندها
إلى الجانب الغربي ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرف في البلاد
الغربية وأقام بها نيفا وخمسين يوما وكان شاور لما بلغه مجيء
أسد الدين قد راسل الفرنج يستغيث بهم ويستصرخهم فأتوه
على الصعب والذلول قادة يجنبهم طمعهم في ملك مصر على الجد والتشمير

وتائرته بحدوهم خوفهم من ان يملكه العسكر النوري على الاسراع
في المسير فالرجا يقودهم والخوف يسوقهم فلما وصلوا الى مصر
عبروا الى الجانب الغربي وكان اسد الدين والعسكر النوري
قد ساروا الى الصعيد فبلغوا مكانا يعرف بالبابين وسارت
العساكر المصرية والفرنج وراهم فادركهم به في الخامس والعشرين
من جمادى الاولى وكان قد ارسل اليهم جواسيس فعادوا
والخبروه بكثرة عددهم وعددهم وجدهم في طلبه فعزم على لقايهم
وقتالهم وان يحكم السيوف بينه وبينهم الا انه خاف من اصحابه
ان تضعف نفوسهم عن الثبات في هذا المقام الخطر الذي عطبهم
فيه اقرب من السلامة لقلة عددهم وبعدهم عن بلادهم فاستشارهم
فكلهم اشار عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقي والعود الى الشام
وقالوا له ان نحن انهزمنا وهو الذي لا شك فيه فالى اين نلتجي
وبمن نحتمي وكل من في هذه الديار من جندي وعامي وفلاح عدو لنا
ويودون لو شربوا دماءنا ونحن العسكر عدتهم الفا فارس قد بعدوا
عن ديارهم وناي نامرهم ان يرتاع من لقا عشرات الوف مع ان
كل اهل البلاد عدوهم فلما قالوا ذلك قام انسان من المماليك
النورية يقال له شرف الدين برغش وكان بالشجاعة بالمكان
المشهور وقال من يخاف القتل والجراح والاسر فلا يخدم الملوك
بل يكون فلاحا ومع النسا في بيته والله لين عدتم الى الملك العادل
في غير غلبة وبلا نعذرون فيه ليأخذن اقطاعاتكم وليعودن
عليكم بجميع ما اخذتموه الى يومنا هذا ويقول لكم اتأخذون

امواك

اموال المسلمين وتفرون عن عدوهم وتسلمون مثل هذه الديار
المصريه يتصرف فيها الكفار قال اسد الدين هذا راي وبه
اعمل ووافقهما صلاح الدين يوسف بن ايوب ثم كسر المواقعون
ثم على القتال فاجتمعت الكلمه على اللقا فاقام بمكانه حتى ادركه
المصريون والفرنج وهو على تعبيته وقد جعل الاثقال في القلب
يتكثر بها ولانه لم يمكنه يتركها بمكان اخر فينهبها اهل البلاد ثم
انه جعل صلاح الدين بن اخيه في القلب وقال له ولمن معه
ان الفرنج والمصريين يظنون انني في القلب فهم يحملون
جميعهم بازائه وحملتهم عليه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم
القتال ولا تهلكوا نفوسكم واندفعوا بين ايديهم فاذا عادوا
عنكم فارجعوا في اعقابهم واختار من شجعان اصحابه جمعا يثق
اليهم ويعرف صبرهم وشجاعتهم ووقف بهم في الميمنة فلما تقابل
الطايفتان فعل الفرنج ما ذكره اسد الدين وحملوا على القلب
ظنا منهم انه فيه فقاتلهم من به قتالا يسيرا وانهزموا بين
ايديهم فتبعوهم فحمل حينئذ اسد الدين فيمن معه على من تخلف
من الفرنج الذين حملوا على القلب من المسلمين والفرنج فهزمهم
ووضع السيف فيهم فاثخن واكثر القتل والاسر وانهزم الباقون
فلما عاد الفرنج من اثر المنهزمين الذين كانوا في القلب
راوا مكان المعركه من اصحابهم بلقعا ليس منهم ديار فانهزموا
ايضا وكان هذا من اعجب ما يورخ ان الفي فارس تهزم عساكر
مصر وفرنج الساحل ثم سار اسد الدين الى ثغر الاسكندريه

وجبى ما فى طريقها من القرايا واحشوا من الاموال ووصل الى الاسكندريه
فتسلمها بغير قتال سلمها اهلها اليه فاستناب بها صلاح الدين ابن
اخيه وعاد الى الصعيد وتملكه وجبى امواله واقام به حتى صام
رمضان واما المصريون والفرنج فانهم عادوا الى
القاهره وجمعوا اصحابهم واقاموا عوض من قتل منهم واستكثروا
وحشدوا وساروا الى الاسكندريه وبها صلاح الدين فى عسكر
يمنعونه منهم وقد اعانهم اهلها خوفا من الفرنج فاشتد الحصار
وقل الطعام بالبلد فصبر اهله على ذلك ثم ان اسد الدين
سار من الصعيد نحوهم وكان شاور قد افسد بعض من معه
من التركمان ووصله رسل المصريين والفرنج يطلبون الصلح
ويبذلوا له خمسين الف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجابهم
الى ذلك وشرط ان الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلمون منها
قرية واحدة وان الاسكندريه تعاد الى المصريين فاجابوا
الى ذلك واصطلحوا وعاد الى الشام فوصل دمشق ثامن عشر
ذى القعدة وتسلم المصريون الاسكندريه فى النصف من شوال
واما الفرنج فانهم استقر بينهم وبين المصريين ان يكون
لهم بالقاهره شحنه وتكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع الملك
العادل من انفاذ عسكر اليهم ويكون للفرنج من دخل مصر
كل سنه مايه الف دينار هذا كله يجري بين الفرنج وشاور واما
العاضد صاحب مصر فليس اليه من الامر شى ولا يعلم بشى
من ذلك قد حكم عليه شاور وحجبه وعاد الفرنج الى بلادهم

وتركوا

193.

وتركوا جماعة من فرسانهم ومشاهير اعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة. ثم ان الكامل شجاع بن شاور راسل نور الدين مع شهاب الدين محمود الحارمي وهو من اكابر امراء الملك العادل وهو خال صلاح الدين يوسف ينهي محبته وولاه وسأله ان يامر باصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته وجمع كلمة الاسلام وبذل مالا يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك وحملوا الى نور الدين مالا جزيلا فبقي الامر على ذلك الى ان قصد الفرنج مصر بتملكها فكان ما نذكره ان شاء الله في احداث سنة اربع وستين ذكر

وقال القاضي ابو المحاسن

عود اسد الدين الى مصر في الدفعة الثانية وهي المعروفة بوقعة البابين ولم يزل اسد الدين يتحدث بذلك بين الناس حتى بلغ شاور ذلك ودخله الخوف على البلاد من الاتراك وعلم ان اسد الدين قد طمع في البلاد وانه لا بد له من قصدها فكاتب الفرنج وقرر معهم انهم يجيئون الى البلاد ويمكنونه فيها تمكينا كليا ويعينونه على استيصال اعدائه بحيث يستقر قدمه فيها وبلغ ذلك نور الدين واسد الدين فاشتد خوفهما على مصر ان يملكها الكفار فيستولوا على البلاد كلها فتجهز اسد الدين وانفذ معه نور الدين العسكر والزم صلاح الدين بالمسير معه على كراهة منه لذلك وذلك في اثناء ربيع الاول وكان وصولهم الى البلاد المصرية مقارنا لوصول الفرنج اليها واتفق شاور مع الفرنج

على اسد الدين والمصريون باسرهم وجرى بينهم حروب كثيرة ووقعات
شديدة وانفصل الفرنج على الديار المصرية وانفصل اسد
الدين وكان سبب عود الفرنج ان نور الدين قد من الله وجه
جرد العساكر الى بلاد الفرنج واخذ المنيطرة وعلم الفرنج
ذلك فخافوا على بلادهم وعادوا وكان سبب عود اسد الدين
ضعف عسكره بسبب موافقة الفرنج والمصريين وما عانوه
من الشدايد وعاينوه من الاهوال وما عاد حتى صالح
الفرنج على ان ينصرفوا كلهم عن مصر وعاد الى الشام في بقية
السنة وقد انضم الى قوة الطمع في البلاد شدة الخوف عليها
من الفرنج بعلمه بانهم قد كشفوها كما كشفها وعرفوها من الوجه
الذي عرفها فاقام بالشام على مضض وقلبه مقلقل والقضاء
يجره الى شي قد قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك وفي اثنا سنة
اثنتين وستين ملك نور الدين قلعة المنيطرة بعد مسير اسد
الدين في رجب وخرب قلعة اكاف بالبرية وفي رمضان منها اجتمع
نور الدين واخوه قطب الدين وزين الدين بحماه وساروا
الى بلاد الفرنج فخربوا هونين في شوال منها وفي ذي القعدة
منها كان عود اسد الدين من مصر وفيه مات قرا ارسلان
بديار بكر فصل وفي شعبان من هذه السنة
قدم دمشق عماد الدين الكاتب ابو حامد محمد بن محمد الاصفهاني
مصنف كتابي الفتح والبرق فانزله قاضي القضاة كمال الدين
ابو الفضل محمد بن عبد الله بن القسم الشهرزوري بالمدرسة

النوريه الشافعيه عند حمام الفضة بباب الفرج المنسوبة
الآن الى العماد وانما نسبت اليه لان نور الدين رحمه الله ولاه
اياها في رجب سنه سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبد
وكان العماد له معرفة بنجم الدين ايوب واسد الدين شيركوه
ابني شاذي من تكريت بسبب ان عمه العزيز احمد بن حامد اعتقله
السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بقلعة تكريت ونجم الدين ايوب
اذ ذاك واليها فانتسخت المودة بينهم من مبادئها . فلما سمع به
نجم الدين بوصوله بكر الى منزله لتبجيله . وكان شيركوه وصلاح
الدين حينئذ بمصر فمدح العماد نجم الدين ايوب بقصيدة اولها

يوم النوى ليس من عمري بمحسوب . ولا الفراق الى عيشي بمنسوب .
ما اخترت بعدك لكن الزمان ابى . كرها بما ليس بالمحبوب محبوبي .
ارحوا الى الشام [illegible] نما عجلا . فقد ظفرت بنجم الدين ايوب .
موفق الراي ماضي العزم مرتفع . على الاعاجم مجدا والاعاريب .
لحبك الله اذ لازمت سجدته . على جبين بتاج الملك معصوب .
اخوك وابنك صدقا منهما اعتصما . بالله والنصر وعد غير مكذوب .
هما هما مانعي يومي وغى وقرى . بقو دا ضرب هام او عراقيب .
غدا ليستأثر في الكفار نار وغى . بلفحها يصبح الشيطان كالشيب .
بملك مصر وبنصر المومنين غدا . تحظى النفوس بتانيس وتطييب .
وليستقر بمصر يوسف وبه . تقر بعد التنائي عين يعقوب .
ويلتقي يوسف فيها باخوته . والله يجمعهم من غير تثريب .

وكان انشاد هذه القصيدة في اخر شوال سنة اثنين

وستين وثم ملكهم مصر بعد سنتين قال فنظمت ما في الغيب
نعقد ثم قال وكان اسد الدين قد جمع وسار الى مصر
في الرمل في النصف من ربيع الاول ووصل في سادس ربيع الاخر
الى اطفيح وعبر منها الى الجانب الغربي واناخ بالجيزة محاذاة مصر
فاقام عليها نيفا وخمسين يوما واستنجد شاور بالفرنج
ودخلوا اليهم سوقا بالقاهرة وعبروا بهم من البلاد الغربية
الى الغرب وعلم اسد الدين فسار امامهم فالتقوا بموضع له
يعرف بالبابين فكسرهم اسد الدين واصحابه وقتلوا من الفرنج
ومن تبعهم من المصريين الوفا وحصل منهم في الاسار سبعون
فارسا من بارونيتهم فلما تمت بهم هذه الكسرة رحلوا الى
الاسكندرية فوجدوا مساعدة اهلها فدخلوها ثم قال اسد
الدين انا لا يمكنني ان احصر نفسي فاخذ العسكر وسار به الى
بلاد الصعيد فاستولى عليها وجبى خراجها واقام صلاح الدين
بالاسكندرية فسار اليه شاور والفرنج فحاصروه اربعة
اشهر وصدق اهل الاسكندرية القتال مع صلاح الدين
وقوي اسد الدين بعوض واستنهض لقصد القوم العموم والخصوص
فسمع الفرنج انه جاء يقصدهم فرحلوا عن الحصار وكان شاور
قد استمال جماعة من التركمان الذين مع اسد الدين بالذهب
فلما راسلوه في المهادنة اجاب وطلب منهم العوض لما عزمه
فبذلوا له خمسين الف دينار فخرجوا من الاسكندرية في النصف
من شوال ووصلوا الى دمشق ثامن عشر ذي القعدة وعادوا

الى

195.

الى الخدمة النورية فاجتمع العماد باسعد الدين والتمس
هذه القصيدة

بلغت بالجد ما لا يبلغ البشر • ونلت ما عجزت عن نيله القدر
من يهتدي للذي انت اهتديت له • ومن له مثل ما اثرته اثر
اسرت ام بسراك الارض قد طويت • فانت اسكندر في السير ام خضر
اوردت خيلا باقصى النيل صادرة • عن الفرات فماضي وردها الصدر
ثنا فلت ذكرك الدنيا فليس بها • الا حديثك ما بين الورى سمر
فانت من زانت الاسلام سيرته • وزاد فوق الذي جاءت به السير
لو في زمان رسول الله كنت اتى • في مدحك السير المحمود والسور
اصبحت بالعدل والاقدام منفردا • فقل لنا اعلي انت ام عمر
اسكندر ذكروا اخبار حكمته • ونحن فيك راينا كل ما ذكروا
ورستم خبرونا عن شجاعته • وصار فيك عيانا ذلك الخبر
افخر فان ملوك الارض ذهلهم • ما قد فعلت فكل فيك مفتكر
سهرت اذ رقدوا وابل بجتلت اذ سكنوا • وصلت اذ جبنوا بل كلت اذ قصروا
يستعظمون الذي ادركته عجبا • وذاك في جنب ما ترجوه محتقر
قضى لك الله بما ترجوه عن كثب • حتما وانفذ لك الله فيه والقدر
شكت خيولك ادمان السرى وشكت • من قلبها البيض بل من حطمها السمر
يسرت فتح بلاد كان ايسرها • كفرا لك فقلا فتحه عسر

قرنت بالحزم منك العزم فاتسعت • ما آرب لك عنها اسفر
السفر •

ومن يكون بنور الدين مهتديا • في امره كيف لا يقوى له الوزر
يرى برايك ما في الملك يبرمه • فانت منه بحيث السمع والبصر
لقد بغت فئة الفرنج فانتصفت • منها باقدامك الهندية البتر
غرست في ارض مصر من جيوشهم • اشجار خط لها من هامهم ثمر
وشاركن بجميع في مقام وغى • به الحديد غمام والدم المطر
اريق منهم دما بالصعيد جرى • منها الى النيل في واديهم نهر
زاد النيل عبور النيل اذ عدموا • نصرا فما عبروا اذ حين قد عبروا
تحت الصوارم هام المشركين كما • تحت الصوالج يوما خفت به الاكر
افنت سيوفك من لاقت وان تركت • قوما فهم نفروا من قبلها
نفروا •

لم ينج الا الذي عاقته من جثث • وحش الفلا ولهو الجد ومنتظر
والساكنون القصور العامرية قد • نادى القصور عليهم انهم قهروا
وشاوروا شاوروا في مكايدهم • فكان الكيد لما خانه الحذر
كانوا من الرعب موتى في جلودهم • وحين امنتهم من خوفهم نشروا
وان من شيركوه الشرك منتحل لديهم • والكفر منتحل له والدين مفتقر
عول على قتله عند اللقا وقتله • وعد عن شركان فيه غدروا
وكيف تخذل جيشا انت مالكه • والقائد ان له التاييد والظفر
اجاب فيك اله الخلق دعوة من • يطيب بالليل من انفاسه السحر
قال العماد والتفت بيني وبين صلاح الدين ابن

196.

اخته موت تمت لي بها على الزمان علة ولم يزل يستهد بني
نظمي ونثري ويستغرب انه يميل الى شعري فاول
ما اخذ منه به في هذه الكلمة •

كيف قلتم مقلتيه فاتور • وأراها بلا فتور تجور
مستجير جوري والى منيه • بابن ايوب يوسف مستجير
فضله في يد الزمان سوار • مثلما رايه على الملك سور
كرم سابغ وجود عميم • وندى سابغ وفضل غزير
انت من لم يزل يحن اليه • وهو في المهد سرجه والسرير
من دم الغادرين غادرت • بالامس صعيد الصعيد وهو غدير
ولكل لما تطاولت فيهم • امل قاصر وعمر قصير
لاذ بالنيل شاور مثل لاذ • قبل لا اللاجي وعز العشور
مشارك المشركين بغيا وقدما • شادكها فرحطة والنصير
والذي يدعي الامامة بها • لفاحم ادعاء انه منصور
وعدا الملك خايفا من سطاكم • ذا ارتعاد كانه مغرور
وبنوا الهنفري هالنوا فيها • ومن الاسد كل كلب قرور
انما كان للكلاب عواء • حيث ما كان للاسود زئير
وثليث عند الفرار سليبث • فهو بالرعب مطلق ماسور
لم تبعثوا سوى الاصاغر للسبي • وذو ال الكبير صغير
وحميت الاسكندرية عنهم • ودجا حربهم عليهم فثار
حاصروها وما الذي نال من ذلك عنها وحفظها محظور
كحصاد الاحزاب طيبة قدما • وبني الهدى بها منصور

فاشكر الله حين اولاك نصرًا ۝ فهو نعم المولى ونعم النصير
ولكم ارجف الاعادي فقلنا ۝ ما لما تذكرونه تأثير
ورقبنا كالعيد عودك فاليوم ۝ به للانام عيد كبير
عاد من مصر يوسف والى يعقوب ۝ بالتهاني جا البشير
فلايوب من اياب صلاح الدين ۝ يوم به توفا النذور
ولكم عودة الى مصر بالنصر ۝ على ذكرها تمر العصور
فاستردوا حق الامامة ممن ۝ كان فيها فانه مستعير
واقترعها بكرا لها ابتكار ۝ الدهر والح في محكم وبكور
انا سيرت طالع العزم مني ۝ والى قصدكم انتهى التسيير
وارى خاطري لمدحك القا ۝ انما بالف الخطير الخطير

ومي والتي قبلها طويلتان جدًا فانتظمت في قصد العماد بصلاح الدين وكان له مساعدًا اعمه نور الدين وقرات في ديوان العزله وقال يمدح اسد الدين شيركوه وقد اخذ الشقيف ورحل طالبا حصنا يقال له العراق

رحلت من الشقيف الى العراق ۝ بعزم كالمهندة الدقاق
ونكست الاعادي منه قسرًا ۝ ومجدك في ذرى الجوزاء راق
بجاشك لا بجيشك نلت مجدًا ۝ وبالتقوى فلولا بالاتفاق
تدارك من مضى بالحصن قتلى ۝ الى دار الخلود من الوثاق
وما تخشى على الاسلام بوسًا ۝ اذا هلك الجميع وانت باق
اشاوركم تشاور كل خب ۝ وتعقد عند مثلك بالنفاق
انصبر ان اتتك بجار خيل ۝ وقدمًا ما صبرت على السواقي

بمضي

متى رفعت لك السودان السّا ۞ وقد خلا بهم مثل الدقاق
وعليك ماله من مصر بكره ۞ ومن عندي ثلثا بالطلاق
هو الاسد الذي ما زال حيني بنى مجده أعلى السبع الطباق

قال ابن الاثير وفي هذه السنه ارسل نور الدين
الى اخيه قطب الدين يطلب ان يحضر الغداة اليه بعساكره
فتجهز وسار هو وزين الدين في العساكر الكبيرة فاجتمعوا
بنور الدين على حمص فدخل بالعساكر الاسلاميه بلاد الفرنج
واجتازوا على حصن الاكراد فاغاروا ونهبوا واسروا وقصدوا
عرقه ونزلوا عليها وحصروها وحصروا حلبه واخربوها
وتوجهت عساكر المسلمين يمينا وشمالا تغير وتخرب البلاد
وفتح العريمه وصافيتا وعاد الى حمص فصام بها شهر رمضان
ثم سار الى بانياس وقصد قلعة هونين وهي للفرنج ايضا من
قلاعهم المنيعه فانهزم الفرنج عنها واحرقوها فقصدها
نور الدين فوصلها من الغد وخرب سورها جميعه واراد الدخول
الى بيروت فتجدد في العسكر خلف اوجب التفرق فعاد
وسار قطب الدين الى الموصل واقطعه مدينة الرقه فاخذ
في طريقه قال وفي هذه السنه عصى الامير غازي
بن حسان المنبجي صاحب منبج على نور الدين وهو كان اقطعه
اياها فارسل اليه نور الدين عسكرا احصروه بها واخذها منه
واقطعها اخاه قطب الدين ينال بن حسان وكان عاقلا خيرا
حسن السيره فبقي بها الى ان اخذها صلاح الدين منه سنة

اثنتين وسبعين كاسيابي، وفي هذه السنة توفي القاضي الرشيد
احمد بن علي بن الزبير صاحب كتاب الجنان قال
العماد في الخريدة كان ذا علم غزير وفضل كثير قتله شاور
صبرًا في سنة اثنتين وستين ونسب اليه انه شارك اسد الدين
شيركوه في قضية واخوه المهذب ابو علي الحسن بن علي بن
الزبير اشعر منه وتوفي قبله بسنة لم يكن في زمانه اشعر منه
احد وله شعر كثير منه قصيدة غرا في مدح الصالح بن رزيك
وذكر فيها نور الدين اولها

اعلمت حين تجاور الحيان ، ان القلوب مواقد النيران
يا داثر الاصنام قد وافاهم من بات في نصر مكسر الصلبان
فالشام ملككم وقد ورثت بلاده عن قومكم الماضين من غسان
واذا اشتكت بانها اوطانهم ، قدمًا فسل عن حادث الجولان
او رمت ان تتلو محاسن ذكرهم ، فاسند رواتها الى حسان
ما زلزلت ارض العدا الا بما ، بقلوب اهليها من الخفقان
واقول ان حصونهم سجدت لما اوتيت من ملك ومن سلطان
ولقد بعثت الى الفرنج كتائبا ، كالاسد حين تصول في خفان
لبسوا الدروع ولم تخل من قبلهم ، ان البحار تحل في غدران
حجلت في تلك الحجول فخلتهم ، وهم لذلك الصيغان بالدبغان
وثللت في يوم العريش عروشهم ، بشبا صوارم صادق وطعان
الجاتهم للبحر لما ان جرى ، منه ومن دمهم معا بحران
وقفوا الى الاسطول حين غزا بما لم يأت في حين من الاحيان

واعدت

واعدت رسل بن القسيم اليه في شعبان كي يتلام الشعبان
والفال بينهم في اسمه ان سوف يعود والشام وموعدهما
قسمان

وراك من بعد الشهيد اباً له • وجعلته من اقرب الاخوان
وهو الذي ما زال يفعل في العدا • ما لم يكن يبعد في الامكان
قتل البرنس ومن عساه اعانه • لما عسى في البغي والعدوان
واري البرية حين عاد براسه • من الجنائب وعلى المران
وتعجبوا في ذرفه في طرفه • وكان فوق الرمح فصلا ثاني
عجبا لجود يديه اذ يبني العلا • والسيل يهدم ثابت الاركان
قلدت اعناق البرية كلها • مننا تحملت نفلها الثقلان
حتى تساوى الناس فيك واصبح • القاصي بمنزلة القريب الداني

وفي هذه السنة ذكر القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري للسلطان نور الدين رحمه الله حال العماد الكاتب وعرفه به وعرض عليه قصيدة له في مدحه مطلعها •

لو حفظت يوم النوى عهودها • ما مطلت بوصلكم وعودها

ومنها

والمجد عليّ بلد ما لها • يعد له محمودها
مؤيداً امورك بعزمه • من السموات العلى تاييدها
اثاره حميدة وانما • للمرء من اثاره حميدها
ان الورى يحبه ويعظمه • يعرف من شقيها سعيدها
قد جاءكم نور من الله فمن • به اهتدى فانه رشيدها

جلا ظلام الظلم نور الدين عن ارض الشام فله تحميدها
ان الرعايا منه في رعاية ونعمة مستوجب مزيدها
لنومها يسهر بل لامنها يخاف بل لخصبها يجودها
بالدين والملك له قيامه وللملوك عنهما قعودها
ودأبه ثلم ثغور الكفر لا لثم ثغور نافع برودها
قد اسبغ الله لنا بعدله ظلال امن وارف مديدها
غدا ملوك الروم في دولته وهم على رغمهم عبيدها
لما ابت هاماتهم سجودها لله اضحى للظبي سجودها
ان فارقت سيوفه غمودها فان هاماتهم غمودها
كم مغلقات من حصون عزمه مفتاحها وسيفه اقاليدها
قد ودت الفرنج لو قرت بحبه منك ولكن زعمها يبيدها
فهن تهاجن لو دحيتها من ذلة لو انه فعندها
اما لها رعبك في حصونها كانما حصونها لحودها
وان مصر لك تغدو بعدما لسيفك العضب عفا صعيدها
والملة الغرا حاله بانها عال سناها بك حال جيدها
معترم ثغورها ممنوعة ثغورها محفوظة حدودها
وان يبغي جالوتها ضلاله فانت في اهلاكه داودها
يا ابن قسيم الدولة الملك الذي حرت له من الملوك صيدها
دع العدى بغيظها فانما تذيب اكباد العدى حقودها
يا دولة نورية امن الورى وخصبها وجودها وجودها
ما مثل الدنيا لمن يجمعها بالحرص الا قزة ودودها

انت

199.

انت الذي ترفضها عن قدرة • فلا يشيب زندك زهيدها •
فابق لنا يا ملكا بقاوه • في كل عام للورى اعيادها •
في نعمة جديدة سعيدها • ودولة سعيدة جدودها •

في طويله

فوثبة لنور الدين في ديوانه منشا الاستعمال سنة ثلث وستين وخمسماية فذكر العماد ان نور الدين رحل الى حمص ثم مضى الى حماه ثم شتا بقلعة حلب ومعه الاسد والصلاح ونزل العماد بمدرسة ابن العجمي وكتب الى صلاح الدين يوسف بن ايوب وقد عثر فرسه في الميدان وهو يلعب بالكرة مع نور الدين رحمهما الله •

في السقوط عن الفرس

لا تنكرن لسابح عثرت به • قدم وقد حمل الخضم الزاخرا
الفى على السلطان طرفك طرفه • فهوى هنالك للسلام مبادرا
سبقوا الرياح بجريه وكففته • عنها فليس على خلافك قادرا
ضعفت قواه اذ تذكر انه • في السرج منك يقل بحرا زاخرا
ومتى تطيق الريح طودا شامخا • او يستطيع البرق جونا ماطرا
فاعذر سقوط البرق عند مسيره • فالبرق يسقط حين يخطف سايرا
وتوق من عين الحسود وشرها • لا كان ناظرها بسوء ناظرا
واسلم لنور الدين سلطان الورى • في الحادثات معاضدا وموازرا
واذا صلاح الدين دام لاهله • لم يحذروا الدهر منصرفا ضايرا •

وجرت

بين العماد وبين الامام شرف الدين ابي سعد عبد الله ابن ابي عصرون مكاتبات كتب اليه العماد •

اباشرف الدين ان الشتا • بكافا فقد كف افاته

وكم مكن من كف كافها • لقد كغلت لي بكا فاقه •
وانك من عرف شكرنا • غدا عاجزا عن مكافاته •

قال وكتب الي شرف الدين في جوابها

اذا ما الشتا وامطاره • عن الخير حابسه رادعه •
فكافاته الست اعطيتها • وحوشيت من كافها الرابعه
وكف المهابة والاحتشام • لكفي عن بذل ما نعه •
وهمه كل كريم النجاد • لميسور احبابه قانعه •
ونفسي في بسط عذري اليه • جعلت الفدا له طامعه •
وشوقي الي قربه زايد • ومعذرتي ان جفا واسعه •

قال فكتبت اليه في جوابها

ايا من له همة في العلا • لدونها ابدا قادعه •
ومن كف زمته ما تزال • بالعرف هامية هامعه •
وللفضل في سوو افضاله • بصايع نافعة نافعه •
ومثل كابن عصرون في عصرنا • امام ادلته قاطعه •
بحبر فوايده جمته • وبحر موارده واسعه
ايا شرف الدين شرفتني • بامداد ابنه رابعه •
اطعت اوامرك السامنات • وما بوحت بمنتي ساطعه •
وان ما الشتا و كافاته • وكفك عن كافه الرابعه •
فنفسي منزهة بالعفاف • عنها وفي غيرها طامعه •
ومن ذا انطقوا اذا لم تكن • لميسور سيدنا قانعه •
قال وكان ابن حسان صاحب منبج

قد ساءت افعاله فبعث الى نور الدين من حاصرها وانتزعها منه
ثم توجّه نور الدين اليها لتهذيب احوالها ومدحه العماد بقصيدة

منها

بشرى الممالك فتح قلعة منبج • فليهن هذا النصر كل متوج
اعطيت هذا الفتح مفتاحا به • في الملك يفتح كل باب مرتج
وافى يبشر بالفتوح وراءه • فانهض اليها بالجيوش وعرّج
البشر فيئت القدس يتلو منبجا • ولمنبج لسواه كالانموذج
ما اعجزتك الشهب في ابراجها • طلبا فكيف خوارج في ابرج
ولقد رمى بعصيك احمران يري • اثر العبوس بوجهه المتبلج
لكن تهذّب من عصاك سياسة • في ضمنها تقويم كل معوج
فانهض الى البيت المقدس غازيا • وعلى طرابلس ونابلس عرّج
قد سرت في الاسلام احسن سيرة • ما نولت وسلكت اوضح منهج
وجميع ما استقريت من سنن الالى • جددت منه كل رسم منهج

قال العماد وسار نور الدين من منبج الى قلعة
نجم وعبر الفرات الى الرها وكان بها نبال صاحب منبج وهو
سديد الراي رشيد المنهج فنقله اليها مقطعا وواليا
واقام نور الدين بقلعة الرها فمدحه العماد بقصيدة
ونحت له صلاح الدين في عرضها •

ومنها

ادركت من امر الزمان الممتنع • وبلغت من نيل الاماني
امنتها •
وبلغت في كنف السلامة امنا • متنكرا بالطبع لا متكرها

لا زلت نور الدين في فلك الهدى ... ذا غرة للعالمين بها البها

يا محيي العدل الذي في ظله ... من عدله رعت الاسود مع المها

محمود المحمود من ايامه ... لبهائها ضحك الزمان وفهقها

مولى الورى مولى الندى معلي الهدى ... مردي العدى مسعد الجدى معطي اللها

ارآؤه بهواها مقرونة ... وبمقتضاها دائر فلك النها

متلبس بعفافه وحصانة ... متقدس عن شوب مكر اودها

يا من اطاع الله في خلواته ... متاوبا من خوفه متاوها

ابدا يقدم في المعاش لوجهه ... عملا يبيض في المعاد الاوجها

كل الامور رقها وامرك مبرم ... مستحكم لا نقض فيه ولا وها

ما صين عنك الصين لو حاولته ... والمشرقان فكيف منبج والرها

ما للملوك لدى ظهورك رونق ... واذا بدت شمس الضحى خفي السها

ان الملوك تهولوا انك من غدا ... بنواله والملك ممتنها

شرهت نفوسهم الى دنياهم ... وابى لنفسك زهدها ان تشرها

ما نمت عن خير ولم يك نائما ... من لا يزال على الجميل منبها

احييت ذكر الكاملين ولم تزل ... ملكا بذكر العالمين منوها

وارى ادعا الدعا آيا واجبا ... نعمى فقيرا او تجير مدلها

لرضا بهم متحفظا وبحالهم ... متفقدا ولدينهم متفقها

وبما به لهم الاله امرتهم ... من طاعة وبينهم عما نهى

201.

عن رحمة لصغيرهم لم تشتغل عن رأفة لكبيرهم لئن تشبه ها
باليأس عنه لأمل لم يمتحن بالرد دونك سائل لن تجبها
انعبت نفسك كي تنال رفاهة من لبس يتعب لا يعيش مرفها
فقت الملوك سماحة وحماسة فخذ عد منافيهم لك مشبها
ولك الفخار على الجميع فدونهم أصبحت عن كل العيوب منزها
وأراك تحلم حين تصبح ساخطا وبكاد غيرك ساخطا أن يسفها
قلت رحم الله العماد لقد نظم أخلاق نور الدين
الجليلة بأحسن لفظ وأرقه وهذا البيت الآخر مؤكد
لما نقلناه في أول الكتاب من قول الحافظ أبي القسم رحمه الله
في وصف نور الدين رحمه الله أنه لم يسمع منه كلمة فحش في رضا
ولا في ضجر وقل من الملوك من له حظ من هذه الأوصاف
الفاضلة والنعوت الكاملة قال العماد ثم عاد نور
الدين إلى حلب في شهر رجب وضربت خيمته في رأس الميدان
الأخضر قال وكان مولعًا بمرمى الكرم وربما دخل
الظلام فلعب بها بالشموع في الليلة المسفرة وبركت صلاح
الدين مذكرا كله بكرة وهو عارف بآدابها في الخدمة وشروطها
المعتبرة واقطعه في تلك السنة ضيعتين أحداهما من ضياع
حلب والأخرى من ضياع كفرطاب قال وكتبت
اليه في طلب لبوش

أصبحت بغلتي تشكو من العري وأسراجها بلا كنبوش
قلت كي فخار يوميك عندي أن تعوزني بالتبر أو الحبش

وافرحي بليلة الشعير كما ۔ يفرح قوم بليلة الماشوش
لو تبصرت حالتي لتصدقت ۔ فاياك عندها ان تطيشي
او ما مات في الشتا من البرد ۔ ومن فرط جوعه اكل قشي
فتغني واسكني بجود صلاح ۔ الدين غوث الملوك ملك الجيوش
فهو يجلوك للعيون بكشوش ۔ جديد مستحسن منقوش
كم عدو من باسه في عنا د ۔ وولي بجوده منعوش
والموالي على الاسرة والاعدا تحت الهوان فوق النعوش
واقطع اسد الدين حمص واعمالها فسار اليها فسد ثغورها
وضبط امورها وحمى جمهورها وكان نور الدين قد جدد
سورها وحصن دورها وبلي الفرنج منه بالمغاور المروع
ذي الباس الدامغ وساله نور الدين في السلو عن حب
مصر وقال قد تعبت مرتين واجتهدت ولم تحصل لك
ما طلبت وقد اذعنوا بالطاعة وشفعوا السؤال بالسماحة
وسمحوا بكل ما يدخل تحت الاستطاعة قلت
واستند العماد لاسد الدين في رجب من مدح السعيد
دمت في الملك امرا ذا نفاذ ۔ اسد الدين شيركوه بن شاذي
بالدما غص كل سيف وطينا ۔ والى الخير ذا بن الاعدا اذ
وملاذ الاسلام انت فلا ذلت لاهل الاسلام خير
ملاذ
في نفوس الكفار رعبك قد حل بصدع الاكباد والافلاذ
لم تدع بالظبي روسا واصنا ما من المشركين غير جذاذ

وفاة زين الدين

انت من نازل الدعي • في مصر لنصر الامام في بغداد
وبلاد الاسلام انقذتها • انت من الشرك اذ ما انقاد

فصل في وفاة زين الدين والد مظفر الدين صاحب اربل

قال ابن الاثير وعنه في سنة ثلث وستين سار زين الدين علي بن بكتكين نايب اتابك قطب الدين عن الموصل الى اربل فسلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع الى قطب الدين ما عدا اربل فانها كانت له من اتابك زنكي رحمه الله فمن ذلك سنجار وحران وقلعة عقر الحميدية وقلاع الهكارية جميعها وكان نايبه بتكريت الامير تنش فارسل اليه ليسلمها فقال ان المولى اتابك لا يعطيهم تكريت ولا بد له من نايب فيها وانا اكون ذلك النايب فليس له مثلي فما امكن مخالفته لاجل مجاورته بغداد واما شهرزور فكان بها الامير بوزان فقال مثله ايضا فتركت بيده فكانا في طاعة قطب الدين وسبب فراقه زين الدين انه اصابه عمى وصمم واقام باربل الى ان توفي بها في ذي الحجة من هذه السنة وكان قد استولى عليه الهرم وضعفت قوته وكان خيرا عادلا حسن السيرة جوادا محافظا على حسن العهد واداء الامانة قليل الغدر بل عدمه وكان اذا وعد بشي لا بد له ان يفعله وان كان فعله خطرا وكان حاله من اعجب الاحوال بينما يبدو منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته حتى

بيه وامثه ما يدل على افراط الذكا وغلبة الدها بلغني
انه اتاه بعض اصحابه بذنب فرس ذكر انه نفق له دابة
فامر له بفرس وتداوله ذلك الذنب اثنا عشر رجلا
كلهم ياخذ به فرسا فلما احضره اخرهم قال لهم اما تستحيون
مني كما استحي منكم قد احضر هذا عندي اثنا عشر رجلا واني
التغافل لئلا يخجل احدكم اتظنون اني لا اعرف ذلك والله
وانما اردت ان يصلكم عطاي بغير من ولا نكد ثم فلم تتركو ني
ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي
قال وكان يعطي كثيرا ويخلع عظيما وكان له البلاد
الكثيرة فلم يخلف شيا بل انفق جميعا في العطايا والانعام
على الناس وكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه كلما
يحتاج اليه من سكين ودرفش ومطرقة ومسلة وخيوط
ودستركن وغير ذلك وكان اشجع الناس ميمون العقبة النقيبة
لم تنهزم له راية وكان يقوم المقام الخطر فيسلم منه
بحسن نيته وكان تركمانيا اسمر اللون خفيف العارضين
قصيرا جدا وبنى مدارس وربطا بالموصل وغيرها
وبلغني انه مدحه الحيص بيص فلما اراد الانشاد قال
له انا لا ادري ما يقول لكني اعلم انك تريد شيا فامر
له بخمسماية دينار واعطاه فرسا وخلعا وثيابا يكون
مجموع ذلك الف دينار قال ومكارمه كثيرة ولما
توفي باربل كان الحاكم بها خادمه مجاهد الدين قايماز

زوهو

ز وهو المتولي لامورها وولي بعد زين الدين ولده مظفر
الدين كوكبوري ملك ثم فارقها لخلف كان بينه وبين مجاهد
الدين قايماز وجرت امور يطول ذكرها ولما فارق
زين الدين الموصل استناب اتابك قطب الدين بقلعة
الموصل بعده مملوكه فخر الدين عبد المسيح فسلك غير
طريق زين الدين فكرهه الناس وذموه فلم تطل ايامه
وسيجي ذكر عزله في اخبار سنة ست وستين ان شاء الله

ثم دخلت سنة اربع وستين وخمسماية فيها
ملك نور الدين رحمه الله قلعة جعبر واخذها من صاحبها
شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي من آل عقيل
من بني المسيب وكان بيده وبيد آبايه من قبله من ايام
السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من امنع
الحصون واحسنها مطلة على الفرات لا يطمع فيها بحصار وقد اعجز
جماعة من الملوك اخذها منه وقتل عليها عماد الدين زنكي
والد نور الدين ثم اتفق ان خرج صاحبها منها يوما يتصيد
فصادفه بنو كلب فاخذوه اسيرا واوثقوه وحملوه الى نور
الدين فتقربوا اليه وذلك في رجب من سنة ثلث وستين
فحبسه بحلب واحسن اليه ورغبه في الاقطاع والمال
ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل به نور الدين الى الشدة
والعنف وتهدده فلم يفعل ايضا فسير اليها عسكرا مقدمه
الامير فخر الدين مسعود بن ابي علي الزعفراني فحصرها مدة

فلم يظفر منها بشي فامدهم بعسكر اخر وعلى الجميع الامير مجد الدين ابا بكر المعروف بابن الدايه وهو اكبر امرا نور الدين ورضيعه ووالي معاقله فاقام عليها وطاف حوالها فلم ير له في فتحها مجالا وراى اخذها بالحصر متعذرا محالا فسلك مع صاحبها طريق اللين واشار عليه باخذ العوض من نور الدين ولم يزل يتوسط معه حتى اذعن على ان يعطى سروج واعمالها والملوحه التي في عمل حلب وباب بزاعه وعشرين الف دينار معجله فاخذ جميع ما شرطه مكرها في صوره مختار قال ابن الاثير وهذا اقطاع عظيم جدا لكنه لا حصن فيه وتسلم مجد الدين قلعة جعبر وصعد اليها منتصف المحرم ووصل كتابه الى نور الدين بحلب فسار اليها وصعد القلعة في العشرين من المحرم ثم سلمها نور الدين الى مجد الدين بن الدايه فولاها اخاه شمس الدين على وكان هذا اخر امر بني مالك ولكل امر امد ولكل ولايه نهايه يوتي الله الملك من يشا وينزعه ممن يشا قال ابن الاثير بلغني انه قيل لشهاب الدين ايما احب اليك فاحسن مقاما سروج والشام ام القلعة فقال هذا اكثر مالا والعز بالقلعه فارقناه قال العماد والشدت نور الدين بقلعة جعبر من الفضلا

اولها

اسلم لبكر الفتوح مفترعا ° ودم لملك البلاد منتزعا °

فان اولى الورى بها ملك ° عدا يعيب الخطوب مضطلعا °

ان

204.

ان ضاق امر فغير بمنه • لكشف ضيق الامور لن يسعا
يا محيي العدل بعد ميتته • ورافع الحق بعد ما اتضعا
ونور دين الهدى الذي قمع • الشرك وعفى الضلال والبدعا
انت سليمان في العفاف وفي • الملك وتجلى بمدك البسعا
حزت التقى والحيا والكرم • المحض وحسن اليقين والورعا
وكل ما في الملوك مفترق • من المعاني لملكك اجتمعا
يمنك الربط والمدارس تبنيها • ثوابا وتهدم البيعا
اسقطت اقساط ما وجدت • من المكس بعدل والقاسط
ارتفدا •
ولن تدع في ابتغا مصلحة الدين • لنا باقيا ولن تدعا
ما زلت ذا فطنة موكدة على • عيوب الاسرار مطلعا
بياسك البيض والطلا اصطحبت بعدلك الذيب والطلا
رتعا •
كم صايد لم يقع له قنص • في شركه وهو فيه قد وقعا
ومالك حيز دمت قلعته • غدا مطيعا للامر متبعا
عنا خشوعا للرب مملكه • لغير رب السما ما خشعا
كان مقيما منها على الفلك • الاعلا سنها بابنوار سطعا
لكنها الشهب ما شرا ذا • لاح عمود الصباح فانصدعا
يرافعها طايعا اليك وكم عنها اتاك بجهله دفعا
مي التي في علوها زحلك • كبر على وزدها وما كرعا
وهي التي قارنت عطارد في الافق فلاحا والفرقدين معا

والبدعا [2]

3.

4.

1.

2.

كان منها السها اذا استرق السمع اناها في حقيه ودعا
هضبة عزلولاكه ما ارتقيت وطود ملك لولاكه ما فرعا
ما قبلت في ارتقاء ذو ردتها • من ملك لا دفا ولا خدعا
عرفت على المالك الشهيد • واعطتك قيادا ما زال ممتنعا
للاب لو جاء خطبها لغدا • محرماً لابنه وما شرعا
لازلت محمود في امورك • محموداً بثوب الاقبال مدرعا
وفي سابع عشر صفر من هذه السنه توفي بها الدين
عمر اخو مجد الدين بن الدايه وفيه وفي اخوته يقول العماد
من قصيدة وفي

انتم لمحمود كال محمد • منصاد في الافعال والاسما
يتلوا ابا بكر على حسانه • عمر الممدح في سنا وسنا
ويليه عثمان المرجى للعلا • وعلى المامول في اللاوا
ويقبل الحسن المجد مجدهم • فهم ذووا الاحسان والنعما
فرعت مجد الدين اخوته الذي • دون الورى في المجد والعليا
من سابق كرماً وشمس سيادة • شرفا وبدر دجنة ودها
سرج الهدى سحب الندى شهب النهى • اسد الحروب ضراغم الهيجا •

فصل وفي هذه السنه لما فتحت الديار المصريه
سار اليها اسد الدين مرة ثانيه فهزم العدو وقتل شاورا
وولي الوزاره مكانه ثم مات فوليها صلاح الدين وسبب
ذلك ان الفرنج كانوا في المرتين الاولتين اللتين استعان

قصد الفرنج مصر القاهرة

بهم شاور وعزمها على اسد الدين شيركوه قد خبروا الديار
المصرية واطلعوا على عوراتها فطمعوا فيها ونقضوا ما كان
استقر بينهم وبين المصريين واسد الدين من القواعد
فجمعوا وحشدوا وقالوا ما بمصر من يصدنا واذا اردناها
فمن ذا يردنا ثم قالوا نور الدين في البلاد الشمالية والجهة
الروانيه وعسكر الشام متفرق كل منهم في بلده حافظ
لما في يده ونحن ننهض الى مصر ولا نطنك لها الكفعة فانه ليس
لها معقل ولا لاهلها منا موئل والى ان يجتمع عسكر الشام
قد حصلنا على المرام وقوينا بتملك الديار المصرية على
ساير بلاد الاسلام فتوجهوا اليها سايرين وكتموها ساترين
واظهروا انهم على قصد حمص وشجعهم على قصد مصر جماعة
من اهلها كابن الخياط وابن [illegible]له وغيرهما من اعداء شاور
وكان الفرنج قد جعلوا لهم شحنة بمصر والقاهرة وسلمت
فرسانهم ابواب البلدين والمفاتيح معهم على ما سبق
ذكره وتحكموا تحكما كثيرا فطمعوا في البلاد وارسلوا
الى ملكهم مري ولم يكن ملك الفرنج مذ خرجوا الى الشام
مثله شجاعة ومكرا ودهاء يستدعونه ليملك البلاد
واعلموه خلوها من ممانع عنها وسهلوا امرها عليه
فلم يجبهم الى المسير واجتمع فرسان الفرنج وذوو الراي
والتقدم واشاروا عليه بالمسير اليها والاستيلاء
عليها فقال لهم الراي عندي اننا لا نقصدها فانها طعمة

لنا واموالها تساق الينا نتقوى بها على نور الدين وان
نحن قصدناها لنملكها فان صاحبها وعساكره وعامة
اهل البلاد وفلاحيها لا يسلمونها الينا ويقاتلونا دونها
ويحملهم الخوف منا على تسليمها الى نور الدين وان اخذها
وصار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج واجلاوهم
من ارض الشام فلم يصغوا الى قوله وقالوا ان مصر لا مانع
لها ولا حافظ والى ان يصل الخبر الى نور الدين ويجهز العساكر
ويسيرهم الينا نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من امرها
وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فلا يقعد علينا
وكانوا قد عرفوا البلاد وانكشف لهم امرها فاجابهم
الى ذلك على كره شديد وتجهزوا واظهروا انهم على قصد
الشام وخاصة مدينة حمص وتوجهوا من عسقلان في النصف
من المحرم ووصلوا اول يوم من صفر الى بلبيس ونازلوها
وحصروها ثم ملكوها قهرا ونهبوها وسبوا اهلها واقاموا بها
خمسة ايام ثم اناخوا على القاهرة وحصروها عاشر صفر فخاف
الناس منهم ان يفعلوا بهم مثل فعلهم باهل بلبيس فحملهم
الخوف منهم على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه
وبذلوا اجتهادهم في حفظه ولو ان الفرنج احسنوا
السيرة مع اهل بلبيس لملكوا مصر والقاهرة سرعة
ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا
وكان شاور امر باحراق مدينة مصر تاسع صفر قبل نزول الفرنج

عليهم بيوم واحد حوفا علها من الفرنج فبقيت الشارنيها
حوفها اربعة وخمسين يوما الى خامس ربيع الاخر ثم ضاق
الحصار وخف البوار وعرف شاور انه يضعف عن الحمايه
فشرع في تحمل الحيل وارسل الى ملك الفرنج يذكر له محبته
القديمه ومودته وان هواه معه خوفه من نور الدين
والعاضد وانما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه
ويشير بالصلح واخذ مال لئلا تسلم البلاد الى نور الدين
فاجابه الى الصلح على اخذ الف الف دينار مصريه يعجل البعض
ويوخر البعض واستقرت القاعده على ذلك وراى الفرنج
ان البلاد ربما امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين فاجابوا
كارهين وقالوا ناخذ المال لنتقوى به ونكثر من الرجال ثم نعود
الى البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ولا غيره ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين فعجل لهم شاور مايه الف دينار
وسالهم الرحيل عن البلاد ليجمع لهم المال فرحلوا خوفا
وكان خليفة مصر العاضد عقيب حريق مصر ارسل الى
نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن الفرنج
وارسل في الكتب شعور النسا وقال له هذه شعور نسا
من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج فقام نور الدين
لذلك وقعد وشرع في تجهيز العساكر الى مصر ولما صالح
شاور الفرنج على ذلك المال عاود العاضد مراسله نور
الدين واعلامه بما لقي المسلمون من الفرنج وبذل له

ثلث بلاد مصر وان يكون اسد الدين شيركوه مقيما عنده
في عسكره واقطاعهم عليه خارجا عن الثلث الذي لنور الدين
هذا قول ابن الاثير وقال العماد عجل شاور للملك
الفرنج بمائة الف دينار حيلة وخداعا وارغاما له واطماعا
وواصل بكتبه الى نور الدين مستصرخا مستنفرا وبما ناب الاسلام
من الكفر مخبرا ويقول ان لم تبادر ذهبت البلاد وسير
الكتب مسودة بمدادها كاسية لباس حدادها وفي طيها
ذوائب مجزوزة وعصائب محزونة طيرانها شعور اهل
القصر للاستنجاد بما عراهم من بلية الحصر وارسلها تباعا
ورادفها نجابين سراعا واقام منتظرا ودام متحيرا وعامل
الفرنج بالمطال يعدهم في كل حين مالا ويطلب منهم امهالا
وما زال يعطيهم ويستمهلهم حتى اتى الغوث بعساكر نور الدين
رحمه الله **فصل** فيما فعله نور الدين كان نور الدين
لما اتاه الرسل اولا من العاضد قد ارسل الى اسد الدين
يستدعيه من حمص وهي اقطاعه فلما خرج القاصد من حلب
القى اسد الدين قد وصلها وكان سبب وصوله ان كتب
المصريين ايضا وصلته في هذا الامر فبقي مسلوب القرار
مغلوب الاصطبار لانه كان قد طمع في بلاد مصر فخاف
خروجها من يده وان يستولي عليها الكفار فساق في ليلة
واحدة من حمص الى حلب واجتمع بنور الدين ساعة وصوله
فتعجب نور الدين من ذلك وتفاءل به وسره وامره بالتجهز

الى مصر والسرعة في ذلك واعطاه مايتي الف دينار سوى الثياب
والدواب والالات والاسلحة وحكمه في الخزاين والعساكر
والختار من العسكر الفي فارس واخذ المال وجمع من التركمان
ستة الاف فارس وكان في مدة حشد للتركمان سار
نور الدين ليتسلم قلعة جعبر ثم سار هو ونور الدين الى دمشق
ورحلا في جميع العساكر الى راس الما واعطا نور الدين كل فارس
من العسكر الذي مع اسد الدين عشرين دينارا معونة لهم
على الطريق غير محسوبة من الجزا الذي له واضاف الى اسد
الدين جماعة من الامرا والمماليك منهم مملوكه عز الدين جرديك
وعز الدين قليج وشرف الدين برغش وناصح الدين خمار
تكين وعين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال بن حسان
المنبجي وغيرهم ورحلوا على قصد مصر مستنصرين من الله تعالى
النصر وذلك منتصف ربيع الاول وخيم نور الدين بمن اقام
معه براس الما واقام ينتظر ورود المبشرات فوصل المبشر
برحيل الفرنج عن القاهرة عايدين الى بلادهم لما سمعوا بوصول
عسكر نور الدين وسُر الملك كل من اشار عليه بنفوذ عسكر مصر
وامر نور الدين بضرب البشاير في ساير بلاده وبث رسله
الى الافاق بذلك قال القاضي ابو المحاسن ولقد قال
لي السلطان يعني صلاح الدين كنت اكره الناس للخروج
في هذه الدفعة وما خرجت مع عمي باختياري قال وهذا
معنى قوله سبحانه وتعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم

وقال ابن الاثير احب نور الدين مسير صلاح الدين
وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته
وملكه حكي لي عنه انه قال لما وردت الكتب من مصر الى
الملك العادل نور الدين رضي الله عنه مستصرخين ومستنجدين
احضرني واعلمني الحال وقال تمضي الى عمك اسد الدين بحمص
مع رسولي اليه تامره بالحضور وتحثه انت على الاسراع فما يحتمل
الامر لنا تاخير قال ففعلت فلما فارقنا حلب على ميل منها
لقيناه قادما في هذا المعنى فقال له نور الدين تجهز للمسير
فامتنع خوفا من غدرهم اولا وعدم ما ينفقه في العساكر
ثانيا فاعطاه نور الدين الاموال والرجال وقال له ان تاخرت
انت عن المسير الى مصر فالمصلحة تقتضي ان اسير انا بنفسي
اليها فاننا ان اهملنا امرها ملكها الفرنج ولا يبقى معهم مقام
بالشام وغيره قال فالتفت الي عمي اسد الدين وقال تجهز
يا يوسف قال فكانما ضرب قلبي بسكين فقلت والله لو اعطيت
ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية من
المشاق ما لا انساه ابدا فقال عمي لنور الدين لا بد من مسيره
معي فترسم له فامرني نور الدين وانا استقيله فانقضى المجلس
ثم جمع اسد الدين العساكر من التركمان وغيرهم ولم يبق غير
المسير فقال لي نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكوت
اليه الضائقة وقلة الدواب وما احتاج اليه فاعطاني ما تجهزت
به وكانما اساق الى الموت وكان نور الدين مهيبا مخوفا مع

لينه

لينه ورحمته فسرت معه فلما استقر امره وتوفي اعطاني الله
من ملكها ما لا كنت اتوقعه قلت وحرضه الصاحب حسان
العرقله بابيات من شعره من جملة قصيدة مدحه بها قال

وهل الحشيُّ مِنَ الاتوكِ بخلا • اذا ما يوسف بالمال جاد ذا •
فتح للدين لم يبرح صلاحًا • وللاعدا الم يبرح فسادا •
لئن اعطاه نور الدين حصنا • فان الله يعطيه البلادا •
الي كم ذا التواني في دمشق • وقد جاتكم مصر لها دا •
عروس يعلها اسد مزير • بصيد المعتدين ولن يصادا •
الا يا معشر الاجناد سيروا • وراء لوايه تلقوا رشادا •
فما كل امرؤ صلي مع الناس • ماموما لمن صلي فرادا •

قلت سافر صلاح الدين الي مصر عبر العرقله علي دار
فوجدها مغلقه فقال

عبرت علي دار الصلاح وقد خلت • من الغمر الوضاح والمورد
العذب •

فوالله لولا سيد مثل عزمه • لعرفها طرفي واحرقها قلبي •

ودار صلاح الدين هي التي وقفها رباطا للصوفية بحارة
قطامش جوار قيسارية القصاع واليها تجري الما من حمام
نور الدين رحمه الله فقضي الله ما قضي من رحيل العوج وتملك
صلاح الدين علي ما سياتي • وللامير الفاضل اسامة بن منقذ
في صلاح الدين من قصيدة • اولها

يقول فيها سلم علي مصر لا ذيع بذي سلم

الناصر الملك الموفي بذمته • ومن يدي كفه يغني عن الذم •

ومن اذا جرد البيض الصوارم في الهيجا اغمدها في البيض والقمم •

ومن حوى الملك من بعد الطماعة في انتزاعه بسيفا الهند به الخذم •

وردها عند الافرنج تحسب ما رجاه من ملكه مصر كان في الحلم •

ولي وراحته صفر وقد ملئت • بعد الطاعة من باس ومن ندم •

يصعدون على ما فاتهم نفسا • لولا في البحر اضحى الموج كالحمم •

وفي السلامة لولا حبهم ظفر • لمن اراد نزال الاسد في الاجم •

ونم اسود السري لكنه لهم • ملك لديه الاسود الغلب كالغنم •

وله من قصيدة اخرى

اقمت عمود الدين حين اماله • لطاغي الغتم طاغي بني سعد •

وجاهدت حزب الكفر حتى رددتهم • حزايا عليهم جبه الذل والرد •

اغدت بما قدمت ملكا مخلدا • وذكري مدى الايام يقرن بالحمد •

وذكرك في الافاق يسري كانه • الصباح نشر الالوة والند •

ولابي الحسين الدروي فيه من قصيدة

يذكر فيها ملك الفرنج مصري

ولكم اشممت النوم اسام بارق • اضحت مياه نفوسها من قطرم •

والقاك

وافاك تجرد روعها عن مدة • ومضى وقد حكمت ظباك بجزمه •
ولقيت مرًّا وطعم حيائه • حلو فبدّله الفنا بمرّه •
فاعقد اليه الراي في عذب القنا • واحللنها عجلاً معاقد مكره •
واطرده من وكر الشام فانه • قد طار منك مخافة من ذعره •

فصل في القبض على شاور وقتله

وصل اسد الدين القادم رابع ربيع الاخر واجتمع بالعاضد خليفة مصر فخلع عليه واكرمه واجريت عليه وعلى عساكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع من ذلك لانه راى العساكر كثيرة بظاهر البلد وراى هوى العاضد معهم من داخله فلم يتجاسر على اظهار ما في نفسه فكتمه وهو يماطل اسد الدين في تقرير ما كان بذل له من المال والاقطاع للعساكر وافراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركب كل يوم الى اسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم انه عزم على ان يعمل دعوة لاسد الدين ومن معه من الامرا ويقبض عليهم فنهاه ابنه الكامل وقال له والله لئن عزمت على هذا الامر لاعرفن اسد الدين فقال له ابوه والله لئن لم افعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولئن نقتل ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من ان نقتل وقد ملكها الفرنج فليس بينك وبين عود الافرنج الا ان يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل فارسا واحدا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم

عليه فلما راي العسكر النوري المطل من شاور اتفق صلاح
الدين يوسف وعز الدين جرديك وغيرهما على قتل شاور
واعلموا اسد الدين بذلك فنهاهم فقالوا انا ليس لنا في البلاد
شي مع هذا على حاله فانكر ذلك واتفقوا ان بعض الايام سار
اسد الدين الى زيارة قبر الشافعي رضي الله عنه وقصد
شاور عسكره على عادته للاجتماع به فلقيه صلاح الدين
وعز الدين جرديك ومعهما جمع من العسكر فخدموه واعلموه
ان اسد الدين في الزيارة فقال نمضي اليه فساروا جميعا
معه قليلا ثم شاوروه والقوه عن فرسه فهرب اصحابه
فاخذ اسيرا ولم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين فسجنوه
في خيمه وتوكلوا بحفظه فعلم اسد الدين الحال فعاد مسرعا
ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه وارسل العاضد لدين الله صاحب
مصر في الوقت الى اسد الدين يطلب منه راس شاور ويحثه
على قتله وتابع الرسل بذلك فقتل شاور في يومه وهو سابع
عشر ربيع الاخر وحمل راسه الى القصر ودخل اسد الدين
القاهرة فكتب فراى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خاف منه
على نفسه فقال لهم امير المومنين قد امركم بنهب دار شاور
فقصدها الناس ينهبونها فتفرقوا عنه هذا قول ابن الاثير
وقال ابن شداد اقام اسد الدين بها يتردد اليه
شاور في الاحيان وكان وعدهم بمال في مقابلة ما خسروه
من النفقة فلم يوصل اليهم شيا وعلقت مخاليب الاسد

في

في البلاد وعلم ان الفرنج متى وجدوا فرصة اخذوا البلاد
وان تردده في كل وقت لا يفيد وان شاور يلعب
بهم تارة وبالفرنج تارة وملاكها قد كانوا على البدعة المشهورة
عنهم وعلموا انه لا سبيل الى الاستيلاء على البلاد مع بقاء
شاور فاجمعوا امرهم على قبضه اذا خرج اليهم وكانوا هم
يترددون الى خدمته دون اسد الدين وهو يخرج في الاحيان
الى اسد الدين يجتمع به وكان يركب على قاعدة وزرائهم
بالطبل والبوق فلم يتجاسر على قبضه من الجماعة الا السلطان
نفسه يعني صلاح الدين وذلك انه لما سار اليهم تلقاه راكبا
وسار الى جانبه واخذ بتلابيبه وامر العسكر ان خذوا على اصحابه
فصحوا وانهبهم العسكر وقبض شاور وانزل الى خيمة مفردة وفي
الحال جاء التوقيع من المصريين على يد خادم خاص يقول لا بد من
راسه جريا على عادتهم في وزرائهم في تقرير قاعدة من قوي
منهم على صاحبه فحزت رقبته وانفذ راسه اليهم قال
العماد ودخل اسد الدين في الرابع من شهر ربيع الاخر الايوان
وخلع عليه ولقي الاحسان وتردد شاور الى اسد الدين
وتودد وتجدد بينهما من الوداد ما تأكد واقام للعسكر
الضيافات الكثيرة والاطعمة الواسعة والحلاوات والمبرم
فقال صلاح الدين هذا الامر مطول ومسيلة فرضها يعول
وهمنا من العسكر التعجيل واقامته بالاقامة تقصر عنها
المدى الطويل لنا مع استيلاء شاور لا سيما اذا راوغ وغاور

فنفذ اسد الدين الفقيه عيسى الى شاور يشير عليه بالاحتراز
وقال له اخشى عليك من عندي من الناس فلم يكترث بمقالة
وركب على سبيل انبساطه واسترساله فاعترضه صلاح الدين
في الامرا النوريه وهو راكب على عادته في ابهته الوزيريه برمته
فبغته وسحبه وقبضه واثبته ووكل به في خيمة ضربها له وحاول
امرها له فجا من العاضد من يطلب راسه وتعجل من العمر ياسه
وجا الرسول بعد الرسول وابوا ان يرجعوا الا بنجح السول
فحز حمامه وحمل الى العاضد هامه **قلت** وبلغني
ان الذي باشر جز رقبته شاور هو عز الدين جرديك وكان
صلاح الدين لما لقيه في اصحابه سار بجنبه واراد افراده
عن العسكر فالتمس منه المسايرة بفرسيهما فاجابه ووافقهما
في ذلك جرديك وكان ذلك على امر قد تقرر فحين حركوا خيلهم
فلما بعدوا عن العسكر ووقفوا قبض صلاح الدين وجرديك
على شاور وادخل الخيمة وقد كثر تحاشاور بغدر ومكر
حتى قال عرقله •

• لقد فاز بالملك العقيم خليفة • له شيركوه العاضدي وزير •
• كان ابن شاذي والصلاح وسيفه • علي لديه شبر وشبير •
• هو الاسد الضاري الذي جل خطبه • وشاور كلب للرجال عقور •
• بغى وطغى حتى لقد قال صحبه • على مثلها كان اللعين يدور •
• فلا رحم الرحمن تربة قبره • ولا زال فيها منكر ونكير •

وقال ايضا •

قتل

فلك امير المومنين الذي • مصر حماه وعلى ابوه •
نص على شاور فرعونها • ونص موساها على شيركوه •

وقد وصف الفقيه الشاعر ابو حمزة عمارة اليمني في كتاب الوزرا المصرية الذي صنفه حال شاور في وزارته الاولى ثم قال وزارة شاور الثانية فيها فكشفت صفحاته واحرقت لمحاته واعرقت لمحاته وعضه الدهر وعضة واوجعه الثكل وامضه وبان عزم وثمان وجرم ورمان وما هو الا ان تسمى بالراحة وسلمت له الهموم عوضا عن الراحة وفي اول ليلة دخل القاهرة ادخل اسد الدين طالبا بلبيس فاقام بها ثم عاد الى القاهرة فكسر الناس يوم التاج واسر اخوه صبح واصيب على باب القنطرة بحجر كانوا يرمون به وتعقب ذلك معبل القتال على القاهرة حتى دخلت من الشعر ثم تبع مداجي الفرنج وعمل البرج وحصار بلبيس ثم تلا ذلك قيام يحيى بن الخياط طالبا للوزارة ثم تلا ذلك نفاق لواته ومن ضامها من قيس وخروج اخيه نجم وابنه سليمان وجماعة من غلمانه لحربهم ثم خروج ابنه الكامل في بقية العسكر وفي اثنا هذه المدة قبضه علي الاشير ابن حلب راغب وقتله واسر معالي بن فريج ثم قتله واتصل اليه الخبر من قدوم اسد الدين الى المفيج بام القواسب الكبرى وافق مجي الغز قدوم الفرنج ناصرين الدولة وتوجهوا من مصر في البر الشرقي تابعين للغز ثم لاحت الفرصة للافرنج فعادوا الى مصر واقترحوا من المال

فلم يكف مع الدنيا وليس من الاصفا من القتال والدم

ما تنقطع دونه الامال وخيموا على ساحل المقسم واظهروا رجوعهم
الى الشام فتجهز الكامل للمسير صحبة الفرنج **حدثني**
القاضي الاجل الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني قال لست
انا اذكر وقد خلونا في خيمة وليس معنا احد كما هو شاور
وابنه الكامل واخوه نجم فعزم الكامل على النهوض مع الفرنج
وعزم نجم على التغريب الى سلم وما وراها **وقال**
شاور ولكني لا ابرح اقاتل من ها هنا معي حتى اموت فنحن في
ذلك حتى وصل الينا الداعي بن عبد القوي وصيغة امالك
جوهر فعرو قد التزموا المال وتفرع على هذا الاصل
مقام الغز بالجيزة ونوبة البابين وحصار الاسكندرية
وانصراف الغز راجعين والفرنج بعدهم فما هو الا ان تو... ثم
شاور وان الدهر قد نام وعفا وصفح عن عبادته معه وعفا
وا ذا الايام لا تخطب الا زواله وفوته ولا تريد الا انتقاله
وموته فكان من قدوم الفرنج الى بلبيس وقتل من بها واسر
ما اوجب حريق مصر وكانت الاجل نور الدين بن القسيم وايحا
كلمة الاسلام باسد الدين ومن معه من المسلمين الذين قلت
فيهم وقد ربط الافرنج الطريق عليهم ..
لا حدتم على الافرنج كل ثنية .. وقلتم لايدي الخيل مري على مري ..
لئن نصبوا في البر جسرا فانكم .. عبرتم ببحر من حديد على الجسر ..
قلت ونهدان البيتان من قصيدة له سماني ومري

هذا

هذا هو اسم ملك الافرنج قال عمارة فقضى قدوم
العز بحمل الافرنج على البلاد المصرية ولم يلبث شاور ان
مات قتيلا بعد قدوم الغز بثمانية عشر يوما وهذه السنوات
الذي وزر فيها شاور وزارته الثانية كثيرة الوقايع والاهوال زل
وفيها ما هو عليه اكثر مما هو له قال ولم يرب احد رجال
الدولة مثل ما ربا بنو الصالح بن رزيك ولا افنى اعيانهم
مثل ضرغام وكانت وزارته تسعة اشهر ملك جمال الجبابرة ولا
اتلف اموالهم مثل الكسا ورسا وهو الذي اطمع الغز
والفرنج في الدولة حتى استقلت عن اهلها ولما عاد من حصار
الاسكندرية اكثر من سفك الدما بغير حق كان يامر بضرب
الرقاب بين يديه في قاعة البستان من دار الوزارة ثم تسحب
القتلى الى خارج الدار وقال الحافظ ابو القسم لما
خيف من شر شاور ومكره لما عرف من غدره وختره وانفسح
الامر في ذلك واستبان تمادى الاسد لمقتنص الثعلبان
فجاءه قاصدا العيادة جاريا في خدمته على عادته فوثب
جرديك وبرغش مولياه نور الدين فقتلاه واراحا العباد
والبلاد من شره وما شاورا وكان ذلك براي صلاح الدين
فانه اول من تولى القبض عليه ومد يده الكريمة بالمكروه
اليه وصفا الامر لاسد الدين وملك وخلع عليه الخلع وحنك
واستولى اصحابه على البلاد وجرت اموره على السداد
وظهر منه جميل السيرة وظهرت كلمة اهل السنة فصل

في وزارة اسد الدين وذلك عقيب قتل شاور
فتشفيد رسه الي القصر انفد الي اسد الدين خلعة الوزارة
فلبسها وسار ودخل القصر وترتب وزيرًا ولقب بالملك
المنصور امير الجيوش وقصد دار الوزارة فنزلها ورأى للبيت
كان بها شاور ومن قبله من الوزرا فلم ير فيها ما يقعد عليه
واستقر في الامر ولم يبق فيه منازع ولا امثالهم وولي الاعمال
من يثق اليه واستنابه بالولاية فاقطع البلاد العساكر
الخ فقدمت معه وصلاح الدين مباشر للامور مقرر لها
وزمام الامور التي مفوض اليه لمكان كفايته ودرايته
وحسن رايه وسياسته قال العماد وكتب
لاسد الدين منشور من القصر بسيط الشرح طويل النطق
والنشر كتب العاضد في طرته بخطه ولا شك انه باملا
كتابه من اجمة لا عهد لوزير بمثله وتقلدا امانة رآك
امير المومنين اهلا لحمله والحجة عليك عند الله بما اوضحه
عند الله بما اوضحه لك من مراشد سبله فخذ كتاب امير
المومنين بقوة واسحب ذيل الفخار بان اعتزت خدمتك
الي نبوة النبوة واتخذ امير المومنين للفوز سبيلا ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ونسخة
المنشور من عبد الله ووليه ابي محمد العاضد لدين الله امير
المومنين الي السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش
ولي الايمة مجير الامة اسد الدين كافل قضاة المسلمين وهادي

دعاه

دعاة المومنين ابي الحرث شيركوه العاضدي عضد الله
به الدين وامتع بطول بقايه امير المومنين وادام قدرته
واعلا كلمته سلام عليك فانه يحمد اليك الله الذي لا اله
الا هو ويساله ان يصلي علي محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين
وعلي اله الطاهرين والايمة المهديين وسلم تسليما ثم ذكر
باقي المنشور وهو مشتمل علي كلام طويل وحشو غير قليل
علي عادة الكتاب المتاخرين الذين تراهم بالالفاظ الكثيرة
عن المعنى اليسير معبرين والبلاغة عكس ذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم واختصر لي الكلام
اختصارا ولما استقل اسد الدين بالوزارة طلب من القصر
كاتب انشا فارسل اليه القاضي الفاضل عبد الرحيم بن البيساني
وكان ابوه من اهل بيسان الشام ثم ولي قضا عسقلان وخرج
الفاضل الي الديار المصرية فولي كاتبا بالاسكندرية علي باب
السدرة ثم انه اتصل بالكامل بن شاور فاستكتبه وزاحم
به كتاب القصر فثقل عليهم امره فلما طلب اسد الدين كاتبا ارسل
به اليه وظنوا وشادبوان الكاتبات ان هذا امر لا يتم وان اسد
الدين سيقتل كما قتل من كان قبله فارسلوا الفاضل اليه وقالوا
لعله يقتل معه فنتخلص من مزاحمته لنا وكان من امره ما كان واستمر
في الدولة ولم يزد في كل يوم الا تقدما بصدقه ودينه وحسن
رايه رحمه الله وانشا العماد قصيدة طويلة تهنية لاسد الدين

اولها

بالجد ادركت ما ادركت لا اللعب * كم راحة جنيت من دوحة التعب
يا شيركوه بن شاذي الملك دعوة من * نادى فعرف خير ابن بخير اب
جرى الملوك وما حازوا بركضهم * من المدى في العلا ما حزت بالخبب
تمل من ملك مصر رتبة قصرت * عنها الملوك فطالت سائر الرتب
فتحت مصر وارجو ان تصير بها * ميسرا فتح بيت القدس عن كثب
قد امكنت اسد الدين الفريسة من * فتح البلاد فبادر نحوها وثب
انت الذي هو فرد من بسالته * والدين من عزمه في جحفل لجب
في حلق ذي الشرك من عدوى سطاك شجى * والقلب في شجن والنفس في شجب
زارته بنو الاصفر البيض التي لقيت * حمر المنايا بها من فوقها الحجب
والها تفقد من خلعتها اسدك * ارى سلامتها من اعجب العجب
لقد رفعنا الى الرحمن ايدينا * في شكرنا ما به الاسلام منك حبي
شكا اليك بنو الاسلام يتمهم * فقمت فيهم مقام الوالد الحدب
في كل دار من الافرنج نادبة * بما دهاهم فقد باتوا على ندب
من شر شاور انقذت العباد فكم * وكم قضيت لحزب الله من ارب
هو الذي اطمع الافرنج في بلد الاسلام * حتى سعوا للقصد والطلب

وان

214.

وان ذلك عند الله محتسب • في الحشر من افضل الطاعات والقرب
اذ له الملك المنصور منتصرا • لما دعا الشرك مذ اقدم تغر زبي
وما غضبت لدين الله منتقما • الا لنيل رضى الرحمن بالغضب
وانت من وقعت في الكفر هيبته • وفي ذويه وقوع النار في الحطب
وحين سرت الى الكفار فانهزموا • نصرت نصر رسول الله بالرعب
يا محيي الامة الهادي بدعوته • للرشد كل غوي منهم وغبي
لما سعيت لوجه الله محتسبا • ثوابه نلت عفوا كل مرتغب
اعدت نعمة مصر نعمة فغدت • تقول كم نكبت لله في النكبت
اركبت راس سنان راس ظالمها • عدلا وكنت لوزر غير مرتكبه
رددت الخلافة عباسية و دعا • الداعي فيها بصادق شرمنقلب
لا تقطعن ذنب الافعى وترسله • والحزم عندي قطع الراس كالذنب

وقال العماد في الحريك الشام الى الحافظ ابو القسم لنفسه وقد اعفى الملك العادل نور الدين قدس الله روحه اهل دمشق من المطالبة بالخشب فورد الخبر باستيلا عسكره على مصر •

فكتب اليه بهنيه

لما سمحت لاهل الشام بالخشب • عوضت مصر بما فيها من النشب
وان بذلت لفتح القدس محتسبا • للاجر جوزيت خيرا غير محتسب
والاجر في ذاك عند الله مرتقب • فيما يثيب عليه خير مرتقب
والذكر بالخير بين الناس تكسبه • خير من الفضة البيضا والذهب
ولست تغفل في ترك الجهاد وقد • اصبحت تملك من مصر الى حلب
وصاحب الموصل الفيحا ممتثل • لما تريد فبادر فجاة النوب

فاحزم الناس من قوى عزيمته • حتى ينال بها العالي من الرتب
فالجد والجد مقرونان في قرن • والحزم في العزم والادراك
• بالطلب •
فطهر المسجد الاقصى وحوزته من النجاسات والاشراك
• والصلب •
عساك تنطق في الدنيا بحسن ثناه • وفي القيمة تلقى خير منقلب

وفاة اسد الدين

فصل في وفاة اسد الدين وولاية ابن اخيه

صلاح الدين مكانه توفي اسد الدين فجاة يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة فكانت ولايته شهرين وخمسة ايام قال ابن شداد كان اسد الدين كثير الاكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد معاناة شدة عظيمة فاخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله رحمه الله وفوض الامر بعده الى صلاح الدين واستقرت القواعد واستتبت الاحوال على احسن نظام وبذل المال وملك الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله عليه فتاب عن الخمر واعرض عن اسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما عاد عنه وما ازداد الا جدًّا الى ان توفاه الله تعالى الى رحمته ولقد سمعت منه رحمه الله يقول لما يسر الله لي الديار المصرية علمت انه اراد فتح الساحل لانه اوقع ذلك في نفسي ومن حين استتبت له الامر ما زال يبث الغارات على الفرنج الى الكرك والشوبك

وزارة صلاح الدين يوسف بن ايوب

وبلادهما

215.

وبلادها وغشي الناس من سحايب الافضال والنعم مالم يورخ
من غير تلك الايام هذا كله وهو وزير متابع للقوم لكنه
مقو لمذهب السنة غارس في البلاد اهل العلم والفقه والتصوف
والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون اليه
من كل جانب وهو رحمه الله لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا
ولما عرف نور الدين استقرار امر صلاح الدين بمصر اخذ حمص
من نواب اسد الدين وذلك في رجب هذه السنة وقال
ابن الاثير اما كيفية ولاية صلاح الدين فان جماعة من
الامرا النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر
وولاية الوزارة منهم الامير عين الدولة الياروقي وقطب الدين
خسرو بن تليل وهو ابن اخي ابي الهيجا الهذباني الذي كان صاحب
اربل ومنهم سيف الدين علي بن احمد الهكاري وجده كان صاحب
قلاع الهكارية ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح
الدين وكل من هولا قد خطبها وقد جمع ليغالب عليها فارسل
الخليفة العاضد الى صلاح الدين وامره بالحضور في قصره ليخلع
عليه خلع الوزارة ويوليه الامر بعد عمه وكان الذي حمل العا ضد
على ذلك ضعف صلاح الدين فانه ظن انه اذا ولى صلاح الدين
وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته بحكمه ولا يجسر على
المخالفه وانه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم اليه
فاذا صار معه البعض اخرج الباقين وتعود البلاد اليه وعنده
من العساكر الشاميه من يحميها من الفرنج ونور الدين فامتنع صلاح

الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فالزم به واخذ كارهًا
ان الله ليعجب من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فلما حضر
في العصر خلع عليه خلعة الوزارة الجبة والعمامة وغيرهما
ولقب الملك الناصر وعاد الى دار اسد الدين فاقام بها ولم
يلتفت اليه احد منا ولئك الامرا الذين يريدون الامر لانفسهم
ولا خدموه وكان الفقيه ضيا الدين عيسى الهكاري معه
فسعى مع سيف الدين على بن احمد حتى اماله اليه وقال له ان
هذا الامر لا يصل اليك مع وجود عين الدوله والحارمي وبن
تليل فمال الى صلاح الدين ثم قصد شهاب الدين الحارمي وقال
له ان هذا صلاح الدين هو بن اختك وملكه لك وقد استقام
الامر له فلا تكن اول من يسعى في اخراجه عنه فلا يصل اليك
ولم يزل به حتى احضره ايضا عنده وحلفه له ثم عدل الى قطب
الدين وقال له ان صلاح الدين قد اطاعه الناس ولم يبق
غيرك وغير الياروقي فعلى كل حال يجمع بينك وبين صلاح الدين
ان اصله من الاكراد فلا يخرج الامر عنه الى الاتراك ووعده
وزاد في اقطاعه فاطاع صلاح الدين ايضا وعدل الى عين الدوله
الياروقي وكان اكبر الجماعة واكثرهم جمعًا فلم تنفعه رقاه ولا
نفذ فيه سحره وقال انا لا اخدم يوسف ابدًا وعاد الى نور
الدين ومعه غيره فانكر عليهم فراقه وقد فات الامر ليقضي
الله امرًا كان مفعولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه
وهو نايب عن الملك العادل نور الدين والخطبه لنور الدين

216.

في البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن امره وكان نور الدين يكاتب
صلاح الدين بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته في الكتب
تعظيما ان يكتب اسمه ولا يعرض في كتاب بل يكتب الامير
الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامرا بالديار المصرية
يفعلون كذا وكذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس
مما كان اسد الدين قد جمعه وطلب من العاضد شيا
يخرجه فلم يمكنه منعه فمال الناس اليه واحبوه وقويت
نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف امر
العاضد وكان كالباحث عن حتفه بظلفه وارسل صلاح
الدين يطلب من نور الدين ان يسير اليه اخوته فلم يجبه
الى ذلك وقال اخاف ان يخالف احد منهم عليك فتفسد
البلاد ثم ان الفرنج اجتمعوا ليسيروا الى مصر فسير
نور الدين العساكر وفيهم اخوة صلاح الدين منهم شمس
الدوله توران شاه بن ايوب وهو اكبر من صلاح الدين
فلما اراد ان يسير قال له ان كنت تسير الى مصر وتنظر
الى اخيك انه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وانت
قاعد فلا تسر فانك تفسد البلاد واحضرك حينيذ واعاقبك
بما تستحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقايم
فيها مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر اليه واشدد
ازره وساعده على ما هو بصدده فقال افعل معه من
الخدمة والطاعة ما يصل اليك ان شا الله تعالي فكان

كما قاله وقال العماد لما فرغ بعد ثلثة ايام من
التعزية باسد الدين اختلفت اراوهم واختلطت
اهواهم وكاد الشمل لا ينتظم والخلل لا يلتيم فاجتمع
الامرا النورية على كلمة واحدة واتيه منتسا عدم وعقدوا
لصلاح الدين الراية والرايه واخلصوا له الولا والولايه
وقالوا هذا امقام عمه ونحن بحكمه والتزموا صاحب القصر
بتوليته وبادت للسعادة بتلبيته وشرع في ترتيب
الملك وتربيته وفض ختوم الخزاين والغى رسوم المراين
وسلط الجود على الموجود وبسط الوفر للوفود وفرق
ما جمعه اسد الدين في حياته واتارت على مناد العلا اياة
اياته وراى اولياه تحت الوليه ورايانه واحلوه ومازالت
محبته غالبه على مهابته وهو يبالغ في تقديمهم كانهم
ذووا قرابته وما زال الملك ترفعا وما فاد الا اتصالا
في السماح وتفرعا وضم من امر المملكه ما كان منشورا
وكتب له العاضد صاحب القصر وهو بالمثال الكريم الفاضلي
الذي هو السحر الحلال والعذب الزلال ثم اورد العماد وهو
شبيه بمنشور عمه وجرى القلم فيه بما خط له القلم في الازل
من وصفه بها ن وسلمه تقى ذلك المنشور والجهاد انت راضع
دره وناشيه حجره وظهور الخيل مواطنك وظلال الخيم مساكنك
وفي ظلمات قساطله تجلي محاسنك وفي اعقاب نوازله تتلى
مناقبك وتسمر له عرسان من الغنا وحضر فيه بحرا من الطيب

واطلل

217.

واحلل في عقد كلمة الله وتنبعاث الحبا واسل الوها د بدم
العدا وارفع برووسهم الرماح حتى ياتي الله بالفتح الذي يرجوا
امير المومنين ان يكون مذخورا لايامك وشهودا لك يوم
مقامك و في طرته بالخط العاضدي ولم يذكره العماد في كتابه
هذا عهد امير المومنين اليك وحجته عند الله سبحانه عليك
فاوف بعهدك ويمينك وخذ كتاب امير المومنين بيمينك ولمن
مضى بجدك رسول الله احسن اسوة ولمن بقي تقيته بنا اعظم
سلوة تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين نعني عن مضى لسد الدين
ويعني بقي صلاح الدين ثم قال العماد الكاتب ومد الحر
منشور طويت به تلك الدواه وختمت وسددت عفودها
وما انتظمت ووصلت كتب صلاح الدين الينا بالشام بما تسنى
له من المرام ولمن يفصله بالاستمتاع والاستبشار ولمن يتاخر
عنه بالخلع الغطا وترددت الكتب الصلاحية بذكر الاشواق
وشكوى الفراق وشرح الاستيحاش وبرح القلوب العطاش
فان اصحابنا وان ملكوا ونالوا مقاصدهم وادركوا حصلوا
بين امة لا يعرفونها بل ينكرونها ولا يالفونها وراوا وجوها
هنالك بهم عابسه واعينا للنكايه متيقظه وعن المودة
ناعسه فان اجناد مصر كانوا في الدين مخالفين وعلى عقيدتهم
معاقدين مخالفين وكتب صلاح الدين الى بعض اصدقايه
كتابا اوله

أيها الغائبون عني وإن كنتم لقلبي بذكركم جيرانا
إنني مذ فقدتكم لا أراكم بعيون الفكر عندي عيانا

فسألني المكتوب إليه أن أكتب جوابه فقلت

أيها الظاعنون عني وقلبي معهم ما يفارق الأظعانا
ملكوا مصر مثل قلبي دهي هذا وفي تلك أصبحوا سكانا
فاعدلوا فيهما فإنكم اليوم ملكتم عليهما سلطانا
لا تروعوا بالهجر قلب محب أودعته روعاته الخفقانا
حبذا مصر إذ قضينا بها العيش فكنا بربعها جيرانا
إذ وجدنا من الحوادث أمنا وأخذنا من الخطوب أمانا
ورتعنا من المنى في رياض وسكنا من المعاني جنانا

وبعد فإن وفود الهنا وإمداد الدعا متواصلة على الولا صادرة عن محض الولا إلى عالي جنابه المأنوس ومنيع كنفه المحروس فليهنه الفوز بالملك والعدو وفرع مصيان المجد والعلو وكيف لا يكون النصر مساوقا لدين هو صلاحه والتأييد مرافقا لعزم به نجاحه وفلاحه فالشام يغبط مصرا مذ حللت بها كما الغرات عليكم تحسد النيلا فلتم من الملك عفوا أما الملوك بعلو أقدامها ورامو فما نيلا

قال العماد ورثيت أسد الدين بقصيدة خدمت بها نور الدين وعزيت بها أخاه نجم الدين منها

تضعضع في هذا المصاب المباغت من الدين لولا نوره كل ثابت
فأيام نور الدين دامت منيرة لنا خلف من كل مود وفايت

فما

فما بالنا نبدي التصام غفلة • ودائي المنايا ناطق غير صامت
نؤمل في دار الفناء بقاءنا • ونرجو من الدنيا صداقة ماقت
وما الناس الا كالغصون يبدها الردى • يقرب منها كل عود لناحت
لقد ابلغت رسل المنايا واسمعت • ولكننا لم نحظ منا بناصت
فلهفي علي تلك الشمايل انها لقد كرمت في الحسن عن نعت
ناعت •

ومن اخرى عزا بها اخاه نجم الدين ايوب في ولده ناصر الدين

ما بعد يومك للمعنى المدنف • غير العويل وحسرة المتلهف
ما اجري الحدثان كيف سطا على • الاسد المخوف سطا ولم يتخوف
من ذا راى الاسد الهصور فريسة • ام ابصر الصبح المنير وقد
خفي •

من ثابت دون الكماة سواه • ان زلت بهم اقدامهم في الموقف
ما كان اسنى البدر لو لم يستتر • ما كان ابهى الشمس لو لم تكسف
ما كنت اخشى ان يلم ملامة • يوما وانت لكونها لم تكشف
ايام عمرك لم تزل مقسومة • لله بين تعبد وتعفف
منهاجه العبادة اونا ليسا • من آية اونا ظرا في مصحف
فجع الندا والباس منك بحاتم • ونجيد والحلم منك باحنف
بالملك فوق وحزنه عن قدرك • ومضيت عنه بسيرة المتعفف
ووصفت بالاسد الدين محمد • مدحا بما ملكت به لم يوصف
وقفوت اثار الشريعة كلها • وقدا هدي من للشريعة يقتفي
انفت من دنياك حين عرفتها • فلويت وجه العارف المستنكف

يا ناصر الدين استعذ بنصيره ۝ من ان الى مرضاة ربك مزلف
وتعز نجم الدين عنه مهناه ۝ ابد الزمان بملك مصر ويوسف
لا نستطيع سوى الدعا فكلنا ۝ الا بما في الوسع غير مكلف

ولعمارة اليمني في صلاح الدين رحمه الله مدائح منها

قوله

لك الحسب الباقي على عقب الدهر ۝ بك الشرف الراقي الى قمة النسر
كذي فليكن سعي الملوك اذا سعت ۝ بها الهمم العليا الى شرف الذكر
نهضتم باعبا الوزارة نهضة ۝ اقلتم بها الاقدام من زلة العثر
كشفتم عن الاقليم غمته كما ۝ كشفتم بانوار الغنا ظلمة الفقر
حميتم من الافرنج سرب خلافة ۝ جريتم لها مجرى الامان من الذعر
ولما استغاث ابن النبي بنصركم ۝ ودائرة الانصار اضيق من شبر
جلبتم اليه النصر اوسا وخزرجا ۝ وما اشتقت الانصار الا من النصر
ثنايا من خزرون منها او اخر ۝ واولها بالنيل من شاطئ مصر
طلعتم فاطلعتم كواكب نصره ۝ اضاءت وكان الدين ليلا بلا فجر
واثبت اليكم يا بني ايوب دولة ۝ تراسلكم في كل يوم مع السفر
حمى الله فيكم عزمة اسدية ۝ فككتم بها الاسلام من ربقة الاسر
اخذتم على الافرنج كل ثنية ۝ وقلتم لايدي الخيل مري على مر
لئن نصبوا في البر جسرا فانكم ۝ عبرتم ببحر من حديد على الجسر
طريق تغار عنتم عليها مع العدى ۝ فعزتم بها والصخر يقرع بالصخر
وانحة من مصر خوف يلزم ۝ كما لزموا من الليل بالفجر
وكم وقعة عذرا لما افتضضتها ۝ بسيفك لم تترك لعذرة من عذر

وايديكم

وايديكم بالباس كاسرة العدى ٭ ولكنها بالجود جابرة الكسر
ابوك الذي اضحى ذخيرة مجدكم ٭ وانت له خير النفائس والذخر
ومن كنت موروثا له فاستفزه ٭ بمثلك نبه فهو في اوسع العذر
فكيف ان اصبحت بار زمانه ٭ والا كمو والبدر من سنة البدر
توقره وسط الندي كرامة ٭ وتحمل عنه ما يؤود من الوقر
وتخلفه سلما وحربا خلافة ٭ تؤلف اضدادا من الماء والجمر
وكم قمت في باس وجود ونيته ٭ بما سره في الخطب والرسم والنثر
ولو انطق الله الجماد ان لم تقم ٭ لنعمتكم بالمستحق من الشكر
بها لا يقوم المسلمون بشكرها ٭ لكم آل ايوب الى آخر الدهر
بكم امن الرحمن اعظم سرب ٭ وامن اركان البنية والحجر
ولو رجعت مصر الى الكفر لانطوى ٭ بساط الهدى من ساحة البر والبحر
ولكن شددتم ازرها يوم زاغ ٭ عن الغطا يستق من شدة الازر
فهنيتم فتحا تقدم جله ٭ وبشرا ان الكل يتلو على الاثر
وما بقيت في الشرك الا بقية ٭ تتمتها في ذمة البيض والسمر
وعندي تمام الملك اني مهنيا ٭ وملمسها اجرا لكهانة والزجر
ولولا اعتقادي ان مدحك قربة ٭ ارجي بها نيل المثوبة والاجر
لما قلت شعرا بعد اعفا خاطري ٭ ولي سنوات منذ تبت عن الشعر
فاوصي الايام حذرا فانها ٭ مصرفة بالنهي منك وبالامر
وجازيتني بشهية اذني عليكم ٭ وملقاكم لي بالطلاقة والبشر

وقال ايضا من قصيدة

يا شبيه الصديق عدلا وحسنا • وسميا حكاه معنى ومغنى
هذه مصر يوسف حل فيها • يوسف مالكا وما حل سجنا
انت حرمت ان يذلت فيها • بسوى الله وحده او يثنى
انما الملك والوزارة جسم • انت روح فيه وفي اللفظ معنى

وقال ايضا من قصيدة

ملك صلاح الدين لا فوضى • اطنابه ملك التقى والصلاح
سيرة عدله حسنت عندنا • ما كان من وجه الليالي القباح
سائر في الدنيا واقطارها • كم غدا عنه جميلا وراح
قل للاين ايوب وكم ناصح • انفع ممن هو شاكي السلاح
حارب على مصر نجوم السما • فملك مصر ما عليه اصطلاح
قولا لمن في عزمه فترة • ارجع الى الجد وخل المزاح
فالقدر قد اذن اغلاقه • على يدي يوسف بالانفتاح

وقال ايضا من قصيدة

ونبت بمصر عن سميك يوسفه • كما ناب عن سلب الحيا والقلب
حذوت على سجل نداه وهديه • وان كنت لا سجن حوالة ولا جب
ووافقته في الصفح عن كل مذنب • فما منك تثريب وان عظم الخطب

وللحكيم عبد المنعم الجيلاني من قصيدة طويلة

ابو المظفر ماوى كل مضطهد • بحلمه ونداه يضرب المثل
مهما يمل جائر او غاب عمره • فعند عدل صلاح الدين يعتدل
احيا به الله مصرا فهي ناشرة • من عدوه ما به قبل
كم للعرنج بها وردا او منتجعا • ونادمهم حولها تذكوا وتشتعل

فاطفا

فالطف الناصر المنصور جده وتمم * وادبروا القلوب شمهم وجل
ملك تقلد سلك المجد منتظما * وقال للمال هذا منك لي بدل
تفرق المال جمعا للقلوب به * وحسبه فهم ادراك ما سألوا
ان الملوك الذين امتد امرهم * لم يحرزوا المال بل مهما حووه بذلوا
كذا السياسة فالاجناد لو علموا * بخل المليك وجاءت شدة خذلوا

فصل هذا الذي ذكرناه من قصة شاور وما جرى بسببه
في الديار المصرية الى ان تمت وزارة صلاح الدين قد وجدته
مبسوطا مشتملا على زيادات وفوايد في كتاب ليحيى ابن ابي
طي في السيرة الصلاحية فاحببت ذكره مختصرا * ذكر ان الملك
الصالح طلايع بن رزيك وزير الديار المصرية لما قتل في رمضان
سنه ست وخمسين تته بيد عمة العاضد عليه اوصى عند
موته ابنه رزيك بشاور وقال لا تتعرض له من ولاية فانه
اسلم لك ولملكك وتعالب انه الشيعه ابياتا منها *
فاذا انهد شمل عقد كما * لا تامنا من شاور السعدي *
وكان شاور متولي قوص والصعيد الاعلا فلما دفن الصالح
استوزر ابنه رزيك ولقب بالعادل ولما استوثق احواله
ارسل الى عمة العاضد فخنقها واجتمع الى رزيك اولاد عمته
ومن جملتهم عز الدين حسام واشاروا عليه بعزل شاور فامتنع
ثم لحوا عليه فاجاب وبلغ شاور الخبر فجاهر بالعصيان وجمع العربان
واهل الصعيد وسار الى القاهرة وخرج عليه جماعة من امرايها
كانوا كاتبوه فخرج رزيك تحت الليل يطلب الطريق ونابه فوقع

عند اطفيح وتم بيوت عرب فقبضوا عليه وحمل الى شاور وقد دخل
القاهرة وتسلمها واخرجت اليه خلع الوزارة وتم امره ولما حصل
رزيك عند شاور اكرمه وطلب الذي اتى به ونادى عليه هذا جزى
من لا يراعي الجميل وكان للصالح اليه احسان وتفرق ال رزيك
في البلاد ونجا حسام الذي كان سبب هلاك بني رزيك باموال
وصار الى حماه فاقام بها واشترى القرى ولم يزل بها الى ان مات
وكان في خروجه اودع عند العرب سبعين الف دينار فوفوا له بها
وردوها عليه ثم ادعى الذي اخذها منه فقال من العجب ان العرب
تفي لي بردها وتاخذها انت مني تكف عنه فا[illegible] وتمكن شاور
وكان له ثلثة اولاد طي والكامل وسليمان فتبسطوا على الناس
وتعاظموا فمجتهم الانفس وكان معهم واخوه ضرغام من صنايع
الصالح بن رزيك فلما شاهدوا ميل الناس عن شاور بسبب
اولاده اخذوا في مراسلة رزيك بن الصالح وهو في السجن والعمل
له في اعادته الى الوزارة واتصل ذلك بطي بن شاور فدخل
على ابيه وقال له انت غافل وهم وضرغام يفسدان امرك
وقد شرعا في امر رزيك واستحلفا له جماعة من الامرا ولا
يمكن تلافي ذلك الا بقتل رزيك فقال له شاور ان الصالح
اولاني جميلا وبسببه حللت هذا المحل فتركه ولده طي ودخل
على رزيك فقتله في سجنه وسمع شاور ذلك فقامت قيامته
ونمى الخبر الى ضرغام واخيه فثاروا واثاروا من استحلفاه
من الامرا وزحفا بالعساكر الى شاور فانهزم وخرج الى باب

القاهرة وهرب الى الشام وادركه ضرغام وولديه طيبا وسليمان
فقتلهما واسر الكامل فاخذه ملهم واعتقله عنده واراد ضرغام
قتله فمنعه منه ملهم وحفظ له جميلا كان قد فعله معه واستقر
امر ضرغام في الوزارة وخلع عليه ولقب بالملك المنصور ولما
استقر به الامر بلغه ان جماعة من الامرا حسدوه واستصغروه
وكاتبوا شاورا وكان صار الى الشام فاخذ في اعمال الحيلة
عليهم واحضرهم الى دار الوزارة ليلا فقتلهم جميعا ولم يتعرض
لاموالهم ولا لمنازلهم وقيل انه قتل منهم سبعين
اميرا وتغالى انه جعلهم في توابيت وكتب على كل تابوت اسم
صاحبه فكان ذلك اكبر الاسباب في هلاكه وخروج دولة المصريين
لانه اضعف عسكر مصر بقتل الامرا واما شاور فانه
لما خرج من القاهرة سار على وجهه حتى وصل الى دمشق بعد
تحققه قتل ولديه ولما وصل الى بصرى اتصل خبره بنور الدين
فندب جماعة الى تلقيه وانزله في جوسق الميدان الاخضر واحسن
ضيافته واكرامه ثم بعد سبعة ايام من مقدمه احضر نور
الدين الابن الصوفي وجماعة من وجوه الدمشقيين وقال
لهم اخرجوا الى هذا الرجل وسلموا عليه وعرفوه اعذارنا
في التقصير في حقه وسلوه فيما قدم وما حاجته فان كان
ورد علينا مختارا للاقامة افردنا له من جهاتنا ما يكفيه
ويقوم باربه واوده ونكون عونا له على زمانه وان كان
ورد لغير ذلك فيفصح عن حاجته فخرج الجماعة اليه بالرسالة

فشكر احسان نور الدين وسكت عما وراء ذلك فساله القوم الجواب فقال اذا لم يبيت الراي جا فطيرا فعاد القوم الى نور الدين وعرفوه ما دار بينهم وبينه فامر بالعود اليه من غد ذلك اليوم فعادوا وطلبوا الجواب فسكت ايضا واطال ثم قال ان راي نور الدين اطال الله بقاه الاجتماع بي فله علو الراي فعرفوا نور الدين بمقالته فاجاب نور الدين الى ان يكون الاجتماع على ظهر بالميدان الاخضر وركب نور الدين من غد في وجوه دولته وخواص مملكته في احسن زي واتم شارة حتى دخل الميدان وركب شاور من الجوسق والتقيا في وسط الميدان بالتحية فقط فلم يترجل احد منهما لصاحبه ثم سارا من موضع اجتماعهما وطوف الميدان الى اخره ثم انفصلا من مناك وعاد نور الدين الى قلعة دمشق واحد من وقته ذلك في جمع العساكر ولما ضرغام فانه حين استشعر به الامر كاتبنا الى نور الدين في يد علم الملك بن النحاس يظهر فيه الطاعة ويعرض بخذلان شاور فاظهر نور الدين لعلم الملك القبول في الظاهر ومع شاور في الباطن واجاب عن الكتاب وانفصل علم الملك عن دمشق فلما كان بظاهر الكرك اخذه فليب بن الدقيق الفرنجي وحصل على جميع ما كان معه وانهزم علم الملك بنفسه وتوجه الى الساحل وسار الى مصر وفي هذه الايام انفذ نور الدين واستحضر اسد الدين شيركوه من اقطاعه من الرحبه وكان نور الدين قد تيمن باسد الدين

وتبرك

ونيرك بميمون نقيبته لانه لم يرسله في امر الا نجح ولم يوجه
في مضيق الا انفتح ولما حضر اسد الدين الى دمشق اخلاه
نور الدين وتحدث معه باشيا في امر مصر وامره بالاستعداد
وكان نور الدين قد ازاح علته العسكر الذي يريد يسيره
الى مصر فخرج من يومه وكان شاور قد اطمع نور الدين
في اموال مصر ورغبه في ملكها وانه اذا ملكها كان من قبله فيها
ولما بلغ شاور ان استنجاب امر العسكر سال عن المقدم
عليه فقيل له اسد الدين شيركوه فلم يطب له ذلك الا انه
ظن ان التقدمة تكون له فلما زوج بهذا العود سقط في يده
ووقع في عضل ولم يجد بدا من المسير فخرج واجتمع باسد
الدين وسارا جميعا حتى وصلا اطراف البلاد المصريه ونزلوا
على تل في الحوف قريب من بلبيس يعرف بتل بسطه وضربوا
خيامهم هناك ولما اتصل بضرغام خبر ورود شاور واسد
الدين بالعساكر الشاميه جمع امرا مصر واستشارهم
فاشار شمس الخلافه محمد بن مختار بان يجمع العساكر ويخرج
جريده ويلتقي العساكر الشاميه ببعد وهو على يومين من
القاهره وانهم لا يثبتون لكونهم خرجوا من البريه ضعفا
ولمكان قلة الما عليهم لان المسافر الى مصر يحمل الما من
ايله مسيرة ثلثة ايام فلم يروا ذلك واختاروا ان يلقوهم
على بلبيس فامر ضرغام الامرا بالخروج فخرجوا في احسن
زي واكمل عدة والمقدم عليهم ناصر الدين ملهم اخو ضرغام

وجاوا حتى احاطوا بالبلد الذى كان اسد الدين نازلا عليه
ولما عاين اسد الدين كثرة العساكر وانهم قد ملكوا عليهم
الجهات وسدوا منافذ الطرقات قال لشاور يا هذا
لقد ارهقتنا وغررتنا وقلت انه ليس بمصر عسكر فجئنا
في هذه الشرذمة فقال له شاور لا يهولنك ما تشاهد
من كثرة الجموع فاكثرها الحاكة والفلاحين تجمعهم الطبل
وتفرقهم العصا فما ظنك اذا حمي الوطيس وكلبت الحرب وانشا
الامرا فان كلهم عندي وعهودهم معي وستقري ذلك لك
اذا التقينا ثم قال اريد ان تامر العساكر بان يستعدوا للركوب
ففعلوا ونهض شاور وزحف القتال ووقف الفريقان مصطفين
من غير حرب الى ان حمي النهار والتهب الحديد على اجساد الرجال
فضرب اكثر اهل مصر الخيم الصغار وخلعوا السلاح ونزلوا
عن الخيول وجلسوا في الظل فامر شاور الناس بالحملة
فكان اسعد امرا مصر من ركب فرسه واطلق عنانه وولى
منهزما وتركوا خيمهم واموالهم ليس لها حافظ فاحتوى عليها
اصحاب اسد الدين واسر شمس الخلافة وجماعة من امراء
المصريين ولم يمكن شاور في اثر الناس ونزلوا على القاهرة
وقاتلوها اياما وراسل شاور العاضد في اصلاح الحال
وان ياذن له في الدخول الى القاهرة فاذن له وكان
من غاشم سار الى تحت القصر وقال اريد امير المومنين
يكلمني لاساله عما افعل فلم يجبه احد فذهب على وجهه

منهزما

منهزمًا وخرج من باب زويلة والعامة تلعنه وتصيح عليه
فالتحقه رجل من اهل الشام ليقتله فقال له ضرغام اوصلني
الى اسد الدين ولك مال فلم يقبل منه وحمل عليه
فطعنه فارداه ونزل اليه واحتز راسه وحمله الى اسد
الدين واعلمه بما جرى بينهما فعيب على اسد الدين واوجعه
ضربا واراد قتله فتشفع فيه شاور ودخل شاور الى
القاهرة وقتل ملهم اخا ضرغام عند بركة الفيل وخرج
ابنه الكامل من دار ملهم وكان معتقلا فيها وخرج معه
القاضي الفاضل وكان ايضا معتقلا فيها معه واستقام
امر شاور في الوزارة واقام اسد الدين على المقس
لينظر امر شاور فيما ضمن لنور الدين وارسل اليه يقول
له قد طال مقامنا في الخيم وقد ضجر العسكر من الحر والغبار
فارسل اليه شاور ثلثين الف دينار وقال ترحل الان
في امان الله وفي دعته فلما سمع اسد الدين ذلك ارسل
اليه ان نور الدين اوصاني عند انفصالي عنه اذا ملكت
شاور تكون مقيما عنده ويكون لك ثلث مغل البلاد والثلث
الاخر لشاور وللعسكر والثلث الاخر لصاحب العصر يصرفه
في مصالحه فقال شاور انا ما قررت شيا مما تقول انما
طلبت نجدة من نور الدين فاذا انقضى شغلي عادوا الى الشام
وقد سيرت اليكم نفقة فخذوها وانصرفوا وانا المنفصل مع
نور الدين فقال اسد الدين انا لا يمكني مخالفة نور

الدين ولا اقدر على الانصراف الا بامضا امرى فامر شاور
باغلاق ابواب القاهرة واخذ في الاستعداد للحصار
واستعد اسد الدين ايضا وسير صلاح الدين في قطعة
من الجيش الى بلبيس يجمع الغلال والاتبان والاحطاب
وما تدعوا الحاجة اليه ويكون جميع ذلك في بلبيس ذخيرة
واخذ في قتال القاهرة وكاتب شاور ملك الفرنج مري
يستنجده ويقول له ان شيركوه ملك الفرنج طلع معي
بحيلة على ضرغام فلما حصلوا في البلاد طمعوا فيها ومتى ملكوها
مضافة الى بلاد الشام لم يكن لك معهم عيش ولا قرار وضمن
له في كل مرحلة يرحلها الى ديار مصر الف دينار وقرر شيئا
لعلف دوابه وشيئا لاسبتارية فخرج مري من عسقلان
في جموعه الى فاقوس في سبع وعشرين مرحلة وقبض عنها سبعة
وعشرين الف دينار ولما تحقق اسد الدين قرب الفرنج من
القاهرة اجفل عنها الى بلبيس وانضاف اليه من اهلها الكنانية
وخرج شاور في عساكر مصر واجتمع بالفرنج وجاء حتى
خيم على بلبيس واحاط بها محاصرا لاسد الدين يباكر الحرب
ويراوحها واقاموا على ذلك مدة ثلثة اشهر وانقطعت
اخبار مصر ومن بها عن نور الدين وكان اتصل بنور الدين
وهو بدمشق خبر مسير الفرنج الى ديار مصر وعبور
شاور فكاتب الاطراف بقدوم العساكر فقدم عليه عساكر
الشرق جميعها واجتمعوا بارض حلب فنزل بهم مجد الدين

ابن الدايه وكان نايب نور الدين بحلب وسار الى جهة حارم
ونزل على ارتاح وخرج نور الدين من دمشق وشن الغاره
على الساحل وقتل واسر عالما عظيما ثم قصد جهة حلب
وجعل طريقه حصن الاكراد فلما حصل بارضه شن الغاره
فيها وغنم غنيمة عظيمة ونزل في مرجه فخرج اليه الفرنج
الاخوه من حصن الاكراد وهجموا عسكره وقتلوا جماعة
من المسلمين وكان عسكر نور الدين غافلا فلم يتماسك
الناس وساروا على وجوههم وسار نور الدين الى ان اجتمع
بعساكره على ارتاح وكان اخوه نصرة الدين مع الفرنج فلما
عاين اعلام نور الدين لم يتماسك ان حمل بجميع اصحابه
قاصدا اخاه نور الدين فلما قرب منه نزل وقبل الارض بين
يديه فلم يلتفت عليه فتم على وجهه واصطف الناس للحرب
فحملت الفرنج فكسرت الميسره ثم عادت فوجدت راجلها
جميعه قد قتل والخيل قد اطبقت عليهم فنزلوا عن الخيول
والقوا السلاحات واذ عنوا بالامان فاخذوا جميعا قبضا
بالايدي وسار الى حارم ففتحها واراد النزول على انطاكيه
فلم يتمكن لشغل قلبه عن في مصر من المسلمين فانحرف
قاصدا الدمشق ونزل على بانياس فافتتحها واغار على بلاد
طبريه وجمع اعلام الفرنج وشعافهم وجعلها في غبيبة وسلمها
الى نجاب وقال له اريد ان تعمل الحيله في الدخول الى بلبيس
وتخبر اسد الدين بما فتح الله على المسلمين وتعطيه

هذه الاعلام والشعاف وتامرهم بنشرها على اسوار بلبيس
فان ذلك مما يفت في اعضاد الكفار ويدخل الوهن عليهم
ففعل ذلك فلما راى الفرنج الاعلام والشعاف قلقوا
لذلك وخافوا على بلادهم وسالوا شاور الاذن في الانفصال
فانزعج شاور لذلك وخاف من عاقبة الامر وسالهم
التمهل اياما وجمع امراه للمشورة فاشاروا عليه
بمصالحة اسد الدين وتكفل اتمام الصلح له الامير شمس
الخلافة فانفذ اليه فتم الصلح على يديه على ان يحمل شاور
الى اسد الدين ثلثين الف دينار وحكى ان شاور
ارسل الى اسد الدين وهو محصور ببلبيس يقول له اعلم
اني قد ابعدت عليك ولم امكن الفرنج منك لانهم كانوا قادرين
عليك وانما فعلت ذلك لامرين احدهما اني ما اختار ان
اكثر جاه المسلمين واقوي الفرنج عليهم والثاني اني خفت
ان الفرنج اذا فتحوا بلبيس طمعوا فيها وقالوا هذه لنا
لانا فتحناها بسيوفنا وما من يوم كان يمضي الا وانا
انفذ الى اكابر الفرنج الجملة من المال واسالهم ان يكسروا
همة الملك عن الزحف قال وافام اسد الدين بظاهر
بلبيس ثلثة ايام ورحلت الفرنج الى جهة الساحل وسار
اسد الدين قاصدا الشام وجعل مسيره على البريه واتفق
ان الرئيس ارناط صاحب الكرك والشوبك تاول بيمينه
التي حلفها لاسد الدين وقال انا حلفت اني ما الحق اسد

الدين

الدين وله عسكر في البر وانا اريد الحقد في البحر وصار
في يوم واحد الى عسقلان وخرج منها الى الكرك والشوبك
وجمع عسكره المقيم هناك وقعد مرتقبا خروج اسد الدين
من البرية ليوقع به وعلم اسد الدين بمكيدة ارناط بالحدس
والتخمين فسلك طريقا من خلف المكان الذي كان فيه ارناط
شو الى الغور وخرج من البلقا وسلمه الله تعالى منه ودخل
دمشق واجتمع بنور الدين واخبره بالاحوال واعلمه بضعف
ديار مصر ورغبه فيها وشوقه الى ملكها فرغب نور الدين وامر
بتجنيد الاجناد واستخدام الرجال واما شاور فانه
بعد رحيل اسد الدين والفرنج الى بلادهم عاد الى القاهرة
ولم يكن له همة الا يتبع من علم ان بينه وبين اسد الدين معرفة
او صحبة وكان استفسد جماعة من عسكر اسد الدين منهم
خشترين الكردي اقطعه شطنوف وقتل شاور جماعة
من اهل مصر وشرد اخرين ثم توجه اسد الدين في ربيع الاول
سنة اثنين وستين قاصدا لديار مصر وكتم اخباره فما راع
شاور الا ورود كتاب مري ملك الفرنج يعرفه فيه ان اسد
الدين قد فصل عن دمشق بعساكره قاصدا ديار مصر فطلب
شاور منه اعانة النجدة والمقرر من المال يصل اليه على
ما كان يصل اليه في العام الماضي فسار مري في عساكر
الفرنج الى مصر على جانب البحر وكان اسد الدين سائرا
في البر فسبقه الفرنج ونزلوا على ظاهر بلبيس وخرج شاور

بعساكر مصر واجتمع بالملك دفعه واحده في انتظار اسد
الدين وعلم اسد الدين باجتماع الفرنج بشاور وعلى بلبيس
فنكب عن طريقهم وام الجبل وخرج على اطفيح وهي في الجنوب
من مصر وشن الغارة مما هناك واتصل بشاور وخبره فسار
في عساكره والفرنج في صحبته يقفوا اثره واتصل باسد
الدين ذلك فاندفع بين ايديهم حتى بلغ بشرونه من
صعيد مصر وتحمل في مراكب ركبها وعدى الى البر الغربي
ولما استفحل تعديته ادركه شاور ببعض ساقته ومنقطعي
عسكريته فاوقع بهم واحضر شاور ايضا مراكب وقطع
النيل في اثر اسد الدين بجميع جيوشه وجيوش الفرنج
وسار اسد الدين الى الجيزة وخيم بها مقدار خمسين
يوما واستمال قوما يقال لهم الاشراف الجعفريين والطلحيين
القرشيين وانفذ اسد الدين الى شاور يقول له انا احلف
لك بالله الذي لا اله الا هو وبكل يمين يثق بها المسلم من اخيه
اني لا اقيم ببلاد مصر ولا اعاود اليها ابدا ولا امكن احدا
من التعرض اليها ومن عارضك فيها كنت معك اليا عليه وما
اومل منك الا نصر الاسلام فقط وهوان هذا العدو
قد حصل بهذه البلاد والنجاح عنه بعيد وخلاصه
عسر واريد منك ان نجتمع انا وانت عليه وننتهز فيه
الفرصه التي قد امكنت والغنيمة التي قد اكثبت فنستاصل
شافته ونحسم مادته وما اظن ان يعود يتفق للاسلام مثل

هذه

226.

الغنيمة ابدا فلما صار الرسول الى شاور وادى اليه الرسالة امر به
فقتل وقال ما هولاء الفرنج هولاء الفرنج ثم اعلم الفرنج بما ارسل
به اليه اسد الدين واعلمهم بما اجابهم به وجدد لهم ايمانا وتوثقوا
بها وبلغ ذلك اسد الدين فاكل يديه اسفا على مخالفة شاور له
في هذا الراى وقال لعنه الله لو اطاعنى لم يبق بالشام
احد من هولاء الفرنج ونزل شاور في اللوق والمقسم وامر
بعمل الجسر بين الجيزة والجزيرة وامر بالمراكب فشحنت بالرجال
وامرهم ان يجتوا من خلف عسكر اسد الدين ولما راى اسد
الدين ذلك كتب الى اهل الاسكندرية يستنجدهم على شاور
لاجل ادخاله الفرنج الى بلاد الاسلام وتضييعه اموال بيت مال
المسلمين فيهم فقاموا معه وامروا عليهم نجم الدين بن مصال
وهو من احد وزرا المصريين وكان لجا الى الاسكندرية مستخفيا
فظهر في هذه الفتنة حدثني الادريسي الشريف نزيل
حلب قال كنت بالاسكندرية يوميذ فكتب معى بن مصال
كتابا الى اسد الدين وقال لى قل له انى اخبرك ان السلاح واصل
وكان انفذ لاسد الدين خزانة من السلاح قال فسبقتها
بيومين وحضرت بين يدى اسد الدين واعطيته الكتب وشافهته
برسالة بن مصال في معنى السلاح والالات ثم وصلت الخزانة
بعد يومين مع بن اخت الفقيه ابن عوف قال وبقينا
على الجيزة يومين فوصل الينا رسول من مدافع يخبر اسد
الدين بقرب شاور منه ويامره بالنجاة فترك اسد الدين الخيام

والمطابخ وما ثقل حمله وسار سيرًا حثيثًا حتى قارب دلجه فامر
اسد الدين بنهبها فنهبت ونزل الناس لتعشية للدواب
فلم يستتم عليقها حتى امر اسد الدين الناس بالرحيل واوقدت
المشاعل ليلا وسرنا فاذا الكاووس ينادي في الناس بالرجوع
وعاد اسد الدين الى دلجه فنزل عليها ونزل شاور على الاشمونين
وامر اسد الدين الناس ان يعولوا على تعبيه فاصبحوا على ذلك
والتقوا فقتل من اصحاب اسد الدين جماعة كثيرة وانهزموا
وكان اسد الدين قد فرق اصحابه فريقين فريقا معه ومعه
وفريقا جعله مع صلاح الدين وانفذه ليأتي من خلف عسكر
شاور وقد خل الضعف من هذا الطريق ثم ان اصحاب اسد الدين
تجمعوا وتماسكوا وعلموا انه لا منجا لهم الا الصبر فتحالفوا على
الموت وحملوا وطلع صلاح الدين من ورايهم فلم تزل الحرب قايمة
الى الليل فولت عساكر الفرنج والمصريين الادبار وكان مريي
ملك الفرنج بوسرو صادشاور ومن سلم معه الى منية ابن
خصيب وسار اسد الدين على الفيوم الى الاسكندرية فدخلها
ونزل القصر وجعل فيه مجلس الفرنج الذين اسرهم وكان فيها
ابن الزبير متوليا ديوانها فحمل الى اسد الدين الاموال وقواه
بالسلاح وخاف اسد الدين ان يقصده شاور والفرنج فيحصرهم
فربما اتاذي بالحصار فامر صلاح الدين بالمقام بالاسكندرية
وترك عنده جماعة من العسكر ومن به مرض او جراح او ضعف
واستحلف له وجوه الاسكندرية واوصاهم به ورحل في

لقويا

227.

اقو با عسكرهم قاصدا الى الصعيد ونزل الفرنج وشاور على
الاسكندرية وحاصروها مدة ثلثة اشهر باشد القتال
وبذل اهلها في نصرة الملك الناصر اموالهم وانفسهم وقتل
منهم جماعة عظيمة ولما صار اسد الدين بالصعيد حصل من
تلك البلاد اموالا عظيمة ولم يزل هناك حتى صام شهر رمضان
واتصل به اشتداد الامر على الاسكندرية فرحل من قوص
الى جهتها واتبعه جماعة كثيرة من العربان واهل تلك البلاد
وبلغ ذلك شاورا فرحل هو والفرنج واضطر اسد الدين
الى الصلح وضجرت الفرنج ايضا فتوسط ملك الفرنج في ذلك فتقرر
امر الصلح على ان شاور يحمل الى اسد الدين جميع ما غرمه في هذه
السفرة ويعطي الفرنج ثلثين الف دينار ويعود كل منهم الى بلاده
وطلب صلاح الدين من ملك الفرنج مراكب يحمل فيها الضعفاء
من اصحابه فانفذ له عدة مراكب قال الادريسي كنت
في جملة من خرج في المراكب فلما وصلنا الى مينا عكا اخذنا واعتقلت
في معصرة القصب الى ان وصل الملك مري فاطلقنا فخرجنا
الى دمشق وخرج صلاح الدين من الاسكندرية بعد ان تحلف
شاورا لاهلها وان لا يعرض لهم بسوء واجتمع بعمه اسد الدين.
ثم انفذ شاور وقبض على بن مصال وجماعة ممن اعان صلاح
الدين وضيق عليهم وتتبع اهل الاسكندرية واتصل ذلك
بصلاح الدين فاجتمع بملك الفرنج وقال له ان شاورا نقض
الايمان قال وكيف ذلك قال لانه قبض على من جالسنا فقال

فقال ليس له ذلك وانفذ الى شاور فقال له ان الايمان
جرت على ان لا نتعرض لاحد من اهل مصر ولا اهل الاسكندرية
والذمة بيننا جرى في ان لا يتعرض لاحد ممن لجا الى اسد
الدين او صلاح الدين ولما شاهد من التجا الى اسد الدين والصلاح ح
فشاهد تلك الاحوال خافوا من شاور فاخذ والى الرحيل الى
الشام وحلف لهم على الاحسان اليهم وحماية انفسهم واموالهم
فمنهم من سكن الى ايمانه واقام ومنهم من لم يسكن ورحل والهم
الله تعالى اسد الدين ان الفرنج ربما خطر لها في مصر خاطر
فقصدتها فراسل الملك مري وقال له قد سال اهل مصر
يمين الملك ان لا يدخل اليهم ولا يتعرض لهم فامتنع الملك ثم اجاب
خوف ان يتحقق اسد الدين وشاور انه ربما قصد ديار مصر
فربما اجتمعا عليه فلم يجد بدا من اليمين فحلف وحلف اصحابه
وخرج اسد الدين من مصر وفي قلبه الداء الدو منها لانه شاهد ما
وشاهد مملكتها فوجدها امرا عظيما فاخذ نور الدين في تهوين
امر مصر عليه واقطعه حمص واعمالها وحدثني ابي رحمه
الله قال حدثني غير واحد ان شاورا كاتب نور الدين في
ذلك وضمن له ان يحمل في كل سنة عن ديار مصر مالا مصانعة
ولما بلغ شاورا ان نور الدين صرف همة اسد الدين عن ذكر مصر
والتعرض لها انفذ رسولا بهدية سنية واصحبه كتابا حسنا
اوله ورد كتاب استدعى شكري وحمدي واستخلص من الصفا
ما عندي واستفرغ في الثنا على مرسله جهدي فكلما استملت

معانيه

228.

معاينه مما عندي واشتملت على حقايق قصدي وسررت للاسلام
واهله والدين الذي وعد الله ان يظهره على الدين كله بان
يكون مثله ملكا من ملوكه يرجع في عقله اليه في عقد وحلة وتشير
الاصابع وتنعقد الخناصر على علو محله والله يزيد مكانه
تثبيتا وقوة ويحقق على يديه مخايل النصر المرجوة فما اسعد راسا
دل على نصرة الكلمة ودعا الى سبيل الفيئة المسلمة ووفر على
مصالح الامة قلوب رعاياها المنقسمة وانا متمم من هذا الامر
ما صدر مني وباق منه على ما نقل عني لا انغير عن المصلحة
فيه ولا يخالف ما اظهره منه لما اخفيه ولا استكثر كثير الصلة
اليه واوصل به لما سبق للملك العادل من حقوق استوجب
شكرها قولا وفعلا ونصره كانت في هجير الخطوب بردا وظلا
وانعم لا تزال اياتها بالسنة الحمد تتلى وتملى ولعمري لقد بنى بها
فخرا وارتفع على الاملاك قدرا وذكرا ووجب ان يتممها فلا تصل
الى مواردها الكدرة وخطوطها فلا تتطرق الى جوانبها الغير وزاد
هذه المكاتبة من التمادي ما لا يعوقه عايق الا انتظام العقد على
الامور المالوفه وتمام التوثقه باليمين المنصوصة الموصوفة
مع ان قوله يمينه وكتابه لصفحة يمينه والثقة به واقعة
على كل حال والحجة له توجب الاحتراس على الوداد من تطرق
اسباب الاختلال وفي سنة اربع وستين
طمع مري ملك الفرنج في مصر وعول على الدخول اليها والاستيلا
عليها وذلك لما انكشف له من عوارها وظهر له من ضعف من بقي

فيها فجمع اليه ملوك الفرنج وكبرا الداويه والاسبتاريه وتشاوروا
فجرت بينهم في ذلك خطوب ثم اجابوه الى الخروج معه الى الديار
المصريه فاحضر وزيره وامرهم باقطاع بلاد مصر لحبالته وفرق
قراها على اجناده وكان لعنه الله لما دخل ديار مصر قد اقام
من اصحابه من كتب له اسما قرى مصر جميعها وتعرف له خبر ارتفاعها
ثم سار حتى نزل الداروم فتقامت قيامه شاور ولما بلغه الخبر
وانتخب اميرا من امرايه يقال له بدران وسيره الى القاموري
ليساله عن السبب في قصده فاجتمع به فساله فتلكا عليه ثم
استغلا ان جانبه وضمن له صنيحة على ان يوري عنهم ولا يكشف
لشاور حالهم ويقال ان الملك اقطعه ثلث عشرة قرية
على ان يتم على المصريين الحيله ويعلم شاور انه انما قصد ديار
مصر للخدمه ففعل ذلك بدران ولما سمع ذلك شاور
استقوه منه واحضر الامير شمس الخلافه محمد بن مختار وقال
له كان بدران قد غشني ولم ينصحني وانا فواثق بك فاريدك
تخرج وتكشف لي حال الفرنج فسار شمس الخلافه الى مري
وكان بينهما موانسه فلما دخل على الملك قال له مرحبا بشمس
الخلافه فقال له مرحبا بالملك الغدار والاثما الذي اقدمك
علينا قال اتصل بي ان الفقيه عيسى يزوج اخت الكامل بن
شاور من صلاح الدين يوسف بن ايوب ويزوج الكامل اخت
صلاح الدين فقلنا هذا عمل علينا فقال له شمس الخلافه ليس
لهذا صحه ولو فعل ذلك لم يكن فيه نقض للعهد فقال له الملك

الصحيح

الصحيح ان قوما من وراء البحر اتهموا الينا وغلبونا على ارائنا وخرجوا
طامعين في بلادكم فخفنا من ذلك فخرجنا لنتوسط الامر بينكم وبينهم
فقال شمس الخلافة فاي شي قد طلبوا فقال البغي الف دينار
فقال مكانكم حتى اصل الى شاور وابلغه مقالكم واعود بالجواب
فقال له ملك الفرنج فنحن ننزل على بلبيس الى ان تعود فقال
وحكي ان ملك الفرنج لما وصل الى الداروم كتب الى شاور يقول
له اني قد قصدت الخدمة على ما قررته لي من العطا في كل عام فاجابه
شاور ان الذي قررته لك انما جعلته متى احتجت اليك او اذا
قدم علي عدو فاما مع خلو بالي من الاعدا فلا حاجة لي اليك ولا
لك عندي مقرر فاجابه مري انه لا بد من حضوري واخذي
المقرر فعلم شاور انه قد غدر بالعهد ونقض الايمان وانه
قد طمع في البلاد فاخذ في تجنيد الاجناد وحشد العساكر
الى القاهرة وانفذ الى بلبيس قطعة من الجيش وميرة وعدة
ثم ان ملك الفرنج سار خلف رسول شاور لا يلوي على قوله
حتى خيم على بلبيس في صفر وكان معه جماعة من المصريين منهم علم
الملك بن النحاس وابن الخياط يحيى وابن قرجله وارسل الى ابن
طي بن شاور وكان ببلبيس وقال له اين ننزل قال على اسنة الرماح
وقال له اتحسب بلبيس جبنة تاكلها فارسل اليه مري نعم
هي جبنة والقاهرة زبدة ثم قاتل بلبيس ليلا ونهارا حتى افتتحها
بالسيف وقتل من اهلها خلقا عظيما وخرب الدور وحرق جملة
ادرها ثم اخرج الاسارى الى ظاهر البلد وحشروا في مكان

واحد وحمل في وسطهم بن محه فمزقهم فرقتين فاخذ الفرقة التي
كانت عن يمينه لنفسه واطلق الفرقة التي كانت على يساره
لعسكره وقال للفرقة قد اطلعتكم شكر الله على ما اولاني من
فتح بلاد مصر فاني قد ملكتها بلا شك ووقف الى ان عدى
اكثرهم النيل الى جهة ميمنة حمل واخذ العسكر نصيبهم من
الاسارى فاقتسموهم وبقي اهل بلبيس الذين اسروا اكثر
من اربعين سنة في اسر الفرنج وملك اكثرهم في ايديهم وافلت
منهم اليسير الى ان الملك الناصر رحمه الله لما ملك ديار مصر له
وقف مغل بلبيس على كثرته على فكاك الاسارى منهم وسامح
اهل بلبيس بخراجهم الى اخرايامه ولما اتصل بسناور ما جرى
على اهل بلبيس من القتل والاسر وان الفرنج شحنوها بالرجال
والعدد وجعلوها لهم ظهرا اشفق من ذلك وطلب الاذن
فما اجتمع به بكى بين يديه وقال اعلم ان البلاد قد ملكت
علينا ولم يبق الا ان يكتب الى نور الدين ويشرح له ما جرى
ويطلب نصرته ومعونته فكتب جميع ذلك وارسل شاور طي
تلك الكتب كتبا وسخم اعاليها بالمداد قال وحدثني
شمس الخلافة موسى ابن شمس الخلافة محمد بن مختار قال انما
كتب هذا الكتاب بواي ابي شمس الخلافة لانه لما رجع من
عند مرى لعنة الله بعد اخذ بلبيس اجتمع بالكامل ابن شاور
وقال له عندي امر لا يمكنني ان افضي به اليك الا بعد
ان تحلف لي انك لا تطلع اباك عليه فلما حلف له قال ان اباك

قد

قد وطن نفسه على المصابرة واخذ امره يسلم البلاد الى الفرنج
ولا يكاتب نور الدين وهذا عين الفساد فاصعد انت الى
العاضد والزمه ان يكتب الى نور الدين فليس لهذا الامر
غيره فصعد الكامل وكتب الكتاب فلما وصل الى نور الدين
انزعج انزعاجا عظيما وانفذ اسد الدين وكان ذلك من
مناه وارسل الفقيه عيسى الهكاري الى مصر برسالة ظاهرة
الى شاور يعلمه ان العساكر واصلة ورسالة سرية الى العاضد
وامره ان يستحلفه على اشياعهم وان يكتم ذلك من شاور

واما الفرنج

فساروا الى جهة مصر وامر شاور باحراق
مصر وانذر اهلها فخرج الناس منها على وجوههم ونجوا في بلاد
مصر وبلغ اجرة الجمل الى القاهرة ثلثين دينارا وترك الناس
اكثر اموالهم فنهبت واحرقت مصر في تاسع صفر واقامت
النار تعمل فيها اربعة وخمسين يوما ثم ان الفرنج لعنهم الله
نزلوا في بركة الحبش وانبثت خيولهم في الاطراف وقطعوا
من ظفروا به فانفذ شاور شمس الخلافة الى مري لعنه الله
فلما دخل عليه سأله ان يخرج معه الى باب الخيمة ففعل فاراه
شمس الخلافة جهة مصر وقال له اترى دخانا في السما قال
نعم قال هذا دخان مصر ما اتيتك الا وقد احرقت بعشرين
الف قارورة نفط وفرقت فيها عشرة الاف مشعل وما بقي فيها
ما يؤمل بقاؤه ونفعه فخل الآن عنك مدافعتي ومخاتلتي
وكوني كلما قلت لك لم انزل في مكان تعديت الى غيره وما

وما بقي الا ان ننزل بالقاهرة فقال هو ما تقوله ولا بد من نزول
القاهرة ومعي من يجي من ورا البحر قد طمعوا في اخذها ثم رحل
فنزل على القاهرة مما يلي باب البرقيه نزولا قارب به البلد حتى
صارت سهام الجرخ تقع في خيمة فما تلوا البلد اياما فلما تيقن
شاور الضعف عدل الى طريق المخادعه والمخاتله والمعاوره
والمدافعه الى ان تصل عساكر الشام وانفذ شمس الخلافة
الى مري لعنه الله برسالة طويله قبلها في غاربه ودار من
حواليه وفي ضمنها ان هذا امر عظيم وفيه خلق كثير ولا يمكن
تسليمه البته ولا اخذه الا بعد ان يقتل من الفرنج
عالم عظيم وما تعلم انت ولا انا لمن الدايره والراي ان
تحقن دما اصحابك ودما اصحابي وتحمل شيا ادفعه لك ويحصل
لك عفوا فاستقرت المصالحه على اربعماية الف دينار وقيل
الفي الف دينار تعجل له منها مايه الف دينار فاجاب مري
الى ذلك وانعقدت الهدنه وحلف مري ورحل الى بركة
الحبش وحمل شاور اليه مايه الف دينار في عدة دفعات
سوف فيها الاوقات ثم اخذ يمطله بالباقي انتظارا لقدوم
العساكر ويوهم انه يجمع لهم الاموال فلم تشعر الفرنج
الا بهجوم عساكر الشام عليهم نهارا وهم رحلوا الى بلبيس
ونزل اسد الدين بالقرب ثم رحل ملك الفرنج ونزل على
فاقوس واتبعه اسد الدين ونزل بلبيس وكان لما اتصل
بشاور وصول اسد الدين الى صدر انفذ شمس الخلافة

الى

231.

الى ملك الفرنج يستطلق له بعض المال فصار اليه واجتمع به
وقال قد ثقل علينا المال فقال له ملك الفرنج اطلب منه ما شئت
قال اشتهي ان تهب لي النصف قال قد فعلت فقال شمس الخلافه
ما بلغني ان ملكا في مثل حالك وقد رايك علينا وهب مثل هذه
الهبه لقوم هم في مثل حالنا فقال ملك الفرنج انا اعلم انك
رجل عاقل وان شاور املك وانكما ما سالتماني ان اهبكما
هذا المال الا لامر قد حدث فقال له صدقت هذا اسد
الدين قد وصل الى مصر وقصده لنا وما بقي لك مقام وشاور
يقول لك اري ان ترحل ونحن باقون على الهدنه فانها اوفق
لك ولنا واذا حصل هذا الرجل عندنا ارضيناه من هذا المال
بشي وحملنا الباقي اليك متى قدرنا وان نحن اخرجنا في رضاهم
اكثر من هذا المال عددنا عليك مما يبقي علينا من المقدار فقال
ملك الفرنج انا راض بذلك وان بقي على شي حملته اليكم وعول
على الرحيل فقال له بعد ان تطلق ابن طي بن شاور وجميع
من في عسكرك من الاساري ولا تاخذ من بلبيس بعد
انصرافك شيا فاجابه الى جميع ذلك ولما رحلت الفرنج
عن القاهره نزل اسد الدين بارض يقال لها اللوق واخرج
اليه شاور الاقامات الحسنه والخدم الكثيره ولما اجتمعا
قال شاور لاسد الدين قد رايت من الراي ان اخرج
انا وانت ونلحق الفرنج فنوقع بهم فقال اسد الدين
هذا كان رايي والفرنج على البر الغربي وليس لهم وزرا

فاما الآن فلا لانهم علي البر المنصل ببلادهم ولكن فقد خرجنا
من البر في اسوا حال من الضعف والتعب وقد كفانا الله شرهم
ولكن الى الراحه والاستجمام احوج ولما نزل اسد الدين
باللوق ارسل اليه العاضد هديه عظيمه وخلعا كثيره
واخرج الى خدمته اكابر اصحابه ثم انه خرج اليه في الليل
سرا متنكرا واجتمع به في خيمته اكابر اصحابه وافضى اليه
باشيا كثيره منها قتل شاور ثم عاد الى قصره وكان شاور
قد راي ليله نزل اسد الدين علي القاهره كانه دخل دار
الوزاره فوجد علي سرير ملكه رجلا وبين يديه دواة
الوزاره وهو يوقع منها باقلامه فسال عنه فقيل هذا
محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم ولما حصل اسد الدين
بالديار المصريه وانفصل عنها الفرنج امنت البلاد وتراجع
الناس الى بيوتهم واخذوا في اصلاح ما شعثه الفرنج وافسدوه
وتقاطر الناس الى خدمة اسد الدين فتلقاهم بالرحب
والسعه واحسن اليهم ولما شاور فانه اخذ في التودد
الى اسد الدين والتقرب من قلبه بجميع ما وجد السبيل اليه
واقام له ولعسكره الميره الكثيره والنفقات الغزيره
حتى استحوذ علي قلبه ونوي تبقيته في ملكه وصفا له قلبه
حتى انفذ الله شراحرس نفسك من عساكر الشام واما
عساكر الشام فانهم لما راوا طيب بلاد مصر وكثرة خيرها
وسعة اموالها تاقت انفسهم الى الاقامه بها واختاروا

سكناها

232.

سكنا ها ورغبوا فيها رغبة عظيمة فقوي طمع اسد الدين في الاستيلا عليها والاستبداد بملكها ثم انه علم انه لا يتم له ذلك وشاور باق فيها فاخذ باعمال الحيلة عليه وكان العاضد قد تقدم اليه بقتله فجمع اصحابه وشاورهم في امر شاور وقال لهم قد علمتم رغبتي في هذه البلاد ومحبتي لها وحرصي عليها لاسيما وقد تحققت ان عند الفرنج منها ما عندي وعلمت انهم قد كشفوا عورتها وعلموا مسالك دخولها وتيقنت انى متى خرجت منها عادوا اليها واحتووا عليها وهي معظم دار الاسلام وحلوا به بيت مالهم وقد قوي عندي ان اثبت عليها قبل وثوبهم واملكها قبل ملكهم والخلص من شاور الذي يلعب بنا وبهم ويعدنا ويعدهم ويضرب بيننا وبينهم وقد ضيع اموال هذه البلاد في غير وجهها وقوي بها الفرنج علينا وما كل وقت ندرك الفرنج لسبقهم الى هذه البلاد التي قد قلت رجالها وهلكت ابطالها فتفقت الآرا بين الامرا انه لا يتم لهم امر الا بعد القبض على شاور وتفرقوا على ايقاع القبض به وكان شاور يركب في الابهه العظيمة والجلالة الجسيمة والعدة الحسنة والالة الجميلة على عادتهم الاول وكان من جملة قواعدهم ان الوزير اذا ركب حمل في موكبه الطبل والبوق وكان شاور قليل الركوب فجعل الامرا يترصدونه وراي اسد الدين قبل قبض شاور بليلة كان شاورا دخل اليه الى داره وناوله سبعة

وعمامته فتناوله اسد الدين بالقبض عليه واخذ منصبه
ثم ان شاورًا ركب يومًا في ابهته وجلالته فلما عاينه الامرا
هابوه واحجموا عنه وكان يومًا عظيم الضباب وكان خروج
شاور من باب القنطرة للسلام على اسد الدين فتقدم
صلاح الدين فسلم عليه ودخل في موكبه ثم سايره ثم مد
يده الى تلابيبه وصاح عليه فرجله ولما راى ذلك عسكر
الشام فويت عزمايهم ووقعوا في عسكر شاور فنهبوا
ما كان مع رجاله وقتلوا منهم جماعة وحمل الملك الناصر
شاورًا راجلا الى خيمة لطيفة واراد قتله فلم يمكنه قتله
دون مشاورة لنسه اسد الدين وفي الحال ورد على اسد
الدين توقيع من العاضد على يد خادم يامره فيه بقتل
شاور فانفذ التوقيع الى صلاح الدين فقتله في الحال
وانفذ راسه الى القصر وبلغ الكامل بن شاور قتل ابيه
فهرب الى القصر وخلع العاضد على اسد الدين وقلده
الوزارة وانفذ اليه طبق فضة فيه راس الكامل بن شاور
وروس اولاد اخوته ولما خرج منشور الوزارة الى
اسد الدين امر بقراته على روس الاشهاد وفرح به غاية
الفرح واعيدت قراته عليه دفعات استحسانا لما فيه
واستطرافا لما اودع من بديع الكلام فيه قال
ولما اتصل بنور الدين فتح الديار المصرية فرح بذلك فرحًا
شديدًا واوسع الحمد والثنا على الله تعالى اذ كان في

233.

ذمنه وعلى بلده وامر بضرب البشاير في جميع ولايته وتزيين
جميع بلاده وجلس للهناء بذلك واستدعى الشعراء في فتحها
عدة اشعار وغير انه لما اتصل به ان اسد الدين وزر للعاضد
واستبد بالامر في ذلك تصفح امضه ذلك واقلقه
وظهرت في مخايل قسماته وفلتات كلماته الكراهة واخذ
في الفكرة في امره وسهر له ليالي وافضى بسره الى مجد الدين
بن الداية حدثني جماعة عن شمس الدين علي ابن
الداية اخي مجد الدين ابن الداية وحدثني الموفق
محمود بن النحاس الفقيه الحنفي الحلبي يوما وقد جرى ذكر
فتح مصر وان نور الدين ابتهج به فقال والله ما ابتهج
به ولقد كان يود ان لا يفتح ولا يصير اسد الدين
وصلاح الدين الى ما صارا اليه ولقد ظهرت الكراهة
منه لذلك في الفاظه ووجهه ولقد اعمل الحيلة في افساد
امر اسد الدين وصلاح الدين فما تهيا له لا سيما يوم
بلغه حصول السلطنة لصلاح الدين على خزاين مصر
فانه اقام ثلثة ايام لا يقدر احد ان يراه واهتم لذلك
حتى قضى عليه الهم ولو لم يكن الفتح اليه منسوبا وعليه
فضله محسوبا لما صبر لما جرى ولا اغضى للملك الناصر
على القذى ولقد كاتب العاضد عدة دفعات في امر الاسد
والصلاح فلم يحصل له منهما نجاح وكثيرا ما يوجد في رسايل
نور الدين الى العاضد التعريض بانتقاد اسد الدين ولو امكنه

المجامله بالقول لقال فمن بعض مكاتباته وقد افتقر العبد
الى بغتته واعوز عسكره من تعبيته واشتد حرب الضلال
على المسلمين لغيبته لانه ما زال يرمي شياطين الضلال بشهابه
الثاقب ويقضي معيل الشرك بسهمه النافد الصايب قلت
لعل نور الدين رحمه الله انما اقلقه من ذلك كون اسد الدين
وزر للعاضد فخاف من ميله الى القوم والى مذهبهم وان
يفسد جنده عليه بذلك السبب هذا ان صح ما نقله
ابن ابي طي والله اعلم قال وكان اسد الدين لما ولي
الوزارة لم يغير على احد شيا واجرى اصحاب مصر على قواعدهم
وامورهم الى ان انقضت ايامه وفنيت اعوامه وكان قد ما
يحب اكل اللحم ويواظب عليه ليلا ونهارا فتواترت عليه التخم
والصلت به مرضاته الى ان ظهرت بحلقه جوانيق كان فيها
تلافه ويقال انه اكل في ذلك اليوم مضيرة ودخل
الحمام فلما خرج منها اصابه الخناق قال وكان شجاعا
بارعا قويا جلدا في ذات الله شديدا على الكفار وطاته
عظيمة وصولته عنيفا وينا كثير الخير وكان يحب اهل
العلم والدين كثيرا له يثار رحديا على اهله واقاربه وكان
فيه امساك وخلف مالا كثيرا وخلف من الخيل والدواب
والجمال شيا كثيرا وخلف جماعة من الغلمان خمسمايه مملوك
وهم الاسدية وهو كان مشيد قواعد الدولة الشادية
والمملكة الناصرية وكان ابتدا امره يخدم مع صاحب

نكوبت

234.

تكريت علي اقطاع مبلغه تسعماية دينار وتنقل الي ان
ملك الديار المصرية وعقد له العزا بالقاهرة ثلثة
ايام **قلت** واليه تنسب المدرسة الاسدية
بالشرق القبلي ظاهر دمشق وهي المطله علي الميدان الاخضر
وهي علي الطايفتين الشافعية والحنفية والخانقاه الاسدية
داخل باب الجابية بدرب الهاشميين **وقال** ابن
ابي طي وساعة وفاته وقع الاختلاف فيمن تولي الوزارة
بين العسكر الشامي ومالت الاسدية الي صلاح الدين وفي
تلك الساعة انفذ العاضد وسال عمن يصلح للوزارة
فاشار من جماعة من الامرا الي شهاب الدين محمود الحارمي
خال صلاح الدين فانفذ اليه واحضره وخاطبه في تولي
الوزارة فامتنع من ذلك واشار بولاية الملك الناصر
وكان الحارمي اولا قد رغب في الوزارة وتحدث فيها وحصل
ما يحتاجه فلما راي مزاحمة عين الدولة ابن ياروق وعزم
عليها خاف ان يشتغل بطلبها فتفوته وربما فاتت صلاح
الدين فاشار به لانها ان كانت في ابن اخته كانت في بيته
وكان صلاح الدين قد وقع من العاضد موقع واعجبه
عقله وسداد رايه وشجاعته واقدامه علي شاور في موكبه
وانه قتله حين جاه امره ولم يتربث ولا توقف فسارع
الي تقليده الوزارة وما خرج شهاب الدين الحارمي من
حضرة العاضد الا وخلع الوزارة قد سيقت الي الملك

خلعة الوزاره

الناصر وكانت خلعة الوزارة عمامة بيضا تنيسي بطرز ذهب وثوب دبيقي بطرازي ذهب وجبة تحتها سقلاطون بطرازي ذهب وطيلسان دبيقي بطراز دقيق ذهب وعقد جوهر قيمته عشرة الف دينار وسيف محلى بجوهر قيمته خمسة الف دينار وفرس حجرة صفرا من مراكب العاضد قيمتها ثمانية الف دينار لم يكن بالديار المصرية اسبق منها وطوق وسخت وسرفسار ذهب مجوهر وبرق رقبة الحجرة مشدة بيضا في راسها مائتا حبة جوهر وفي اربعة قوايم الفرس اربعة عقود جوهر وقصبة ذهب في راسها طلعة مجوهره وفي راسها مشدة بيضا باعلام ذهب ومع الخلعة عدة بقج وعدة من الخيل واشيا اخر ومنشور الوزارة ملفوف في ثوب اطلس ابيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الاخرة سنة اربع وستين وخمسماية وقرى المنشور بين يدي الملك الناصر يوم جلوسه في دار الوزارة وحضر جميع ارباب الدولتين المصرية والشامية وكان يوما عظيما وخلع السلطان على جماعة الامرا والكبرا ووجوه البلد وارباب الدولة العاضدية وعم الناس جميعهم بالهبات والصلات ولما استقر قدمه في الوزارة والرياسة قام في الرعية بشريعة السياسة وتنظم بحسن تدبيره من الدولة بددها وجرى في مناهج العدل على حدها وجعل الى جود فضله

وحادي الى رفده وبذله وكاتب الاطراف بما صار اليه من
السلطان وبشر قلوب الاصدقا والاحباب بما حصل عليه
من شريف الرتبة والمكان واستدعى الى حوزته الاصحاب
والامل وروي بسيح كرمه من بعد منه وقرب من اهل
الفضل وتاب من الخمر وعدل عن اللهو وتيقظ للتدبير
وسها عن السهو وتقمص بلباس الدين وحفظ ناموس الشرع
المبين وشمر عن ساق الجد والاجتهاد وافاض على الناس
من كرمه وجوده شابيب فضله الفايض عن العهاد ووردت
عليه القصاد والزوار ورام بنفايس الخطب وجواهر
الاشعار حدثني بعض الامرا قال اقبل العاضد
على السلطان الملك الناصر واحبه محبة عظيمة وبلغ
من محبته له انه كان يدخل اليه الى القصر راكبا فاذا حصل
عنده اقام في قصره معه اليوم والعشرة لا يعلم اين مقره
قال ولما استولى الملك الناصر على الوزارة ومال
اليه العاضد وحكمه في ماله وبلاده حسده من كان معه
بالديار المصرية من الامرا الشامية كابن ياروق وجرديك
وجماعة من غلمان نور الدين ثم انهم فارقوه وصاروا الى الشام
ابي رحمه الله قال حدثني جماعة من اصحاب
نور الدين ان نور الدين لما اتصل به وفاة اسد الدين
ووزارة صلاح الدين وما قد انعقد له من المحبة في
قلوب الرعايا اعظم ذلك واكبره وتانف منه وانكره

وقال كيف اقدم صلاح الدين ان يفعل شيا بغير امري وكتب في ذلك عدة كتب فلم يلتفت الملك الناصر الى قوله الا انه لم يخرج عن طاعته وامره وانه ما فارق قبول الاية والشارة

وامر نور الدين من بالشام من اهل صلاح الدين واصحابه بالخروج اليه وطلب منه حساب مصر وما صار اليه وكان كثيرا ما يقول ملك ابن ايوب قلت هذا كله مما يقتضيه الطباع البشرية والجبلة الادمية وقد اجرى الله سبحانه العادة بذلك الا من عصم الله ومن انصف عذر ومن عرف صبر والذي انكره نور الدين افراط صلاح الدين في تفرقة الاموال واستبداده بذلك من غير مشاورته مع ان ابن طي منهم فيما ينسبه الى نور الدين مما لا يليق به فان نور الدين كان قد اذل الشيعة بحلب وابطل شعارهم وقوى اهل السنة وكان والد ابن طي من روس الشيعة فنفاه من حلب وقد ذكر ذلك كله ابن ابي طي في كتابه مفرقا في مواضع وهذا هو في هذا الكتاب الذي له كثير الحمل على نور الدين رحمه الله فلا يقبل منه ما ينسبه اليه مما لا يليق به والله اعلم قال ولما ملك الملك الناصر مصر انتزع نور الدين حمص والرحبة من ناصر الدين بن اسد الدين وفرق عماله واعطاه تل باشر ثم اخذها منه ولهذا كان يتالم الملك الناصر ويقال انه لما مرض قال ما اخطات الا في انفاذي اسد الدين الى مصر بعد علمي بعزيمته فيها وما يحزنني شي كعلمي بما يناله اهلي من يوسف بن ايوب ثم التفت

236.

الى اصحابه فقال له انا ميت فصيري وابا بني اسمعيل الى حلب
فانه لا يبقى عليه غيرها قال ابن ابي طي ولقد كان بلغ
السلطان الملك الناصر من اقوال نور الدين واقوال اصحابه
اسبابا تولمه وتمضه غير انه يلقاها بصدر رحب وخلق عذب
حدثني ابي عن ابن قاضي العسكر وكان من خواص الملك
الناصر قال جرى يوما بين يدي السلطان ذكر نور الدين
فاكثر الترحم عليه ثم قال والله لقد صبرت منه على مثل حز المدى
ووخز الابر وما قدر واحد من اصحابه ان يجد على ما يعتقد
ذنبا ولقد اجتهد هو بنفسه ايضا ان يجد له مغمزا يعتقده
على فلم يقدر ولقد كان يعتمد في مخاطباتي ومراسلاتي الاشيا
التي لا يصبر على مثلها لعل التعلق او التغير فيكون ذلك وسيلة
له الى منابذتي فما بلغته اربه يوما قط قلت وقد
وقفت على كتاب بخط نور الدين رحمه الله يشكر فيه من صلاح الدين
رحمه الله وذلك ضد ما قاله ابن ابي طي كتب نور الدين ذلك الكتاب
الى الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون رحمه الله وهو بحلب لتوليه قضاء
مصر صلوانه حسبنا الله وكفى وفق الله الشيخ الامام شرف الدين
الى طاعته وختم له بخير غير خاف عن الشيخ ما انا عليه ومنه
وكل مقصودي وغرضي في مصالح المسلمين وما يقربني الى الله والله
ولي التوفيق ومطلع على نيتي وانت تعلم نيتي كما قال عز
من قائل ومن عنده علم الكتاب انت تعلم ان مصر اليوم قد
لزمنا النظر فيها فهي من الفتوحات الكبار والله تعلم ان مصر اليوم

فعالى جعلها دار اسلام بعدما كانت دار كفر ونفاق فلله المنه والحمد والان المقدم على كل شى امور الدين التى هى الاصل وبها النجاة وانت تعلم ان مصر واقليمها ما هى قليله وهى خاليه من امور الشرع ولا تدخر الدموع الا للشدايد وانا ما انت اسخى ولا اشتهى مفارقتك والان فقد تعين علىّ وعليك ايضا ان ننظر الى مصالحها وما لنا احد اليوم لها الا انت ولا اقدر اولى امورها واقلدها الا لك حتى تبرا ذمتى عند الله فيجب عليك وفقك الله ان تشمر عن ساق الاجتهاد وتتولى قضاها وتعمل ما نعلم انه يقربك الى الله وقد برئت ذمتى وانت تجاوب الله فاذا كنت انت هناك وولدك ابو المعالى وفقه الله فيطيب قلبى وتبرا ذمتى وقد كتبت بهذا الخط حتى لا تبقى على حجة تصل انت وولدك الى عندى حتى اسيركم الى مصر والسلام فوافقه صاحبى والتفاق منه صلاح الدين وفقه الله فانا منه شاكر كثير كثير كثير جزاه الله خيرا وابقاه ففى بقا الصالحين والاخيار صلاح عظيم ومنفعة للاسلام الله تعالى يكثر من الاخيار دعوا ان خير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد واله وسلم تسليما

قال ابن ابى طى وابطل صلاح الدين من المكوس والمظالم ما يستخرج بديوان صناعة مصر مايه الف دينار وما يستخرج باعمال القبليه والبحريه مايه الف دينار فسامح بجميع ذلك وامر بكتبه به سجل به من ديوان الانشا وانفذ الى ساير اعمال مصر فقرا على المنبر وعرض عليه سياقه جرايد الدواوين فى جهات

رفع المكوس

المستخدمين

237.

المستخدمين والمعاملين لمدة سنين متقدمة اخرها سنة اربع وستين وخمسماية فكان مبلغه ينيف على الف الف دينار والفي الف اردب غلة فسامح بجميع ذلك وابطله من الدواوين واسقطه عن المعاملين وللذي اليه ما يستادى من الحجاج بالحجاز المحروس من المكوس فانكره والغاه وعوض عنه بغلات ضياع فاغاث اهل الحجاز بما اوسعهم من العين والغلة الى اشيا يطول شرحها وسياتي كل ذلك في موضعه ولشيخه مفسرو واسقاط المكوس في اخبار سنة سبع وستين وذلك باشارة نور الدين رحمه الله وفي ايامه

فصل

ذكر العماد في ديوانه قصيدة مدح بها نور الدين يهنيه بملك مصر ولم يذكرها في كتاب البرق

منها

بملك مصر اهني مالك الامم • فاسعد وابشر بنصر الله عن امم

اضحى بعدلك شمل الملك ملتيما • وما بعدلك شمل غير ملتيم

يا فاعل الخير عن طبع بلا كلف • ومولي العرف عن خلق بلا سام

ووامقا ثلم ثغر الكفر بحجته • لا اثم ثغر ثنيت واضح شيم

لله درك نور الدين من ملك • بالحزم مفتتح بالنصر مختتم

اثار عزمك في الاسلام واضحة • وسر لك باد غير مكتتم

بما من العدل والاحسان تنشره • تخاف ربك خوف المذنب الاثم

اوردت مصر خيول النصر عادية • تنزو الاعنة اقداما على اللجم

فاقبلت في سحاب من ذوابلها • وقضبها بدما الهام منسجم

تمكن الرعب في قلب العدو بها • تمكن النار بالاحراق في الفحم

سرت ليقطع ما للكفر من سببه وآه ويوصل ما للدين من رحم

مستسهلات وعور الطرق في طلب العليا مقتحمات اصعب القحم

وجاعلات مزال الافرنج عندهم والغيد في موضع الاطواق والحذم

لقد شفيت غليل الاسلام واشتفت من العدو بحد الصارم الخذم

اعانها الله في اطفا جمرا ذكته من شرشاور في الاسلام مضطرم

واصبحت بك مصر بعد خيبتها للامن والعز والاقبال كالحرم

والسنة انتعشت والبدعة انمحقت وعاودت دولة الاحسان والكرم

ملوكها لك صاروا العبيد او غدا بها عبيدك املاكا ذوي حرم

ابنت عنك بها قوما ينوب بهاء في الباس عن عنتر في الجود عن هرم

لله درك نور الدين من ملك عدل لحفظ امور الدين ملتزم

كانت ولاية مصر قبل عزتها يلتسق دولتها لحما على وضم

فالشمل منتظم جار على خجل جار البحر نوال منك ملتطم

اعز الفرنج فهذا وقت غزوهم واحطم جموعهم بالذابل الحطم

وطهر القدس من رجس الصليب وسم على البغاة ونوب الاجدل القطم

فملك مصر وملك الشام قد نظما في عقد عز من الاسلام منتظم

محمود الملك العادل يسوسهما بالفضل والعدل والافضال والنعم

بالشكر كل لسان ناطق ابدا محمود الملك محمود بكل فم

واشك مصر واظهر عن سفاهتها لم تختفي والى كم تشتكي وكم

وللعلم الشاشاني في نور الدين

ما نال ما نلته في المعالي سنجر كلا ولا كسرى ولا الاسكندر

باحير

يا خير من ركب الجياد وخاض في لجج المنايا والاسنة تقطر
هل جاز غيرك ملك مصر وصار من اتباعه من جده المستنصر
والمستضي بالله معتمد به ونجده ونجده مستظهر
او سد بالشام الثغور محاميا للدين حتى عاد عنها قيصر
تبكي فرنج الارض فيض دموعه والجو من انفاسه يتسعر
او ما ابوك بسيفه فتح الرها والاسد تعلقص الكماة وتزار
هابت ملوك الارض باس كمانها فتقاعدوا عن قصدهم وتاخروا
ماضر طي المنية ذاته وصفاته بين البرية تنشر
فلكم على كل الملوك مزية بوقايع مشهورة لا تنكر
فاذا غدونا للانام مناقبا فعليك قبل الكل تثنى الخنصر
في الراي قيس في السماحة حاتم في النطق قس في البسالة حيدر
دانت لك الدنيا وانت فقافها وسواك في اماله يتعثر
من ذا يصون النصر عنك وانت من اسمه النشري منه تخاف وتحذر

وقال العماد وانفذ صلاح الدين من مصر خلعا
لجماعة من الاعيان وانفذ العماد عمامة ملبوسة فكتب اليه
قصايد في هذا المعنى منها

يا صلاح الدين الذي اصلح الفاسد من خطوب الزمان
انت اخرجت نيل مصر الى الشام بنوال امسى لنيل ثاني
واعلى نيلها بكفيك فضلك فهما بالنضار جاريان
وصلت اعطيات الى عذرا فتلقت مالنا بالتهاني
خلع راقت العيون رواء وعلا وصفها عن الامكان

مذهبات كانها خلع الوشوان قد امدت لاهل الجنان
مشرقات بطرزها الذهبيات الحسان الرفيعة الاثمان
والعمامات كالغمامات والطرزة بروق كبيرة اللمعان
والموالي بهامن التيه والنخوة على الدهر ساحبوا الاردان
كيف خص العماد بالادون • المخلق من دون عصبة الديوان
اخليق من نسجه لك في المدح جديد باهر الخلعان
وكذا عادة الليالي تخص • الفاضل المستحق بالحرمان
لم تزل سادياة جود ك ياشام • لديه عزيزة الاتيان
فاذا لم تزره مصر كما لا • في الميع فاحمه من النقصان

وكتب الى فخر الدوله اخي صلاح الدين

قصيدة منها

عبدك شمس الدولة المرتجي • منتظر تشريفك المذهبا
واعتب صلاح الدين في حالة • عساه بالاصلاح ان يعتبا
عرفه ما تم فاني مت • فضله للفضل ان يغضبا
وكيف يرضى ذاك بعض الرضى • ومجده يا باه كل الابا
وقل له جاءته ملبوسة • تخلعت من بيع في سبسبا
عمامة رقت ورثت فما • نشرتها الا وطارت هبا

قال فوصل من صلاح الدين عمامة مذهبة وكتب
يعتذر عن العمامة التي قبلها وكتب الى سعد الدين كمشتكين
استعير لسانه في الاعتذار الى العماد فاني اشتغل لمرامة
ادم ذات العماد فكتب العماد

اما

239.

اما العماد فقد تضاعف شكره • بجماله شكر الروض نعمى الصيب •

لعمامة ذهبية كغمامة • يبدو ابها برق الطراز المغرب
ماكان احسن حاله لو انه • شفعت عمامته بثوب مذهب

قال وكتب اليه

• اهنى الملك الناصر • بالملك وبالنصر •
• وما مهد من بنيان • دين الحق في مصر •
• وما اسداه من بر • بلا عد ولا حصر •
• وما احياه من عدل • وما خفف من اصر •
• واعلا سنا السنة • في حبوحة القصر •
• قد استولى على مصر • كحق يوسف العصر •
• واحيا سنة الاحسان • في البدو وفي الحضر •

وكتب عليه الامير اسامة بن منقذ من قصيدة اولها

ديار الهوى حيا معالمك القطر • وجادك جود الناصر الغدق الهمر •

به رجعت في عنفوان شبابها • ونضرتها من بعد ما هرمت مصر •
وكم خاطب رامه لم يكن كفوها • الى ان اتاها خاطب سيفه المهر •
حماها حمى الليث العرين وصانها • كما صان عينا من ملم القذى شفره •

وكان بها خراجاج فاصبحت ومن جود العذب النمير كها
بحره

ولهمن اخرى

فما انت الا الشمس لولاك لم تزل علي مصر ظلما الضلالة سرمدا
وكان بها طغيان فرعون لم يزل كما كان لما ان طغا وعتدا
فبصرتهم بعد الغوايه والعماه وارشدتهم بعد الضلال الى الهدى

وله فيه من اخرى

قل للملوك تنزحزحوا عن ذروة العليا للملك الهمام الناصر
يعطي الالوف ويلقيها باسما ملقي الحيا في العنا المتناصر

وقرات في ديوان العرقله

وقال في المولى الملك الناصر وقد انفذ

له من ديار مصر ذهبا ولغيره سلاما

صلاح الدين قد اصلحت دنيا شقي لم يبت الا حريصا
اتى منك السلام لنا عموما وجود كه جاني وحدي خصوصا
فكنت كيوسف الصديق لما تلقى منه يعقوب القميصا

وكان العرقله من جملة المترددين الي صلاح الدين
ايام كونه بدمشق فلما سار الي مصر وعده انه متى ملكها
اعطاه الف دينار فلما تم امره بمصر كتب اليه
العرقله قصيدة منها

ابيك صلاح الدين مولاي اشتكي زمانا علي الحر الكريم يجور
ترى ابصر الالف التي كنت واعدي بها في يدي قبل المماة نصير

ومنها

ومهما تـ والافرنج بيني وبينكم • سياجٌ قتيلٌ دونه واسير •
ومن عجب الايام انك ذو غنى • بمصر ومثلي في الشام فقير •

وقال ايضا

قل للصلاح معيني عند اعساري • يا الف مولاي اين الالف دينار
اخشى من الاسر ان حاولت ارضكم • وما بقي جنة الفردوس بالنار
فجد لها عاضديات مسطرة • من بعض ما خلف الطاغي ابو الطاري •
حمرًا كاسيا فكم عبرا تحيلكم • عنها تعالا كاعدائي واطماري

يعني بالطاغي شاورا وله ابن اسمه الطاري وانفذ له
من مصر عشرين دينارا فقال

يا ملكا ما برحت كفه • تجود بالمال على كل غني •
أفلح بالعشرين من لم يزل • في راس عشرين من اللهف •
يا الف مولاي ولكنها • محسوبة من جملة الالف •

وذكر العماد في الخريدة ان العرقلة قصد صلاح
الدين الى مصر فاعطاه ذلك واخذ له من اخوته مثله فعاد
الى دمشق وهو مسرور ومجبور وكان ذلك ختام حياته
ودنا اجله ووفاته ومات بدمشق في سنة ست او سبع
وستين وخمسماية قلت وفي ديوانه ما يدل على قدومه
مصر فان فيه وقال وكتبها على حمام عمرها المولى الملك الناصر
بديار مصر

يا داخل الحمام هنيتها • دايرة كالفلك الدائر •

نامل الجنة قد زخرفت • وعجلت للملك الناصر •
كانما فيضرانا بينهما • نداه للوارد والصادر •

فصل في قتل الموتمن بالخرقانيه ووقعة السودان

بين القصرين قال العماد وشرع صلاح الدين في نقض اقطاع
المصريين فقطع منهم الدابر من اجل من معه من العساكر وكان
بالقصر خصي يدعا موتمن الخلافة متحكم في القصر فاجمع
هو ومن معه ان يكاتبوا الفرنج ويقبضوا على الاسديه
والصلاحيه لان صلاح الدين يخرج الى الفرنج بمن معه فيوخذ
من بقي من اصحابه بالقاهرة بالقاهرة ويتبع من ورايه
فيكون عليهم الدابر فكاتبوا الفرنج واتفق ان رجلاً
من التركمان عبر بالبير البيضا فراى مع انسان ذي خلقان
نعلين جديدين ليس بهما اثر مشي فانكرهما فاخذهما وجابهما
الى صلاح الدين ففتقهما فوجد مكاتبه الفرنج فيهما من اهل
القصر يرجون بحركتهم حصول النصر فاخذ الكتاب وقال
دلوني على كاتب هذا الخط فدلوه على يهودي من البيعط
فلما احضروه ليسالوه ويقابلوه على خطه وبدا باللوم منطوق
بالشهادة قبل كلامه ودخل في عصمة اسلامه ثم اعترف
بما جناه وتبرا من الامر وبناه وان الامر به موتمن
الخلافة وانه بري من هذه الافة فحسن السلطان
اسلامه وثبت اعتصامه وعرف استسلامه وراى
اخفا هذا السر واكتتامه واستشعر الخصي العصي

وخشي

وخشي ان تنشق عليه العصا القصبي فما صار يخرج من القصر
محافة واذا خاف لم يبعد مسافة وصلاح الدين عليه مغضب
وعنه معرض لا يامر فيه ببسط ولا قبض الى ان استرسل واستبسل
وظن ان ما نسله من الشر العظيم يصل وكان له قصر في قرية يقال
لها الخرقانية بخرقة ورفع ما يتسع عليه مرجوقة وهي تقرب قليوب
فخلا فيه يوما للذته ولم يبد انه يوم ذلته والقضا ساعاته
بانقضا دولته فانهض اليه صلاح الدين من اخذ راسه وشرع
من جابه لباسه وذلك يوم الاربعا الخامس والعشرين من
ذي القعدة سنة اربع فورد موارده من راه عل اد ون
مشرع **فال** ولما قتل غار السودان وتنادوا وكانوا
اكثر من خمسين الفا وكانوا اذا قاموا على وزير قتلوه واجتاحوه
واذلوه واستباحوه واستحلوه فحسبوا ان كل بيضا شحمة
وان كل سود فحمة فثار اصحاب صلاح الدين الى الهيجا ومقدمهم
الامير ابو الهيجا واتصلت الحرب بين القصرين واحاطت بهم
العسكرية من الجانبين ودام الشر يومين حتى احس الاساحم
بالحين وكما لجوا الى محلة واحرقوها عليهم وحووا اماهوا بهم
واخرجوا الى الجيزة واذلوا بالنفي عن منازلهم العزيزة
وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة فما غلم
السودان بعدها من الشدة ولم يجدوا الى الخلاص سبيلا
واينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وكانت لهم على باب
زويلة محلة تسمى المنصورة وكانت بهم المعمورة المعمورة

فاتى بنيانها من القواعد فاصبحت خاوية ثم حرثها بعض الامرا
واتخذها بستانا فهي الآن جنة لها ساقية **قال**
وكان قد وصل الى صلاح الدين قبل هذه النوبة اخوه الاكبر
فخر الدين شمس الدولة توران شاه بن ايوب انفذه اليه نور الدين
من دمشق يشد ازره بمصر لما سمع بحركة الفرنج واهل
القصر فوصل القاهرة في ثالث ذي القعدة **قال** ابن
ابي طي وباشر بنفسه وقعة السودان هذه وكان له فيها
اثر عظيم ومن عجيب ما اتفق ان العاضد كان يتطلع من
المنظرة ويعاين الحرب بين الفريقين فقيل انه امر من بالقصر
ان يقذفوا العساكر الشامية بالنشاب والحجارة ففعلوا وقيل
ان ذلك كان عن غير اختياره فامر شمس الدولة الزراقين
واحرق منظرة العاضد فهم احد الزراقين بذلك واذا باب
المنظرة قد فتح وخرج منه زعيم الخلافة وقال امير المومنين
يسلم عليكم ويقول دونكم والعبيد الكلاب اخرجوهم من بلادكم
وكانت العبيد مشتدة الانفس بان العاضد راض من افعالهم
فلما سمعوا ذلك فت في اعضادهم فجبنوا وتخاذلوا وادبروا
ومما كتبه العماد على لسان غيره الى صلاح الدين قصيدة
منها

يا الملك الناصر استأثرت ● في عصرنا اوجه الفضايل ●
على من حقه فروض شكرك لما جاد من نوافله ●
يوسف مصر الذي اليه ● تشد آمالنا الرواحل ●

اجويت

اجريت نيلين في اثرها • نيل نجيع ونيل نابل •
وما لغيت السودان حتى • حلمت البيض في المغابل •
صبرت رحب الفنا ضيقا • عليهم كفة لحابل •
وكل امرء منهم اسيرا • وارض مصر كلام واصل •
وقد خلت منهم المعاني • واقفرت منهم المنازل •
وما اصيبوا الا بطل • فكيف لو امطر وابل •
والسود بالبيض قد بجوا • فهي نوازلهم نوازل •
مو تمن القوم خان حتى • غالته من شره غوايل •
عاملهم بالخنا فاضحى • وراسه فوق راس عامل •
يا خجل البحر بالايادي • قد آن ان يفتح السواحل •
فقدس القدس من خبائث الارجاس كفر عنه ازايل •
قال — ومما مدحت به صلاح الدين في ذلك التاريخ
تهنية بالملك وتعزية بعمه •
ابا يوسف الاحسان والحسن خير من حوى الفضل والافضال •
والنهى والامرا •
ومن للهدى وجه النجاح براية • تجلى وثغر الثغر من عزمه افترا •
حمي حوزة الدين الحنيف بحوزة • من الكالي الحسني ومن خلعه •
الشكرا •
ابوه اباً الا العلا وعمه • عمر وقد عم الورى البدو والحضرا
وطال الملوك شيركوه بطوله • وما شاركوه في العلا يحوي الفخرا
بنو الاصفر الافرنج لاقوا ببيضه • وسمرعوا اليه منايا بهم حمرا •

وما ابيض يوم النصر واخضر روضه • من الخصب حتى اسود بالنقع واغبرا •

راى النصر فى تقوى الاله وكل من • تقوى بتقوى الله لا يعدم النصرا
ولما راى الدنيا بعين ملالة • اعد من الاولى المسير الى الاخرى
وقام صلاح الدين بالملك كافلا • وكيف نرى شمس الضحى تخلف البدرا
ولما صبت مصر الى عصر يوسف • اعاد اليها الله يوسف والعصرا •
فاجرى بها من راحتيه بجوده • بحارا فقسمها الورى انملا عشرا
هم منهم جنود المشركين بعزمكم • فلم يلبثوا حتى وفوا ولم يمكثوا دهرا
وفرقتم من حول مصر جموعهم • بكسر وعاد الكسر من اهلها جبرا
وامتت فيها الدعاة بعدلكم • واطفاتم من شرها وهجا الجمرا
بسفككم دم حطتم دما كثيرة • وحزتم بما ابديتم الحمد والاجرا
وما برت بتوى الاسلام حتى تغادروه • لكم من دما الغادرين بها غدرا
فصلوا على الافرنج سوط عذابها • بان يقسموا ما بينها القتل والاسرا
ولا تهملوا البيت المقدس واعزموا • على فتحه غازين وافترعوا البكرا
تدعون بالمعروف طيب ذكركم • وما الملك الا ان تدعوا لكم ذكرا
وان الذى اسرى من المال مقترا • وان يفنه فى كسب محمدة اثرى

قال وكنت كتبت صلاح الدين الى اصدقائه مليشر بطيب
ابنائه فمنها كتاب ضمنته هذا البيت •
• ما كنت بالمنظور اقنع منكم • ولقد رضيت اليوم بالمسموع •

فقلت فى جوابه ابياتا منها
• يا اهل الشام عليتى بقنا بكم • من عونه محموده ورجوع •

من غيثم

مذ غبتم عن ناظري ما اذنت للقلب شمس مسرة بطلوع
كنت المشفع في المطالب عندكم فغدوت اطلب طيفكم بشفيع
اصبحت اقنع بالسلام على النوى وبقربكم كم بت غير قنوع

قال ووصل منه ايضا كتاب ضمنه هذا البيت
وانثر درّ الدمع من قبل ابيضا وقد حال مذ بنتم فاصبح
ياقوتا

فنظمت في جوابه ابياتا منها
هنا لمصر حوز يوسف ملكها بامر من الرحمن قد كان موقوتا
وما كان فيها قتل يوسف شاورا يماثل الا قتل داود جالوتا
وقلت لقلبي ابشر اليوم بالمنى فقد نلت ما املت بل جزت
ماشيتا

قال وفي هذه السنه قتل العاضد بالقصر ابني شاور
الكامل واخاه يعني الطاري يوم الاثنين الرابع من جمادى
الاخره وذلك انه لما قتل شاور عاذوا بالقصر فكانما
نزلوا في القبر ولو انهم جاوا الى اسد الدين سلموا
وامتنعوا فانه شاه قتل شاور وان كان امر بقتله
ما حاذر قلت الكامل هو شجاع بن شاور
وكان له اخوان احدهما طي تقدم ذكر قتل ضرغام له والاخر
الطاري قال الفقيه ابو الحسن علي بن محمد ابن السرور
الروحي في تاريخه اخذ ابنا شاور شجاع الملقب بالكامل
والطاري الملقب بالمعظم واخوهم الملقب بفارس المسلمين

فقتلوا ودبروسهم قال ولما ولي صلاح الدين ساس
الرعيه اظهر لهم من العدل ما لم يعلموه فاجتمع اهل البلاد
وكرهوه فاوقع براجلهم واخرجهم من القاهره اخراجا عنيفا
واخرج بعد ذلك فارسهم وشتت شملهم فتلك بيوتهم
خاويه بما ظلموا ولما كانت سنة ست وستين رفع جميع
المكوس صادرها وواردها جليلها وحقيرها وغزا بلاد الشام
غزوتين قال ابن شداد في الجوم من هذه السنه مات
باروق الذي ينسب اليه الباروقيه يعني المحله التي بظاهر
حلب قال غيره وفيها احترق جامع حلب واسواق البز
واخذ نور الدين في عمارته ثم دخلت سنه خمس
وستين وخمسمايه ففي اول صفر منها نزل الفرنج خذلهم الله
على دمياط من البلاد المصريه قال ابن الاثير كان فرنج
الساحل لما ملك اسد الدين مصر قد خافوا وايقنوا بالهلاك
فكاتبوا الفرنج الذين بالاندلس وصقليه يستمدونهم ويعرفونهم
ما تجدد من ملك مصر وانهم خايفون على البيت المقدس من
المسلمين وارسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضون
الناس على الحركه فامدوهم بالرجال والمال والسلاح والعدد
على النزول على دمياط ظنا منهم انهم يملكونها ويتخذونها ظهرا
يملكون به ديار مصر فلما نازلوها حصروها وضيقوا على من بها
فارسل اليها صلاح الدين العساكر في النيل وحشر فيها كل من عنده
وامدهم بالمال والسلاح والذخاير وتابع رسله الى نور الدين

يشكوا

244.

يشكوا اما هو فيه من المخاوف وانه ان تخلف عن دمياط ملكها
الفرنج وان سار اليها خلفه المصريون في تخلفيه ومخلفي
عسكره بالشر وخرجوا من طاعته وصاروا من خلفه والفرنج
من امامه فجهز نور الدين اليه العساكر ارسالا كلما تجهزت
طايفة ارسلها فسارت اليه فتلوا بعضها بعضا ثم سار نور
الدين في من عنده من العساكر ودخل بلاد الفرنج فنهبها
واغار عليها واستباحها ووصلت الغارات الى ما لم تكن تبلغه
لخلو البلاد من مانع فلما راى الفرنج تتابع العساكر الى
مصر ودخول نور الدين الى بلادهم ونهبها واخرابها رجعوا
خايبين ولم يظفروا بشي وهذا موضع المثل ذهبت النعامة
تطلب قرنين فعادت بلا اذنين فوصلوا الى بلادهم فوجدوها
خاوية على عروشها وكان مدة مقامهم على دمياط خمسين
يوما اخرج فيها صلاح الدين اموالا لا تحصى حكى لي عنه
انه قال ما رايت اكرم من العاضد ارسل الي مدة مقام
الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب
وغيرها قال القاضي ابن شداد ولما علم الفرنج ما جرى
من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة
الامر في الديار المصرية علموا انه يملك بلادهم ويخرب
ديارهم ويقتلع اثارهم لما حدث له من القوة والملك فاجتمع
الفرنج والروم جميعا وحدثوا نفوسهم بقصد الديار المصرية
والاستيلا عليها وملكها وراوا قصد دمياط لتمكن القاصد

مثل

إليها من البر والبحر ولعلمهم انها ان حصلت لهم حصل لهم موضع
قدم يأوون اليه فاستصحبوا المنجنيقات والدبابات
والخروج والآت الحصار وغير ذلك ولما سمع الفرنج بالشام
ذلك اشتد امرهم فسرقوا حصن عكار من المسلمين واسروا
صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يسمى خطلخ العلمدار وذلك
في ربيع الآخر منها وفي رجب منها توفي العمادي صاحب نور الدين
وامير حاجبه وكان صاحب بعلبك وتدمر ولما راى نور
الدين ظهور الفرنج وبلغه نزولهم على دمياط قصد شغل
قلوبهم فنزل على الكرك محاصرا لها في شعبان من هذه السنة
فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا
له ثم بلغه وفاة مجد الدين بن الداية بحلب في رمضان فاشتغل
قلبه لانه كان صاحب امره فعاد يطلب الشام فبلغه خبر
الزلزلة بحلب التي خربت كثيرا من البلاد وكانت في ثاني
عشر شوال من السنة المذكورة وهو بعشترا فسار يطلب
حلب فبلغه موت اخيه قطب الدين بالموصل وكانت وفاته
في الثاني والعشرين من ذي الحجة وبلغه الخبر وهو بتل باشر
فسار من ليلته طالبا بلاد الموصل ولما علم صلاح الدين
شلة قصد العدو دمياط انفذ الى البلد واودعه من
الرجال والابطال الفرسان والميرة والآت السلاح ما
أمن معه عليه ووعد المقيمين فيه بامدادهم بالعساكر
والآلات وازعاج العدو عنهم ان نزل عليهم وبالغ في

زلزلة

العطايا

العطايا والهبات وكان وزيرًا متحكمًا لا يرد امره في شي
ثم نزل الفرنج عليها في التاريخ المذكور واشتد زحفهم عليها
وقتالهم لها وهو رحمه الله يشن الغارات عليهم من خارج والعسكر
يقاتلهم من داخل ونصر الله للمسلمين يؤيدهم وحسن قصدهم
في نصر دين الله يسعدهم وينجدهم حتى بان لهم الخسران
وظهر على الكفر الايمان وراوا انهم ينجون بنفوسهم ويسلمون
بنفوسهم فرحلوا خائبين خاسرين فحرقت مجانيقهم ونهبت
آلاتهم وقتل منهم خلق عظيم وسلم البلد بحمد الله ومنه
وقال العماد اقام صلاح الدين بالقاهرة في دار ملكه
ودار فلكه ينهض اليها المدد بعد المدد ويرسل اليها العدد
بعد العدد يسهر ليله ولا يقيل نهاره وقد اخلص لله سره
وجهاره ولا ينام ولا يهيم وعنده من ذلك المقعد المقيم
وسبق تقي الدين ابن اخي السلطان الى دمياط فدخلها وكذا
خاله شهاب الدين محمود فنزلها فاتصل الحصار وتواصل
الانصار ودق في الفرنج الفنا وصب عليهم البلا فرحلوا
عنها في الحادي والعشرين من ربيع الاول بالذل الاكمل والصغار
الاشمل وكان لما وصل الخبر الى نور الدين بوصولهم واجتماعهم
على دمياط ونزولهم اهتم واغتم واستصعب الملم وانهض
من عنده عسكرا ثقيلا مقدمه الامير قطب الدين خسرو
الهذباني وكان مقداما مقدما وهماما معلما وامره ان
يسير بالعسكر ويخوض بهم بحر العجاج الاكدر فوصل

في النصف من ربيع الاول قبل رحيل الفرنج باسبوع فوقع
روعه من الكفر في كل روع **قلت** وبلغني من شك
اهتمام نور الدين رحمه الله بامر المسلمين حين نزل الفرنج
على دمياط انه قرئ بين يديه جزء من حديث كان له به رواية
فجاء في جملة تلك الاحاديث حديث مسلسل بالتبسم فطلب
منه بعض طلبة الحديث ان يتبسم ليتم السلسلة على ما عرف
من عادة اهل الحديث فغضب من ذلك وقال اني لاستحي
من الله تعالى ان يراني متبسما والمسلمون محاصرون بالفرنج
وبلغني ان اماما لنور الدين راي ليلة رحيل الفرنج عن
دمياط في منامه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له اعلم
نور الدين ان الفرنج رحلوا عن دمياط في هذه السنة في
الليلة فقال يا رسول الله ربما لا يصدقني فاذكر لي علامة
يعرفها فقال قل له بعلامة ما سجدت على تل حارم وقلت
يا رب انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى
ينصر قال فانتبهت ونزلت الى المسجد وكان من عادة
نور الدين انه ينزل اليه بغلس ولا يزال يتركع فيه حتى
يصلي الصبح قال فتعرضت له فسألني عن امري فاخبرته
بالمنام وذكرت له العلامة الا انني لم اذكر لفظة الكلب
فقال نور الدين رحمه الله اذكر العلامة كلها والح علي
في ذلك فقلتها فبكا رحمه الله وصدق الرؤيا وارخت تلك
الليلة فجاء الخبر برحيل الفرنج بعد ذلك في تلك الليلة

فصل

فصل ارسل نور الدين كتابا الى العاضد صاحب المقصر
يهنيه برحيل الفرنج على ثغر دمياط وكان قد ورد عليه
كتاب العاضد بالاستنقاله من الاتراك في مصر خوفا منهم والاقتصار
على صلاح الدين والزامه وخواصه فكتب اليه نور الدين يمدح
الاتراك ويعلمه انه ما ارسلهم واعتمد عليهم الا لعلمه بان قطان بلاد
الفرنج ليس لها الا سهام الاتراك وان الفرنج لا يرعبون الا منهم
ولولاهم لزاد طمعهم في الديار المصرية ولحصلوا منها على الامنية
فلعل الله ان ييسر فتح المسجد الاقصى مضافا الى نعمه التي لا تحصى

قلت ولعمارة اليمني من قصيدة

من شاكر والله اعظم شاكره • ما كان من نعمى بني ايوب
طلب الهدى نصرا فقالوا كلهم • حسبي فانتم غاية المطلوب
جلبوا الى دمياط عند حصارها • عز القوي وذلة المغلوب
وجلوا عن الاسلام فيها كربة • لولم يجلوها انت بكروب
وللناس في اعمال مصر كلها • عتقاو هم من نازح وقريب
ان لم تطر الناس شرا فادعاه • وهم اللباب فانت غير لبيب

وللشهاب فتيان الشاغوري من قصيدة

ولا غروان عاد الفرنج هزيمة • ولولم تعد لم يبق للشرك ساكل
فقد ايقنت اعداؤه ان حظهم • لديه رماح اشرعت او سلاسل
ولما اتوا دمياط كالبحر طاميا • وليس له من كثرة القوم ساحل
يزيد عن الاحصا والعد جمعهم • الوف الوف خيلهم والرواحل
راوا دونها اسدا بايديهم القنا • وبيضا رقاقا احكمتها الصياقل

و داروا بها في البحر من كل جانب • ومن دونها سد من الموت حايل
رجا الطلب ملك الروم اذ ذاك فتحها • فخاب فام الملك والروم
هابل •
فعادوا على الاعقاب منها بزمة • كانهم ذاك النعام جوافل
وما املوا ان يلحقوا ببلادهم • ليعصمهم مما راوه المعاقل
وقال العماد وسالني كريم الملك ان اعمل له ابياتا في صلاح
الدين تهنية بالنصر في دمياط فعملت قصيدة • منها
يا يوسف الحسن والاحسان يا ملكا • بجده صاعدا اعداه هبطوا
حللت من وسط العليا في شرف • ومركز الشمس في افلاكها الوسط
هنيت ملكك التي اجتمعت • لها الفرج فما حلوا ولا ربطوا
مصر بيوسفها اضحت مشرقة • وكل امرها بالعدل منضبط
وافا صلاح الدين اصلحها • فللصلاح من ابامه نمط
وقال ومما سيرته الى صلاح الدين قصيدة • منها
كان قلبي وحب مالكه مصر • وفيها المليك يوسفها
هذا ابتلي الفواد فظلمني • وهل يقتل الاعدا ابتصعها
الملك الناصر الذي ابدا • يعز سلطانه بشرفها
قام باحوالها يدبرها • حسنا واتقالها يخففها
بعد له والصلاح يعمرها • وبالندى والجميل يكنفها
من دنس الغادرين يرحضها • ومن خبات العدى ينظفها
وان مصر بملك يوسفها • جنة خلد يروق زخرفها
وانه في السماح حاتمها • وانه في الوفا احنفها

يوسف

247.

يوسف مصر الذي ملاحمها • جات باوصافه نعرفها
كتب التواريخ لا يزينها • الا بايامه مصنفها
وحطت دمياط اذ احاط بها • من رجوم البلا يقذفها
لاقت غواة العدو حينها • فزاد من حسرة تأسفها
اوردت قلب الغلوب الشقية • من القنا للدما مشرفها
وليتها سفكها فحا ملها • عاملها والسنان مشرفها
يمضي لك الله في قتالهم • عزيمة للجهاد ترهفها

ولد منزاهري فيه

قد استقرت اموري فيه • بحسب اقتراحي
كما استقر صلاح الدنيا • بملك الصلاح
تنير شمس ايا ديه • في سما السماح
وامن مستقفا ده • من القضا المتاح

وارسله نور الدين الي خلاط ومتوليها حينئذ ظهران سكمان المعروف بشاه ارمن قال فلما كنت بماردين كتبت الي بعض المعارف •

قد نزلنا في جوارك • وطلبنا قرب دارك
وسرينا في الدياجي • فهدانا ضوء نارك
فتدارك امرنا اليوم • بطول متداركه
وتفرد باغتنام الشكر • من غير مشاركه

قال العماد وفي اول هذه السنه خرج نور الدين الي داريا فاعاد عمارة جامعها وعمر مشهد ابي سليمان

الدارني وشتي بدمشق **فصل في مسير نجم الدين**
ايوب الي مصر بباقي اولاده واهله وقد وصف ذلك
عمارة في قصيدة مدح بها السلطان تقدم بعضها
يقول فيها

صحت به مصر وكانت قبله ٭ تشكو اسقاما لم يعن بطبيب
عجبا لمعجزة اتت في عصره ٭ والدهر ولاد لكل عجيب
رد الاله به قضية يوسف ٭ نسقا على ضرب من التقريب
جا ته اخوته ووالده الي ٭ مصر على التدريج والترتيب
فاسعد باكرم قادم وبدولة ٭ قد ساعدتك رياحها بهبوب

قال العماد ولما دخل فصل الشتاء واستاذن
الامير نجم الدين ايوب نور الدين في قصد ولده صلاح
الدين والخروج من دمشق الي مصر باهله وجماعته
وسبله ولبده وخيم بظاهر البلد الي ان بان وضوح جده
وسار في حفظ الله فوصل الي مصر في الرابع والعشرين
من رجب وقضي صاحب القصر العاضد من حق قدومه
ما وجب وكرب لاستقباله وزاد اقبال البلاد باقباله
ولما عزم على التوجه الي مصر شرع في تفرقة املاكه
وتوفير ماله فيه شركة على اشراكه وما استصحب معه شيئا
من موجوده وجعله بينه كجوده **قلت** ووقف
رباطا داخل الدرب الذي يقرب العوينة بباب البريد
قال العماد ولما انتصب نجم الدين ايوب لقصد مصر

مصادية

248.

مضاربه وسحب للعلا على روض الرضا سحايبه خرج نور
الدين الى راس الما بعسكره وخيامه واردف للجد في الجهاد
حزا عزامه ثم اقام بعد نور دينه والوفا بحق تشييعه الى
ان اجتمعت اليه عساكره وحضر بادي جنده وحاضره
وعب بحره وماج زاخره ثم توجهنا الى بلاد الكرك مستهل
شعبان ونزلنا اياما بالبلقا على عمان واقمنا على الكرك
اربعة ايام نحاصرها ونصبنا عليها منجنيقين فوصل الخبر
ان الفرنج قد اجتمعوا ووصلوا الى ما عين فقال نور الدين
نرى ان نعطف اعنتنا وبالله نستعين فانا اذا كسرناهم
وقسرناهم وقتلناهم واسرناهم ادركنا المراد وملكنا البلاد
فرحلنا اليهم فولوا مدبرين حين سمعوا برجوعنا وقالوا رحيلهم
عن الحصن قد حصل وهو مقصودنا وعاد نور الدين الى حوران
فخيم بعشترا وصام رمضان وقال ابن الاثير كان
سبب حصر نور الدين الكرك ان نجم الدين ايوب والد صلاح
الدين سار عن دمشق الى مصر فسير معه نور الدين عسكرا
فاجتمع معهم من التجار ومن كان له مع صلاح الدين انس ومودة
ما لا يعد فخاف نور الدين ايوب ومن معه سالمين ونصب نور
الدين على الكرك المجانيق فاتاه الخبر ان الفرنج قد جمعوا وساروا
اليه وان ابن الهنفري وفليب بن الرفيق وهما فارسا الفرنج
في وقتهما في المقدمة اليه فرحل نور الدين نحوهما ليلقاهما ومن
معهما قبل ان يلتحق بهما باقي الفرنج وكانا في ما بين فارس

والف تركيلي ومعهم من الراجل خلق كثير فلما قاربهما رجعا
القهقري الى من وراهم من الفرنج وقصد نور الدين وسط
بلادهم ونهب ما كان على طريقه ونزل بعشترا واقام ينتظر
حركة الفرنج ليلقاهم فلم يرجعوا من مكانهم خوفا منه
وقال ابن شداد انفذ صلاح الدين في طلب والده
ليكمل له السرور ويجمع القصة مشاكلة لما جرى للنبي يوسف
الصديق صلى الله عليه فوصل والده نجم الدين اليه وسلك
معه من الادب ما كان عادته والبسه الامر كله فابى ان
يلبسه وقال يا ولدي ما اختارك الله لهذا الامر الا وانت
كفو له فلا ينبغي ان يغير موقع السعادة فحكمه في الخزاين
باسرها وكان رحمه الله كريما يطلق ولا يرد ولم يزل صلاح الدين
وزيرا محكما الى ان مات العاضد ابو محمد عبد الله وبه ختم
امر المصريين وقال ابن ابي طي الحلبي ارسل الخليفة
المستنجد بالله من بغداد الى نور الدين يعاتبه في تاخير
اقامة الدعوة له بمصر فاحضر الامير نجم الدين ايوب والزمه
الخروج الى ولده بمصر لذلك وحمله رسالة منها وهذا
امر يجب المبادرة اليه لنحظى بهذه الفضيلة الجليلة
والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت لاسيما
وامام الوقت متطلع الى ذلك بكليته وهو عنده من اهم
امنيته وسار نجم الدين واصحبه نور الدين هدية سنية
للملك الناصر وخرج العاضد لتلقيه الى ظاهر باب الفتوح

عند

عند شجرة الاهليلج ولم يجر بذلك عادة لهم وكان من اعجب
يوم شهده الناس وخلع عليه العاضد ولقبه بالملك الافضل
وحمل اليه من القصر الالطاف والتحف والهدايا واظهر السلطا
ن من بره وتعظيم امره ما اجرى به الشكر والاجر وافرد له دارا
الى جانب داره واقطعه الاسكندرية ودمياط والبحيرة واقطع
شمس الدولة اخاه قوص واسوان وعيذاب وكانت عبرتها في هذه
السنة مايتي الف وستة وستين الف دينار وسار شمس الدولة
الى قوص ووليها شمس الخلافة محمد بن مختار وكان السلطان قبل
قبل اقطاعها شمس الدولة قد سير رسلان بن دغمش لجباية
خراجها فخرج عليه عباس بن شادي في جماعة من الاعراب والعبيد
في برج بني تميم فغنمه رسلان وعاد الى القاهرة وفي هذه السنة
ليلة عيد الفطر رزق السلطان ولده الملك الافضل نور الدين
علي وفرح به فرحا عظيما وخلع واعطى وتصدق بما بهر به العقول
ومن قصيدة للحكيم عبد المنعم تقدم بعضها ◦

في مشرق المجد نجم الدين مطلعه ◦ وكل ابنايه شهب فلا افلوا
جاوا كيعقوب والاسباط اذ وردوا ◦ على العزيز من ارض الشام
واشتملوا ◦
لكن يوسف هذا جا اخوته ◦ ولم يكن بينهم نزغ ولا زلل ◦
وملكوا ملك مصر في سماحته ◦ ومثلها لرجال مثلهم نزل ◦

فصل في الزلزلة الكبرى

فصل في الزلزلة الكبرى

زلزلة

قال ابن الاثير وفي ثاني عشر شوال كانت زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلها عمت اكثر البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق وغيرها الا ان اشدها واعظمها كان بالشام فخربت بعلبك وحمص وحماه وشيزر وبعرين وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك من الناس ما يخرج عن العد والاحصا فلما اتى نور الدين خبرها سار الى بعلبك ليعمر ما انهدم من اسوارها وقلعتها وكان لم يبلغه خبر غيرها فلما وصلها اتاه خبر باقي البلاد من الفرنج لاسيما قلعة بارين فانها مع قربها منهم لم يبق من سورها شي البته فجعل فيها طايفة صالحة من العسكر مع امير كبير ووكل بالعمارة من يحث عليها ليلا ونهارا ثم اتى مدينة حلب فراى فيها من اثار الزلزلة ما ليس لغيرها من البلاد فانها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب بمن نجا كل مبلغ فكانوا لا يقدرون ياوون الى بيوتهم السالمة من الخراب خوفا من الزلزلة فانها عاودتهم غير مرة وكانوا يخافون بغيمون بظاهر حلب من الفرنج فلما شاهد ما صنعت الزلزلة بها وباهلها اقام فيها وباشر عمارتها بنفسه وكان هو يقف على استعمال الفعلة والبنايين ولم يزل كذلك حتى احكم اسوارها وجميع البلاد وجوامعها واخرج اموالها من الاموال ما لا يقدر قدره واما بلاد الفرنج فانها ايضا فعلت بها الزلزلة قريبا من هذا وهم ايضا

يخافون

250.

يخافون نور الدين على بلادهم فاشتغل كل منهما بما يخاف بلاده
عن قصد الاخر قال العماد وكانت قلاع الفرنج المجاورة
لنور الدين كحصن الاكراد وصافيثا والعريمة وعرقا في بحرالزلازل
غرقا لاسيما حصن الاكراد فانه لم يبق له سور وقدم عليهم
فيه دخول نور الدين فشغلهم سوءهم عن سواه وكل اشتغل
بما دهاه وتواصلت الاخبار من جميع بلاد الشام بما احدثته
الزلزلة من الانهدام قال وما سكنت النفوس
من رعبها وسلت القلوب عن كربها الا بما دهم الكفار من امرها
وعراهم من ضرها فلقد خصتهم بلا مرّ الاشق واخذتهم
الرجفة بالحق فانها وافقت يوم عيدها وهم في الكنايس
فاصبحوا للردى فرايس شاخصة ابصارهم ينظرون خرّ عليهم
السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
ثم ذكر العماد قصيدة في مدح نور الدين ووصف الزلزلة
مطلعها هل لعاني الهوى من الاسر فاد او لساري ليل الصبابة
هاد حنّ يوبي خطب البعاد فسهلا كل خطب سوى النوى
والبعاد

كنت في غفلة من البين حتى ۔ صاح يوم الايناس بالبين حادي
قد حللتم من مهجتي في السويدا ۔ ومن مقلتي محل السواد
وبخلتم من الوصال باسعافي ۔ اما انتم من الاجواد
وبعثتم نسيمكم بتلافي ۔ فعاد النسيم من عوّاد
سيما يوم بي تجلدا واشتياقاه ومحال تجمع الاضداد

ابغا بعد الاحبة با قلبي ° ما هذه شروط الوداد
ذاب قلبي وسال في الدمع لما ° دام من نار وجده في اتقاد
ما الدموع التي تخددها الا ° شوارق الاقبايت الاكباد
حبذا ساكنوا فوادي وعهدي ° بهم يسكنون سفح الوادي
ايمني بالشام اهل بغداد ° واين الشام من بغداد
ما اعتياضي عن حبهم يعلم الله ° تعالى الا بحب الجهاد
واشتغالي بخدمة الملك ° العادل محمود الكريم الجواد
انا منه على سرير سروري ° دافع العيش في مراد مرادي
فيديني بالشام منه الايادي ° والايادي للحر كالاقياد
قد وردت البحر الخضم وخلفت ° ملوك الدنيا به كالثماد
هو نعم الملاذ من نايب الدهر ° ونعم المعاذ عند المعاد
جل ذا العزيج فاستقيموا لواء منه يلبس الحديد لبس الحداد
فرق الرعب منه في انفس الكفار ° بين الارواح والاجساد
سطوة زلزلت بسكانها الارض ° وهدت قواعد الاطواد
اخذتهم بالحق رجعة باس ° تركتهم صرعى صروف العوادي
خفضت من قلاعها كل عالية ° واعادت تلالها كالوهاد
انفذ الله حكمه فهو ماض ° مظهرا سر غيبه فهو باد
انه ابتز دوى الشرك ° بالهلك واهل التوحيد بالارشاد
والاعادي جرى عليهم من الله ° مهر ما قد جرى على قوم عاد
اشركت في الهلاك بين الوقين ° دعاة المشراك والالحاد
ولقد جاذبوا العصا فامضى ° حكمه فيهم بغير جلاد

والال

والإله الرؤوف في الشام عنّا ۝ دافعٌ لطفه بلاء البلاد

قال العماد وفي هذه السنة عند وصولنا الى حلب في الخدمة النورية كنت مفرطاً لفضائل الشهرزورية وكان وكان القاضي بها محيي الدين ابو حامد محمد بن قاضي القضاة كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبد الله بن القسم الشهرزوري وكان كمال الدين قد عدق به شغل الاحكام واليه امور الديوان وله المودة والمكانة والمكان في بسط العدل والاحسان ومحيي الدين ولده ينوب عنه في القضا بحلب وبلدانها وينظر ايضاً امور ديوانها وبحماه وحمص من بني الشهرزوري قاضيان وهما حاكمان متحكمان وكان هذا محيي الدين من اهل الفضل وله نظم ونثر وخطب وشعر وكانت معرفتي به في ايام التفقه ببغداد في المدرسة النظامية منذ سنة خمس وثلثين والمدرس شيخنا معين الدين سعيد بن الرزاز وكان مذهب الشافعي رحمه الله فجعله معلماً مذهب الطراز وكانت الدار له بحلب قد خربت دار محيي الدين وسلبت قرارها وغلبت اصطبارها وجلبت افكارها

فكتبت اليه قصيدة مطلعها

لو كان من شكوى الصبابة مشتكيا ۝ لغدا على عدوى الصبابة سعديا

ومنها

مات الرجا فان اردت حياته ۝ ونشوره فارج الامام المحييا

أقضى القضاة محمد بن محمد * من ليس منه للقضاء بمحصبا
فاضربه قضت المظالم نحبها * وعدا على آثارهن معقبا
يا كاسفا للحق في أيامه * عن ريد وبها الزمان مقطبا
لم تعثر الشهبا عند عثارها * لو لم يجدك لطود حلمك مرسيا
رجعت لسطوتك التي أرسلتها * نحو الطغاة بحد عزمك مرهبا
ونظمته من شرهم فتمهلت * بجلال أجادتها عليها ميقنا
انفت من الفقلا فيها إذ رمت * أنفا لها ورأتك منها ملجيا
حلبت لها حلب المدامع مسليك * أن لا فت الخطب الفظيع المبلبا
وبعدله نور الدين عاود أفقها * من بعد غيم الغم جوا مصحيا
أضحى لمهجتها معيدا بعدما * ذهبت وللمعروف فيها مبديا
لا مورها منه برا لشتاتها * ما لها الصلاح منقلبا
فالشرع عاد بعدله مستظهرا * والحق عاد بظله مستذريا
والدهر لاذ بعفوه مستغفرا * مما جناه واجما مستحييا

فصل في غزوة صاحب البيرة ووفاة صاحب الموصل

قال ابن الأثير كان شهاب الدين محمد بن الياس ابن ايلغازي بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سار في عسكره وهم مائتا فارس إلى الخدمة النورية وهو بعشترا فلما وصل إلى اللبوة وهي من أعمال بعلبك ركب متصيدا فصادف ثلثمائة فارس من الفرنج قد ساروا للاغارة على بلاد الإسلام وذلك سابع عشر شوال فوقع بعضهم على بعض فاقتتلوا وصبر الفريقان لاسيما المسلمون لأن الألف فارس منهم لا تصبر

تحمله

لحملة ثلثمائة فارس من الفرنج وكثر القتل بينهم وانهزم الفرنج
وعمهم القتل والاسر فلم يفلت منهم الا من لا يعتد به ولو تواعد ثم
لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وسار
شهاب الدين بالاسرى وروس القتلى الى نور الدين فركب هو
وعسكره الى لقائه فاستعرض الاسرى وروس القتلى فراى
فيها راس مقدم الاسبتارية صاحب حصن الاكراد وكانت
الفرنج تعظمه لشجاعته ودينه عندهم ولانه شجى في حلوق
المسلمين ولذلك ايضا راى راس غيره من مشهوري الفرنج
فازداد سرورا ولله الحمد فصل وفي شوال سنة خمس
وستين توفي الملك قطب الدين مودود بن زنكي بالموصل
ولما اشتد مرضه اوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زنكي
بن مودود وهو اكبر اولاده واعزهم عليه واحبهم اليه وكان
النايب عن قطب الدين حينئذ والقيم بامر دولته فخر الدين
عبد المسيح وكان يكره عماد الدين زنكي لانه كان قد اكثر
المقام عند عمه الملك العادل نور الدين رحمه الله وخدمه
وتزوج ابنته وكان عزيزه وحبيبه وكان نور الدين يبغض
عبد المسيح لظلم كان فيه ويذمه ويلوم اخاه قطب
الدين على توليته الامور فخاف عبد المسيح فاتفق هو والخاتون
ابنة حسام الدين تمرتاش زوجة قطب الدين فردوه عن
هذا الراي فلما كان الغد احضر الامرا واستحلفهم لولده
سيف الدين غازي وتوفي من غده وعمره اربعين سنة

وكان تام القامة كبير الوجه اسمر اللون واسع الجبهة
جهوري الصوت وكانت ولايته احدى وعشرين سنة وخمسة
اشهر ونصفا ولما توفي استقر سيف الدين في الملك ورحل عماد
الدين الى عمه نور الدين شاكيا ومستنصرا وكان عبد المسيح
هو يتولى امور سيف الدين من الامرا الا اسمه لانه في عنفوان
شبابه وعنفوان حداثته قال ومن حادثة تحث على العدل
من جملة اعمال الجزيرة قرية تسمى العقيمه مقابل الجزيرة
من الجانب الشرقي يفصل بينهما دجلة لها بساتين كثيرة بعضها
يمسح ارضه ويوخذ على كل جريب من الارض التي قد زرعت شي
معلوم وبعضها عليه خراج ولا مساحه عليه وبعضها مطلوق
منهما فالممسوح منها لا يحصل لاصحابه منه الا القدر القريب
وكان لنا بها عدة بساتين مطلقه لي والدي قال جانا كتاب فخر
الدين عبد المسيح الى الجزيرة وانا حينئذ اتولى ديوانها
يامر بان يجعل بساتين العقيمه كلها ممسوحة فشق ذلك على
الاجل اصحابها فمنها ناس صالحون ولهم الشرف وهم فقرا فراجعته
وقلت له لا تنظر اني اقول هذا لاجل ملكي لا والله انما اريد
ان يدوم الناس على الدعا للمولى قطب الدين وانا امسح ملكي
جميعه قال فاعاد الجواب بامر بالمساحه ويقول تمسح اولا
ملكك ليقتدي بك غيرك ونحن نطلق لك ما يكون عليك فشرع
النواب يمسحون وكان بالعقيمة رجلان صالحان وبيني
وبينهما مودة اسم احدهما يوسف والاخر عبدان فحضرا

عمدى

253

عندي و نفعو رامن هذه الحال وسالاني المكاتبه في المعنى
فاظهرت لهما كتاب عبد المسيح جوابا عن كتابي فتشكرا لي وقالا
وايضا نعود نتراجعه فعاودت القول فاصر على المسامحه
فعرفتهما الحال فلما مضى عدة ايام عدت يوما الى داري واذا
بهما قد صادفاني على الباب فقلت لنفسي عجبا لهذين الشيخين
قد رابا مراجعتي وبهما بطلبان مني مالا اقدر عليه فقلت
لهما والله اني لاستحي منكما كلما جيتما في هذا المعنى وقد رايتما
الحال كيف هو فقالا صدقت ولم نحضر الا لنعرفك ان حاجتنا
قضيت قال فظننت انهما قد ارسلا الى الموصل من يشفع
لهما فدخلت داري وادخلتهما معي وسالتهما عن الحال كيف هو ومن
الذي سعى لهما فقالا ان رجلا من الصالحين الابدال شكونا اليه
حالنا فقال لنا قد قضيت حالة امال الغنيمة جميعهم قال
فوقع عندي من هذا ولكن تارة اصدقهما لما اعلم من صلاحهما
وتارة اعجب من سلامة صدورهما كيف يعتمدان على هذا القول
ويعتقدا انه واقع لا شك فيه فلما كان بعد ايام وصل قاصد
من الموصل بكتاب يامر فيه باطلاق مسيحية الغنيمة واطلاق
كل مسيحون وبالصدقه فسالت القاصد عن السبب فاخبرنا
ان قطب الدين شديد المرض قال فافكرت في قولهما وتعجبت منه
ثم توفي بعد يومين من هذا قال ورايت والدي اذا راى
احد الرجلين يبالغ في اكرامه وحرمه ويقضي اشغاله واتخذهما
صديقين قال وكان قطب الدين من احسن الملوك واعم

مساجد

عن اموال رعيته محسنا اليهم كثير الانعام عليهم محبوبا الى
صغيرهم وكبيرهم حليما عن المذنبين منهم سريع الانفعال
للخير حدثني والدي قال اسند عاني يوما وهو بالجزيرة
وكنت الوالي اعمالها فلامني في بعض الامر فقلت اخاف من الاستقصا
لو دعي على بعض هولا الملوكة واوما الى اولاده لكانت شعرة
منه تساوي الدنيا وما فيها ولنا مواضع تحتمل العمارة تحصل
منها اضعاف هذا فقال له جزاك الله خيرا الغد فصحت واذنت
الامانة فاشرع في عمارة هذه الاماكن ففعلت وكبرت منزلتي
عنده ولم يزل يثني علي قال وكان كثير الصبر والاحتمال
من اصحابه لقد صبر من نوابه زين الدين وجمال الدين وغيرهما
على ما لم يصبر عليه سواه وكان حسن الانفاق مع اخيه الملك
العادل نور الدين كثير المساعدة له والاتحاد بنفسه وعسكره
وامواله حضر معه المصاف بحارم وفيها وفتح بانياس وكان
يخطب له في بلاده باختياره من غير خوف وكان احسانه الى اصحابه
متتابعا من غير طلب منهم ولا تعريض وكان يبغض الظلم واهله
ويعاقب من يفعله قال وبالله اقسم اذا فكرت في الملوك
اولاد زنكي سيف الدين ونور الدين وقطب الدين وما جمع الله فيهم
من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وحسن السيرة وعمارة
البلاد والرفق بالرعية الى غير ذلك من الاسباب التي يحتاج الملك
اليها اذكر قول الشاعر

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

قلت

254.

قلت وقرأت بخط الشيخ عمر الملا رحمه الله في كتاب كتبه الى
بعض الصالحين وسأله فيه الدعا لقطب الدين صاحب الموصل
وقال فيه يا اخي لو ذهبت اشرح لك سيرته في بلاده وعيش
رعيته في بلاده لاطلت واحتجت عن اني اذكر لك ما خصه
الله به من الاخلاق الصالحه هو من اكثر الناس رحمه واشدهم
حيا واعظمهم تواضعًا واقلهم طمعًا وادمهم في الظلم والكرم
صبرًا وابعدهم غضبا واسرعهم رضًا وهو من هذه الاخلاق
على حد احبه انا محبة لا اقدر اصفها وبيني وبينه اخا ومزاوره
يزورني وازوره فصل قال ابن الاثير ولما بلغ نور
الدين وفاة اخيه قطب الدين وملك ولده سيف الدين
بعده واستيلا عبد المسيح واستبداده بالامور وحكمه
على سيف الدين انف من ذلك وكبر لديه وشق عليه وكان يبغض
عبد المسيح لما يبلغه من خشونته على الرعيه والمبالغه
في اقامة السياسه وكان نور الدين رحمه الله لينا رفيقا عادلًا
فقال انا اولى بتدبير بني اخي وملكهم ثم سار من وقته
وعبر الفراة عند قلعة جعبر اول محرم ودخلت
سنه ست وستين وقصد الرقه فامتنع النايب بها شيا
من الامتناع ثم سلمها على بني افرحه فاستولى نور الدين
عليها وقرر امورها وسار الى الخابور فملكه جميعه
ثم ملك نصيبين واقام بها يجمع العساكر فانه كان قد سار
جريدة فاتاه بها نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب

الحصن وديار بكر واجتمعت العساكر فسار الى سنجار فحصرها
واقام عليها ونصب المجانيق وكان بها عسكر كبير من الموصل
فكاتبه عامة الامرا الذين بالموصل يحثونه على السرعة
اليهم ليسلموا البلد اليه واشاروا بترك سنجار فلم يقبل
منهم واقام حتى ملك سنجار وسلمها الى ابن اخيه الاكبر عماد الدين
زنكي ثم سار الى الموصل فاتى مدينة بلد وسار فنزل شرقي الموصل
على حصن نينوى ودجله بينه وبين الموصل ومن العجب
انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة وكان
عبد المسيح قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى
اتابك ايلدكز صاحب بلاد الجبل واذربيجان واران وغيرها
يستنجده فارسل ايلدكز رسولاً الى نور الدين ينهاه
عن قصد الموصل ويقول له ان هذه البلاد للسلطان
ولا سبيل لك اليها فلم يلتفت نور الدين الى رسالته وكان
بسنجار فسار الى الموصل وقال للرسول قل لصاحبك انا
ارفق ببني اخي منك فلا تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ
من اصلاحهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك
قد ملكت نصف بلاد الاسلام واهملت الثغور حتى غلب
الكرج عليها وقد بليت انا وحدي باشجع الناس الفرنج
فاخذت بلادهم واسرت ملوكهم فلا يجوز لي ان اتركك
على ما انت عليه فانه يجب علينا القيام بحفظ ما اهملت
من بلاد الاسلام وازالة الظلم عن المسلمين فعاد الرسول

255.

بهذا الجواب وحصر نور الدين الموصل فلم يكن بينهم قتال
وكان هوى كل من بالموصل من جندي وعامي معه لحسن
سيرته وعدله وكاتبه الامرا يعلمونه انهم على الوثوب
على عبد المسيح ذلك راسله في تسليم البلد اليه وتقريره
على سيف الدين ويطلب الامان واقطاعا يكون له فاجابه
الى ذلك وقال لا سبيل الى ابقايه بالموصل بل يكون عندي
بالشام فاني لم ات لاخذ البلاد من اولادي وانما جيت
لاخلص الناس منك واتولى تربية اولادي فاستقرت
القاعدة على ذلك وسلمت الموصل اليه فدخلها ثالث عشر
جمادى الاولى وسكن القلعة واقر سيف الدين واطلق المكوس
جميعها من الموصل وساير ما فتحه من البلاد وامر ببنا الجامع
النوري بالموصل فبني واقيمت الصلاة فيه سنة ثلث وسبعين
وخمسماية واقام بالموصل نحو عشرين يوما وسار الى الشام
فقيل له انك تحب الموصل والمقام بها ونراك اسرعت العود
فقال قد تغير قلبي فيها فان لم افارقها ظلمت ويمنعني ايضا
انني ها هنا لا اكون مرابطا للعدو وملازما للجهاد ثم اقطع
نصيبين والخابور العساكر واقطع جزيرة ابن عمر سيف الدين
غازي بن اخيه مع الموصل وعاد الى الشام ومعه عبد المسيح
فغير اسمه وسماه عبد الله واقطعه اقطاعا كبيرا وقال
العماد واستنده على نور الدين وكان بظاهر الرقة وقال
لي قد انست بك وامنت اليك وانا غير مختار للعود لكني

المهم الذي عرض لا يبلغ فيه غيرك الغرض فتمضي الى الديوان
العزيز جريدة وتؤدي عني رسالة سديدة سفيرة وتنهي
اني قصدت بيتي وبيت والدي ومعتقي طغريل وانا الذي
وانا تربيته وواريته والذي لي حديثه وحادثه فامضر وخذ
لي اذنا فاني اعد كل جارحة لما احاطت به اذنا وامتثل ما يصلح
من المثال لدفع كل مكروه دكنا وامر ناصر الدين محمد بن شيركوه
ان يسير في الى الرحبة في رجاله ما مونى الصحبة وسرت منها
على البرية عن الفراة بخفير من بني خفاجة فذكرا انه وصل
وقضى الحاجة ثم رجع من عند الخليفة المستنجد الى نور
الدين وهو محاصر سنجار فاخذها وسلمها الى ختنه ابن اخيه
عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قال ثم رحل على عزم الموصل
وقصد بلد واستوضح فيها الجدد ودل مماك في دجلة على
مخاضة وكان ذا اخلاق ومم مرتاضة واستسهل من خوضها
والعبور فيها ما ظن مستصعبا وسهل الله لنا ذلك ورايناه
امرا عجبا وجا دليل تركماني قدامنا وهو يقطع دجلة تارة
طولا وتارة عرضا امامنا ونحن وراه بخط واحد لا نميل
يمينا ولا يسارا ولا نجد لنا في سوى ذلك المجاز اختيارا
حتى عبرنا من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي برجالنا واثقالنا
وخيلنا وبغالنا وجمالنا واقمنا بقية ذلك اليوم حتى تم
عبور القوم ثم رحلنا ونزلنا على الموصل من شرقيها وخيمنا
على تل توبة فاستعظم اهلها تلك التوبة وما خطر ببالهم

256.

انا نعبر بغير مراكب وانا ناخذ عليهم ذلك الجانب فوقوا
انهم محصورون وانقطعت عنهم السبل من الشرق ونعذر
عليهم الدفع لاتساع الخرق وبسط الخطا ولتسف الغلط
وتكلم في المصلحه والمصالحه الوسطا ومد الجسر وقضي
الامر وانعم لؤلؤ الدين على اولاد داخيه ومتلو اشاده به
والقو سيف الدين غازي علي قاعدة ابيه واليسه التشريف
الذي وصله من امير المومنين المستضي ثم دخل قلعة الموصل
واقام بها سبعة عشر يوما وجدد منا شيرا مل المناصب
وتوقيعات ذوي المراتب من القضا والنقابه وغيرهما وامر
باسقاط جميع المكوس والضرايب وانشا بذلك منشورا ابتوا

الاطلاق الملوك

على الناس نسخته قد قنعنا من كثرة الاموال باليسير من الحلال
فسحقا للسحت ومحقا للحرام الحقيق بالمقت وبعدا لما يبعد
من رضى الرب وبقضي من محل القرب وقد استخرنا الله له
وتقربنا اليه وتوكلنا في جميع الاحوال عليه وتقدمنا باسقاط
كل مكس ومرتبة في كل ولاية لنا بعيدة او قريبة وازالة كل
جهة مشتبهة مشوبة ومحو كل سنة سيئة شنيعة ونفي
كل ظلمة مظلمة قطيعة واحيا كل سنة حسنة وانتهاز كل
فرصه في الخير ممكنه، واطلاق كل ما جرت العادة باخذه من
الاموال المحظوره. خوفا من عواقبها الرديه المحذوره فلا
يبقى في جميع ولايتنا حق جار ولا عمل لا يكون به الله
راضيا ايثارا للثواب الاجل على الحطام العاجل وهذا حق

لله قضيناه وواجب علينا اديناه بل هي سنة حسنة
سننا ها ومحجة واضحة بينا ها وقاعدة محكمة مهدنا ها
وفايدة مغتنمة افدنا ها **فصل** قال العماد وكان
بالموصل شيخ صالح يعرف بعمر الملا سمي بذلك لانه كان
يملا تنانير الجص باجرة يتقوت بها وكل ما عليه من قميص
ورداء وكسوة وكساء قد ملكه سواه واستعاره فلا يملك
ثوبه ولا ازاره وكان له شي فوهبه لاحد مريديه وهو يتجر
لنفسه فيه فاذا جاءه ضيف قراه ذلك المريد وكان ذا
معرفة باحكام القران والاحاديث النبوية وكان العلما
والفقها والملوك والامرا يزورونه في زاويته ويتبركون
بهمته ويتيمنون ببركته وله كل سنة دعوة يحتفل بها في ايام
مولد النبي صلى الله عليه وسلم يحضر فيه صاحب الموصل
ويحضر الشعرا وينشدون مدح رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ذلك المحفل وكان نور الدين اخص محبيه يستشيره
في حضوره ويكاتبه في مصالح اموره وكان بالموصل خربة
واسعة في وسط البلد شيع عنها انه ما شرع في عمارتها الا
من ذهب عمره ولم يتم على مراده امره فاشار الشيخ عمر على
نور الدين بابتياعها ورفع بنائها جامعا يقام فيه الجمع والجماعات
ففعل وانفق فيه اموالا كثيرة ووقف عليه ضيعة من ضياع
الموصل ورتب فيه خطيبا ومدرسا وكان قد وصل في تلك
السنة واخذ التفقه عماد الدين ابو بكر النوقاني الشافعي من

الملا

اصحاب

257.

اصحاب الامام محمد بن يحيى فسالة ان يكون مدرسًا في ذلك
الجامع وكتب له به منشورًا **قال** وحضر مجاهد الدين
قايماز صاحب اربل في الخدمة النورية بالموصل وكان دخولهم
اياها في كانون الشتا **فكتب** العماد الى بعض كبرا الموصل
قصيدة منها

ما يمنع الخادم من فضله ◦ الخدمة غير الطرق والموصل
كانما موصلكم مقطع ◦ ما يهتدي فيه الى موصل
وكل معروف بها منكر ◦ كما نراه منه ما اسبل
وكل من حل بها لا يرى ◦ في زمن الخصب سوى المحل
ومذ دخلناها احصلنا بها ◦ كرهًا على خرج بلا دخل
اصعب ما نلقاه من اهلها ◦ قول بلا اهل ولا سهل
وكنت اهواها ولكنني ◦ لقيت منها كل ما يسلي
وانت من اصبح احسانه ◦ حليه هذا الزمن العطل

قال وعاد نور الدين الى سنجار فاعاد عمارة اسوارها
ثم الى حران وقد اقتطعه عن صاحب الموصل مع نصيبين والخابور
والمجدل ووصل حلب في خامس رجب **وقال** ابن شداد
دخل حلب في شعبان وزوج صاحب الموصل ابنته **قال**
العماد وفوض القضا والحكم بنصيبين وسنجار والخابور الى
الشيخ شرف الدين عبد الله بن ابي عصرون فولى بها نوابه
وحكم فيها اصحابه **وقال** القاضي ابن شداد ولما صار من
الموصل الى سيف الدين ابن اخي نور الدين كان قد استولى عليه

وتولى امر البلد رجل يقال له عبد المسيح كان نصرانيا واسلم
وقيل انه كان باقيا على نصرانيته وله بيعه في داره وتتبع ارباب
العلم والدين وشنقهم وابعدهم واذى المسلمين فبلغ نور
الدين ذلك وكتب له قصص في ذلك فسار ونزل على الموصل
من جانب الشط والشط بينه وبينها وقال لا اقاتل هذه
البلده وامتك حرمتها وهي لولدي وراسل سيف الدين
وقال له انا لست مقصودي البلد وانما مقصودي حفظ
البلد لك فانه قد كتب الي في عبد المسيح كذا كذا الف
قصه بما يفعل مع المسلمين وانا مقصودي ازيل هذا النصراني
عن ولايه المسلمين قال وعبد المسيح يدبر البلد ويدور
فيه والامر اليه دبر الصلح لنور الدين فقال نور الدين
انا قد جيت ولا بد لي من دخول البلد فقال نعم لا يدخل الا
من باب السر فقال نور الدين ما ادخل الا من باب السر فجرت
بين نور الدين وبين ابن اخيه مراسلات الى ان علم ان نيته
صالحه فصالحه في السر وركب عبد المسيح وخرج يدور بين
السورين فجاه بعض اصحابه وقال له انت نايم دمك قد راح
وانت غافل فقال ما الخبر فقال سيف الدين قد صالح عمه وانت
في مقابله نور الدين فجا ودخل على سيف الدين والعي ستر بوسته
بين يديه وقال له انت قد صالحت عمك وقد علمت ما عملت
من حفظ بلدك وما لي طاقه بمقابله نور الدين فالله الله في
دمي فقال ما لي طاقه بدفعه عنك ولكن عليك بالشيخ عمر

الملا فقال والله لو مضيت اليه لم يفتح لي لعلمه بما جرى منه
في حق المسلمين ولكن تسير انت اليه فانفذ سيف الدين اليه
واستحضره وكان معتقلا فقال له ما الخبر فقال سيف الدين
لعبد المسيح منك اليه فوقف بين يديه يبكي فالتفت اليه عمر
وقال له من يعادي الرجال يبكي مثل النسا فقال له قد
تمسكت بك واطلب منك حقن دمي فقال انت امن على دمك
فقال وعلى مالي فقال وعلى مالك فقال وعلى اهلك وكان
شرف الدين بن ابي عصرون مع نور الدين حينئذ فقال سيف
الدين لعمر الملا تخرج خلف نور الدين فاحضر الفقها وعملوا
له نسخة يمين ونسخة يمين لعبد المسيح فاخذهما عمر
وخرج الى نور الدين فقام نور الدين وخرج من خيمته والتقاه
واكرمه فقال له عمر الناس يعلمون حسن عقيدتك في وقد
خرجت في كذا وكذا وهذه النسخة التي تتعلق بسيف الدين
فقراها وناولها لابن ابي عصرون فقال نسخة جيدة فقال
له الشيخ عمر الملا ايش تقول في هذه النسخة فقال جيدة
فقال اذا حلف بها على هذا الوجه اليس انها تقع لازمة
قال بلى فقال للحاضرين اشهدوا على الشيخ بذلك يشير الى
ان نور الدين كان يجري منه ايمان في وقايع وكان ابن عصرون
يفتيه بالخروج منها فتعقد عليه القول فاجاب نور الدين
الى ذلك فقال له قد علم الناس حسن عقيدتك في وان
قولي مسموع عندك وقد خرجت اليك ولا بد لي من ضيافة

فقال كيف لي بذلك وانت لا تاكل طعامي ولا تقبل مني شيا
فقال له تخلع لي بهذه النسخة فوقف عليها وتغير وجهه وقال
انا ما جيت الا في هذا الا خلص المسلمين منه فقال له الشيخ
عمر ما نطلب منك ان توليه على المسلمين فقال قد امنته
على نفسه فقال وعلى اهله فقال ومن اهله فقال نصارى
فقال امنتهم فقال وعلى ماله فقال ومن اين له هذا الكلب
مال هذا مملوك لنا فقال قد اعتقه وماله له وهو اليوم كان
صاحب الموصل فقال قد امنته على ماله فحلف على ذلك جميعه
واستقر الصلح وخرج سيف الدين الى خدمة نور الدين
فوقف بين يديه فاكرمه نور الدين وكان وصله خلعة
امير المومنين فخلعها عليه فدخل الى الموصل بها وانتقل
الى جانب الشط الاخر ولم يدخل الى الموصل الى ان جا مطره
شديدة جدا فدخل من باب السر اليها واقام بها مدة ورتب
امورها وولى فيها كمشتكين فراى النبي صلى الله عليه وسلم
ذات ليله في المنام وهو يقول جيت الى بلد كذا وطابت
لك المقام به وتركت الجهاد فقال اعز الدين فاستيقظ
من منامه وسار سحرة ذلك اليوم ولم يلبث ولم يعلم به
اكثر الناس حتى خرج وحفوم رحمه الله فصل ووصل
الخبر بموت الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف ابن
المقتفي ونور الدين مخيم بظاهر الموصل بتل توبه وكانت
وفاته يوم السبت تاسع ربيع الاخر وبويع ابنه المستضي

بامر

259.

بامر الله ابو محمد الحسن وكان مولد المستنجد منتصف ربيع الاخر سنة عشر وخمسماية وكانت خلافته احدى عشرة سنه وستة ايام وهو الثاني والثلثون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والبا

وفيه يقول بعض الادبا

• اصبحت لب بني العباس كلهم • ان عدت بحساب الجمل الخلفا •

وكان اسمر تام القامه طويل اللحيه وكان من احسن الخلفا سيرة مع الرعيه كان عادلا فيهم كثير الرفق بهم واطلق من المكوس كثيرا ولم يترك بالعراق مكسا وكان شديدا على اهل العيث والفساد والسعاية بالناس

قال ابن الاثير بلغني انه قبض على انسان كان يسعى بالناس ويكتب فيهم السعايات فاطال حبسه فحضر بعض اصحابه وشفع فيه وبذل عنه عشرة الف دينار فقال له انا اعطيك عشرة الف دينار فقال له انا اعطيك عشرة الف دينار وتحضر لي انسانا اخر مثله احبسه لاكف شره عن الناس

وتوفي في ايامه شيخ الشيوخ اسمعيل بن ابي سعد وصار بعده ابنه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ وذلك سنة احدى واربعين وفي سنة ثمان واربعين توفي محمد بن نصر القيسراني واحمد بن منير الشاعراني وقد تقدم ذلك وفي سنة تسع واربعين توفي الحكيم ابو الحكم الشاعر الاندلسي وفي سنة احدى وخمسين توفي الوا والشاعر

الحلبي وفي سنة ثلث وستين توفي الشيخ ابو النجيب الصوفي
الفقيه الواعظ قال العماد وجانا رسل دار الخلافة
مبشرين بخلافة المستضي والتقدم لك يوم عبور دجله
وركبت يوم النزول على تل توبه في الاهبة السودا والبيد
البيضا وذلك بمراي ومنظر من اهل الموصل الحدبا ثم ارسل
الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون الى بغداد نايبا عنه في
خدمة الامام ومما نظمه العماد فيه

قد اضا الزمان بالمستضي • وارث البرد وابن عم النبي •
جا بالحق والشريعة والعدل • فيا مرحبا بهذا المجي •
فهنيا لاهل بغداد فازوا • بعد بوس بكل عيش هني •
ومضى ان كان في الزمن المظلم • فالعود في الزمان المضي •

وله من قصيدة اخرى

لهفي على زمن الشباب فانني • بسوى التاسف عنه لم اتعوض
نقضت عهود الغانيات وانها • لولا انقضا شبيبتي لم تنقض
ياحسن ايام الصبا وكانها • ايام مولانا الامام المستضي
ذو البهجة الغرا اشرق نورها • والطلعة الغرا والوجه الوضي
قسم السعادة والشقا ودينا • في الخلق بين محبه والمبغض
فضل الخلايف والخلايق بالتقا • والفضل والافضال والخلق
الرضي •
فانعم امير المومنين بدولة • ماتنتهي وسعادة ماتنقضي
قال ووصل نور الدين الى دمشق وادى فرض الصيام

وصح ج

260.

وخرج بعد العيد الى الحمام واخرج سرادقه الى جسر الخشب وسرنا الى عشترا ثم ذكر العماد مناسبة صاحب اليمن الادعى بالنبوة وقد مضت في اخبار سنة خمس وستين فثم ذكرها ابن الاثير

فصل فيما جرى بمصر في هذه السنة

قال العماد كان بمصر حبس للشحنة يعرف بدار المعونة فاعادها صلاح الدين مدرسة للشافعية في اول سنة ستين وعمل في نصف الحرم دار الغزل مدرسة للمالكية وولى صدر الدين عبد الملك ابن درباس القضا والحكم بمصر والقاهرة واعمالها وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الاخرة ثم خرج الى الغزاة واغار على الرملة وعسقلان وهجم ربض غزة ثم رجع الى القاهرة ثم وصله الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها اهله فاشفق عليها واحب ان يجتمع بها شمله فخرج في النصف من ربيع الاول وكان بايله قلعة في البحر قد حصنها اهل الكفر فعمر لها مراكب وحملها الى ساحلها على الجمال وركبها الصناع هناك وشحنها بالرجال وفتح القلعة في العشر الاول من ربيع الاخر واستحلها واستباح بالقتل والاسر اهلها وملاها بالعدد والعدد وحصنها باهل الجلاد والجلد واجتمع باهله عليها وسار بهم على سمت القاهرة ودخلوا في السادس والعشرين من جمادى الاولى اليها وسار الى الاسكندرية في الثالث والعشرين من شعبان لمشاهدتها وترتيب قواعدها وهي اول دفعة سار اليها في ايام سلطانه وغمر اهلها باحسانه

دار المعونة

وامر بعمارة اسوارها وابراجها وابدانها وفي النصف
من شعبان اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب
وهو ابن اخي صلاح الدين منازل العز بمصر وجعلها مدرسة
للشافعية واشترى الروضة وحمام الذهب وغيرهما
من الاملاك ووقفها عليها • وفي النصف من جمادى الاخرة
اغار شمس الدولة اخو السلطان بالصعيد على العربان
ثم دخل القاهرة في عاشر شهر رمضان • وفي الثالث والعشرين
من جمادى الاخرة توفي القاضي الموفق ابو الحجاج يوسف بن
الخلال وكان من الاماثل الافاضل ولم يزل صاحب ديوان
الانشا الى ان كبر وكان الاجل الفاضل يوصل اليه كلما
كان له وقام به مدة حياته يكرم عهده ويكفله وقال
في الخريدة هو ناظر ديوان مصر وانسان ناظره وجامع
مفاخره وكان اليه الانشا وله قوة على الترسل يكتب ما اتاه
عاش كثيرا واعطل في اخر عمره واضر ولزم بيته الى ان تقوض
منه العمر ومن شعره
• يا راحل العمر حسبت الذي من عظة المغرور ما اصبح بين يديك
• تتوثر الدنيا فهل نلت بها لحظة تخلص من هم وكيد •
وقال ابن ابي طي في هذه السنة شرع السلطان يعني صلاح
الدين في عمارة سور القاهرة لانه كان قد تهدم اكثره وصار
طريقا لا يرد داخلا ولا خارجا وولاه لقراقوش الخادم
وقبض على القصور وسلمها اليه وامر بتغيير شعار الاسماعيلية

منازل العز

وقطع

261

وقطع من الاذان حي على خير العمل وشرع في تمهيد اسباب الخطبه
لبني العباس وفيها طلب شمس الدوله من اخيه السلطان ان يبعث
للكامل بالقاهره وارد ا دعلي اقطاعه بوش واعمال الجيزه وسمنود
وغيرها قلت وقد وقفت على كتاب فاضلي وصف فيه
غزاة غزاها صلاح الدين رحمه الله في زمان وزارته وكان الكتاب
الى مدينة قوص واظن هذه الغزاه هي التي اشار اليها العماد في اثنا
كلامه السابق اول الكتاب انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سو واتبعوا رضوان والله ذو فضل عظيم وفيه وجهنا من بركة
الجب يوم الخميس الخامس عشر ربيع الاول ووصلنا بتاريخ السابع
والعشرين من الشهر المذكور والعساكر بالسهل والوعر منتظمه
والهم على السهل والصعب مزدحمه وجنود الله في الارض المعلمه
قد ايدتها جنود السما المسومه وصابحنا الدير يوم الاربعا
بقتال جعل كل من في حصن الدير راهبا ونصبنا عليه منجنيقا
لا يزال بشهاب القذف صاديا فلما تعالى النهار ملكنا ربضه
واطلقنا فيه النيران وملينا الرجال بالدم وارملنا النسوان
وزحفنا الى ابراجه وهي ابراج قد استغرقت للبلا جلبابا
فجعلنا لكل واحد حوزة مفرزة ومابا وسرحنا اليهم رسل
المنايا من النشاب وقصدنا احد الابراج والبيوت تؤتى
في الحرب من غير الابواب وتقدمت اليهم نقابة الحلبيه فباتت
بتيها تشاوره وتراجعه بالسنة المعاول وتساوره واسفر
الصبح وقد امكن تعليقه وتيسر تحريقه فاودعنا تلك العقود

الا آت الوفود فلم يكن الا مقدار اشتغالها حتى خر صريعًا سريعًا
وعفر بين ايدينا سامعًا مطيعًا وانتظمت الرجال على احجاره
ولو ابيت الى امثاله من الابراج والنظار فحصلت في القبضه
وعجز من كان فيها عن النهضه واحكم فيها العذاب بالسيف والنار
وضاق عليهم مجال النفس والفرار واستقبلنا يوم الخميس نقب
القلعه وتقدم المنجنيق وتيسير السبيل للقتال وتخليص الطريق
هذا والكسوب والنهوب قد امتارت منهم العساكر وخرجت
فيها مكنونات الذخائر واستقبلنا اليوم يوم تيل الشرائر وطهر
الارض منهم بالدم المائر فلما كان بكرة الجمعه وردتنا الاخبار
بان الملك قد زحف من عزم في فارسه وراجله ورامحه ونابله
وحشود ديارم وجنود انصاره فركبنا مستبشرين بوعد
موقنين بحقه ولقيناه فاحطنا من بين يديه ومن خلفه
وتا وشنه الجبل الطراد واحدقت به احداق الاغلال
بالاجياد وانتظرت حلته التي كان لها في ذلك اليوم موقع
وصد منه التي لها رجال الحرب موضع فملا الله قلبه رعبًا وثنى
صدقه كذبا ولم يزل يخاتل ولا يقاتل ويواصل المسير ولا يطاول
والقتل في اعقابه وايدي السيوف وسواعد الرماح لا تثني
في عقابه حتى تحصل في الدير هو وخيله ورجله ولم يلوله من
ملك الشام الا ما وطيته رجله فناصبناه الحصار في ليلة
السبت مستهل ربيع الاخر بالركوب اليه والوقوف عليه
لعله يبرز ويبارز ويخرج ولا يحاجز فحرسنا غاعمد ولا سنذابت

262.

ضراغمه فتركناه وراظهورنا وجعلنا بلادنا امام صدورنا
فكنا في تولينه مرضين لله سبحانه لا معصيين وفي تركه
وراظهورنا ومباعدته من الله متقربين وواجهنا عن
بحساكرنا المنصوره واطفنا بها في احسن صوره وهي على
ما علم من كونها بكرا لم تفترعها الحوادث وحصانا لما يطمثها
الملطامث وهي معقل الدبوية الذين هم جمرة الشرك
وداهية الافك وانى الله بنيانها من القواعد والجزيرة
من النصر صادق المواعد ورددناها بامن الموارد وفتحناها
من عدة جوانب ووطيناها واذلها كامسر الذاهبه فالقت
الينا افلاذ كبدها وقدمت بيدها ثمن بين مواشي تخرب البلاد
التى منها خرجت وخيول مسومة كانها لركوبنا اسرجت
والجمت وحوامل اثقال وزوامل خففت عن عساكرنا وفرجت
ومبين كثيره تمكنت فيها يد الاجناد وافرجت واسارى
المسلمين فكوا من القيد والغد وانقذ وابلطف الله من سوء
المملكه وسلة الجهد وامّا الروس المقطوعه واسارى
الفرنج الذين ايديهم الى اعناقهم مجموعه فان الفضا الفضى
تعصف من دمائهم وتخضب وجرى منها ما به اضطرم وقد
الجحيم وتلهب وفي الحال امرنا بالنار ان تستعلن بها وتستعل
وبالهدم ان ينقل عنها معاوله ويستقل فهل يرى لهم من
باقيه او ينظر الا طولا على عروشها خاويه وعراصا من سكانها
خاليه وقد بقيت عبرة للعابر وذكرى للذاكر وموعظة سائره

للمسلم مرغمة للكافر ثم عدنا يقينة يوم السبت الى الملك خذله
الله راجين ان يحمله التكل على الاقدام ويخرجه حر الفرار الى
مقام الانتقام فاذا شيطانه قد نصحه وقتل اصحابه قد
جرحه ميثنا عليه والالسنه بفرار تعيره واستنار
بفزعه ويرم واصبحنا يوم الاحد ثاني شهر ربيع الاخر
والكسب قد اثقل المقاتله ونصر الله قد بلغ الغايه المسائله
ورحلنا والسلامة تصحب عسكرنا وكبيره شامله والعدو
قد غرى في عزم وعنز واذله في دار مملكته واحتقره ووصلنا
الى مستقر سلطاننا في يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر
المذكور فاستقبلنا من مولانا صلوات الله عليه ونشر بغيه
واستقلاله كابه ومشافهتنا بمقبول دعايه الشريف ومحامد
ما عظمت به النعم وحلت وذالت به وعثا الطريق وتجلت
وجادتها سما العامه التي لم تزل تجودنا واستهلت قلت

• ومن قصيدة لعماره في مدح صلاح الدين • اولها •

• فوادي بنار الشوق والوجد محرق • يقول فيها

• لعل بني ايوب ان علموا بما • نظلمت منه ان يرقوا ويشفقوا •
• غزوا اعقر دار المشركين بغزوه • جهادا وطرف الشرك خزيان • مطرق •

• وزاروا مصلى عسقلان بارعن • تغص انابيب منه ويشهق •
• وكانت على ما شاهد الناس قبلكم • طرائق من شوك القنا ليس • تطرق •

وما

وما عصمتهم منك الا معاقل • تالوا على تحصينها وتانقوا •
جلبت لهم من سورة الحرب ما انثنى • بوارزه سور عليهم وخندق •
واخربت من اعمالهم كل عامر • تمر به طيف الخيال فيفرق •
اضفت الى اجر الجهاد زيارة • الخليل فابشر انت عازم موفق •
ولم يبق للبيت المقدس لو عدة • تطول لها منه اليك التشوق •
تنشق من ملقاك اعطر نفحة • تطيب على قلب الهدى حين
تنشق •
وعن وكل هذا سلم لحو فتحه • قريبا والا رايه ومطرق •
هو البيت ان تفتحه والله فاعل • فما بعده باب من الشام مغلق •

ثم دخلت سنة سبع وستين فاستفتحها صلاح الدين
باقامة الخطبة في الجمعة الاولى منها بمصر لبني العباس وفي
الجمعة الثانية خطب لهم بالقاهرة وانقطع ذكر خلفا مصر
منها وتوفي العاضد يوم عاشورا بالقصر وانقضت تلك الدو لة
بانتهاء ما دام لها من العصر وذكر العماد ايضا في اخبار
سنة اثنين وستين كما سياتي ان الذي خطب بمصر لبني
العباس اولا هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن ابي المضا
البعلبكي وذكر ذلك ايضا ابن الدبيثي في تاريخه وقد اشار
اليه القاضي الفاضل في كتاب له الى وزير بغداد وسياتي
ذكره وقال ابن الاثير كان السبب في ذلك ان صلاح
الدين يوسف بن ايوب لما ثبت قدمه في مصر وزال المخالفون
له وضعف امر العاضد وهو الخليفة بها ولم يبق من العساكر

المصرية احد كتب اليه الملك العادل نور الدين محمود بامره
بقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة العباسية فاعتذر
صلاح الدين بالخوف من وثوب اهل مصر وامتناعهم من الاجابة
الى ذلك لميلهم الى العلويين فلم يصغ نور الدين الى قوله وارسل
اليه يلزمه بذلك الزاما لا فسحة له فيه فاتفق ان العاضد
مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة له فاستشار
الامرا كيف يكون الابتدا بالخطبة العباسية فمنهم من اقدم
على المساعدة واشار بها ومنهم من خاف ذلك الا انه لم يمكنه
الا الامتثال لامر نور الدين وكان قد دخل الى مصر انسان
اعجمي يعرف بالامير العالم وقد رايناه بالموصل كثيرا فلما راى
ما هم فيه من الاحجام قال انا ابتدي بها فلما كان اول جمعة
من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضي بامر الله
ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر الديار
المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه اهله
واصحابه بذلك وقالوا ان سلم فهو يعلم وان توفي فلا
ينبغي ان ننغص عليه هذه الايام التي قد بقيت من اجله
فتوفي يوم عاشورا ولم يعلم ولما توفي جلس صلاح الدين
للعزا واستولى على قصره وجميع ما فيه وكان قد رتب فيه
قبل وفاة العاضد بها الدين قراقوش وهو خصي لحفظه وجعله
كاستاد دار العاضد الى مكان منفرد ووكل بحفظهم وجعل
اولاده وعمومته وابناهم في الايوان في القصر وجعل عندهم

من

من حفظهم واخرج من كان بالقصر من العبيد والاما فاعتق
البعض ووهب البعض وباع البعض واخلى القصر من اهله
وسكانه فسبحان من لا يزول ملكه ولا تغيره مر الايام
وتعاقب الدهور **قال** ولما اشتد مرض العاضد ارسل
يستدعي صلاح الدين فظن ان ذلك خديعة فلم يمض اليه
فلما توفي علم صدقه فندم على تخلفه عنه **قلت**
اخبرني الامير ابو الفتوح بن العاضد وقد اجتمعت
به وهو محبوس مقيد سنة ثمان وعشرين وستماية بقلعة
الجبل بمصر ان اباه في مرضه استدعى صلاح الدين فحضر
قال واحضرنا يعني اولاده وهم جماعة صغار فاوصاه
بنا فالتزم اكرامنا واحترامنا رحمه الله واما ندم صلاح
الدين فبلغني انه كان على استعجاله بقطع خطبته وهو
مريض وقال لو علمت انه يموت من هذا المرض ما قطعتها الى
ان يموت **قال** العماد وجلس السلطان للعزا واغرب
في الحزن والبكا وبلغ الغاية في اجمال امره والتوديع له
الى قبره ثم تسلم القصر بما فيه من خزاينه ودفاينه وكان
مدنا فوق مركز الخلافة وقد تصرف من هو زمام القصر وعزل
ووكل بهاء الدين قراقوش بالقصر وجعله زمامه واستنابه
مقام نفسه واقامه كما دخل الى القصر شي ولا خرج
الا براي منه ومسمع ولا حصل لاهل القصر بعد ذلك
على صفو مشرع فلما توفي العاضد بطلت تلك القواعد

وبيت المعاقد وامر السلطان بالاحتياط على اهله واولادهم
في موضع خارج القصر جعله برسمهم على الانفراد وقرر ما يكون
لهم برسم الكسوات والاقوات والازواد قلت
اخبرني ابو الفتوح انه جعلهم في دار برجوان في الحارة المنسوبة
اليه بالقاهرة وهي دار كبيرة واسعة كان عيشهم فيها طيبا
ثم نقلوا بعد الى الدولة الصلاحية منها وابعدوا عنها قال
العماد وهم الى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره
يكلوهم ويحرسهم بعض حرمه في ليله ونهاره وجمع الباقين
من عمومتهم وعشيرتهم من القصر في ايوان واحترز عليهم
في ذلك المكان بكل امكان وابعد عنهم النسا لئلا يتناسلوا
فيكثروا وهم الى الان محصورون محسورون لم يظهروا وقد
نقص عددهم وقلص مددهم ثم عرض من بالقصر من الجواري
والعبيد والعدد والعديد والطريف والتليد فوجد اكثرهن
حرائر فاطلقهن وجمع الباقيات فوهبهن وفرقهن واخلا دورهم
واغلق قصورهم وسلط جوده على الموجود وابطل الوزن
والعد عن الموزون والمعدود واخذ كل ما صلح له ولاهله
ولامرائه وخواص مماليكه واوليائه من اخاير الذخاير
وزوائد الجواهر ونفايس الملابس ومحاسن العرايس وقلايد
الفرايد والدرة اليتيمة والياقوتة العالية الغالية
القيمة والمصوغات التبرية والمصنوعات العنبرية
والاواني الفضية والصواني الصينية والمنسوجات
المغربية

المغربيه والممزوجات الدمشقيه والمحوكات النصارديه
واليتايم والعوذ والتمايم والعقود والنقود والمنظوم
والمنضود والمحلول والمشدود والمنعوت والمنحوت
والدر والياقوت والحلي والوشي والعبير والحبير والوبر
والتبر والعيني والعجمي والبسط والفرش وما لا يعد
احصا ولا يحد استقصا فوقع فيها الغنا وكشف عنها الغطا
واشرق فيها العطا واطلق البيع بعد ذلك في كل جديد
وعتيق ولبيس وسحيق وبال واسمال ورخص وغال وكل
منقول ومحمول ومصنوع ومعمول واستمر البيع فيها مدة
عشر سنين وتنقلت الى البلاد بايدي المسافرين الواردين
والصادرين ونقلت من ديوان العماد بخطه قال ولما
وصل الخبر بموت العاضد الذي كان بمصر في القصر مسموما
بالامر في ليلة عاشورا سنة سبع وستين بعد الخطبة
بها لامير المومنين المستضي بامر الله عملت هذه الابيات
فذكر قصيدة منها

توفي العاضد الدعي فما • يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها انقضى وغدا • يوسفها في الامور محتكما
وانطفات جمرة الغواة وقد • باخ من الشرك كل ما اضطرما
وصار شمل الصلاح ملتئما • بها وعقد السداد منتظما
لما غدا معلنا شعار بني • العباس حقا والباطل اكتتما
وبات داعي التوحيد منتصرا • ومن دعاة الاشراك منتقما

وظل اهل الضلال في ظلل • داجية من غياية وعمى
وارتبك الجاهلون في ظلل • لما اضاءت منابر العلما
وعاد بالمستضي ممتهدا • اوبنا حق فذكان منهدما
واعتلت الدولة التي اضطهدت • وانتصر الدين بعد ما اهتضما

واهتز عطف الاسلام من جذل • وافتر ثغر الايمان وابتسما
واستبشرت اوجه الهدى فرحا • فليقرع الكفر سنه ندما
عاد حريم الاعداء منتهك الحمى • وفي الطغاة منقسما
قصور اهل القصور اخربها • عامر بيت من الكمال سما
ازعج بعد السكون ساكنها • ومات ذلا وانفه رغما

ومن كتاب فاضلي عن السلطان صلاح الدين الى وزير بغداد على يد الخطيب شمس الدين ابن ابي المضا في بعض السنين كتب الخادم هذه الخدمة من مستقر وذين الولا مشروع وعلم الجهاد مرفوع وسواد السواد متبوع وحكم السداد بين الامة موضوع وسبب الفساد مقطوع ممنوع وقد توالت الفتوحات غربا ويمنا وشاما وصارت البلاد بل الدنيا والشهر بل الدهر حرما حراما واضحى الدين واحدا بعدما كان اديانا والخلافة اذا ذكر بها اهل الخلاف لم يخروا عليها صما وعميانا والبدعة خاشعة والجمعة جامعة والمذلة في شيع الضلال شايعة ذلك بانهم اتخذوا عباد الله من دونه اوليا وسموا اعدا الله

اصفيا

اصفيآ وتقطعوا امرهم بينهم شيعًا وفرقوا امر الامة وكان
مجتمعًا وكذبوا بالنار فعجلت لهم نار الحتوف ونزت اقلام
الظبى حروف روسهم نز الاقلام للحروف ومزقوا كل ممزق
واخذ منهم بكل مخنق وقطع دابرهم ووعظ ابناهم غابرهم
ورغمت انوفهم ومنابرهم وحقت عليهم الكلمة تشريدًا
وقتلا وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا وليس السيف عن سواهم
من كفار الفرنج بصايم ولا الليل عن سير اليهم بنايم ولا
خفا عن المجلس الصاحبي ان من شد عقد خلافه وحل عقد
خلاف وقام بدولة وقعد باخرى فقد عجز عنها الاخلاف
والاسلاف مفتقر الى ان يشكر ما نصح ويقلد ما فتح ويبلغ

فائدة

ما اقترح ويقدم حقه ولا يطرح ويقرب مكانه وان نزحت
وتاتيه التشريفات الشريفة وتتواصل اليه امدادات التقويات
الجليلة اللطيفة وتلبى دعوته لما اقام من دعوة وتوصل
عزوته لما وصل من عزوة وترفع دونه الحجب المعترضة
وترسل اليه السحب المروضة فكل ذلك تعود عوايدك
وتبدو افوايدك بالدولة التي كشف وجهه لنصرها وجرد
سيفه لرفع منارها والقيام بامرها وقد اتى البيوت
من ابوابها وطلب النجعة من سحابها ووعد امامه الوايقة
بجواب كتابها وانه لا يصل الى ملطفاته وتنجز تشريفاته
خطيب الخطبا بمصر وهو الذي اختاره لصعود درجة المنبر
وقام بالامر فيها من بر واستفتح بلباس السواد الاعظم

الذي جمع الله عليه السواد الاعظم املا انه يعود اليه
بما يطوي الدهر فضل عقبه ويخلد الشرف في عقبه وقال
ابن ابي طي الحلبي قد قدمنا ذكر مكاتبة نور الدين والحاحه
على صلاح الدين في اقامة الخطبة بمصر للعباسيين وانه
انفذ اليه اباه نجم الدين ايوب لاجل ذلك لما كتب الخليفة
المستنجد الى نور الدين في ذلك ولما ولي ابنه المستضيء
اقبل ايضا على مكاتبة نور الدين فيه والح نور الدين في طلبه
وانقضى به الامر الى ان اتم صلاح الدين وشفع عليه بسببه
واكثر القول في ذلك ولما قدم الامير نجم الدين حداه على فعل
ذلك فاعتذر اليه بان احواله لم تستقر بعد وامورهم مضطربة
واعداوه كثير وان المصريين لهم جماعة كبيرة متفرقة
في بلاد مصر من السودان وغيرهم وان هذا الامر ان
لم يوخذ على التدريج والا فسدت احواله فلما وقع الملك
الناصر بالسودان والارمن ونكب امرا المصريين وقطع
اخبارهم ونزل اجناده في دورهم ثم قطع اقطاع العاضد
وقبض جميع ما كان بيده من البلاد واستولى على القصور
ووكل بها وبمن فيها قراقوش الخادم وخلت له بلاد مصر من
معاند ومما يذم شرع وابطل من الاذان حي على خير
العمل وانكر على من يتسم بمذهبهم والانتساب اليهم فلما
راى امور مواليه واعداوه قليلون شرع حينئذ في الخطبة
لبني العباس ولما عول على ذلك امر والده الامير نجم الدين

بالنزول

بالنزول الى الجامع في جماعة من اصحابه وامرا دولته وذلك
في اول جمعة من السنة وامره ان يحضر الخطيب اليه ويامره
بما يختاره وانما فعل الملك الناصر ذلك ووكل الامر الى غيره
استظهارا وخوفا من فادحة ربما طرات او عدو ربما ثار
فيكون هو معتذرا من ذلك ولما حصل نجم الدين بالجامع
احضر الخطيب اليه وقال له ان ذكرت هذا المقيم بالقصر ضربت
عنقك فقال فلم اخطب قال للمستضي العباسي فلما صعد
المنبر وخطب ووصل الى ذكر العاضد لم يذكر احدا لكنه
دعا للايمة المهديين وللسلطان الملك الناصر ونزل فعتب
له في ذلك فقال ما علمت اسم المستضي ولا نعوته ولا تقرر
معه شي في ذلك قبل الجمعة وفي الجمعة الثانية افعل ان
شا الله ما يجب فعله في تحرير الاسم والالقاب على جاري العادة
في مثل ذلك قال وقيل ان العاضد لما اتصل به ما فعل
من قطع اسمه من الخطبة قال لمن خطب قيل له لم يخطب لاحد
مسمى قال في الجمعة الاخرى يخطبون لرجل مسمى واتفق
انه مات قبل الجمعة الثانية فقيل انه افكر واستولى عليه
الفكر والهم حتى مات وقيل انه لما سمع انه قطعت خطبته
اهتم وقام ليدخل الى داره فعثر فسقط فاقام متعللا خمسة
ايام ومات وقيل انه امتص فص خاتمه وكان تحته سم
فمات ولما اتصل موته بالملك الناصر قال لو علمنا انه يموت
في هذه الجمعة ما غصصناه برفع اسمه من الخطبة فحكى ان

ان القاضي الفاضل قال للسلطان لو علم انكم ما تم فعلون
اسمه من الخطبه لم تمت اشارا الي ان العاضد قتل نفسه وكان
موته يوم عاشورا قال وحكى ابن المرستان في سيرة
ابن هبيرة الوزير قال انه من عجيب ماجرى في امر المصريين
انه راي انسان من اهل بغداد في سنة خمس وخمسين
وخمسماية كان قمرين احدهما انور من الاخر والانور منهما
مسامت للقبلة وله لحيه سودا فيها طول ويهب ادنا نسيم
فيحركها وانتم حركتها وظلها في الارض وكان الرجل يتعجب من
ذلك وكانه سمع اصوات جماعة يقرون باحان واصوات
لم يسمع قط مثلها وكانه سال بعض من حضر فقال ما هذا
فقالوا قد استبدل الناس بامامهم قال وكان الرجل
قد استقبل القبله وهو يدعوا الله ان يجعله اماما يتم النعمتا
واستيقظ الرجل وبلغ هذا المنام بن هبيرة الوزير واذ ذاك
بغداد فعبر المنام بان الامام الذي بمصر يستبدل به
وتكون الدعوة لبني العباس لمكان اللحية السودا وقوى هذا
عنده حتى كاتب نور الدين حين دخل اسد الدين الي مصر في اول
مرة بانه يظفر بمصر وتكون الخطبة لبني العباس بها علي يده
وقلت في ذلك الزمان لسمار في هذا المعنى قصيدة
شمس المعالي ابي الفضائل بن توكان وكان صاحب ابن هبيرة
قالها حين سمع تاويله للمنام

لتهنك يا مولى الانام بشارة ، بها سيف دين الله بالحق مرهف

صنت

268.

حديث بها هام الاعادي بهمة • يغامر عنها السمهري المثقف •
بعثت الى شرق البلاد وغربها • بعوثا من الاراء تخفي وتيلف •
فقامت مقام السيف والسيف فاطره • ونابت مناب الرمح والرمح
• يرعف •
وقدت بها جيش الرعب مابلاه الى كل قلب من عداتك يرجف •
ليهنك يا مولاي فتح تتابعت • اليك به خوص الركايب توجف
اخذت به مصرا وقد حال دونها • من الشرك ياس في لهى الحق
• يقذف •
وقد دنست منها المنابر عصبة • بعاف التقا والدين منهم ويانف
فطهرتها من كل شرك وبدعة • اغر عزوف بالمكارم يشعف •
فعادت بحمد الله باسم امامنا بتيه على كل البلاد وتشرف •
ولا غر وان ليوسف مصرها • وكانت الى عليا يه تتشوف •
تملكها من قبضة الكفر يوسف • وخلصها من قبضة الرفض يوسف
قال يحيى ابن ابي طي يريد بيوسف الاول يوسف
الصديق النبي عليه السلام وبيوسف الثاني المستنجد بالله
الخليفة يومئذ وقاله على سبيل الفال الا تراه قال
بعد هذا البيت •
فشابهه خلقا وخلقا وعفة • وكل عن الرحمن في الارض يخلف
وجرى الفال في البيت باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف
ابن ايوب لان المستنجد مات قبل تغيير الخطبة لبني
العباس وهذا من عجيب الاتفاق قال ولما قطعت خطبة

العاضد استطال اهل السنة على الاسمعيلية ويتبعونهم واذلوهم
وصاروا لا يقدرون على الظهور من دورهم واذا وجد احد من
الاتراك مصريا اخذ ثيابه وعظمت الاذية بذلك وجلا اكثر
اهل مصر عنها الى البلاد وفرح الناس بذلك وكتبت الكتب به الى
الاقطار وتحدث به السمار ولما وصل خبر ذلك الى نور الدين ندب
للبشارة به الى بغداد شهاب الدين ابا المعالى المطهر بن ابى عصرون
وكتب معه نسخة بشارة تقرا فى كل مدينة يمر بها يقول
فيها اصدرنا هذه المكاتبة الى جميع البلاد الاسلامية عامة بما فتح
الله على ايدينا رتاجه واوضح منهاجه وهو ما اعتمدناه من
اقامة الدعوة الهادية العباسية بجميع المدن والبلاد واقطار
الامصار المصرية والاسكندرية ومصر والقاهرة وساير
الاطراف الدانية والقاصية والبادية والحاضرة وانتهت الى
القريب والبعيد والى قوص واسوان باقصى الصعيد وهذا
شرف لزماننا هذا واهله يفتخر به على الازمنة التى مضت
من قبله ومابرحت هممنا الى مصر مصروفة وعلى افتتاحها موقوفة
وعزايمنا فى اقامة الدعوة الهادية بها ماضية وامالنا قد كانت فى الازل
بقضاء اربنا ونجاز مواعدنا قاضية حتى ظفرنا بها بعد ياس الملوك
منها وقدرنا عليها وقد عجزوا عنها وطالما مرت عليها الحقب الخوالى
واتت دونها الايام والليالى وبقيت مايتين وثمانين سنة ممنوة
بدعوة المبطلين مملوة بحزب الشياطين سابغة ظلالها للضلال
مقفوة المحل الامر المحال مفتقرة الى نصرة من الله تملكها ونظر ينقذها

رافعة

رافعة يدها في اشكايها متظلمة اليه ليكفلها باعدايها على اعداييها
حتى اذن الله لغمتها بالانفراج ولعلتها بالعلاج وسبب قصد
الفرنج لها وتوجههم اليها طمعا في الاستيلا عليها واجتمع داان
الكفر والبدعة وكلاهما شديد الروعة فملكنا الله تلك البلاد
ومكن لنا في الارض واقدرنا على ما كنا نؤمله في ازالة الالحاد
والرفض من اقامة الرفض وتقدمنا الى من استنبناه ان يستفتح
باب السعادة ويستنجح ما لنا من الارادة ويقيم الدعوة الهادية
العباسية ممالكها ويورد الادعيا ودعاة الالحاد بها المهالك
وهو كتاب طويل اخترت منه الغرض وهو هذا قال
وسار شهاب الدين ابن ابي عصرون الى جهة بغداد ولم يترك
مدينة الا دخلها بهذه البشارة الجليلة القدر وقرا فيها
هذا المنشور العظيم الخطر والذكر حتى وصل الى بغداد فخرج
الموكب الى تلقيه وجميع اهل بغداد مكرمين لحظه ورواه
معظمين لجليل موروده ونثرت عليه دنانير الانعام وحبي
بكل احسان واكرام وارسلت التشريفات الى نور الدين
كما سياتي ذكره قال العماد كان صلاح الدين لا يخرج
على امر نور الدين ويعمل له عمل القوي الامين ويرجع في جميع
مصالحه الى رايه المتين وقد كان كاتبه نور الدين في شوال
سنة ست وستين بتغيير الخطبة وتذليل امورها الصعبة
وانتزاع بكر هذه القضية ونزع الريبة فاعتذر ان امره متبوع
وقوله مسموع وحكمه مشروع ونطقت بذلك قبل التمام

السن الخواص والعوام فسير نور الدين شهاب الدين ابا المعالي
المطهر بن الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون بهذه البشارة
واشاعة ما تقدم له بها من الاشاعة وامرني بانشاء بشارة
عامة تقرا في ساير بلاد الاسلام وبشارة خاصة للديوان
العزيز بحضرة الامام في مدينة السلام ثم ذكر نسخة البشاير
ثم قال ونظمت قصيدة مشتملة على الخطبة بمصر اولها

قد خطبنا للمستضيء بمصر ٭ نايب المصطفى امام العصر ٭
وخذلنا لنصرة العضد العاضد والقاصر الذي بالقصر ٭

اراد بالعضد وزير بغداد عضد الدين بن رئيس الروسا
قال العماد في كتاب الخريدة قصدت بالعضد العاضد
المجانسة ونصرة وزير الخليفة كنصرته ثم قال

واشعنا بها شعار بني العباس ٭ فاستبشرت وجوه النصر ٭
وتركنا الدعي يدعو ثبورا ٭ وهو بالذل تحت حجر وحصر ٭
وتباهت منابر الدين بالخطبة ٭ للهاشمي في ارض مصر ٭
ولدينا تضاعفت نعم الله ٭ وجلت عن كل عد وحصر ٭
واعتدى الدين ثابت الركن في مصر محوط الحمى مصون
٭ الثغر ٭
واستنارت عزايم الملك العادل ٭ نور الدين الكريم الاغر ٭
وبنو الاصفر القوامص منه ٭ بوجوم من المخافة صفر ٭
عرف الحق اهل مصر وكانوا ٭ قبله بين منكر ومقر ٭
قل للداعي الدعي حسبك الله ٭ فالله اقر الحقوق خير مقر ٭

270.

هو فتح بكر ودون الدرايا . خصنا الله بافتراع البكر .
وحملنا بالحمد والاجر والنصر . وطيب الثنا وحسن الذكر .
ونشرنا اعلامنا السود قهرا . للعدى الزرق بالمنايا الحمر .
واستعدنا من ادعيا شعوبا . تدعي منهم لزيد وعمر .
والذي يدعي الامامة بالقاهرة . احط في حضيض القهر .
خانه الدهر في مناه وان . يطمع ده والذئب في وفا الذئب .
ما يقام الامام الا بحق . ما تحاز الحسنا الا بمهر .
خلفا المهدي سراة بني . العباس والطيبون اهل الطهر .
بهم الدين ظافر مستقيم . ظاهر فوق قوى الظهر .
كشموس الضحى تمثل بدور التم . كالسحب كالنجوم الزهر .
قد بلغنا بالصبر كل مراد . وبلوغ المراد عقبى الصبر .
ليس منى الرجال من ملك المال . ولكنما اخو اللب مثري .
ولهذا لم ينتفع صاحب القصر . وقد شارق الديور بدثر .
دام نصر الهدى بملك بني العباس حتى يقوم يوم الحشر .
وقال العماد في ديوانه ونقلته من خطه قال
ووصل الخبر بالخطبة في الاسكندرية يوم الجمعة سابع
شهر رمضان وفي مصر والقاهرة يوم الجمعة ثامن عشري
شهر رمضان لمولانا الامام المستضي بامر الله امير المومنين
واشاعة شعار بني العباس بها فعلت وحررت ولجست
الخشب من دمشق في عاشر شوال وكتبت بها الي بغداد
فذكر هذه الفضيلة وقال في البرق ووصل من دار

الخلافة في جواب هذه البشارة عماد الدين صندل وهو من
اكابر الخدم المقتفوية من ذوي الدربة والهمة القوية
وتولى استاذية الدار العزيزة بعد عزل كمال الدين
بن عضد الدين عنها فاكرم نور الدين بارسال مثله اليه
وعول في هذا الامر المهم عليه وهو اكرم رسول وصل
فانجح الامل وجاء بالتشريف الشريف لنور الدين مكملا معظما
مجملا باهبة السود العراقية وحلله المونسية وطوقه
للتقبيل ولوايه الجليل وعين يوم تحضر فيه الرسول
وانضووا على من يحضر في مجلس نور الدين واغفلوا ذكر العماد
فطلبه نور الدين لما حضروا وقام لقيام الرسالة لما حضر
وقصد ان يعرفهم منزلته عنده وناوله الكتاب ليقراه قال
فتناوله مني الموفق ابن القيسراني خالد وكان عنده في مقام
الوزير وله انبساط زايد فقراه وما ما ربته وتركته
يقرا وانا ارد عليه وارشده في التلاوة الى ما لا يهتدي
اليه حتى انهاه وانا على اقتبانه على الاتهاه فاصبح نور الدين
صميمي وسميي واحد مني فضل الثاني واجاب الامنية ولبس
الفرجية فوقها وتقلد مع تقلد السيفين طوقها وخرج
وركب من داخل القلعة وهو حالي بما عليه من الخلعة واللوا
منشور والنضار منثور والمركبان الشريفان احدهما مركوبه
والاخر بحليته مجنوبه قال وسالت عن معنى تقليده
السيفين واشتماله بالنجادين فقيل هما للشام ومصر

واجمع

271.

واجمع له بين البلادين وخرج الى ظاهر دمشق حتى
انتهى الى منتهى الميدان الاخضر ثم عاد شريف المخبر جميل
المنظر جليل المحضر حميد المخبر سعيد المورد والمصدر
ليبقا بالاعظم من السرير والمنبر وكان وزن الطوق
مع الكرته التى دينار ومن الة ذهب الاحمر وحملوا الصلاح
الدين تشريفا فاضلا فايقا رايقا رايقا بجماله وكماله
لايقا لكن تشريف نور الدين اميز وافضل واجمل واكمل
فسير تشريفه برمته اليه بمصر ليحتابه وسير ايضا بخلع
من عنده يكرم بها اصحابه ووصلت تلك الخلعه اليه وليبها
والبس من السعادة الدايمه فلبسها وطاف بها في الحادي
والعشرين من رجب وهي اول اهبه عباسيه دخلت الديار
المصريه يعني بعد استيلا بني عبيد عليها قال وكانت
وصلت مع الرسل اعلام وبنود ورايات سود واهب
عباسيه للخطبا في الديار المصريه فسيرت الي صلاح الدين
ففرقها علي المساجد والجوامع والخطبا والقضاة والعلما
والحمد لله علي ما انعم واولى ووهب واعطى قال ابن
ابي طي ولما فرغ السلطان من امر الخطبه امر بالقبض
علي القصور وجميع ما فيها من مال وذخاير وفرش وسلاح
وغير ذلك فلم يوجد من المال كبير امر لان شاور
كان قد ضيعه في اعطايه الفرنج في المرات التي قدمنا ذكرها
ووجد فيها ذخاير جليله من ملابس وفرش وخيل وخيام

٥ قضيب زمرد

وجوهر ومن عجيب ما وجد فيه قضيب زمرد طوله شبر وكسر قطعة واحدة وكان سمك حجمه مقدار الابهام ووجد فيه طبل للقولنج ووجد فيه ابريق عظيم من الحجر المانع ووجد فيه سبعمائة يتيمة من الجوهر فاما قضيب الزمرد فاباه الصانع فقطعه فرماه السلطان فانقطع ثلث قطع وفرقه على نسائه واما طبل القولنج فانه وقع الى بعض الاكراد فلم يدر ما هو فكسره لانه ضرب به فحبق وانما الابرلوقا نقلة السلطان الى بغداد واحتاط السلطان على اهل العاضد واولاده في موضع في خارج القصر وجعله برسمهم على الانفراد وقرر لهم ما يكفيهم وجعل امرهم الى قراقوش الخادم وفرق بين النسا والرجال ليكون ذلك اسرع الى انقراضهم واستعرض من بالقصر من الجواري والعبيد والعدد والعديد والطريف والتليد فاطلق من كان منهم حرا واطلق من راى اعتاقه ووهب من اراد هبته وفرق على الامرا والاصحاب من نفايس القصر وذخايره شيا كثيرا وحصل هو على التماثيل وقطع البلخش والياقوت وقضيب الزمرد واطلق البيع بعد ذلك في كل جديد وعتيق فما قام البيع في القصر مدة عشر سنين قال ومن جملة ما باعوا

خزانة كتب

خزانة الكتب وكانت من عجايب الدنيا وبعالاته لم يكن

في

272.

في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من الدار التي بالقاهرة
في القصر ومن عجايبها انه كان بها الف ومايتان وعشرون
نسخه بتاريخ الطبري ويقال انها كانت تحتوي
علي الفي الف وستماية الف كتاب وكان فيها من الخطوط
المنسوبة اشيا كثيره وحصل القاضي الفاضل بجها
وذلك انه دخل اليها واعتبرها فكل كتاب صلح له قطع
جلده ورماه في بركة كانت هناك فلما فرغ الناس
من شرا الكتب اشترى تلك الكتب التي القاها في البركه
على انها محروقه ثم جمعها بعد ذلك ومنها حصل له
ماحصل من الكتب كذى اخبرني جماعة من المصريين منهم
الامير شمس الخلافه موسى بن محمد واقسم الناس بعد
ذلك دور القصر واعطى السلطان القصر الشمالي للامرا
فسكنوه واسكن اباه نجم الدين في اللولوه وهو قصر عظيم
علي الخليج الذي فيه البستان الكافوري ونقل الملك
العادل الي مكان اخر منه واخذ باقي الامرا دور من
كان ينتمي اليهم وزاد الامر حتى صار كل من استحسن
دارا اخرج منها صاحبها وسكنها وانقضت تلك الدوله
برمتها وذهبت تلك الايام بجملتها بعد ان كانوا قد
احتووا على البلاد واستخدموا العبا دمايتين وثمانين
سنه وكسورا قال وحكى ان الشريف الجليس
وهو رجل كان قريبا من العاضد يجلس معه ويحدثه

عمل دعوة لشمس الدولة ابن ايوب اخي السلطان بعد
القبض على القصور واخذ ما فيها وانقراض دولتهم وعزم
هذا الشريف على هذه الدعوة ما لا كثيرا واحضرها ايضا
جماعة من اكابر الامرا فلما جلسوا على الطعام قال شمس الدولة
لهذا الشريف حدثني باعجب ما شاهدته من امر القوم قال
نعم طلبني العاضد يوما وجماعة من الندما فلما دخلنا عليه
وجدنا عنده مملوكين من الترك عليهم اقبية مثل اقبيتكم
وقلانس كقلانسكم وفي اوساطهم مناطق كمناطقكم فقلنا
له يا امير المومنين ما هذا الذي ما رايناه قط فقال هذه
هيئة الذين يملكون ديارنا وياخذون اموالنا وذخايرنا
قال العماد واخذت ذخاير القصر كما سبق
ثم قال ومن جملتها الكتب فاني اخذت منها جملة في سنة اثنتين
وسبعين وكانت خزاينها مشتملة على قريب مائة وعشرين
الف مجلدة مؤبدة من العهد القديم مخلدة وفيها بالخطوط
المنسوبة ما اختطفته الايدي واقتطفه التعدي وكانت
كالميراث مع امنا الايتام يتصرف فيها بشره الانتهاب والالتهاب
ونقلت منها ثمانية احمال الى الشام وتقاسم الخواص بدور
القصر وقصوره وشرع كل من سكن في تخريب معموره وانتقل
الى الملك العادل سيف الدين لما ناب عن اخيه واستمرت
سكناه فيه وخطب الامام المستضي في قوص واسوان
والصعيد والقاصي والداني والقريب والبعيد وشاعت

البشاير وذاعت المفاخر وسار بها البادي والحاضر وتملك
السلطان املاك اشياعهم وضرب الالواح على دورهم
ورباعهم ثم ملكها امراه وخص بها اوليائه وباع منها اماكن
ووهب مساكن وعفى الاثار القديمه واستانف السنن
الكريمه وقال ابن الاثير لما استولى صلاح الدين على
القصر واموا له وذخايرهم اختار منه ما اراد ووهب
اهله وامرائه وباع منه كثيرا وكان فيه من الجواهر والاعلاق
النفيسه ما لم يكن عند ملك من الملوك قد جمع على
طول السنين وممر الدهور فمنه القضيب الزمرد طوله
كو قبضه ونصف والجبل الياقوت وغيرهما ومن الكتب
المنتخبه بالخطوط المنسوبه والخطوط الجيده نحو مائة
الف مجلد فصل ولما خطب بالديار المصريه لبني العباس
ومات العاضد انقرضت تلك الدوله وزالت عن الاسلام
بمصر بانقراضها الذله واستولى على الديار المصريه صلاح
الدين اهله ونوابه وكلهم من قبل نور الدين رحمه الله
ثم امرائه وخدمه واصحابه وفيهم يقول عرقله

• اصبح الملك بعد آل علي • مشرقا بالملوك من آل شاذي •
• وغدا الشرق يحسد الغرب للقوم • ومصر تزهو على بغداذ •
• ما حووها الا بحزم وعزم • وصليل الفولاذ في الفولاذ •
• لا كفرعون والعزيز ومن • كان بها كالخطيب والاستاذ •

يعني بالاستاذ كافور الاخشيدي وقوله بعد آل علي يعني

الجبل الياقوت

في ذلك بني عبيد المستخلفين بالظاهرة والباطن انهم شرفا فاطميون
فملكوا البلاد وقهروا العباد وقد ذكر جماعة من اكابر العلما
انهم لم يكونوا لذلك اهلا ولا نسبهم صحيحا بل المعروف
انهم بنو عبيد وكان والد عبيد هذا من نسل القداح
الملحد المجوسي وقيل كان والد عبيد هذا يهوديا من
اهل سلمية من بلاد الشام وكان حدادا وعبيد هذا كان
اسمه سعيدا فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله وزعم
انه علوي فاطمي وادعى نسبا ليس بصحيح لم يذكره احد من
مصنفي الانساب العلوية بل ذكر جماعة من العلما بالنسب
خلافه وهو ما قدمنا ذكره ثم ترقت به الحال الى ان ملك وتسمى
بالمهدي وبنى المهدية بالمغرب ونسبت اليه وكان زنديقا
خبيثا عدوا للاسلام متظاهرا بالتشيع متسترا به حريصا
على ازالة الملة الاسلامية قتل من الفقها والمحدثين والصالحين
جماعة كثيرة وكان قصده اعدامهم من الوجود ليبقى العالم
كالبهايم فيتمكن من افساد عقايدهم وضلالتهم والله متم نوره
ولو كره الكافرون ونشات ذريته على ذلك منطوين يجهرون
به اذا امكنتهم الفرصة والا اسروه والدعاة لهم منبثون
في البلاد يضلون من امكنهم اضلاله من العباد وبقي هذا البلا
على الاسلام من اول دولتهم الى اخرها وذلك من ذي الحجة سنة
تسع وتسعين ومايتين الى سنة سبع وستين وخمسماية وفي
ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس

على

على الناس واقتدائهم غيرهم وافسدت عقائد طوائف من اهل
الجبال الساكنين بثغور الشام كالنصيرية والدرزية والحشيشة
نوع منهم وتمكن دعاتهم منهم لضعف عقولهم وجهلهم ما لم يتمكنوا
من غيرهم واخذت الفرنج اكثر البلاد بالشام والجزيرة الى ان
من الله على المسلمين بظهور البيت الاتابكي وتقدمه مثل صلاح
الدين فاستردوا البلاد وازالوا هذه الدولة عن رقاب العباد
وكانوا اربعة عشر مستخلفا ثلثة منهم بافريقية وهم الملقبون
بالمهدي والقايم والمنصور واحدى عشر بمصر وهم الملقبون
بالمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي
والامر والحافظ والظافر والفايز والعاضد يدعون الشرف
ونسبتهم الى مجوسي او يهودي حتى اشتهر لهم ذلك بين العوام
فصاروا يقولون الدولة الفاطمية والدولة العلوية وانما
هي الدولة اليهودية او المجوسية او الباطنية الملحدة ومن
محنتهم انهم كانوا يامرون الخطبا بذلك على المنابر ويكتبونه
على جدران المساجد وغيرها وخطب عبدهم جوهر الذي اخذ لهم
الديار المصرية وبنى لهم القاهرة المعزية خطب بنفسه خطبة
طويلة قال فيها اللهم صلي على عبدك ووليك ثمرة النبوة
وسليل العترة الهادية المهدية معد ابي تميم الامام المعز
لدين الله امير المومنين كما صليت على ابايه الطاهرين وسلفه
المنتجبين الايمة الراشدين كذب عدو الله اللعين فلا خير فيه
ولا في سلفه اجمعين ولا في ذريته الباقين والعترة النبوية

الطاهرة منهم معتزل رحمة الله عليهم وعلى امثالهم من القدر الاول
وقد بين نسبهم هذا واوضح محالهم وما كانوا عليه من التمويه
وعداوة الاسلام جماعة ممن سلف من الايمة والعلما وكل متورع
منهم لا يسميهم الا بني عبيد الا دعيا اى يدعون من النسب
ما ليس لهم ورحمة الله على القاضي ابي بكر محمد بن الطيب فانه
كشف في كتابه المسمى بكشف اسرار الباطنيه عن بطلان نسب
هولآ الى علي رضي الله عنه وان القداح الذي انتسبوا اليه
دعي من الادعيا ممخرق كذاب وهو اصل دعاة القرامطه لعنهم
الله والقاضي عبد الجبار البصري فانه استقصى الكلام
في اصولهم وبينها بيانا شافيا في اواخر كتاب تثبيت النبوة
له وقد نقلت كلامهما في ذلك وكلام غيرهما في مختصر تاريخ
دمشق في ترجمة عبد الرحيم بن الياس وهو من تلك الطايفة
الذين هم بيس الناروهذان امامان كبيران من ايمة اصول
دين الاسلام واظهر القاضي عبد الجبار في كتابه بعض ما فعلوه
من المنكرات والكفريات التي تقف الشعر عند سماعها ولكن
لا بد من ذكر شي من ذلك لنتقرر المزلة المعتقد امامتهم
وخفي عنه محالهم ولم يعلم خبثهم ومكابرتهم ليعلم من ازال
دولتهم وامات بدعتهم وقلل عددهم وافنى امنهم واطفاهم
ذكر عبد الجبار القاضي ان الملقب بالمهدي لعنه الله كان
يتخذ الجهال ويسلطهم على اهل الفضل وكان يرسل الى
الفقها والعلما فيذبحون في فرشهم وارسل الى الروم وسلطهم

275.

على المسلمين واكثر من الجور واستصفا الاموال وقتل الرجال
وكان له دعاة يضلون الناس على قدر طيقاتهم فيقولون لبعضهم
هو المهدي ابن رسول الله وحجة الله على خلقه ويقولون لاخرين
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجة الله ويقولون لطايفة
اخري هو الله الخالق الرازق ولما هلك قام ابنه المسمى القايم
مقامه وزاد شره على شر ابيه اضعافا مضاعفة وجاهر بشتم
الانبيا فكان ينادي في اسواق المهدية وغيرها العنوا عايشة
وبعلها العنوا الغار ومن حوى وبعث الى ابي طاهر القرمطي
المقيم بالبحرين وبعثه على قتل المسلمين واحراق المساجد والمصاحف
وقام بعده ابنه المسمى المنصور فقتل ابا يزيد مخلد الذي
خرج على ابيه ينكر عليه قبيح فعله المقدم ذكره وسلخه وصلبه
واستغل باهل الجبال يقتلهم ويشردهم خوفا من ان يثور عليه
ثاير مثل ابي يزيد وقام من بعده ابنه المعز الملقب بالمعز فبث
دعاته فكانوا يقولون هو المهدي الذي يملك وهو الشمس التي
تطلع من مغربها وكان يسره ما ينزل بالمسلمين من المصايب
من اخذ الروم بلادهم واحتجب عن الناس بمصر ثم ظهروا وهم
ان الله رفعه اليه وانه كان غايبا في السما واخبر الناس باشيا
صدرت منهم كان ينقلها اليه جواسيس له فامتلات قلوب
العامة والجهال منه وهذا اول خلفايهم بمصر وهو الذي
ينسب اليه القاهرة واستدعى بفقيه الشام ابي بكر محمد بن
احمد بن سهل الرملي ويعرف بابن النابلسي فحمل اليه في قفص خشب

فأمر بسلخه فسلخ حيًا وحشي جلده تبنًا وصلب رحمه الله قال
أبو ذر الهروي سمعت أبا الحسن الدارقطني يذكره ويبكي ويقول
كان يقول ولو بسلخ كان ذلك في الكتاب مسطورًا قلت
وفي أيام الملقب بالحاكم منهم أمر بكتب سب الصحابة على
حيطان الجوامع والقياسر والشوارع والطرقات وكتبت
السجلات إلى سائر الأعمال بالسب ثم أمر بقلع ذلك وأنا
رأيته مقلوعًا في بعض أبواب دمشق في الأسكفة العليا منقورًا
في الحجر ودليلي أول الكلام وآخره على ذلك ثم جدد الباب
وأزيل الحجر وفي أيامه طوف بدمشق رجل مغربي ونودي عليه
هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم ضربت عنقه وكان يجري في
أيامهم من نحو هذا أشياء مثل قطع لسان أبي القسم الواسطي
أحد الصالحين وكان أذن ببيت المقدس وقال في أذانه حي
على الفلاح فأخذ وقطع لسانه ذكر ذلك وما قبله من قتل
المغربي وأبي بكر بن النابلسي الحافظ أبو القاسم في تاريخه
وما كانت ولاية هؤلاء الملاعين إلا محنة من الله تعالى ولهذا
طالت مدتهم مع قلة عددهم فإن عدتهم عدة خلفاء بني أمية
أربعة عشر وأولئك بقوا نيفًا وتسعين سنة وهؤلاء بقوا
مائتي سنة وثمانيًا وستين سنة فالحمد لله على ما يسر من هلاكهم
وإبادة ملكهم ورضي الله عمن سعى في ذلك وأزالهم ومن بين
مخرقتهم وكذبهم ومحالهم وقد كشف أيضًا حالهم الإمام
أبو القسم عبد الرحمن بن علي بن أبي نصر الشاشي في كتاب

276

الرد على الباطنيه وذكر قبايح ما كانوا عليه من الكفر
والمنكرات والفواحش في ايام نزار وما بعده ووصل
الامر الى ان وصف بعضهم ما كانوا فيه في قصيده سماهم هـا
الايضاح عن دعوة القداح • اولها •
• حي على مصر الى خلع الرسن • قم نعطيل فروض وسنن •
وقال لو وفق ملوك الاسلام لصرفوا اعنه الخيل الى مصر
لغزو الباطنيه الملاعين فانهم من شر اعدا دين الاسلام وقد
خرجت من حد المنافقين الى حد المجاهرين لما ظهر في ممالك
الاسلام من كفرها وفسادها وتعين على الكافه فرض جهادها
وضرر هولاء اشد على الاسلام واهله من ضرر الكفار اذ لم
يعتمد بجهادها احد الا اهل الغايه مع العلم بعظم ضررها
وفسادها في الارض والله الموفق قلت ثم اني لم يقنع
هذا من بيان احوالهم فافردت كتابا لذلك سميته كشف
ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد
فمن اراد الوقوف على تفاصيل احوالهم فعليه به فاني بتوفيق
الله جمعت فيه ما ذكره هولاء الايمة المصنفون وغيرهم
ووقفت على كتاب كبير صنفه الشريف الهاشمي رحمه الله
وكان في ايام الملقب بالعزيز ثاني خلفا مصر فبين فيه اصولهم
اتم بيان واوضح كيفيه ظهورهم وغلبتهم على البلاد وتتبع
ذكر فضايحهم وما كان يصدر منهم من انواع الزندقه
والفسق والمخرقه فنقلت منه الى ما كنت جمعته قطعه كبيره

وبالله التوفيق وما احسن ما قال من مدح بعض بني
ايوب بابيات . منها .

استم من يلي دولة الكفر من بني عبيد بمصر ان هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية .. مجوس وما في الصالحين لهم اصل
يسرون كفرا يظهرون تشيعا ليستتروا شيئا وعمهم الجهل

وما فعله هولاء من الانتساب الي علي رضوان الله عليه والتستر
بالتشيع قد فعله جماعة القرامطة وصاحب الزنج الخارج بالبصرة
وغيرهم من المفسدين في الارض على ما عرف من سيرهم من وقف
على اخبار الناس وكلهم كذبة في ذلك وانما غرضهم التقرب
الى العوام والجهال واستتباعهم لهم واستجلابهم الي دعوتهم
به لكن البلاد ويفعل الله ما يشا ولا يعترض بابيات الشريف
الرضي في ذلك فقد حصل الجواب عنها في كتاب الكشف
بوجوه حسنة وبالله التوفيق وقد صنف الشريف العابد
الدمشقي رحمه الله كتابا في ابطال نسبهم الى علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وفصل ذلك تفصيلا حسنا والمتنبي في ذكر
اخبار اخوانهم من القرامطة لعنهم الله

فصل

في ذكر غزو الفرنج في هذه السنة

.. قال ابن شداد واستمرت القواعد على الاستقامة وصلاح
الدين كلما استولى على خزانة مال وهبها وكلما فتح له خزائن
ملك انهبها ولا يبقي لنفسه شيا وشرع في التاهب
للغزاة وقصد بلاد العدو وتعبية الامر لذلك وتقريره

قواعد

فواعده وأما نور الدين فانه عزم على الغزاة واستدعى
صاحب الموصل ابن اخيه فوصل بالعساكر الى خدمته وكانت
غزوة عرقا واخذها نور الدين ومعه ابن اخيه في المحرم
سنة سبع وستين قال ابن ابي طي جمع نور الدين
عساكره وخرج الى عرقه وبارزها وقاتلها اياما حتى فتحها
واحتوى على جميع ما فيها وغنم الناس غنيمة عظيمة وقال
ابن الاثير خرجت مراكب من مصر الى الشام فاخذ الافرنج
في اللاذقيه مركبين منها مملوين من الامتعة والتجار وغدروا
بالمسلمين وكان نور الدين قد هادنهم فنكثوا فلما سمع نور
الدين الخبر استعظمه وراسل الفرنج في ذلك وامرهم
باعادة ما اخذوه فغالطوه واحتجوا بامور منها ان المركبين
كانا قد دخلهما ما البحر لكسر فيهما وكانت العادة بينهم اخذ
كل مركب يدخله الما وكانوا كاذبين فلم يقبل مغالطتهم
وكان رضي الله عنه لا يهمل امرا من امور رعيته فلم يردوا
شيا فجمع العساكر من الشام والموصل والجزيرة وبث السرايا
في بلادهم بعضهم نحو انطاكيه وبعضهم نحو طرابلس وحصر
هو حصن عرقه وخرب ربضه وارسل طايفة من العسكر
الى حصني صافيتا وعريمه فاخذهما عنوة وكذلك غيرهما
ونهب وخرب وغنم المسلمون الكثير وعادوا اليه وهو بعرقه
فسار في العساكر جميعها الى قرب طرابلس يخرب ويحرق
وينهب وأما الذين ساروا الى انطاكيه فانهم فعلوا في

في ولايتها مثل ما فعل في النهب والتحريق والتخريب بولاية
طرابلس فراسله العرنج وبدلوا العارة ما اخذوا من المركبين
وتجدد معهم الهدنة فاجابهم وكانوا في ذلك هابوا اليهودي
لا يعطي الجزية حتى يطم فكذلك العرنج ما اعادوا اموال
التجار بالتي هي احسن فلما نهبت بلادهم وخربت اعادوها
قال وكان لوالدي في المركبين تجارة مع شخص فلما اعادوا
الى الناس اموالهم لم تصل الى كل انسان الا اليسير وكان حمل
المتاع فكل من اسم على ثوب اخذه وكان في الناس من ياخذ
ما ليس له وكان احد هذين المصادرين فيه امانة وكان شريكنا
فلم ياخذ الا ما عليه اسمه وعلامته فذهب من ماله ومالنا
شيء كثير بهذا السبب وكان الذي حصل من مالنا اكثر من
الذي حصل له فلما عاد الينا سلم الذي لنا الى والدي
فامتنع من اخذه وقال خذانت الجميع فانك احوج اليه
وانا في غنى عنه فلم يفعل فقال خذ النصف وانا النصف
واجتهد به والدي فلم يفعل فلما كان بعض الايام واذا
قد جا الغلام ومعه عدة من الاثواب السوسي وغيرها
قال هذا من قماشنا قد حضر اليوم وسبب حضوره ان انسانا
قد اعيتنا من اهل تبريز كان معنا في المركب وقد اعادوا
عليه ماله فراى هذه الاثواب واسمي عليها فلم يسهل عليه
يردها بعني عليهم وسالهم ولقد فضلني وهي معي وحضر
عنه في الساعة وسلمها الي وقال قد تركت طمعي لينزل دمعي

فاخذنا

فاخذنا نحن ما عليه لسمنا بعد الجهد وطلب والدي الرجل
وسأله ان يقيم عندنا ليسلم اليه مالا يتجر فيه فلم يفعل
وعاد الى بلده قال وهذان الرجلان نادران في هذا الزمان

فصل في عزم نور الدين على الدخول الى مصر

قال العماد وكان صلاح الدين واعد نور الدين ان يجتمعوا
على الكرك والشوبك يتشاوران فيما يعود بالصلاح المشترك
فخرج من القاهرة في الثاني والعشرين من المحرم بالعزم الاجزم
والراي الاحزم فاتفق للاجتماع عائق ولم يقدر للاتفاق
قدر موافق فلقي في تلك السفرة شدة وعدم جيلا وظهرا
وعدة وعاد الى القاهرة في النصف من ربيع الاول وقال
ابن الاثير وفي سنة سبع وستين ايضا جرى ما اوجب نفرة
نور الدين من صلاح الدين وكان الحادث ان نور الدين ارسل
الى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها الى
بلاد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع هو ايضا
عساكره ويسير اليه ويجتمعا هناك على حرب الفرنج والاستيلاء
على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم
وكتب الى نور الدين يعرفه ان رحيله لا يتاخر وكان نور الدين
قد جمع عساكره وتجهز واقام ينتظر ورود الخبر من صلاح
الدين اليه فاتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال
البلاد وانه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد اليها فلم يقبل
نور الدين عذره وكان سبب تقاعده ان اصحابه وخواصه

فصل عزم نور الدين على دخول مصر

خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل امر نور الدين
شق ذلك عليه وعظم عنده وعزم علي الدخول الي مصر
واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الي صلاح الدين فجمع
اهله وفيهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمي
ومعهم سابر الامرا واعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين علي
قصده واخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه احد منهم بشي
فقام ابن اخيه تقي الدين عمر وقال اذا جانا قاتلناه وصددناه
عن البلاد ووافقه غيره من اهله فشتمهم نجم الدين ايوب
وانكر ذلك واستعظمه وكان ذا راي ومكر وعقل وقال
لتقي الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا
شهاب الدين خالك اتظن في هولا كلهم من يحبك ويريد لك
الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رايت انا وهذا خالك نور
الدين لم يمكننا الا ان نترجل اليه ونقبل الارض بين يديه ولو
امرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا كيف
يكون غيرنا وكل من تري من الامرا والعسا كر لو راي نور الدين
وحده لم يتجاسر علي الثبات علي سرجه ولا وسعه الا النزول
وتقبيل الارض بين يديه وهذه البلاد له وقد اقامك فيها
فان اراد عزلك فاي حاجة به الي المجي يامرك بكتاب مع نجاب
حتي تقصد خدمته وتولي بلاده من تريد وقال للجماعة
كلهم قوموا عنا فنحن مماليك نور الدين وعبيده ويفعل بنا
ما يريد فتفرقوا علي هذا وكتب اكثرهم الي نور الدين بالخبر

ولما خلا نجم الدين ايوب بابنه صلاح الدين قال له انت
جاهل قليل المعرفه تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على
ما في نفسك فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه
من البلاد جعلك اهم الامور اليه واولاها بالقصد ولو
قصدك لم تر معك من هذا العسكر احدًا وكانوا اسلموك
اليه واما الان بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه ويعرفونه
قولي وتكتب انت اليه وترسل في هذا المعنى وتقول اي حاجة
الى قصدي يجي نجاب ياخذني بحبل يضعه في عنقي فهو اذا سمع
هذا عدل عن قصدك واشتغل بما هو اهم عنده والايام تندرج
[illegible] كل وقت في شان ففعل صلاح الدين ما اشار به والده
فلما راى نور الدين الامر هكذا عدل عن قصده وكان الامر
كما قال نجم الدين توفي نور الدين ولم يقصده ولا ازاله وكان
هذا من احسن الارا واجودها

فصل في الحمام

قال ابن الاثير وفي سنة سبع وستين امر الملك العادل
نور الدين باتخاذ الحمام الهوادي وهي المناسيب التي تطير
من البلاد البعيده الى اوكارها فاتخذت في ساير بلاده وكان
سبب ذلك انه اتسعت بلاده وطالت مملكته فكانت
من حد النوبه الى باب همدان لا يتخللها سوى بلاد الفرنج
لعنهم الله وكان الفرنج ربما نازلوا بعض الثغور فالى ان يصله
الخبر ويسير اليهم قد بلغوا بعض الغرض فحينئذ امر بذلك
وكتب به الى ساير بلاده واجرى الجرايات لها ولمربيها فوجد

الحمام الهوادي

ه

بها راحة كبيرة كانت الاخبار تاتيها لوقتها لانه كان له في كل
ثغر رجاله مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم
فاذا راوا او سمعوا امرا كتبوه لوقته وعلقوه على الطاير
وسرحوه فيصل الى المدينة التي هو منها في ساعته فتنقل
الرقعة منه الى طاير اخر من البلد التي تجاورهم في الجهة
التي فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الاخبار اليه فاتفقت
الثغور بذلك حتى ان طايفة من الفرنج نازلوا ثغرا له فاتاه
الخبر ليومه فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع
والمسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد
امنوا لبعد نور الدين عنهم فرحمه الله ورضي عنه فما كان احسن
نظره للرعايا وللبلاد وقال العماد وكان نور الدين
لا يقيم في المدينة ايام الربيع والصيف محافظة على الثغر
وصونا من الحيف ليحمي البلاد من العدو بالسيف وهو متشوف
الى اخبار مصر واحوالها وتحقيق اعتدالها ثم تحقق اعتلالها
فراى اتخاذ الحمام المناسيب وتدريجها على الطيران لتحمل اليه
الكتب باخبار البلدان ونتقدم الي بكتب منشور لاربابها
واعزاز اصحابها وهو حينئذ بظاهر دمشق مخيم بوادي اللوان
ولكن مستظهرون في ذلك الاوان عادون على اهل العدوان
وذلك في سابع عشر ذي القعدة من السنة ثم ذكر نسخة المنشور
ووصف فيه الحمام فقال هي برايد الانبا والمخصوصات
بفضيلة الالهام والاباء في فتوح الوسايل المامونة الابطا

دالسابقات

والسابقات الهوج في الامتداد والحاملات ملطفات
الاسرار في اقرب مدة الى ابعد غاية والموصلات مهمات
الاخبار في وقتها من اقاصي الامصار باكمل هداية والقا طعات
في ساعتها الى البلاد اجواز الفضا والموامي والنافذات
بنجح المرام نفوذ السهام الى المرامي وهي تطوي الفراسخ
البعيدة والاشواط في ساعة وتنتهي الى اقصى غايات
الطاعة باتم استطاعة وقد عدها نفع المرابطين
للغزاة والمجاهدين في سبيل الله في اهدا اخبار الكفرة
اليهم من اماكنها دالة على مكايدها ومكامنها طايرة بكتبهم
الى من وراهم من الطلايع والسرايا مظهرة لهم من احوالهم
خبايا الامور الخفايا وانها لميمونة المطا مامونة
العثار سالمة على الاخطار مهدية في الاسفار امينة
على الاسرار سابقة الى الاوكار صادرة بالاوطار سايرة
الى المومنين بنبا الكفار قلت وكل هذه اوصاف
حسنة وعبارات مستحسنة وقد بلغني عن القاضي
الفاضل رحمه الله انه وصفها بالطف من هذه الاوصاف
واخصر فقال الطيور ملايكة الملوك بتشبيه النزول وهي
على الملوك من جو الهوا نزول الملايكة على الانبيا عليهم
السلام من السما مع فرط ما فيها من الامانة لا يتوهم
من جهتها خيانة فلقد احسن فيما وصف وابدع فيما
استنبط وانصف وهو بذلك اولى واعرف رحمه الله اجمع

نسخة سجل باطلاق المكوس

فصل في باقي حوادث هذه السنة وقرأت نسخة
سجل باطلاق المكوس بمصر قرئ على المنبر بالقاهرة يوم الجمعة
بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وستين وخمسمائة عن
السلطان الملك الناصر في ايام نور الدين رحمهما الله وهو كان
وذلك الميادين يقول فيه اما بعد فانا نحمد الله سبحانه
على ما مكن لنا في الارض وحسنه عندنا من ارادة اكالنا قلة وفرض
وتنصبنا له من ازالة النصب عن عباده واختاره لنا من الجهاد
في الله حق جهاده وزهدنا فيه من متاع الدنيا القليل والهمنا
من محاسبة انفسنا على النقير والفتيل واولانا من شجاعة
السماحة فيوما نهب ما اشتملت عليه الدواوين ويوما نقطع
ما سقاه النيل والبشاير في ايامنا تترى شفعا ووترا والمساد
كنظام الجوهر يتبع الواحدة منها الاخرى والمسامحات
قد ملات المسامع والمطامع واسخطت الجبة والشناعة
وارضت المنبر والجامع ولما تقلدنا امور الرعية راينا المكوس
الديوانية بالقاهرة ومصر اولى ما نقلناها من ان تكون لنا في
الدنيا الى ان تكون لنا في الاخرة او نتجرد منها لنكتسب الثواب
الاجر الفاخر ونطهر منها مكاسبنا ونصون عنها مطالبنا
ونكفي الرعية ضررهم الذي يتوجه اليهم ونضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم ونعيدها اليوم كامس الذاهب
ونضعها ولا نرفعها من بعد به حاسب ولا قلم كاتب فاخرنا
الله وعجلنا اليه لنرضي وراينا فرصة اجر لا يغض عليها بصاير

الابصار

الابصار والانغضي وخرج امرنا بكتب هذا المنشور بمسامحة اهل
القاهرة ومصر وجميع البحار المتددين اليهما والى ساحل المقسم
والمنيه بابواب المكوس صادرها وواردها فيرد التاجر ويسفر
ويغيب عن ماله ويحضر ويقارض ويتجر برا او بحرا امركبا وظهرا
سرا او جهرا لا يحل ما شد ولا يحاول ما عقد ولا يكشف ما ستر
ولا يسال عما اورده واصدره ولا يستوقف في طريقه ولا يشرق
بريقه ولا يوخذ منه طعمه ولا يستباح له حرمه والذي اشتملت
عليه المسامحه في السنة من العين مايه الف دينار مسامحه
لا يتعقبها تاويل ولا يتخوها تحويل ولا يعتريها زوال ولا يعتورها
انتقال دايمة بدوام الكلمة قايمة ما قام دين القيمه من
عارضها ردن احكامه ومن ناقضها نقض امرامه ومن ازالها
زلزلت قدمه ومن احالها حل دمه ومن نقضها خلدت اللعنه
فيه وفي عقبه فمن قراه او قري عليه من كافة ولاة الامر من صاحب
سيف وقلم ومشارف وناظر فليمتثل ما متثل من الامر
وليمضه على مستمر الدهر مرضيا لربه ممضيا لما امر به وفي هذه
السنة توفي الشيخ ابو بكر يحيى بن سعدون القرطبي المقري
النحوي وهو من بلد الموصل رحمه الله وفيها ولد العزيز والظا
ابنا صلاح الدين والمنصور محمد بن تقي الدين ثم دخلت
سنة ثمان وستين وخمسمايه فيها توفي ملك النجاه الحسن
بن صافي وفيها ترتيب العماد الكاتب مشرفا بديوان نور الدين
مضافا الى كتابه الانشا فاك ـــ وكان نور الدين ذكيا

المعيّا فطننا لو دعيّا لا تشتبه عليه الاحوال ولا يتبهرج
عليه الرجال ولا يتأمل لغير اهل الفضل منه الّا فضاله
قال ولما عرض صلاح الدين بعد العاضد خزائنه واستخرج
دفائنه سيّر منها عدة من الامتعة المستحسنة والالات
المثمنة وقطع البلور واليشم والاواني التي لا يسمو وجودها
في الوهم ومنها ثلث قطع من البلخش اكبرها نيف وثلاثون مثقالا
والثانية ثمانية عشر والاخرى دونها وقرن بها من اللآلي مصونها
ومكنونها وحمل معها من الذهب ستين الف دينار ووصلت من
غرائب المصنوعات ما لا يجمع مثله في اعصار واعمار ومن الطيب
والعطر ما لم يخطر ببال عطار فشكر نور الدين همته وذكر بالكرم
شيمته ووصف فضيلته وفضل صنعته وقال ما كانت بنا حاجة
الى هذا المال ولا نسد به خلة الاقلال فهو يعلم انا ما انفقنا
الذهب في ملك مصر وبنا الى الذهب فقر وما لهذا المحمول في
مقابلة ما جدنا به قدر ومتمثلا بقول ابي تمام لم ينفق الذهب
المربي بكثرته على الحصا وبه فقر الى الذهب لكنه يعلم ان ثغور
الشام مفتقرة الى السداد ووفور الاعداد من الاجناد وقد
عمّ بالفرنج بلاء البلاد فيجب ان يقع التعاون على الامداد
بالمعونة والمعاونة بالامداد فاستقله برمته وما استكثره
واستقل المحمول في جنب ما حرره وتروى فيما يدبره وافكر
فيما يقدمه من هذا الامر ويؤخره قال ابن ابي طي
ولم يقع هذه الهدية من نور الدين موقع وجد الموفق

اصل

ابن القيسراني وزيرا الى مصر فامره بعمل حساب البلاد
واستعلام لجباياتها وارتفاعها واين صرفت اموالها
فاذا حصل جميع ذلك قرر على صلاح الدين وظيفة يحملها
في كل سنة وعظم على نور الدين امر مصر واخذ من استيلا
صلاح الدين عليها المقيم المقعد واكثر في مراسلته في
حمل الاموال حدثني ابي قال لم يخف حال نور الدين
في كراهية الملك الناصر ولقد علم ذلك جميع الاجناد والامرا
وتحدث به العوام لا سيما حين انفذ هذه الهدية واشتد
بعد ذلك في مراسلته وانفذ ابن القيسراني ليكشف الاحوال
ولو طال عمره لم يكن له بد من الدخول الى مصر قال العماد
وكان نور الدين منذ ملكت مصر وتوجه له فيها النصر يؤثر ان
تقرر له فيها مال للحمل يستعين به على كلف الجهاد وتخفيف
ما له من الثقل والايام مماطلة والاعوام متطاولة وهو ينتظر
ان صلاح الدين يبتدي من نفسه بما يريده وهو لا يستدعي
منه ولا يريده ولا يستزيده فلما حمل من اخاير الذخاير
والمال الحاضر ما حمله وعرف مجمله ومفصله تقدم الى الموفق
خالد بن القيسراني ان يمضي ويطالب ويقتضي ويعمل ايضا
بالاعمال المصرية جرايده ولا يبقي في نفوس ديوانه من امرها
حزازة وارسل معه الهدايا والتحف السنايا واقام العماد
مقامه في ديوان الاستيفا فجمع بين الاشراف والاستيفاء
ومنصب الانشاء ثم كان من امره ما سياتي ذكره قال

العماد وخرج صلاح الدين في النصف من شوال ومعه الفيل
والحمارة العتابية والدجاجة التفليسية التي كان انتخبها من خزاين
القصر وهي معدودة من محاسن العصر وقد سبق ذكر
تسييرها الى نور الدين وقوبلت بالاحسان والتحسين وكثرة
الحمارة وكثرتها النظارة واما الفيل فانه وصل الينا سنة تسع
وستين ونحن بحلب بالميدان الاخضر واهداه نور الدين الى
ابن اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل مع شي من تحفه
الثياب والعود والعنبر ثم سيره سيف الدين غازي الى
بغداد هدية للخليفة مع ما سيره معه من التحف اللطيفة
وسير نور الدين الحمارة العتابية الى بغداد مع هدايا وتحف
سنايا فصل في جهاد السلطانين للفرنج في هذه
السنة قال العماد ونزل صلاح الدين على الكرك والشوبك
وغيرهما من الحصون فبرح بها وفرق عنها عزبها وخرب عمارتها
وشنت على اعمالها سرايا وبعاراتها ووصل منه كتاب بالمثال
الفاضلي سبب هذه الخدمة الى مولانا الملك العادل اعز
الله سلطانه ومكن بالنصر امكانه وشيد بالتاييد مكانه ونصر
انصاره واعان اعوانه علم المملوك بما نوى من ثم المولى بان يقصد
الكفار بما يقص اجنحتهم ويفلل اسلحتهم ويقطع موادهم
ويخرب بلادهم واكراه اسباب المعينه على ما يرومه من
هذه المصلحه ان لا يبقى في بلادهم احد من العربان وان
ينتقلوا من ذل الكفر الى عز الايمان ومما اجتهد فيه غاية

الاجتهاد

الحمارة العتابية

فصل في جهاد السلطانين

283.

الاجتهاد وعدة من اعظم اسباب الجهاد ترحيل كثير من
اتقادهم والحرص في تبديل ديارهم الى انصار العدو واليوم
اذا نهض لاحد من يديه دليلا ولا يستطيع حيلة ولا يهتدي
سبيلا ثم ذكرنا في الكتاب قال ابن شداد ومنه
اول غزوة غزاها صلاح الدين من الديار المصرية وانما بدا
ببلاد الكرك والشوبك لانها كانت اقرب اليه وكانت في
الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن ان تصل
قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها بلاد العدو فاراد توسيع
الطريق وتسهيله ليتصل البلاد بعضها ببعض ويسهل على
السابلة مخرج فاصدها في سنة اثنا سنة ثمان وستين
فحاصرها وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد عنها ولم يظفر
منها بشي في تلك الدفعة وحصل ثواب القصد ولما
نور الدين فانه فتح مرعش في ذي القعدة من هذه السنة
واخذ بهسني في ذي الحجة منها وقال العماد حضرت
عند الملك العادل نور الدين بدمشق في العشرين من صفر
ووجهه بنور البشر مسفر والحديث يجري في طيب دمشق
وحسن الائها ورقة هوائها وبهجة بهائها وازهار ارضها وكرم
سمائها وكل منا يمدحها ويحبها وكل منا يطربه فقال
نور الدين انما حب الجهاد يسليني عنها فما ارغب فيها فارتجلت
هذا المعنى في الحال وقلت

ليس في الارض جميعا بلدة مثل دمشق

ويسلمني عنها في سبيل الله عشقي
والنفس الا صفا ومن يتركها يشقى ويشقي
كم رشيق شاغل عنه بسهم العز ورشق
وامتشاق البيض يغني عنه بالاقلام مشق

قال وسألني نور الدين ان اعمل دوبيتيات في معنى الجهاد على لسانه فقلت

للعز ونشاطي واليه طربي * ما لي في العيش غير هم من ارب
بالجد وبالجهاد نجح الطلب * والراحة مستنفذ عدو في التعب
لا راحة في العيش سوى ان اغزو * سيفي طربا الى الطلا يهتز
في ذل ذوي الكفر يكون العز * والقدرة في غير جهاد عجز
اقسمت سوى الجهاد ما لي ارب * والراحة في سواه عندي تعب
الا بالجد لا ينال الطلب * والعيش بلا جد جهاد لعب

قال واتفق خروج كلب الروم اللعين في جنود الشياطين يقصد الغارة على ناحية زرا من حوران وهم في جمع غلبت كثرته الحصر والعيان ونزلوا بقرية تعرف بشمسكين فركب نور الدين ونهض ونزل بالكسوة اليهم واقدم بعساكره عليهم فلما عرفوا وصوله رحلوا الى الغوار ثم الى السواد ثم نزلوا بالشلالة ونزل نور الدين عشترا وقد سرهم ما جرى فانفذ سرية الى اعمال طبرية واغتنم خلوها فادركت تلك الليلة وحدث في شن الغارة عدوها فلما عادت لحقها الفرنج عند المخاضة فوقف

الشجعان

الشجعان وثبت من نيته الايمان حتى عبرت الشريعة والفصلت
تلك القضية ورحل نور الدين من عشترا فنزل بظاهر زرا قال
العماد وكنت راكبا في لقايهم مع الملك العادل وهو يقول لي
كيف تصف ما جرى فمدحته بقصيدة منها •

عقدت بنصرك راية الايمان • وبدت لعصرك اية الاحسان
يا غالب الغلب الملوك وصايد الصيد الليوث وفارس الفرسان
يا سالب التيجان من اربابها حزت الفخار على ذوي التيجان
محمود المحمود ما بين الورى في كل اقليم بكل لسان
يا واحدا في الفضل غير مشارك اقسمت مالك في البسيطة ثان
احلا امانيك الجهاد وانه لك مودن ابدا بكل امان
كم بكر فتح ولدته طباك من حرب لقمع المشركين عوان
كم وقعة لك بالفرنج حديثها قد سار في الافاق والبلدان
فمصت فومصهم ردا من زردي وفريت راس برنسهم بسنان
وملكت رق ملوكهم وتركتهم بالذل في الاقياد والاشجان
وجعلت في اعناقهم اغلالهم وسحبتهم ملوما على الاذقان
اذ في السوابغ تحطم السمر القنا والبيض تخضب بالنجيع القاني
وعلى غنا المشرفيه في الطلا والهام رقص عوامل المران
وكان بين النقع لمع حديدها نار تالق في خلال دخان
في مارق وزد الوريد مكفلك فيه بري الصارم الظمان
غطى العجاج به نجوم سمايه ليتوب عنها انجم الخرصان
اوما كفاهم ذاك حتى عاودوا طرق الضلال ومركب الطغيان

يا خيبة الافرنج حين تجمعوا في حيرة وانثنوا الى حوران
وجلوت نور الدين ظلمة كفرهم لما اتيت بواضح البرهان
وهزمتهم بالراي قبل لقائهم والراي قبل شجاعة الشجعان
اصبحت للاسلام ركنا ثابتا والكفر منك مضعضع الاركان
فوضعت اساس الضلال بعزمك الماضي وشدت مباني الايمان
فلابن مثلك في الملوك مجاهد في الله في سر وفي اعلان
لم تلههم ثقة بقوة شوكة للكفر وثقت بنصرة الرحمان
ما زال عزمك مستقلا بالذي لا تستقل بثقله الثقلان
وبلغت بالتاييد اقصى مبلغ مما كان في وسع ولا امكان
دانت لك الدنيا فقاصيها اذا حققته لنفاذ امرك دان
فمن العراق الى الشام الى ذرى مصر الى قوص الى اسوان
لم تله عن باقي البلاد وانما الهاك فرض الغزو عن همذان
للروم والافرنج منك مصائب بالترك والاكراد والعربان
اذعنت لله المهيمن اذ عنت لك اوجه الاملاك بالاذعان
انت الذي دون الملوك وجدته ملان من عرف ومن عرفان
في باس عمر في بسالة حمزة في نطق قس في تقى سلمان
تسير لو ان الوحي ينزل انزلت في شانها سور من القران
فاسلم طويل العمر ممتد المدى ابدا في الحياة مخلد السلطان
وهي قصيدة طويلة وصف فيها امراه الحاضرين معه
في الجهاد ومدحهم
فصل في فتح بلاد النوبه
تخال

285.

قال العماد وفي جمادى الاولى غزا شمس الدولة توران شاه ابن
ايوب اخو صلاح الدين بلاد النوبه واراهم سطاه المرهوبه
وفتح حصنا لهم يعرف بابريم والا الابريم وهي بلاد عديمة الجدو
عظيمة البلوى ثم جمع السبي وعاد به الى اسوان وفرق
على اصحابه في الغنايم السودان وقال ابن ابي طي
الحلبي وفي هذه السنة اجتمع السودان والعبيد من بلاد
النوبه وخرجوا في امم عظيمة قاصدين ملك ديار مصر وصاروا
الى اعمال الصعيد وصمموا على قصد اسوان وحصارها
ونهب قراها وكان بها الامير كنز الدوله فانفذ يعلم الملك
الناصر وطلب منه نجده فانفذ قطعة من جيشه مع الشجاع
البعلبكي فلما وصل الى اسوان وجد العبيد قد عادوا عنها
بعد ان خربوا ارضها فاتبعهم الشجاع والكنز فجرت حرب عظيمة
قتل فيها من الفريقين عالم عظيم ورجع الشجاع الى القاهرة
واخبر بفعال العبيد وتمكنهم من بلاد الصعيد فانفذ
الملك الناصر اخاه شمس الدولة في عسكر كثيف فوجدهم
قد دخلوا بلاد النوبة فسار قاصدا بلادهم وشحن مراكب
كثيرة في البحر بالرجال والميره وامرها باللحاق الى بلاد النوبة
وسار اليها ونزل على قلعة ابريم وافتتحها بعد ثلثة ايام وغنم
ما كان فيها من المال والكراع والميره وخلص جماعة من الاسارى
واسر من وجده فيها وهرب صاحبها وكتب الى السلطان بذلك
فانشد السلطان ابو الحسن بن الذروي يهنيه بفتح ابريم

قصيدة منها

فقدم العزم فذا مبتد ابقصر ملك الارض عن منتهاه
واسحب ذيول الجيش حتى يرى انجمه طالعة عن دجاه
سواك من الغى عصاه بها فناعة لما استعرت لواه
عليك بالروم ودع صاحبه التاج اذا شيت ونور انشاه
فقد عدت ابريم فى ملكه ثم ترم امرا فيه كبت العداه
لابد للنوبة من نوبة ترضى بسخط الكفر دين الالاه
فظل من نوبة منسوبة لعزمه كامنة فى اناه
تكسوا العراة القاطني ارضها ما نسجت للحرب ايدى الغزاه
سود وحمر الظبا حولها كاعين الرمد بدت للاساه
اولا فسمر يتنحها القنا مثل ذباب بولها السفاه
لله جيش منك لا تنثني الا بنصر دمينت شم شاه
ما بين عقبان ولكنها خيل وفرسان كمثل البزاه
اشدا حرب فوق ايديهم اساود الطعن فهم كالحواه
يغلة والالها رواسلامهم العذران فالنيران تجرى مياه

قال — ثم رجع شمس الدولة الى اسوان ثم الى قوص وكان فى صحبته امير يقال له ابرهيم الكردى فطلب من شمس الدولة قلعة ابريم فاقطعه اياها وانفذ معه جماعة من الاكراد البطالين فلما حصلوا بها تفرقوا فرقا وكانوا يشنون الغارة على بلاد النوبة لغرف بجزيرة دبدان فغرقا اميرهم ابرهيم وجماعة من اصحابه ورجع من بقى منهم الى قلعة ابريم

ولقدوا

216

واخذوا جميع ما كان فيها واخلوها بعد مقامهم بها سنتين
فعاد النوبة اليها وملكوها وانفذ ملك النوبة رسولاً
الى شمس الدولة وهو مقيم بقوص ومعه كتاب فيه طلب الصلح
ومعه الرسول هدية عبد وجارية فكتب له جواب كتابه
واعطاه زوجي نشاب وقال له مالك عندي جواب الا هذا
وجهز معه رسولا يعرف بمسعود الحلبي واوصاه ان يكشف
له خبر البلاد ليدخلها فسار الحلبي مع الرسول حتى وصل
دنقله وهي مدينة الملك قال مسعود فوجدتها بلاداً ضيقة
ليس لهم زرع الا الذرة وعندهم نخل صغار منه ادامهم ووصف
ملكهم باوصاف منها ان قال خرج علينا يوماً وهو عريان وقد
ركب فرساً عرياً وقد التف في ثوب اطلس وهو اقرع ليس على
راسه شعر قال فاتيت فسلمت عليه فضحك وتغاشى وامر
لي ان تكوى يدي فكوى عليها هيئة صليب وامر لي بقدر خمسين
رطلا من الدقيق ثم صرفني قال واما دنقله فليس فيها
عمارة الا دار الملك فقط وباقيها اخصاص

صفة دنقلة

فصل في وفاة نجم الدين ايوب والد صلاح الدين

فصل في وفاة نجم الدين والد صلاح الدين

وطرف من اخباره قال العماد وركب نجم الدين ايوب فشبت
به فرسه بالقاهرة عند باب النصر وسط المحجة يوم الاثنين
الثامن عشر من ذي الحجة وحمل الى منزله وعاش ثمانية ايام
ثم توفي في يوم الثلاث السابع والعشرين من ذي الحجة وكان
كريماً رحيماً عطوفاً حليماً وبابه مزدحم الوفود وهو متلف

الموجود ببذل الجود وكان ولده صلاح الدين عنه غائبًا
وفي بلاد الكرك والشوبك على الغزاة مواظبًا فدفن الى
جانب اخيه اسد الدين في بيت بالدار السلطانية ثم نقلا
بعد سنين الى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها السلام
والصلاة والتحية قلت فرأيتهما في تربة الوزير جمال الدين
الاصفهاني وزير الموصل المقدم ذكره رحمهم الله وقال
القاضي بن شداد ولما عاد صلاح الدين من غزاته بلغه قبل وصوله
الى مصر وفاة ابيه نجم الدين فشق ذلك عليه حيث لم يحضر وفاته
وكان سبب وفاته وقوعه من الفرس وكان رحمه الله شديد
الركض ولعابًا بلعب الكرة بحيث من رآه يلعب بها يقول ما يموت
الا من وقوعه عن ظهر الفرس ومن كتاب فاضلي عن السلطان
الى عز الدين فرخشاه بمصر يقول فيه في المصاب بالمولى الدارج
غفر الله ذنبه وسقى بالرحمة تربه ما عظمت به اللوعة واشتدت
الروعة وتضاعفت لغيبتنا عن مشهده الحسرة فاستنجدنا بالصبر
بالصبر فابا واستنجدنا العزم فنباه فقعيدا فقد عليه العزا ونابت
بعده الارزا وانتشر شمل البركة بفقده فهي بعد الاجتماع اجزا
وتخطفته يد الردى في غيبتي ومغيبي حضرت فكنت ما ذا اصنع
قال ابن ابي طي الحلبي هو الامير نجم الدين ايوب بن شاذي
ولا اعرف في نسبه اكثر من والده شاذي وحدثني ابي رحمه
الله قال كان تقي الدين عمر يريد فيقول شاذي بن مروان
قلت وسمعت انا من يقول شاذي بن مروان بن يعقوب

قال

قال ابن ابي طي وقد ادعى بن سيف الاسلام لما ملك اليمن
انهم من بني مروان بن يعقوب قال ابن ابي طي وقد ادعى
بن سيف الاسلام لما ملك اليمن انهم من بني مروان بن محمد الجعدي
المعروف بالحمار يعني اخر خلفا بني امية قال وقد تغيبت
عن ذلك فاجمع الجماعة من آل ايوب ان هذا الكذب وان جميع آل
ايوب لا يعرفون جدا فوق شاذي وكذلك اخبرني السلطان
الملك الظاهر رحمه الله قلت ابن سيف الاسلام هذا
هو ابو الفدا اسمعيل ابن طغتكين ابن ايوب بن شاذي ابن
اخي السلطان صلاح الدين ملك اليمن بعد ابيه وتعاظم
الى ان ولى نفسه الخلافة وادعى انه من بني امية وعزم على
اعادة الخلافة من بني هاشم الى بني امية وله في ذلك اشعار
كثيرة وتلقب الامام الهادي بنور الله المعز لدين الله امير
المومنين ومدحه كثير من الشعرا بذلك وزينوا له ما هو فيه
فمن شعره

فاني انا الهادي الخليفة والذي · ادوس رقاب الغلب بالضمر الجرد
ولا بد من بغداد اطوي ربوعها · وانشرها نشر السماسر للبرد
وانصب اعلامي على شرفاتها · واحيي بها ما كان اسسه جدي
ويخطب لي فيها على كل منبر · واظهر دين الله في الغور والنجد

ثم قال ابن ابي طي وكان نجم الدين ايوب عدلا مرضيا
كثير الصلاة والصلات غزير الفضل والجرات يحب العلما ويميل
الى الفضلا وكان ممدحا مدحه العماد الكاتب بعدة قصايد

قال وكان مولد نجم الدين ايوب ببلد شيحمان كذا حكاه
مويد الدين بن منقذ وحدثني جماعة ان مولد نجم الدين
كان بجبل خوروكي في بلد الموصل وكان شجاعا باسلا وخدم
السلطان محمد بن ملكشاه فرأى منه امانة وعقلا وسدادا
وشهامة فولاه قلعة تكريت فقام في ولايتها احسن قيام وضبطها
اكرم ضبط واجلى من ارضها المفسدين وقطاع الطريق واهل
العيث حتى عمرت ارضها وحسن حال اهلها وامنت سبلها فلما
ولي السلطان مسعود الملك قطع قلعة تكريت لمجاهد الدين
بهروز الخادم شحنة بغداد ومتولي العراق وكان هذا بهروز
اميرا ينفذ امره في جميع العراق الى البصرة الى الموصل الى اصفهان
وكانت خيله خمسة الف فارس فاقر الامير نجم الدين في ولاية
تكريت واضاف اليه النظر في جميع الولاية المتاخمة له وقرر
امره عند السلطان مسعود وجعل بهروز قلعة تكريت
خزانة امواله وبيت عقايله وجعل جميع ذلك منوطا
بالامير نجم الدين ومعدوقا بهمته وكان نجم الدين عظيما
في انفس الناس بالدين والخير وحسن السياسة وكان لا يخبر
احد من اهل الدين والعلم به الا حمل اليه الاموال والضيافة
الجليلة وكان لا يسمع باحد من اهل الدين في مدينة الا انفذ
اليه وقد ذكر العماد الكاتب في سيرة السلجوقية الامير
نجم الدين وقرظه واثنى عليه وذكر في دينه وعفته ووفور
امانته وكرم خيره اشيا حسنة وحكى قضية عمه العزيز

حكان

حين حبس عنده بقلعة تكريت من جهة الوزير الدركزيني
وأمره بقتله فأبى نجم الدين الى ان قتله بهروز بنفسه
بامر الدركزيني ثم ان السلطان مسعود احتشد وخرج
في اخذ السلطنة وطمع مولانا اتابك زنكي بن اق سنقر في
بغداد وجرد عسكرًا ضخمًا وسار الى تكريت طامعًا في بغداد
واتصل هذا الخبر بقراجة الساقي ومولانا اتابك بن السلطان
محمود فجرد الف فارس للقاء زنكي وقتل جماعة من اصحابه ونهب
جميع ما كان في عسكره وجاء الى سور تكريت وبه عدة جراحات
وعلم مكانه الامير نجم الدين واخوه شيركوه فمضيا الى القلعة
بحبال وداووا جراحاته وخدماه احسن خدمه وتقربا
اليه فاقام عندهما بتكريت خمسة عشر يومًا ثم سار الى الموصل
واعوزه الظهر فاعطياه جميع ما كان عندهما من الظهر حتى
انهما اعطياه جملة من البقر حمل عليها ما سلم معه من امتعته
فكان زنكي يرى لايوب هذه اليد ويعرف له هذه الصنيعة
ويواصله بالهدايا والالطاف مدة مقامه في تكريت
فلما انفصل عنها على ما سنذكره تلقاه زنكي بالرحب
والسعة واكرمه اكرامًا عظيمًا واقطعه عدة قطائع
وكان نجم الدين قد ساس الناس بتكريت احسن سياسة
حتى ملك بذلك حبات قلوبهم وكان اخوه شيركوه معه
في القلعة وكان شجاعًا ينزل من القلعة ويصعد اليها في
اسبابه وحاجاته وكان نجم الدين لا يفارق القلعة

ولا ينزل منها فاتفق ان اسد الدين نزل من القلعة يوما لبعض
شانه ثم عاد اليها وكان بينه وبين كاتب صاحب القلعة
قوارص وكان رجلا نصرانيا فاتفق في ذلك اليوم ان النصراني
صادف اسد الدين صاعدا الى القلعة فبعث به بكلمة ممضة
فجرد اسد الدين سيفه وقتل النصراني وصعد الى القلعة
وكان مهيبا فلم يتجاسر احد على معارضته في امر النصراني بسبع
واحد النصراني برجله فالقي من القلعة وبلغ بهروز صاحب
تكريت ماجرى وحصر عنده من خوفه جراه اسد الدين وانه
ذو عشيرة كثيرة وان اخاه نجم الدين قد استحوذ على قلوب
الرعايا وانه ربما كان منهما امر يخشى عاقبته ولضعف
استدراكه فكتب الى نجم الدين ينكر عليه ماجرى من اخيه
ويامره بتسليم القلعة الى نايب سيره صحبة الكتاب فاجاب
نجم الدين ذلك بالسمع والطاعة وانزل من القلعة جميع
ما كان له بها من اهل ومال واجتمع هو واخوه اسد الدين
وصمما على قصد عماد الدين زنكي بالموصل وقيل ان اسد
الدين كان خرج الى الموصل قبل نجم الدين واعظم اهل
تكريت خروج نجم الدين من بين اظهرهم ولم يبق احد الا
خرج لتوديعه واظهر البكا والاسف على مفارقته
ولما اتصل باتابك زنكي قدومهما افرحه ذلك وامر
الموكب بلقايهما واكرمهما اكراما عظيما واقطعهما في بلد
شهرزور اقطاعا سنيا وقيل انه اقطع اسد الدين

بالموزر

289.

بالموازرة وجرى بين اسد الدين وجمال الدين الوزير مودة عظيمة
حتى حلف كل واحد منهما للاخر انه يقوم بامره في حياته
وبعد وفاته وتجرد جمال الدين في امر اسد الدين
واموراخيه نجم الدين حتى قربهما من قلب اتابك وجعلهما
عنده بالمنزلة العظيمة وخرجا معه الى الشام وشهدا معه
حروب الكفار وقتال الفرنج لعنهم الله وكان لاسد الدين
في تلك الوقايع اليد البيضا والفعله الغرا وحدثني
ابي رحمه الله قال حدثني سعد الدولة ابو اليمامن
الموصلي وكان احد اصحاب نجم الدين ايوب قال وحدثني
ايضا بهذه الحكاية مجد الدين بن داية الملك الصالح قال
حدثني حسام الدين سنقر غلام الامير نجم الدين ابي طالب
وكان سنقر هذا خدم مع الامير نجم الدين ايوب بن شادي
قال كنت في صحابة الامير نجم الدين لما انفذه نور الدين
ابن زنكي الى ابنه السلطان الملك الناصر الى مصر من اجل
قطع خطبة المصريين واقامة دعوة بني العباس في اول
سنة سبع وستين وخمسماية فاتفق اني كنت حاضرا وقد
اجتمع السلطان الملك الناصر ووالده الامير نجم الدين في
دار الوزارة وقد قعدا على طراحة واحدة والمجلس غاص
بارباب الدولتين وعند الناس من الفرح والسرور ما قد
اذهل العقول فبينا الناس كذلك اذ تقدم كاتب نصراني
كان في خدمة الامير نجم الدين فقبل الارض بين يدي

اتفاق عجيب

السلطان الملك الناصر ووالد الامير نجم الدين في دار
الوزارة وقد قعد ~~على طراحة واحدة~~ والتفت الى نجم الدين
فقال له يا مولاي من انا وما مقالتي لك بالامس حين ولد
هذا السلطان فضحك نجم الدين وقال صدقت والله ثم اخذ
في حمد الله وشكره والثنا عليه والتفت الى الجماعة والذين
حوله من اكابر العلما والقضاة والامرا وقال لكلام هذا
النصراني حكاية عجيبة وذلك اني ليلة رزقت هذا الولد
يعني السلطان الملك الناصر امرني صاحب قلعة تكريت
في تلك الليلة بالرحلة عنها بسبب القتلة التي كانت
من اخي اسد الدين شيركوه رحمه الله وقتله النصراني وكنت
قد الفت القلعة وصارت لي كالوطن فثقل علي الخروج منها
والتحول عنها الى غيرها واغتممت لذلك وفي ذلك الوقت
جاني البشير بولادته فتشاممت به وتطيرت فلما جرى علي
ولم افرح به ولم استبشر وخرجنا من القلعة وانا على طريق
به لا اكاد اذكره ولا اسميه وكان هذا النصراني معي كاتبا
فلما راى ما نزل بي من كراهية الطفل والتشاوم به استدعى
مني ان اذن له في الكلام فاذنت له فقال لي يا مولاي قد
رايت ما حدث عندك من الطيرة بهذا الصبي واي شي له
من الذنب وبما استحق ذلك منك وهو لا ينفع ولا يضر
ولا يغني شيا وهذا الذي جرى عليك قضا من الله سبحانه
وتعالى ثم ما يدريك ان هذا الطفل يكون ملكا عظيما عظيم

الصيت

290.

الصيت جليل المقدار فوطفني كلامه عليه وبها لموقه وفقني على ما كان قاله فتعجب الجماعة من هذا الاتفاق وحمد السلطان و والاه الله سبحانه وشكراه **قلت**

وللعماد في نجم الدين مدايح ومراث منها قوله

ثغر الزمان بنجم الدين مبتسم • ووجهه بدوام العز مبتسم

يقول فيها

اضحى بك البيت محجوجا ومعتمرا • كانما حل فيه الحل والحرم

جاءت بلوكك وشمل الدين منتثر • فما دعوا عنه فهو اليوم منتظم

وما درى احد من قبل دولتهم • ان الخطوط بلثم الارض تقتسم

نامت عيون الورى في عدل سيرتهم • كان يقظتنا في عصرهم حلم

والناصر ابنك كاف كل معضلة • اذا الحوادث لم يكشف لها غمم

اعز بالباس والاحسان حوزتنا • فلم يلم بنا خوف ولا عدم

تبسم الدست من ايوب عن ملك • تنحط عن قدره الاقدار والهمم

وقال في مرثيته

هي الصدمة الاولى فمن بان صبره • على هول ملقاها تضاعف اجره

ادم صباح الارتقاء ثنه • تبسم عن ثغر المنية فجره

اصاب الهدى في نجمه مصيبة • تداعى سماك الجو منها ونسره

فلا تعذلونا واعذرونا فمن بكا • على فقد ايوب فقد بان عذره

أقام بأعمال الفرات وخيله • تواح بها نيل العزيز ومصره
إلى أن رماها من أخيه بضيغم • فرى نابه ما للصليب وظفره
فلما قضى يحيى حياة ودولة • بأمرك في إدراكها ثم أمره
تعاقبتما مصرا تعاقب وابل • يجيء بقطر النيل يتلوه قطره
نزلت بداريها فحللتها • فمغناك مغناه وقطرك قطره
وواجهته في الدهر حيا وميتا • فقبرك في دار الغزاة وقبره
وقد شخصت أهل البقيع إليكما • والأفق كان الحجون

وله

هبي الملك مات والعز عزه • وقدرته فوق الرجال وقدره
وأدركه من طول الحياة مراده • وما طال إلا في رضى الله عمره
وأسعد خلق الله من مات بعدما • رأى في بني أبنائه ما يسره
شهيد تلقى ربه وهو صائم • فكان على أجر الشهادة فطره
مضى وهو راض عنك لم تور صدره • بضيق ولا جاشت من الغيظ قدره
حمى حوزة الإسلام والدين بعده • ثمانية من آلهم عن نصره
فكيف يخاف آل أيوب أسده • لقد بان خوف الدهر منه وذعره
رعى الله بحرا تعرف الشمس أنه • أبوها ونور البدر منها وزهره
وأبقى المقام الناصري فإنه • لدولتكم كنز الرجاء وذخره

وقال أيضا

صفو الحياة وإن طال المدى كدر • وحادث الموت لا يبقي ولا يذر

وما

291.

وما يزال لسان الدهر ينذرنا • لو اثرت عندنا الايات والنذر •
فلا تغرك من الدنيا مطامعنا • فما مع الموت لا غش ولا كدر •
كاس اذا ما الردى حيا الحياة بها • لم ينج من سكرها انثى ولا ذكر •
كم شامخ العز لاقا الذل مرتديا • ما اضعف القدر ان اودى به القدر •

في كل جيل وعصر من وقايعها • شعوا ينفطر منها القلب والظفر •
اودى علي وعثمان بمخلبها • ولم يقتها ابو بكر ولا عمر •
ومن اراد التاسي في مصيبته • فللورى برسول الله معتبر •
نجم هوى من سماء الدين منكدرا • والنجم في افقه يهوى وينكدر •
منظومة الجمر اجوزا من جزع له • وعقد الثريا منه منتثر •
وكيف ينسى محياه الكريم ومن • نعماه في كل عيش صالح اثر •
جددت من اسد الدين الشهيد لنا • حزنا به يتساوى الصبر والصبر •
قد كان للدين والدنيا بعزمته • ذكر يعبر عنه الصارم الذكر •
ان فاح نشر كلام تمدحان به • مسكا فقدم ايوب بني العنبر •
تخفى ذبال مصابيح اذا طلعوا • صبحا وتنسى ملوك الارض ان ذكروا •

كانما صور الله الكمال بهم • شخصا وبوسف منه السمع والبصر •
لا تشوبك منه معصوم ولا كدره • ولا خليل ولا قدس ولا زعر •
لم يرتحل فاقلا الا وساكنها • اما مباح حماه او دم هدر •
ما مات ايوب الا بعد معجزة • في الجلالة لم يوتها من جنسه بشر •
مضى سعيدا من الدنيا ولسرته • في رتبة ادب باق ولا وطر •

رضي الله عنهم

صلى الله عليه وسلم

وطوق الله منه باع البعة منها الندي والتقى والملك والعمر
واشرق الملك ما امتدت مساعيه فتى في صحة لحواها العقل والكبر
ومن سعادته ان مات لا سام يشكو منه معايبه ولا ضجر
فصل قال العماد وسار نور الدين قاصداً احايث
استماله لتسديد ما اختل هناك من الاحوال فسار الى بعلبك
ومنها الى حمص ثم حلب وفعل في كل منها من المصالح ما وجب
وقصد بلاد قليج ارسلان ملك الروم ففتح مرعش في العشرين
من ذي القعدة ثم فتح بهسنى واتبع في كل منها الطريقة الحسنى
وكتب العماد الى صديق له بدمشق وكان سافر عنها مع نور
الدين في اطيب فصولها وهو في المشمش

كتابي فديتك من مرعش وخوف فراقك مرعشي
وما مر في طرفها مبصر صحيح النواظر الا عشي
وما حل في ارضها امرؤ من الضيم والضر لا يختشي
ترنحني نشوات الغرام كاني من كاسه منتشي
اسر واعلن بوح الجوى فعقلي بسر ودمعي فشي
بدلت لكم مهجتي رشوة فجاكم حكم مرتشي
وكيف بلذ الكرى مغرم بنار الغرام حشاه حشي
بمرعش البغي وبلوطها مضاهاة جلق والمشمش
قال العماد في الخريدة فسارت هذه القطعة ونمى
حديثها الى نور الدين فاستنشدنيها فانشدته اياها
ونحن سائرون في واد كثير الاشجار مع بيتين بدهت

292.

بها في الحال ومما

• وبالملك العادل استأنست نجاح مني كل مستوحش •
• وما في الانام كرم سواه فان كنت تنكر ذا فتش •

وقال ابن الاثير وفي سنة ثمان وستين سار نور الدين نحو ولاية الملك عز الدين قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان السلجقي وهي ملطية وسيواس وقونيه واقصرا عازمًا على حربه واخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذا النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس وغيرهما من تلك البلاد قصده قليج ارسلان واخذ بلاده واخرجه عنها طريدًا فريدًا فسار الى نور الدين مستجيرًا به وملتجيًا الى ظله فاكرم نزله واحسن اليه وحمل له ما يليق ان يحمل للملوك ووعده النصر والسعي في رد ملكه اليه وكانت عادة نور الدين انه لا يقصد ولاية احد من المسلمين الا ضرورة اما ليستعين بها على قتال الفرنج او للخوف عليها منهم كما فعل بدمشق ومصر وغيرهما فلما قصده ذو النون راسل قليج ارسلان وشفع اليه في اعادة ما غلبه عليه من بلاده فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين نحوه فابتدى بكيسون وبهسني ومرعش ومرزبان فملكها وما بينها من الحصون وسير طايفة من عسكره الى سيواس فملكوها وكان قليج ارسلان لما بلغه قصد نور الدين بلاده قد سار من اطرافها التي تلي الشام الى وسطها خوفًا وفرقًا وراسل

نور الدين يستعطفه ويساله الصلح والصفح عنه فتوقف نور
الدين عن قصده رجاان ينصلح الامر بغير حرب فاتاه من
الفرنج ما ازعجه فاجابه الى الصلح وكان في جمله رسالة
نور الدين اليه انني اريد منك امورا وقواعد مهما تركت
منها فلا اترك ثلثه اشيا احدها ان تجدد اسلامك على
يد رسول حتى يحل لي اقرارك على بلاد الاسلام فانني
لا اعتقدك مومنا وكان قليج ارسلان يتهم باعتقاد
مذاهب الفلاسفه والثاني اذا طلبت عسكرك الى الغزاه
تسيره فانك قد ملكت طرفا كبيرا من بلاد الاسلام وتركت
الروم وجهادهم وهادنتهم فاما ان تكون تنجدني بعسكرك
لاقاتل بهم الفرنج واما ان تجاهد من يجاورك من الروم
وتبذل الجهد والوسع في جهادهم والثالث ان تزوج ابنتك
بسيف الدين غازي ولد اخي وذكر امورا غيرها فلما سمع
قليج ارسلان الرساله قال ما قصد نور الدين الا الشناعه
علي بالزندقه وقد اجبته الى ما طلب انا اجدد اسلامي على
يد رسوله واستقر الصلح فعاد نور الدين وترك عسكره
في سيواس مع فخر الدين عبد المسيح في خدمة ذي النون
فبقي العسكر بها الى ان مات نور الدين فرحل العسكر
عنها وعاد قليج ارسلان ملكها قال العماد وفي هذه
السنة وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري
وهو فقيه عصره ونسيج وحده فسر نور الدين به وانزله

بحلب

بحلب بمدرسة باب العراق ثم اطلعه الى دمشق فدرس
بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي
رحمه الله ونزل بمدرسة جاروق وشرع نور الدين في انشاء
مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وادركه الاجل دون
ادراك عملها لاجله **قلت** هي المدرسة العادلية الآن
التي بناها بعده الملك العادل ابو بكر بن ايوب اخو صلاح
الدين وفيها تربته وقد رايت انا ما كان بناه نور الدين
ومن بعده منها وهو موضع المسجد والمحراب الان ثم لما
بناها العادل ازال تلك العمارة وبناها هذا البنا المحكم
المتقن الذي لا نظير له في بنيان المدارس وهي المأوى وبها
المثوى وبها قدر الله تعالى جمع هذا الكتاب فلا اقفر
ذلك المنزل ولا اقوى وبقي قطب الدين الى ان توفي في الايام
الناصرية في سنة ثمان وسبعين ووقف كتبه على طلبة العلم
ونقلت بعد بنا هذه المدرسة اليها فما فاتها عمرته اذ فاتها
مباشرته رحمه الله **قال** العماد وكان قد وفد في سنة
اربع وستين شيخ الشيوخ عماد الدين ابو الفتح محمد بن
علي بن محمد بن حمويه فاقبل عليه نور الدين وامرني بانشا
منشور له بمشيخة الصوفية ورغبه في المقام بالاحسان
اليه بالشام ومن جملة ما اتحفه به عمامة باعلام ذهبية نفذها
صلاح الدين من مصر فبلغ ثمنها الف دينار مصرية ذهبها
فلم يجب من شامها الى طلبها **قلت** وقد سبق ذكر هذه

عمامة بالف دينار

العمامة في اخبار نور الدين اوله الكتاب من كلام بن الاثير
وبن المعطي اباها وهو الشيخ تاج الدين عبد الله رحمهم الله
ثم ذكر العماد نسخة المنشور وفيه فلينظر في رباط السميساطي
وقبة الطواويس ورباط الطاحونة وغيرها من ربط الصوفية
بدمشق المعمورة وبعلبك ثم ذكر العماد انه في اخر شعبان
من هذه السنة قبل الرحيل من دمشق كان اهدى الى صديقه
الفاضل الاديب علم الدين الحسن ابن سعيد الشاتاني
قطايف وكتب اليه

ما ادانا في صحون ۞ مسوطنات في سكون
تجلى امثال العرايس ۞ بين ابكار وعون
او كالعقايل في الخدور ۞ قد اعتقلن على ديون
من اللذيذات اللواتي ۞ يا لسهولة من الحزون
او كالنمايم للصحاف ۞ وما انسين الى جفون
السكريات العريقات ۞ العلايل والشؤون
صرعى وما دارت لها ۞ يوما رحى الحرب الزبون
تغرقن في اكفانهن ۞ على المنى لا للمنون
تحيين بالتعريق بل ۞ يسمن في ضيق السجون
المستطابات الظهور ۞ المستلذات البطون
يضحكن بالترصيع في ۞ الجامات كالدر المصون
المستقيمات الصفوف ۞ وقفن كالخيل الصفون
وقد اشتملن من اللطايف ۞ والصفات على فنون

اسمع

294

٥ اسمع حديثي في البساطي ٥ فالحديث احوشجون ٥

وهي اكثر من هذا فصل قال العماد وقد

سبق ذكر مليح بن لاون مقدم بلاد الارمن والتجايه

الي نور الدين وتطاوله بقوته على الروم وبلاد الارمن وكانت

الدروب اذنه والمصيصه وطرسوس يحميها ملك الروم

ويضبطها بجنده حتى استولى عليها مليح بن لاون فكسرهم

وقتل واسر وساق لنور الدين من مقدمي الروم ثلثين

اسيرا فارسل نور الدين القاضي كمال الدين بن الشهرزوري

بالاسرا والهدايا الى الخليفه المستضي بامر الله ومعه كتاب

يشرح هذه الكسرة وما فتح من البلاد ويقول فيه وقسطنطينيه

والقدس يجريان الى امد الفتوح في مضمار المنافسه وكلاهما

في وحشة ليل الضلال المدلهم على انتظار صباح المؤانسه

والله تعالى بكرمه يدني قطاف الفتحين لاهل الاسلام ويوفق

الخادم الحائز مراضي الامام وفي اخره ومن جملة حسنات

هذه الايام الزاهره ما تيسر في هذه النوبه من افتتاح ... بعض م

بلاد النوبة والوصول الى مواضع منها لم تطرقها سنابك

الخيل الاسلاميه في العصور الخاليه وكذلك استولت

عساكر مصر ايضا على برقه وحصونها وتحكموا في محكم معاقلها

ومصونها حتى بلغوا الى حدود المغرب فقطعوا امر السول

يعتقدون قلت كان الفتح في هذه السنة وصول

قراقوش غلام تقي الدين من الديار المصرية مع طايفة من الترك

وانضم اليهم جماعة من العرب فاستولى على طرابلس وكثير
من بلاد افريقية ما خلا المهدية وسفاقس وقفصة
وتونس وفي آخر ذلك الكتاب ونسأل الله تعالى التوفيق
لاستنقاذ قواعد المنا وافنا عبدة الصليب الانجاس
في المسجد الاقصى وان يجعل فتح البيت المقدس مفتتح
مرادنا ومقتدح زنادنا ومنفرجة في جهاده وان يملكه
الساحل بجميع بلاده وسير العماد معه قصيدة منها

بالمستضي ابي محمد الحسن ۝ رجعت امور المسلمين الى السنن
في ارض مصر دعا له خطباؤها ۝ واتت تخطب بكر خطبة عدن
فالمغرب الاقصى لذاك مشوق ۝ وبنصر مصر محقق يمن اليمن
ورأى الاله المستضي لشرعه ۝ وعباده نعم الامين المؤتمن
سر النبوة كامن فيه ومن ۝ قطر الامامة مشرق نور الفطن
بتقى ابي بكر ومن عمر الهدى ۝ وحيا عثمان وعلم ابي الحسن
وبجده عرفت مقالة حيدر ۝ ما من ذنا لا ولا مع الدرن
كم من عدو مات في جلده ۝ رعبا وخوفا فهو حي في كفن

ومنها في مدح نور الدين

هل مثل محمود بن زنكي مخلص ۝ متوحد يبغي رضاه بكل فن
ورع لدى المحراب اروع محرب ۝ في حالتيه ان اقام وان ظعن
يمسي ويصبح في الجهاد وغيره ۝ يضحي رضيع سلافة وضجيع دن

وبعزم

295

وبعث آية الإسلام منتصراً وبذله الإشراك منتقماً فمن

قال ابن أبي طي وفيها وصل شهاب الدين ابن أبي عصرون
من بغداد ومعه توقيع لنور الدين بدرب هرون وصريفين
وخمسين ديناراً من دنانير النثار التي نثرت يوم دخل
الشهاب الى بغداد بالبشارة بالخطبة في مصر وزن كل دينار
عشرة دنانير **قال** العماد وكانت ناحيتا درب هرون
وصريفين من أعمال العراق لزنكي والد نور الدين قديماً من
انعام أمير المومنين فسأل نور الدين احيا ذلك الرسم
في حقه فأنعم بهما الخليفة عليه ووجه بهما مثاله الشريف
اليه وكان من مراده ان يستوهب ببغداد على شاطي
دجله ارضاً يبنيها مدرسة للشافعية ويقف عليها الناحيتين
طلباً للأجر وحسن الذكر الباقي على الدهر وقيل له ما ثم
موضع يصلح لهذا الا دار الشط فعاقه أمر القدر عن قدرته
على الأمر **ثم دخلت** سنة تسع وستين ونور
الدين قد فتح من حصون الروم مرعش وغيرها ومليح بن لاون
متملك الأرمن في خدمته ووصل الى خدمته ايضاً ضيا الدين
مسعود بن قفجاق صاحب ملطيه وكان في خدمته ايضاً
الأمرا من الجدل فسرحهم بالعطا الأجزل والسمت الأجمل
واظهر انه ينزل على قلعة الروم على الفراة فيقتل مستحلف
الأرمن بالبراة وحمل خمسين ألف دينار على سبيل الجزية
مصانعة بذل وصغار وعاد الى حلب وقد انجح في كل ما طلب

وارادان يسرع الى دمشق فالتاث سرح لالتياث سريته
وحظي بمرض القلب لمرض جسم حظيته وجرت شكايته
شكاية جاريته فتصدق عنها بالوف والتزم لله في شفايها
بنذور وحقوق ثم سيرها في محفة تحمل على ايدي الرجال
في خفة وسارت على الطريق المهيع مع العسكر يحملها من الخدم
والخواص المعشر بعد المعشر فما تقرب اليه مثل حملها والمشي
معها وتقدم بكون لازم من خدمته شيعها وتاخر نور الدين
جريدة مع عدة من مماليكه وامرايه المناصحين في ولايه
وتقدم الي ان اسايرهم في طريقه ولحاورهم ولحاضرهم في منادمته
واسامرهم وسرنا على طريق فيه ملاعب والمشهد سلمته
فجاءه الخبران الفرنج قد اغارت على حوران فثنى الى الجهاد
العنان وسمع الفرنج به فنفروا وتفرقوا بعد ما كانوا اقلقوا
ودخلنا دمشق قلت وفي جمادى الاولى ابطل نور
الدين رحمه الله فريضة الاتبان ورايت منشوره بذلك
وعلامته عليه بخطه الحمد لله يقول فيه وبعد فان من سنتنا
العادلة وسيرة ايامنا الزاهرة وعوايد دولتنا القاهرة
اشاعة المعروف واغاثة الملهوف وانصاف المظلوم
واعفاء رسم ما سنه الظالمون من جايرات الرسوم وما
نزال نجدد للرعية رسما من الاحسان يرتعون في رياضه
ويردون من حياضه ونستقري اعمال بلادنا المحروسة
وننظفها من الشبه والشوايب ونمحو ما نعثر عليه من باقي

ابطال فريضة الاتبان

رسومها

رسومها الضاير بما اسقطناه من المكوس والضرايب تقربا
الى الله تعالى الكافل لنا بسبوغ المواهب وبلوغ المطالب
وقد اطلقنا جميع ما جرت العادة باخذه من فريضة الاتبان
المقسطة على اعمال دمشق المحروسة وضياع المرج والغوطة
وجبل سنير وقصر حجاج والشاغور والعقيبة ومزارعها
الجارية في الاملاك وجميع ما يقسط بعد المقاسمة من الاتبان
على الضياع الخواص والمقطعة بساير الاعمال المذكورة ووفرنا ٥
على اربابه طلبا لمرضاة الله وعظيم اجره وثوابه وهربا من
انتقامه واليم عقابه وسبيل النواب اطلاق ذلك على الدوام
وتعفية اثاره والاستعفاء من اوزاره والاحتراز من التدنس
باوضاره وابطال رسمه من الدواوين للاستقبال سنة تسع
وستين وما بعدها على تعاقب الاعوام والسنين

فصل في فتح اليمن

قال العماد وفي رجب توجه توران شاه
الكبير اخو صلاح الدين الى اليمن فملكها وكان يحثه على المسير
اليها عمارة اليمني شاعر القصر وكان قد امتدح توران شاه
فتجهز وسار الى مكة ثم الى زبيد فملكها وقبض على الخارجي
بها واهلكه ونائبه سيف الدولة مبارك بن منقذ ومضى
الى عدن فاخذها واستناب فيها عز الدين عثمان الزنجيلي
وفتح حصن تعز وغيره من القلاع ففتح اقليما وملك ملكا
عظيما وافترع بكرا وشيع ذكرا **قال** ابن شداد
ولما كان سنة تسع وستين راى صلاح الدين قوة عسكره

وكثرة عدد احوته وقوة باسهم وكان بلغه ان باليمن انسانا
استولى عليها وملك حصونها وهو يخطب لنفسه يتسمى
بعبد النبي بن مهدي ويزعم انه ينتشر ملكه الى الارض
كلها واستتب امره فراى ان يسير اليها اخاه الاكبر الملك
المعظم تورانشاه وكان كثيرا ما ازنيا حسن الاخلاق سمعت
منه يعني من صلاح الدين رحمه الله الثنا على كرمه ومحاسن
اخلاقه وترجيحه اياه على نفسه فمضى اليها وفتح الله على
يديه وقتل الخارجي الذي كان بها قلت وكان اخو
هذا الخارجي قد خرج باليمن قبله ذكر عمارة اليمني في اول
كتابه في وزرا مصر في اثنا كلام له وكان جماعة من اماثل
الناس مثل بركات المقري وعلي بن محمد الايلي والفقيه
ابي الحسن علي بن مهدي القايم باليمن وازال الدولة
اهل زبيد وغيرهم قد سبقوني يعني الى صاحب عدن فذكر
كلاما يتعلق به وقال العماد في اخريدة علي بن مهدي ملك
اليمن في زماننا هذا وسفك الدما وسبى المسلمين واقبل على
شرب الخمر وادعى الملك والامامة ودعا الى نفسه وكان يحدث
نفسه بالمسير الى مكة فمات سنة ستين وتولى بعده اخوه
وله شعر حسن يدل على علو همته وقال ابن ابي طي كان
سبب خروج شمس الدولة الى اليمن انه كان كثيرا جوادا وكان
اقطاعه بمصر لا يقوم بفتوته والذين يحضرونه وكان قد
انتظم في سلكه عمارة الشاعر وكان من اهل اليمن وكان ورد

الى

٥٢٩٧

الى مصر ومدح اصحابها ونفق عليهم فلما زالت دولتهم انضوي
الي شمس الدولة ومدحه وكان اذا خلا به يصف له بلاد اليمن
وكثرة اموالها وخيرها وضعف من فيها وانها قريبة المأخذ لمن طلبها
قلت فمن جملة شعره في ذلك قوله في القصيدة التي اولها

العلم مذ كان محتاج الي العلم • وشفرة السيف يستغني عن القلم •

كم يترك البيض في الاجفان ظامية • الى الموارد في الاعناق والقمم •

امامك الفتح من شام ومن يمن • فلا تردد رؤس الخيل باللجم •

فعمك الملك المنصور سومها • من العراق الى مصر بلا سام •

فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به • الى سواك وأور النار في العلم •

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته • كما يقول الورى لحما على وضم •

وقد ترامي الى ان امسكت يده • من الكواكب بالانفاس والكظم •

حاسب ضميرك عن راي اتاك وقد نصيحة وردت من غير متهم

وله من اخرى

افاتح ارض النيل وهي منيعة • علي كل راج فتحها ومومل •

متي توقد النار التي قد رايتها بعدان ستبلو ياسنا ما بمندل •

ويفتح ما بين الحصين وابين • وصنعا من حصن حصين ومعقل •

وتملك من مخلاف طرق وجمع • بعيص من حزن خصيب ومسهل •

• وتخلق ملكا لا تخيل بفخره • علي احد الا علي عزمك العلي •

وله من قصيدة اخرى

• قالوا الي اليمن الميمون رحلته • فقلت ما دونه شي سوى السفر •
• سيرٌ يسر بني الدنيا وطيب ثنا • وطول عمرٍ كذا الحكي عن الخضر •
• لا توقدن لها النار التي عمدت • خفض عليك تنل ما شيت بالشرر •
• المال ملك يد والقوم ملك يد • ولا اطيل ومن اجملة الخبر •

وقال ابن ابي طي والاكثر لكن انه كاتبه رجل من اهل اليمن
شريف يقال له هاشم بن غانم واطمعه في المعاونة لان صاحب
اليمن عبد النبي كان قد تعدى على هذا الشريف هاشم فاعلم
شمس الدولة اصحابه بعزمه على اليمن واجابوه ونجهز ثم دخل
على اخيه السلطان واستاذنه في دخول اليمن فاذن له واطلق
له مغل قوص سنة وزوده فوق ما كان في نفسه واصحبه
جماعة من الامرا ومقدار الف فارس ها رجا عمر سيرهم من حلقته
وسار في البر والبحر في البر العساكر وفي البحر الاسطول يحمل
الازواد والعدد والالات فوصل الي مكة شرفها الله فدخلها
زايرا ثم خرج متوجها منها الي اليمن فوصل زبيد في اوايل
شوال فنزل عليها ولقيه الشريف هاشم بن غانم الحسني وجميع
الاشراف بني سليمان في جمع جم وعدد كثير فهاجم زبيد وتسلمها
واحتوى على ما فيها وقبض على صاحب اليمن عبد النبي علي بن مهدي
ثم رحل الي عدن وفي صحبته بن مهدي ففتحها عنوة وولاها
عز الدين بن الزنجبيلي ثم سار الي المخلاف وتسلم الحصون

النبي

298

التي كانت في يد بن مهدي كثغر وغيرها وسار الى صنعا بعد فتح
مدينة الجند وغيرها فاحرقت صنعا فدخلها شمس الدولة فلم
يجد بها الا شيخا او امراة عجوزا فاقام بها ثمانية ايام ثم لم
يستطع المقام لقلة الميره فرجع الى زبيد فوجد بن منقذ
قد قتل عبد النبي وكان شمس الدولة قد استناب بزبيد
الامير سيف الدولة المبارك بن منقذ وامره بحمله فلما بعد
شمس الدولة خاف بن منقذ من فساد امره فراى المصلحه
في قتله فقتله ابن منقذ بزبيد فلما بلغ شمس الدولة قتله
استصوبه ولما حصل شمس الدولة في زبيد اتوه الى صاحب
ظفار وصالحه هو وباقي الملوك على اداء المال ثم يتبع تلك الحصون
والقلاع فاحتوى عليها جميعها وكتب بذلك الى اخيه الملك
الناصر فارسل الى نور الدين يخبره بما افاض الله عليه من الاحسان
وخوله من ملك البلدان فارسل نور الدين مهذب الدين
ابا الحسن علي بن عيسى النقاش بالبشارة بذلك الى بغداد

فصل ذكر العماد ههنا الامير مجد الدين سيف الدولة
المبارك بن كامل بن منقذ المستناب بزبيد ووصفه بانه
بانه من الكفاة الكرما والدهاة ذوي الاراء وهو فاضل
من اهل بيت فضل **كتب الى العماد من شعره**

لما نزلت الدير قلت لصاحبي • قم فاخطب الصهبا من شماسه
فاتى وفي يمناه كاس خلتها • مقبوسة في الليل من نبراسه
وكان ما في كاسه في خده • وكانما في خده في كاسه •

وكان لذة طعمها من ريقه ٭ وارجها الفياح من انفاسه
لم انس ليلة شربها بغيابه ٭ اذ بات يجلوها على جلاسه
اذ قام يسقينا المدام وكلما ٭ غابت به ردّ الحباب براسه

قلت ومدحه ابو الحسن ابن الدروي المصري بقصيدة غراء الية ما اظن انه نظم على قافية الدال ارق منها لفظا واروق معنى ٭ اولها

لك الخير عرّج بي على ربعهم فذي ٭ ربوع بفوح المسك من عرفها الشذي

يقول فيها

مبارك عيس الوفد باب مباركة ٭ ومل منقذ الغصار الا ابن منقذ ٭

قال العماد ثم سير نور الدين الى بغداد بشارتين باميرين احدهما فتح اليمن والاخر كسر الروم مرة ثانية ومقدمهم الدوقس كليان وكان قديما اسيرا عند نور الدين من نوبة حارم وفداه بخمسة وخمسين الف دينار وخمسماية وخمسين ثوبا اطلس وسير معه اسرا من الروم وذلك في شعبان من السنة ومما ضمنته كتاب البشارة ولم ينج من عشرة الاف غير عشرة جمر مستنفرة فرت من قسورة وقبل ذلك بشهرين سيرت قصيدة للعماد في جمادى الاخرة على لسان نور الدين الى بغداد اولها ٭

اطاع دمعي وصبري في الغرام عصا ٭ والقلب جرع من كاس الهوى غصصا

وان

299

وان صفو حياتي ما يكدره الا اشتياقي الي احبابي الخلصا
ما اطيب العيش بالاحباب لو وصلوا واسعد القلب من بلواه لو خلصا

ومنها

من ذا الذي سار يبغي في ولايتكم غزاة قال العدي لا سير عند عصا
قد نال عبدك محمود بها ظفرا ما زال يرقبه من قبل مرتبصا
من خوف سطوته ان العدو اذا ام الثغور علي اعقابه نكصا

قال العماد وكلف نور الدين في هذه السنة باطلاق الادرار والزيادة في الاوقاف وتكثير الصدقات وتوفير النفقات وكسوة النسوة الايامي في ايامها واغناء فقرا الرعية وايجادها بعد اعدامها وصون الايتام والارامل ببذله وعون الضعفا وتقوية المقوين بعدله ثم ذكر ما قدمنا ذكره في اول الكتاب من مناقب نور الدين وافعاله الكريمة رحمه الله

قال العماد وفي يوم الاثنين رابع شهر رمضان ركب نور الدين علي العادة وجلسنا نحن في ديوانه حافلين في ايوانه لبسط عدله واحسانه وتنفيذ اوامر سلطانه فجاني من اخبرني ان نور الدين نزل المدرسة التي متولاها ويبسط سجادته في قبلتها لسنة الضحي وصلاها فقمت في الحال ومضيت علي الاستعجال فلقيته في الدهليز خارجا في امر العباد ناجحا ولنجح السعادة ناجحا فلما راني توقف ولقولي تشوف فقلت له ان الموضع قد تشرف

ده أما ترى أنه من أيام الزلزلة قد تشعثت فلما رأى حاله تلبث
وقال نعيده إلى العمارة ونكسوه حلل النضارة ثم حملت له وجوه
سكر وشيئا من ثيابه وطيب وعنبر وكتبت معها هذه
الأبيات

عند سليمان على قدره • هدية النملة مقبولة •
وتصغر المملوك عن نملة • عندك والرحمة مأمولة •
رقي لمولانا وملكي له • وذمتي بالشكر مشغولة •
وكيف يقضي الحق ذو منة • ضعيفة بالعجز مغلولة •
وإنما شيمة مولى الورى • طاهرة بالخير مجبولة •

قال وكان رأى قبلة المدرسة غير مفصصة وبالترخيم
والتذهيب غير مخصصة فتقدم لعمارتها فصوصا مذهبة
وذهبا ثم حم مقدور حمامه وعاق القدر على تمامه ودفعت
إلى الموصل فرأيته في المنام وهو يجاذبني في الكلام ويقول
ما يعود إلى المدرسة معناه وقال الصلاة الصلاة فعرفت
أنه أشار إلى المحراب وأنه الآن على هيئة الخراب فكتبت إلى
الفقيه الذي كان عنده الذهب أن يشرع في عمارته ودخلت
دمشق يوم فراغ الصانع منه

فصل قال ابن أبي
طي وفي هذه السنة وصل رسول نور الدين الموفق ابن القيسراني
إلى الديار المصرية واجتمع بالسلطان الملك الناصر وأنهى
إليه رسالة نور الدين وطالبه بحساب جميع ما حصله وارتفع
إليه من ارتفاع البلاد فصعب ذلك على السلطان وأراد

تسق

شق العصا لولا ما ثاب اليه من السكينة ثم امر النواب
بعمل الحساب وعرضه على ابن العلقمي الى ولاه جرايد الاجناد
بمبالغ اقطاعاتهم وكميات جامكياتهم ورواتب نفقاتهم
فلما حصل عنده جميع ذلك ارسل معه هدية الى نور الدين
على يد الفقيه عيسى قال ووقفت على يد نامج شرحها بخط المؤيد
ابن العلقمي وهي خمس ختمات احداها ختمة ثلثون جزءا مغشاه
بالاطلس ازرق مصينه بصفايح ذهب وعليها اقفال ذهب
مكتوبة بالذهب بخط ياقوت وختمه بخط راشد مغشاه
بديباج فستقي عشرة اجزا وختمه بخط ابن البواب مجلده
واحد بقفل ذهب وختمه بخط مهلهل جزء واحد وختمه
بخط الحاكم البغدادي ثلثة احجار بلخش حجر وزنه اثنان
وعشرون مثقالا وحجر وزنه اثنا عشر مثقالا وحجر وزنه
عشرة مثاقيل ونصف ست قصبان زمرد قصبه وزنها
ثلثة عشر مثقالا وثلث وربع وقصبه وزنها ثلثة مثاقيل
وقصبه وزنها مثقالان ونصف وقصبه وزنها مثقالان
وربع وسدس وقصبه وزنها مثقالان وثلث وحجر ياقوت
وزنه سبعة مثاقيل وحجر ازرق وزنه ستة مثاقيل
وسدس مايه عقد جوهر مختومه وزنها جميعها ثماني مايه
وسبعة وخمسون مثقالا خمسون قارورة دهن بلسان
عشرون قطعة بلور اربعة عشر قطعة جزع وذكر تفصيلها
ابريق يشم طشت يشم سقرق مينا مذهب وصحون

مصاحف شريفة

بلخش وزمرد

ياقوت

ابريق وطست يشم

صيني وزبادي وسكارج ابنوس قطعة عود طيب قطعتان كبار كرتان وزن احداهما ثلثون رطلا بالمصري والاخرى احدى وعشرون رطلا مايه ثوب اطلس اربعة وعشرون بقيارا مذهبه اربعة وعشرون ثوب حريري اربعة وعشرون ثوبا من الوشي حريريه بيض حله فلفلي مذهبه حله مرابش صفر امذهبه وذكر غير ذلك انواعا من القماش قيمتها مايتان وخمسة وعشرون الف دينار مصرية وعده من الخيل والغلمان والجواري وشيا كثيرا من السلاح على اختلاف ضروبه قال وخرجوا بهذه الهدية فلم تصل الى نور الدين لانهم اتصل بهم وفاته فمنها ما اعيد ومنها ما استهلك لان الفقيه عيسى وابن القيسراني وضعوا عليهم من نهبهم واستبدوا باكثرها وقيل انها وصلت جميعها الى السلطان لانه اتصل به خبر موت نور الدين فاستعادها قال وحدثني من شاهد هذه الهدية انه كان معها عشرة صناديق مالا لم يعلم مقداره وقال العماد لما وصل الى صلاح الدين رسول نور الدين وهو الموفق خالد اطلعه على كل ما فيه واحصى له الطريق والتلاد وقال هولا الاجناد فاعرضهم واثبت اخبارهم وما يضبط مثل هذا الاقليم الا بالمال العظيم ثم انت تعرف اكابر الدولة وعظماها وانهم اعتادوا على السعه والدعه نعماها وقد تصرفوا في مواضع لا يمكن انتزاعها ولا يسمحون بان ينقص ارتفاعها فالموارد مشغوله والشدايد

مكرومة

مكروهة المقاصد بردعها مجبوبة وامهاتها مشدوهة
وشرع في جمع مال السيرة وحمله بجهد يبذله ويخطر بحمله
وحصل للحال لدمته ما لم يكن في خلد وجاء مطرف غناه اضعاف
مثله فصل في صلب عمارة اليمني الشاعر
واصحابه قال العماد واجتمع جماعة من دعاة الدولة
المصرية المتعصبة المتشددة المتصلبة وتوازروا وتزاوروا
فيما بينهم خيفة وخفية واعتقدوا امنية عادت بالعقبى عليهم
منية وعينوا الخليفة والوزير واحكموا الراي والتدبير
وبيتوا امرهم بليل وستروا عليه بذيل وكان عمارة اليمني
الشاعر عقيدهم ودعا للدعوة قريبهم وبعيدهم وكانوا قد
اودعوا اسرهم عند من اذاعه واستحفظوا من اضاعه وادخلوا
معهم من انصار الدولة الناصرية في جملتهم وعرفوهم بجهلتهم
وكان الفقيه الواعظ زين الدين علي بن نجا بماجهم فيما زين
لهم من سوء اعمالهم ويداخلهم في عزم خروجهم مطلعا على
احوالهم وتوافقوا على الدور والاملاك وكادت اما لهم تدنو
من الادراك فجا زين الدين الواعظ واطلع صلاح الدين على
فسادهم وما سولوه من مرادهم وطلب ما لابن كامل
الداعي من العقار والدور وكل ما له من الموجود والمحوز
فبذل له السلطان كل ما طلبه وامره بمخالطتهم ورغبه
ثم امر السلطان باحضار مقدميهم واعتقالهم لاقامة
السياسة فيهم وصلب يوم السبت ثاني شهر رمضان

جماعة منهم بين القصرين منهم عمارة وافنى بعد ذلك من بقي منهم ومات بموتهم الخبر عنهم وكان منهم داعي الدعاة ابن عبد القوي وكان عارفا بخبايا القصر وكنوزه فباد ولم يسمح بابدايها وبقيت تلك الدفاين مخزونة وتلك الحواصل مدفونة قد دفن دافنها وخزن تحت الثرى خازنها الى ان يأذن الله في الوصول اليها والاطلاع عليها وجمع من اموال هولاء ما حمل الى الشام للاستعانة به على حماية ثغور الاسلام قال ابن ابي طي في هذه السنة اجتمع جماعة من دعاة المصريين والعوام وتوامروا فيما بينهم خفية وبلوا على النواصر دولة المصريين وما صاروا اليه من الذل والفقر اجمعوا ارائهم على ان يقيموا خليفة ووزيرا ويجمعوا هم وجماعة عينوهم من الامرا وغيرهم وان يكاتبوا الفرنج ويثبوا بالملك الناصر ودخلوا معهم في هذا الامر ابن مصال وواعدوا جماعة من شيعة المصريين ليلة عينوها وكاتبوا الفرنج بذلك وقرروا معهم الوصول اليهم في ذلك وقرروا معهم الوصول اليهم في ذلك الزمان المقرر فخانهم ابن مصال فيما عاهدهم عليه ونكث في اليمين وكر عنهم وصار الى الملك الناصر وعرفه بحليه ما جرى فاحضرهم ولحدا ولحدا وقررهم على هذه الحاله فاقروا واعترفوا واعتذروا بكونهم قطعت ارزاقهم واخذت اموالهم فاحضر السلطان العلما واستفتاهم في امرهم فافتوه بقتلهم وصلبهم ونفيهم

فامر

302.

فامر بصلبهم وقيل ان الذي اذاع سرهم ملوك بن الدين
علي الواعظ وطلب جميع مال ابن الداعي من الغفار والماله
فاعطاه جميع ذلك وكان الذين صلبوا منهم المفضل بن
كامل القاضي وابن عبد القوي الداعي والعويدي وكان
قد تولي ديوان النظر ثم القاضي وابن عبد القوي القضا
بعد ذلك وشبرما كاتب السر وعبد الصمد والفنشه احد
امرا المصريين ونجاح الحمامي ورجل منجم نصراني ارمني كان
قال لهم ان امرهم يتم بطريق علم النجوم وعمارة اليمني الشاعر
قلت وبلغني ان عمارة انما كان تحريضه لشمس الدولة
علي المسير الي اليمن ليتم هذا الامر لان فيه تقليلا لعسكر
صلاح الدين وابعاد الاجنبه وناصريه عنه قال
العماد في الخريده ووقعت اتفاقات عجيبه من جملتها انه
نسب اليه بيت من قصيدة ذكروا انه له يعني في القصيدة
التي حرض فيها شمس الدولة علي المسير الي اليمن اولها

العلم مذكان محتاج الي العلم

وقد تقدم ذكرها واما البيت فهو

قد كان اول هذا الدين من رجل سعى الي ان دعوه سيد الامم

قال العماد ويجوز ان يكون هذا البيت معمولا عليه فافتى
فقها مصر بقتله وحرضوا السلطان علي المثله بمثله قال
وللعماره في مصلوبي مصر تعال له طرحان وكان خرج علي
الصالح بن رزيك وظفر به الصالح وصلبه وكان يستحسن

وهذا البيت قد نسب في الخريدة الى ابي الحسن العربي

ابيات عمارة فيه ومن اراد علو مرتبه وقدره فاصبح فوق
جذع فهو عال ومد على صليب الجذع منه يمينا لا تطول
على الشمال ونكس راسه للعتاب قلب دعاه الى الغوايه
والضلال قال العماد فكانما وصف حاله ومال اليه
امره وقال في البرق وو صل من صلاح الدين
يوم وفاة نور الدين الى دمشق كتاب يتضمن مقتل العقيه
ولمو خطب بن قريش يعني المرتضى وقال ابن ابي طي
وقد كتب القاضي الفاضل الى نور الدين كتابا بشرح قضيه
قضية المصلين فقال بعد مطلع الكتاب فمن هذه الخدمة
على متجدد سار للاسلام واهله وبشارة موذنة بظهور
وعد الله في اظهاره على الدين كله بعد ان كانت لها مقدمات
عظيمة الا انها سفرت عن النجح واوايل كالليلة البهيمة
الا انها انفرجت عن الصبح فالاسلام ببركاته البادية
وفتكاته الماضيه قد عاد مستوطنا بعد ان كان غريبا
وضرب في البلاد بجرانه بعد ان كاد الكفر يتم عليه
تحيلا عجيبا الا ان الله سبحانه اطلع على امرها من اوله
واظهر على سرها من مستقبله والمملوك ياخذ في ذكر
الخبر ويعرض عن ذكر الاثر لم يزل يتوسم من جند مصر
ومن اهل القصر بعد ما ازال الله من بدعتهم وخفض
من مرفوع كلمتهم انهم اعدا وان قعدت بهم الايام
واضداد وان وقعت عليهم كلمة الاسلام وكان لا يخفى

منهم حقيرا ولا يستنفد منهم شيئا كثيرا وعلو حد المقاصد
موكله وخطراته في البحر زمنهم مستعمله لا تخلو سنة من
ولا شهر بكر من مكر يجمعون عليه وفسادا يشرعون اليه
وحيله يرمونها ومكيدة ينيمونها وكان اكثر ما يتعللون
به ويستنجحون اليه المكاتبة المواترة والمراسلات
المتقاطرة الى الفرنج خذلهم الله التي يوسعون لهم فيها
سبل المطامع ويحملونهم فيها على العظايم القطايع ويزينون
لهم الاقدام والقدوم ويخلعون بها ربقة الاسلام خلع المرتد
المخصوم وبين الفرنج بحمد الله قصير عن اجابتهم الا انهم
لا يقطعون حبل طمعهم على عادتهم وكان ملك الفرنج كلما
سولت له نفسه الاستمرار في مراسلتهم والتحيل في
معاوضتهم سير جرج كاتبه رسولا الينا ظاهرا والبهم
باطنا عارضا علينا الجميل الذي ما قبلتم قط النفس
وعاقدا معهم القبيح الذي يشتمل عليه في وقته علمنا
ولاهل القصر والمصريين في اثنا هذه المدة رسل تتردد
وكتب الى الفرنج بتجدد ثم قال له والمولى عالم ان عادة
اوليايه المستفادة مزاد به ان لا يبسطوا عقابا مولما
ولا يعذبوا عذابا محكما واذا طال لهم الاعتقال ولم ينجع
السوال اطلق سراحهم وخلي سبيلهم ولا يزيدهم العفو
الا ضراوة ولا الرقة عليهم الا قساوة وعند وصول
جرج في هذه الدفعة الاخيرة رسولا الينا يزعم انه

وورد الينا كتاب ممن لا نرتاب به من قومه يذكرون انه رسول
مجانبه لا رسول مجامله وحامل بليه لا حامل هديه فاوجبنا
الاغفال عن التيقظ لكل ما يصدر منه واليه فتوصل منهم
بالخروج ليلا ومنهم بالركوب الى الكنيسه وغيرها نهارا الى الاجتماع
بحاشية القصر وخدامه وبامرا المصريين واسبابهم وجماعة من
النصارى واليهود وكلابهم وكتابهم فدسسنا اليهم من طايفتهم
من داخلهم فصار ينقل الينا اخبارهم ويرفع الينا احوالهم
ولما تكاثرت الاقوال وكاد يشتهر علمنا بهذه الاحوال استخرنا
الله تعالى وقبضنا على جماعة مفسدة وطايفة من هذا الجنس
متميزة قد اشتملت على الاعتقادات المارقة والسرائر
المنافقة فكلا اخذ الله بذنبه فمنهم من اقر طايعا عند احضاره
ومنهم من اقر بعد ضربه فانكشفت امور اخر كانت مكتومة ونوب
غير التي كانت عندنا معلومة وتقررت انها مختلفة في المراد
متفقة في الفساد ثم ذكر تفصيلا حاصله انهم عينوا خليفة
ووزيرا مختلفين في ذلك فمنهم من طلب اقامة رجل كبير السن
من بني عم العاضد ومنهم من جعل ذلك لبعض اولاد العاضد
وان كان صغيرا واختلف هولاء في تعيين واحد من ولدين له
واما بنو رزيك واهل شاور فكل منهم اراد الوزارة لبيته
من غير ان يكون لهم غرض في تعيين الخليفة ثم قال وكانوا فيما
تقدم والمملوك على الكرك والشوبك بالعسكر قد كاتبوهم
وقالوا لهم انه بعيد والفرصة قد امكنت فاذا وصل

الملك

304.

وجموع

الملك الفرنجي إلى مصر داوالي ايله نارت حاشيه القصر وكافة الجند
وطايفة السودان وجميع الارمن وعامله الاسماعيليه وفتكت
بامتنا واصحابنا بالقاهرة ثم قال ولما وصل جرج كتبنوا الى الملك
الفرنجي ان العسكر متباعد في نواحي اقطاعاته وعلى قرب من
موسم غلاته وانه لم يبق في القاهرة الا بعضه واذا بعثت اسطولا
الى بعض الثغور انهض فلان من عنده وبقي في البلاد وحده ففعلنا
ما تقدم ذكره من الثورة قال وفي اثنا مدة المدة كاتبوا سنانا
صاحب الحشيشية بان الدعوة واحده والكلمة جامعه وان ما بين
اهلها خلاف الا فيما لا يفترق به كلمة ولا يجب به قعود عن نصرة واستدعوا
منه من يتمم على المملوك غيلة او يبيت له مكيدة وحيله والله من
ورائهم محيط وكان الرسول اليهم عن المصريين خال ابن قرجلة المقيم
الان هو وابن اخته عند الفرنج ولما صح الخبر وكان نحكم الله اولى ما اخذ
به وادب الله امضى فيمن خرج عن ادبه وتشاورت من اهل العلم الفتاوى
وتوالت من اهل العلم الفتاوى وتوالت من اهل المشورة بسبب
تاخير القتل فيهم المراجعات والشكاوى فقتل الله بسيف الشرع
المطهر جماعة من الغواة الغلاة الدعاة الى النار الحاملين لانفالهم
واثقال من اضلوه من الفجار وشنقوا على ابواب قصورهم وصلبوا
على الجذوع المواجهة لدورهم ووقع التتبع لاتباعهم وشردت
طايفة الاسماعيلية ونفوا ونودي بان يرحل كافة الاجناد
وحاشية القصر وراجل السودان الى اقصى بلاد الصعيد
فاما من في القصر فقد وقعت الحوطة عليهم الى ان ينكشف

وجه راي بمضي فيهم ولا راي فوق راي المولى والله سبحانه
مستخار وهو مستشار وعند من اهل العلم من تطيب النفس
بتقليده ويمضي الحدود بتحديده وراي المملوك اخراجهم القصر
فانهم مهما بقوا فيه بقيت مادة لا تنحسم الاطماع عنها فانه
قبلة للضلال منصوبة وبيعة للبدع محجوجة ومما يطرق به
المولى ان نفر الاسكندرية على عموم مذهب السنة فيه اطلع
البحث ان فيه داعية خبيثا امره مختفر اشخصه عظيما كفره
يسمى قديد القفاص وان المذكور مع خموله في الديار المصرية
قد فشت في الشام دعوته وطبقت اهل مصر فتنته وان ارباب
المعايش فيه يحملون اليه جزا من كسبهم والنسوان يبعثن اليه سطرا
واقباما من امور البر ووجدت في منزله بالاسكندرية عند القبض
له والهجم عليه كتب مجموله فيها خلع العذار وصريح الكفر الذي ما عنه
اعتذار ورقاع تخاطبه فيها بما يقشعر منه الجلود وكان يدعي
النسب الى اهل القصر وانه خرج منه طفلا صغيرا ونشأ على
الضلاله كبيرا وبالجملة فقد كفى الاسلام امره وحاق به مكره ومرعه
كفره قلت وفي قضية عمارة يقول العلامة تاج الدين
الكندي رحمه الله وتقلبه من خطة عمارة في الاسلام ايدي خيانة
وبايع فيها بيعة وصليبا وامسى بعير الشرك في بعض احمد واصبح
في خطه تصليب صليبا
وكان خبيث الملتقى ان عجمته تجد منه عودا في النفاق صليبا
سيلقى غدا ما كان يسعى لاجله ويسقى صديدا في لظا وصليبا

قلت

305.

قلت الصليب الاول صليب النصارى والثاني بمعنى مصلوب والثالث من الصلابة والرابع ودك العظام وقيل هو الصديد اي يسقي ما يسيل من اهل النار ونعوذ بالله وكان عمارة مستشعرا من الغز وهم ايضا منه لانه كان من اتباع الدولة المصرية وممن انتفع بها واختل امرهم بها بعدها فلم تصف القلوب بعضها لبعض وصار يظهر في فلتات لسانه في نظمه ونثره ما يقتضي التحرز منه وابعاده وهو يرى ذلك منهم فيزداد فسادا في نيته وان مدحهم تكلف ذلك وصرح وعرض فيه بما في ضميره وقد قال في كتاب الوزرا المصرية ذكر الله ايامهم بحمد لا يمل نشاطه ولا يطوى بساطه فقد وجدت فقدهم وميت بعدهم وقال من قصيدة مدح بها نجم الدين ايوب

وكان لي في ملوك النيل قبلكم • مكانة عرفتها العرب والعجم
وكان بيني وبين القوم ملحمة • في حربها السمر الادبار تختصم
وما تزال الى داري عوارفهم • يسعى اليّ بها الانعام والكرم
نوكبت فضلك لما قيل ان لا • يحوز الاعلى من مسة العدم
ولست بالرجل المجهول موضعه • ولا الذي زمن الاحسان اعتنم
ولا الى صدقات المال اطلبها • ولا عمي نال اعصابي ولا صمم
وانما انا ضيف للملوكة وفي • دون الضيوف لسان نالها المفخم
وفم

وقال من قصيدة مدح بها صلاح الدين رحمه الله

فورثت لي ابناء زنكي رزقا • كان في عصرهم مسنا مهنا •
وانت بعدهم ملوكه فسنوا • في ما كان صالح القوم سنا •
ودعوني اما اقتداء بماضيه • او لمعنى وكلهم لي بعثنا •

ومن اخرى

فقد صارت الدنيا اليكم باسرها • فلا تشبعوا منها وغيري جائع •
اذا لم تزيدونا فكونوا كمن مضى • ففي الناس اضداد لهم وسواع •
وليس على من العظام اقامة • فمهل في فروع المكرمات رضاع •

وقال في قصيدة مدح بها تقي الدين

هل بات ذون لمزار ادعنا بكم • ام ليس في اعتابكم من مطمع •
ضيعتم من حق ضيفكم الذي • ما زال قبل اليوم غير مضيع •
ونعا فال السلطان عني حين لم • اكشف قناع مذلة وتضرع •
ورجوت نفعك بالشفاعة عنده • فسمحت لي بشفاعة لم تنفع •
واذا نطاق الرزق ضاق مجاله • امسى مجال النطق غير موسع •

هو خير
وقال

فلست راغبة الدنيا فلا الدهر عاطف • علي ولا عبد الرحيم رحيم •
عفا الله عن ازرائه بي كل فرصة • كلام العدى فيها علي كلوم •
وسامحه في قطع رزقي بفضله • وصلت اليه والزمان ذميم •
الا هل له عطف علي فانني • فقير الى ما اعتدت منه عديم •
عبد الرحيم هو القاضي رحمه الله وبلغني ان عمارة لما تمر وا
به ليصلب عبر به على جهة دار الفاضل فطلب الاجتماع به
فقيل ليس اليه طريق فقال عبد الرحيم قد احتجب

ان

ان الخلاص هو العجب وقال هذه القصيدة وهي
تحقق ما رمي به من الاجتماع على مكاتبة الفرنج والخوض في
فساد الدولة بل الملة وتوضح عذر السلطان في قتله وقتل
من شاركه في ذلك

رميت يا دهر كف المجد بالشلل   وجيده بعد حسن الحلي بالعطل
سعيت في منهج الراي العثور فان   قدرت من عثرات البغي فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فانفك لا   ينفك ما بين نقص الشين والخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل   سعيت مهلا اما تمشي على مهل
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة   على فجيعتنا في اكرم الدول
قدمت مصر فاولتني خلايفها   من المكارم ما اربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن   كمالها انها جات ولم اسل
وكنت من وزرا الدست حيث سما   راس الحصان يهاديه على الكفل
ونلت من عظما الجيش تكرمة   وخلة حرست من عارض الخلل
يا عاذلي في هوى ابنا فاطمة   لك الملامة ان قصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وابك معي   عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهلهما والله ما التحمت   فيكم قروحي ولا جرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة   في نسل آل امير المومنين علي
هل كان في الامر شي غير قسمة ما   ملكتم بين حكم السبي والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم   محمد وابيكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية   من الوفود وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجهي خوف منتقد من الاعادي ووجه الود لم يمل

اسبلت من اسف دمعي غداة خلت رحابكم وغدت مهجورة السبل

ابكي على ما ترات من مكارمكم حال الزمان عليكم وبي لم يحل

كان الصبا قد كانت الشر واعدكم واليوم اوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم ان اضعت مكارمكم تشكوا من الدهر حيفا غير محتمل

وكسوة الناس في الفصلين قد درست ورث منها جديد عنهم وبلي

وموسم كان في كسر الخليج لكم ياتي تجملكم فيه على الجمل

واول العام والعيدان كان لكم فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والارض تهتز في عيد الغدير لما تهتز ما بين قصريكم من الاسل

والخيل تعرض من وشي ومن شية مثل العرايس في حلي وفي حلل

ولا حملتم قرى الاضياف من سعة الاطباق الا على الاعناق والعجل

وما خصصتم ببراهل ملتكم حتى عممتم به الاقصى من الملل

كانت رواتبكم للذمتين ولل ضيف المقيم وللطاري من الرسل

وللجوامع من احباسكم نعم لمن تصدر في علم وفي عمل

وربما عادت الدنيا لمعقلها منكم واضحت بكم محلولة العقل

وقال العماد في الخريدة ابو القسم هبة الله بن عبد الله بن كامل كان داعي الدعاة بمصر للادعيا وقاضي القضاة لاولئك الاشقيا يلقبونه بفخر الامنا وهو عندهم في الحله العليا والمرتبة

السما

السّما والمنزله في السّماحة انكدرت نجومهم وتغيرت رسومهم واقيم قاعدهم وعضد عاضدهم واخليت منهم مصرهم واجلي عنهم قصرهم فحرك بن كامل نافض للكرب عنهم والشد منهم ومالا قوما على البيعة لبعض اولاد العاضد ليبلغوا به ما يخيلون من المقاصد ويسولون من المكايد فالمرت بحثتهم الجذوع واقفرت من جسومهم الربوع واحكمت في حلوقهم النسوع وهذا اول من ضمه حبل الصلب وامه فاقرم الصلب وهذا صنع الله فيمن الحد وكفر النعم وجحد وذلك غرة رمضان سنه تسع وستين وخمسمائة

سمعت الملك الناصر صلاح الدين يقول يذكرهم وقد ذكروا عنده بالفضل والادب ونسبوا اليه هذين البيتين في غلام رفا واستعدهما الملك الناصر وذكرانه ينكرهما

يا رافيا خرق كل ثوب • ويا رشا حبه اعتقادي •

عسى بكف الوصال ترفو • ما مزق الهجر من فوادي •

وقال مقدم الشا

تيممت مصرا اطلب الجاه والغنى • فنلتهما في ظل عيش ممنع •

وزرت ملوك النيل ارتاد نيلهم • فاحمد مرتادي واخصب مربعي •

وفزت بالف من عطيه فايز • مواهبه للصنع لا للتصنع •

وكم طرقتني من يد عاصديه • سرت بين يعطي من عيون ومجمع •

وجاد ابن رزيك من الجاه والغنى • بما زاد عن مرمى رجاي ومطمعي •

واوحى الى سمعي ودايع شعره • فخبرته مني باكرم مودع •

ولبست اياديه سوا ربه مبهمة • ولا عهدها عندي بعهد مضيع

ملوك دعوا الى حرمة صاحبها ٭ فسبها دعته الثانيات وما دعي
هذا فيهم في الجود مذهب سنة ٭ وان خالفوني باعتقاد التشيع
فقل لصلاح الدين والعدل شانه ٭ من الحاكم المصغي الى قادعي
اقمت لكم ضيفا ثلاثة اشهر ٭ اقول لصدري كلما ضاق وسع
وكم في حلوق الباب ممن لسانه ٭ اذا قطعوه لا يقوم باصبعي
فيا راعي الاسلام كيف تركتنا ٭ فريقي ضياع من عرايا وجوع
دعوناك من قرب وبعد فهب لنا ٭ جوابك فالباري يجيب اذا دعي ٭

وقال ايضا

اسفي على زمن الامام العاضد ٭ اسف العقيم على فراق الواحد
جالست من وزرائه وصحبت من ٭ امرائه اهل الثنا الخالد
لهفي على حجرات قصرك اذ خلت ٭ يا ابن النبي من ازدحام الوافد
وعلى انفرادك من عساكرك التي ٭ كانوا كامواج الخضم الراكد
قلدت مؤتمن الخلافة امرهم ٭ فكبا وقصر عن صلاح الفاسد
فعسى الليالي ان ترد اليكم ٭ ما عودتكم من جميل عوايد ٭

فصل في التعريف بحال عمارة من ابي الحسن

اليمني في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ونقلت الى هذا
الكتاب نتفة كتاب البرق الشامي لمعا من ذلك فمن ذلك ما انشدنيه
نجم الدين ابو محمد بن مصال ٭

٭لو ان قلبي يوم كاظمة معي ٭ لملكته وكظمت غيظ الادمع ٭

قال العماد انما انشد في نفض الادمع فرايت غيظ
الادمع اليق بالكظم ⑤

قلب

308.

قلب كفا له من الصبابة انه ٭ يلقى بها الطاعنين وما دعى
ومن الظنون الفاسدات توهمي ٭ بعد الفراق بقاءه في اضلعي
ما القلب اول غادر فالومه ٭ هي شيمة الايام مذ خلقت
معي

قال وانشدني لعمارة ايضا

ملك اذا قابلت بشر جبينه ٭ فارقته والبشر فوق جبيني
واذا لثمت يمينه وخرجت من ٭ ابوابه لثم الملوك يميني

قال وانشدني له عضد الدين

ابو الفوارس مرهف ابن اسامة بن منقذ

لي في هوى الرشا العذري اعذار ٭ لم يبق لي مذ اقر الدمع انكار
لي في القدود وفي لثم الخدود وفي ٭ ضم النهود لبانات واوطار
هذا اختياري فوافق ان رضيت به ٭ او لا فدعني وما اهوى واختار
لمن حزا فاوسا محتي مصادفة ٭ فالناس في درجات الحب اطوار
وخل عذلي فمعي داركي ودايرة ٭ من اهل دارهم قلبي لها دار

قلت ويروى وغرغري ففي اسري ودابرتي والابيات العينية من قصيدة في مدح تقي الدين والنونية في مدح نجم الدين ايوب والرائية في مدح شمس الدولة بن ايوب وكان عمارة هذا عربيا فقيها اديبا وله كتاب صغير ذكر فيه اخباره واحواله باليمن ثم بمصر فذكر انه اقام بزبيد ثلث سنين يقرا عليه مذهب الشافعي قال ولي في الفرائض مصنف يقرا باليمن وفي سنة تسع وثلثين زادني والدي

وخمسة من اخوي الى زبيد فانشدته شيا من شعري فاستحسنه
ثم قال تعلم والله ان الادب نعمة من نعم الله عليك فلا تكفرها
بذم الناس واستحلفني اني لا اهجو مسلما ببيت شعر فحلفت
له على ذلك ولطف الله بي فلم اهج احدا ما عدا انسانا هجاني
بحضرة الملك الصالح يعني ابن رزيك ببيتي شعر فاقسم الصالح
علي ان اجيبه فجعلت مثالا قول الله عز وجل ولمن انتصر
بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل وقوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قال ولم يكن شي
غير هذا وحججت مع الملكة ام فاتك ملك زبيد وكانت تقوم
لامير الحرمين بجميع ما يتمناه وله من حاج اليمن برا وبحرا وبجميع
خفارات الطريق من كل ما يحصل له وجاهة عندها فاتسع
بها حتى اثرى وكثر ماله وجاهه ثم طرات امور اقتضت
ان هرب من اليمن وحج سنة تسع واربعين وخمسمايه قال
وفي موسم هذه السنة مات امير الحرمين هاشم بن فليته
وولي الحرمين ولده قاسم بن هاشم فالزمني السفارة عنه
والرساله منه الى الدوله المصريه فقدمتها في شهر ربيع
الاول سنه خمسين والخليفه بها يوميذ الفايز بن الظافر
والوزاره له الملك الصالح طلايع بن رزيك فلما حضرت
للسلام عليهما في قاعة الذهب من قصر الخليفه انشدتهما
• الحمد للعيس بعد العزم والهمم • حمدا يقوم بما اولت من النعم •
• لا اجحد الحق عندي للركاب يد • تمنت اللجم فيها رتبة الخطم •

قربن بعد منزل العز من نظركم • حتى رايت امام العصر منزلهم
ورحت من كعبة البطحا والحرم • وفدًا الى كعبة المعروف والكرم
فهل درى البيت اني بعد فرقته • ما سرت من حرم الا الى حرم
حيث الخلافة مضروب سرادقها • بين النقيضين من عفو ومن نقم
وللامامة انوار مقدسة • تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم
وللنبوة ابيات تنص لنا • على الخفيين من حكم ومن حكم
وللمكارم اعلام تعلمنا • مدح الجزيلين من باس ومن كرم
وللعلى السن تثني محامدها • على الحميدين من فعل ومن شيم
وراية الشرف البذاخ ترفعها • يد الرفيعين من مجد ومن همم
اقسمت بالفايز المعصوم معتقدا • فوز النجاة واجر البر في القسم
لقد حمى الدين والدنيا واهلهما • وزيره الصالح الفراج للغمم
اللابس الفخر لم تنسج غلايله • الا يد الصنعتين السيف والقلم
وجوده اوجد الايام ما اقترحت • وجوده اعدم الشاكين للعدم
قد ملكته العوالي رق مملكة • تعير انف الثريا عزة الشمم
اري مقاما عظيم الشان اوهمني • في يقظتي انها من جملة الحلم
يوم من العمر لم يخطر على املي • ولا ترقت اليه رغبة الهمم
ليت الكواكب تدنو لي فانظمها • عقود مدح فما ارضى لكم كلمي
ترى الوزارة فيه وهي باذلة • عند الخلافة نصحًا غير منهم
عواطف اعلمتنا ان بينهما • قرابة من جميل الراي لا الرحم
خليفة ووزير مد عدلهما • ظلا على مفرق الاسلام والامم
زيادة النيل نقص عند فيضهما • فما عسى يتعاطى منة الديم

قال وعهدي بالصاحب وهو يستعيدها في حال النشيد مرارًا والاستاذون والامرا والكبرا يذهبون في الاستحسان كل مذهب ثم اقبضت علي خلع من ثياب الخلافة مذهبه ودفع الي الصاحب خمسماية دينار دوادا بعض الاستادين فخرج من عند السيدة بنت الامام الحافظ خمسماية دينار اخرى وحمل المال معي الي منزلي واطلقت لي من دار الضيافة رسومًا لم تطلق لاحد قبلي وتهادتني امرا الدولة الي منازلهم للولايم واستحضرني الصاحب لمجالسته ونظمني في سلك اهل المؤانسة وانثالت علي صلاته وغمرني بره ووجدت بحضرته من اعيان اهل الادب الشيخ الجليس ابا المعالي بن الحباب والموفق ابا الحجاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الانشا وابا الفتح محمود بن قادوس والمهذب ابا محمد الحسن بن الزبير وغيرهم وما من هذه الحلبة احد الا ويضرب في الفضايل النفسانية والرياسة الانسانية باوفر نصيب وما زلت احذو على طريقهم حتى نظموني في سلك فوايدهم

وقلت

ليالي بالفسطاط من جانبي مصر ⁂ سقي عهدك الماضي عهاد من القطر
ليالي من العمر السعيد وكلما ⁂ مضى في سواها لا يعد من العمر
احادثني الاقدار فيها موالبا ⁂ صفت بهم الايام من كدر الغدر
تواصلوا على ان لا تزد ادادني ⁂ ولو سمتهم نثر الكواكب في حجري

ولد

310.

وله في الصالح من قصيدة

ولو لم يكن ادري بما جهل الورى • من الفضل لم يُنفق لديه الفضائل
فمن كان منا قاب قوسين قبلنا • فواسح من اجلاله ومراحل

قال واشدت الصالح وهو بالعباس من دار الوزارة

دعوا كل برق شمتم غير بارق • يلوح على الفسطاط صادق بشرى
وزوروا المقام الصالحي فكل من • على الارض ينسى ذكره عند ذكره
ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى • فتجنوا على مجد المقام وفخره
ولكن سلوا منه العلا تظفروا بها • فكل امرئ يرجى على قدر قدره

قال ولما جلس شاور في دار الوزارة اذن للشعرا والخطبا ولم يبق الناس الا قليلا لو لم من بني رزيك ومن خاص نايب الباب ويحيى بن الخياط اسفهسلار

فانشدته

صحت بدولتك الايام من سقم • وزال ما يشتكيه الدهر من الم

ومنها

زالت ليالي بني رزيك والقرضت • والحمد والذم فيها غير منصرم
كان صالحهم يوماً وعادلهم • في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم
كنا نظن وبعض الظن ماثمة • بان ذلك جمع غير منهزم
فمذ وقعت وقوع النسر خانهم • من كان مجتمعاً من ذلك الرخم
ولم يكونوا عدواً ذل جانبه • وانما غرقوا في سيلك العرم

وما قصدت بتعظيمي عداك سوى تعظيم شانك فاعذرني ولا تلم

ولو شكرت لياليهم محافظة لعهدها لم يكن بالعهد من قدم

ولو فتحت فمي يوما بذمهم لم يرض فضلك الا ان يسد فمي

والله يامر بالاحسان عارفة منه وينهى عن الفحشاء في الكلم

قال فشكرني ثناء ودوا ثناوم على الوفا يعني دراك قلت

وشعر عماد كثير حسن وعندي من قوله الحمد للعلى وان كانت العضيلة فاينفه نعرة عظيمة فانه اعام ذاك مقام قولنا الحمد لله ولا ينبغي ان يفعل ذلك مع غير الله عز وجل فله الحمد وله الشكر فهذا اللفظ كالمتعين لجهة الربوبية المقدسة على ذلك اطرد استعمال السلف والخلف رضي الله عنهم

فصل في وفاة نور الدين رحمه الله

قال العماد وامر نور الدين بتطهير ولده الملك الصالح اسمعيل يوم عيد الفطر واحتفلنا لهذا الامر وعلقت محال دمشق ابا ما قال ونظمت لهنا بالعيد والطهر قصيدة منها

عيدان فطر وطهر ۔ فتح قريب ونصر

كلاهما لك فيه ۔ حقا هنا واجر

وفيهما بالتهاني ۔ رسم لنا مستمر

طهارة طاب منها ۔ اصل وفرع وذكر

تجل على الطهر نام ۔ زكا له منك نجر

محمود الملك العادل الكريم الاغر

ديا الله

لعهدها

311.

وبابنه الملك الصالح العيون تقر
مولى به اشتد للدين والشريعة ازر
نور تجلى عيانا ما دونه اليوم ستر
اضحت مساعيك غرا كما اياديك غرر
وكل قصدك رشد وكل فعالك بر
وان حبك دين وان بغضك كفر
لنا بيمناك يمن وللمعادين ضر
وللسما سحاب وسحب كفيك عشر
ناديك بالرفد رحب نداك للوفد بحر
للبحر مد وجزر وما لجودك جزر
عدل عميم وجود غمر وبشر وبشر
وفي العطيه حلو وفي الحمية مر
قد استوى منك تقوى الاله سر وجهر
نعاك والملك عبد العباس عقد ونحر
يا اعظم الناس قدرا وما لغيرك قدر
وساهرا حين ناموا وقايما حين قروا
ما اعتدت الا وفاء وعادة القوم غدر
وفعلك الدهر غزو للمشركين وقهر
وفعل غيرك ظلم للمسلمين وقسر
يفتر من كل ثغر الى ابتسامك ثغر
روم به وفرنج في سمعهم لك وقر

حربٌ عوانٌ وفتحٌ • على مرادك بكر •
بنو الاصافر من • خشية انتقامك صفر •
لم تبق للكفر ظفراً الا كان للكفر ظفر •
وما دجا ليل خطب • الا وعزمك فجر •
اصبحت بالعز وصبّا • وعنده ما له صبر •
لكسر كل يتيم • اسعاف برك جبر •
في قلب كل حسود • من حر باسك جمر •
بمثل تطهير ملك • له الملوك تخر •
يزهى سرير وتاج • به ودست وصله •
وكيف يعمل للطهر من المطهر طهر •
هذا الطهور ظهور • على الزمان وامر •
وذا الختان ختام • بمسكه طاب نشر •
رزقت عمراً طويلاً • ما طال للدهر عمر •

قال وفي يوم العيد يوم الاحد ركب نور الدين على الرسم المعتاد محفوفاً من الله بالاسعاد ملحوظاً من السماء والارض بالانجاد والعدد يقول له هذا اخو الاعتياد ووقف في الميدان الاخضر استمالى لطعن الحلق ورمي القبق وكان قد ضرب خيمته في الميدان القبلي الاخضر وامر بوضع المنبر وخطب له القاضي شمس الدين ابن الفراش قاضي العسكر بعد ان صلى به وذكر وعاد الى القلعة طالع البهجة بهيج الطلعة وانتهب سماطه العام على رسم الاتراك واكابر الاملاك

ثم

ثم حضرنا على خوانه الخاص وله عقد كمال مصون من الانتقاض
والانتقاص وما أوضح بشره وأضوع نشره وأمنح سيبه
وأبرك يمنه • وفي يوم الاثنين ثاني العيد بكر وركب وجمل الموكب
وكان الفلك بسيره جار • والطود الثابت عمرا سحاب
في وقار وكانه القمر في هالته والقدر في جلالته والبدر في
دائرته سائرين بسيادته ودخل الميدان والوطن بسائر ونه
والفها بحاو رونقه • وفيهم همام الدين مودود وهو في الاكابر
الاكارم معدود • وكان قديما في أول دولته والي حلب
وقد جرب الدهر بحنكته ولا شطرنج حلب فقال لنور الدين في
كلامه موعظة لمن يعتبر بأيامه هل نكون ههنا في مثل هذا
اليوم في العام القابل فقال نور الدين هل نكون بعد شهر فان
السنة بعيدة فجرى على منطقهما ما جرى به القضا السابق
فان نور الدين لم يصل إلى الشهر والهمام لم يصل إلى العام
ثم شرع نور الدين في اللعب بالكرة مع خواصه البررة فاعترضه
في حاله امير اخر يرنقش فقال له باش فاحدث له الغيظ والا
واغتاظ على خلاف مذهبه الكريم وخلقه الحليم فزجره
ونهره ونهاه وساق ودخل القلعة ونزل واحتجب
واعتزل فبقي اسبوعا في منزله مشغولا بنازله مغلوبا
عن عاجله بحديث اجله والناس من الخبر لاهون بأوطارهم
في الاوطان فيه الروح بحول وذلك بجود بروحه فما انتهت
تلك الافراح الا بالاتراح وما صلح الملك بعدم الاملاك

سينحاش

الصلاح قال والتصل مرض نور الدين واشار عليه الاطبا بالفصد فامتنع وكان مهيبًا فما روجع واستقل حادي عشر شوال يوم الاربعا من موبع الفنا الي مربع البقا ولقد كان من اوليا الله المومنين وعباد الصالحين وصار الى جنات عدن اعدت للمتقين وكانت له صفه في الدار التي على النهر الداخل الى القلعة من الشمال وكان جلوسه عليها في جميع الاحوال فلما جات سنة الزلزله بني بازا تلك الصفه بيتا من الاخشاب مامون الاضطراب فهو يبيت فيه ويصبح ويخلو بعبادته ولا يبرح فدفن في ذلك البيت الذي اتخذه حمى من الحمام واذن بنا وهو لبانيه بالانهدام قال العماد وقلت في ذلك

• عجبت من الموت كيف اهتدى • الى ملك في سجايا ملك •
• وكيف ثوى الفلك المستدير • في الارض والارض وسط • الفلك •

ولـه فيـه

• يا ملكا ايامه لم تزل • لفضله فاضله فاخره •
• غاصت بحار الجود مذ غيبت • انمله الغايضه الزاخره •
• ملكت دنياك وخلفتها • وسرت حتى تملك الاخره •

قال ابن شداد وكانت وفاة نور الدين رحمه الله بسبب خوانيق اعترته عجز الاطبا عن علاجها ولقد حكى لي صلاح الدين قال كان يبلغنا عن نور الدين انه ربما قصدنا

بالديار

بالديار المصرية وكانت جماعة اصحابنا يشيرون بان نكاشف
ونخالف ونشق عصاه ونلقى عسكره مصافًا نرده اذا تحقق
قصده قال وكنت وحدي اخالفهم واقول لا يجوز ان يقال
شئ من ذلك ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاته رحمة
الله عليه قال ابن الاثير وكان نور الدين قد شرع
بتجهيز المسير الى مصر لاخذها من صلاح الدين فانه راى
منه فتورًا في غزو الفرنج من ناحيته فارسل الى الموصل وديار
الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر ليتركها بالشام لمنعه من الفرنج
ليسير هو بعساكره الى مصر وكان المانع لصلاح الدين من الغزو
الخوف من نور الدين فانه كان يعتقد ان نور الدين متى زال
عن طريقه الفرنج اخذ البلاد منه فكان يحتمي بهم عليه ولا يؤثر
استيصالهم وكان نور الدين لا يرى الا الجد في غزوهم بجهده
وطاقته فلما راى اخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه تجهز
للمسير اليه فاتاه امر الله الذي لا يرد قلت ولو
علم نور الدين ما ذا دخر الله تعالى للاسلام من الفتوح الجليلة
على يدي صلاح الدين من بعده لقرت عينه فانه بنى على ما اسسه
نور الدين من جهاد الفرنج المشركين وقام بذلك على اكمل الوجوه
واتمها رحمهما الله قال وحكى لي طبيب بدمشق يعرف بالرحبي
وهو من حذاق الاطباء قال استدعاني نور الدين في مرضه الذي
توفي فيه مع غيري من الاطباء فدخلنا عليه وهو في بيت صغير
بقلعة دمشق وقد تمكنت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا

فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبد في اكثر اوقاته فابتدا به المرض فيه فلم ينتقل عنه فلما دخلنا اليه ورانيا ما به قلت له كان ينبغي ان لا يوخر احضارنا الى ان يشتد بك المرض الى هذا الحد والان ينبغي ان ينتقل الى مكان فسيح فله اثر في هذا المرض وشرعنا في علاجه فلم ينجح فيه الدوا ومات عن قريب رضي الله عنه

قال ابن الاثير وكان اسمر طويل القامه ليس له لحية الا في حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين وكان قد اتسع ملكه جدا فملك الموصل وديار الجزيرة واطاعه اصحاب ديار بكر وملك الشام والديار المصرية واليمن وخطب له بالحرمين الشريفين مكة والمدينة وطبق الارض ذكره بحسن سيرته وعدله ولم يكن مثله الا الشاذ النادر رحمه الله تعالى عليه

قال الحافظ ابو القسم بعد ما ذكروا وصافه الجليله المتقدمه معرفته ومجموعه في هذا الكتاب هذا مع ما جمع الله له من العقل المتين والراي الثاقب الرصين والاقتدا بسيرة السلف الماضين والتشبه بالعلما والصالحين والاقتدا بسيرة من سلف منهم في حسن سمتهم والاتباع لهم في حفظ حالهم ووقتهم حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه واسمعه وكان قد استجيز له ممن سمعه وجمعه حرصا منه على الخير في نشر السنه بالادا والتحديث ورجا ان يكون ممن حفظ على الامة اربعين حديثا كما جا في الحديث فمن راه شاهد من جلال السلطنه وهيبة الملك ما يبهره فاذا فاوضه راى من لطافته وتواضعه ما يحيره يحب الصالحين ويواخيهم

وبنوا مساكنهم لحسن ظنه فيهم واذا الحلم بما ليكله اعتقهم
وزوج ذكرانهم باناثهم ورزقهم ومتى تلدرت الشكاية
اليه من احد من ولاته امره بالكف عن اذى من تظلم
بشكايته فمن لم يرجع منهم الى العدل قابله باسقاط المنزله
والعزل فلما جمع الله له من شريف الخصال تيسر له جميع ما يقصد
من الاعمال وسهل الله على يديه فتح الحصون والقلاع ومكن
له في البلدان والبقاع ثم قال بعد كلام كثير ومناقبه
خطيره ومدائحه كثيره وقد مدحه جماعة من الشعرا فاكثروا
ولم يبلغوا وصف الاية بل قصروا وهو قليل الابتهاج بالشعر
لزيادة في تواضعه لعلو القدر ومولده على ما ذكرلي كاتبه
ابو اليسر شاكر بن عبد الله وقت طلوع الشمس من يوم الاحد
سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسماية وتوفي يوم
الاربعا الحادي عشر من شوال سنه تسع وستين وخمسماية
ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى تربته بجا ورمدرسته
التي بناها لاصحاب ابي حنيفه جوار الخواصين في الشارع
الغربي رحمه الله قلت وفي هذه المدرسه يقول العرقله
ومدرسة سيدرس كل شي وتبقى في حمى علم ونسك تضوع
ذكرها شرقا وغربا بنور الدين محمود بن زنكي يقول وقوله
حق وصدق بغير كنايه وبغير شك دمشق في المداين
بيت ملكي وهذي في المدارس بيت ملكي
ولما اشتهر به من قلة ابتهاجه بالمدح لما علم من تزيد

الشعرا وبي طريقة عمر بن عبد العزيز بن زاهد الخلفا قال يحيى بن محمد الوهراني في مقامه له وقد سبيل ببغداد عن نور الدين فقال هو سهم الدوله سديد وركن للخلافه شديد وامير زاهد وملك مجاهد تسا عن الافلاك وتعضد الجيوش والاملاك غيرانه عرف بالمرعى الوبيل لابن السبيل وبالمحل الجديب للشاعر الاديب فما يهتز ولا يعتز ولا لشاعر عندك من نعمة تجزى واياه عنى اسامه بن منقذ بقوله

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الخيرات منكمش
ايامه مثل شهر الصوم طاهرة من المعاصي وفيها الجوع والعطش

قلت رحمه الله ما كان يبذل اموال المسلمين الا في الجهاد وما يعود نفعه على العباد وكان كما قيل في حق عبيد الله بن محيريز وهو من سادات التابعين بالشام قال يعقوب بن سفين الحافظ حدثنا ضمرة عن السيباني قال كان ابن الديلمي من ابصر الناس لاخوانه فذكر ابن محيريز في مجلسه فقال رجل كان بخيلا فغضب ابن الديلمي وقال كان جوادا حيث يحب الله بخيلا حيث يجوز واما شعر ابن منقذ فلا اعتبار به فهو القايل في ليلة الميلاد يمدح نور الدين رحمه الله

في كل عام للبرية ليلة ۝ فيها تشب النار بالايقاد
لكن لنور الدين من دون الورى ۝ ناران نار قرى ونار جهاد
ابدا لها فهما نداه وباسه ۝ فالعام اجمع ليلة الميلاد
ملك له في كل جيد منة ۝ ابهى من الاطواق في الاجياد
اعلا الملوك يدا وامنعهم حمى ۝ وامدهم كفا ببذل بلاد
يعطي الجزيل من النوال تبرعا ۝ من غير مسئلة ولا ميعاد
لا زال في سعد وملك دائم ۝ ما دامت الدنيا بغير نفاد

وقد تقدم في شعر ابن منير وابن القيسراني والعماد الكاتب وغيرهم من مدح نور الدين بالكرم والجود ما قليل منه يرد ما ذكره الوهراني وابن منقذ على ان ابن منقذ قد رددنا شعره بشعره كما تراه وان الشعرا واكثر الناس كما قال الله تعالى في وصف قوم فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وما كل وقت ينفق العطاء يفعل الله ما يشا

فصل قال ابن الاثير لما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح اسمعيل في الملك وحلف له ولم يبلغ الحلم وحلف له الامرا والمقدمون بدمشق واقام بها واطاعه الناس في سائر بلاد الشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه فيها وتولى تربيته الامير شمس الدين محمد بن المقدم قال العماد واخرجوا يوم وفاة نور الدين ولده الملك الصالح اسمعيل وقد ابدا الحزن والعويل وهو مجزوز الذوائب مشقوق الجيب حاسر حاف

ثم افجاه وفجعه من الدرب واجلسوه في الايوان الشمالي
من الدست والتخت الباقي من عهد تاج الدوله تتش فاستوحى
كل قلب حزنه واستوحش فوقف الناس يضطربون
ويتشعوز ويلتهبون ولما كفن بحلة الكرامه ودفن في روضه
بابه الى باب دخلوا الى من دار المقامه وقطعوا الجزع وقطعوا
الفزع وعملوا الدمعه واحضروا الربعة حضر القاضي كمال
الدين وشمس الدين بن المقدم وجمال الدوله ريحان وموكرا الخدم
والعدل ابو صالح بن العجمي امير الاعمال والشيخ اسمعيل خازن
بيت المال وتحالفوا على ان يكون ايديهم واحده وعزايمهم متعاضده
وان ابن المقدم مقدم العسكر واليه المرجع في الموارد والمصادر
والبشارات في ذلك كتابا عن الملك الصالح الى صلاح الدين في
تعزيته بنور الدين ترجمته اسمعيل بن محمود وفيه اطال الله
بقا سيدنا الملك الناصر وعظم اجرنا واجره في والدنا الملك
العادل بذب الشام بل الاسلام حافظ ثغوره وملاحظ
اموره وعدم الجهاد معتني فضيلته ومودي فرضيته
ومحيي سنته واورثنا بالاستحقاق ملكه وسريره على انه
يعز ان يرى الزمان نظيره وما منا ما يستقل المسير
ونقسم الفكر الا امر الفرنج خذلهم الله وما كان اعتماد
مولانا الملك العادل عليه وسكونه اليه الا لمثل هذا
الحادث الجلل والصرف الكارث المهيل فقد ادخره الكفايات
النوايب واعده لحسم ادوا المعضلات اللوازب واملة بيومه

ولغد

316.

ولعلم ورجاه لنفسه ولولده ومكنه قوة لعضده فما فقده
رحمه الله الا صورة والمعنى باق والله تعالى حافظ بيته واق
وهل عزم دام سموه من موازر ومل سوى السيد الاجل
الناصر من ناصر وقد عرفناه المعرج ليروض برايه من
الامر ما جمح والامم شغل الكفار عن هذه الديار بما كان
عازما عليه من قصدهم والنكاية فيهم على البدار ويجرى على
العادة الحسنى في احيا ذكر الوالد بمناه فيتجدد به ذكرنا
راغبا في اغتنام ثنائنا وشكرنا قلت وقد كان
بلغ صلاح الدين خبر نور الدين فارسل كتابا بالمثال الفاضلي
فيه ورد خبر من جانب العدو اللعين عن المولى نور الدين
اعاذ الله فيه من سماع المكروه ونور بعافيته القلوب
والوجوه واشتد به الامر وضاق به الصدر والقصم
كادثه الظهر وعز فيه التثبت واعوز الصبر فان كان
والعياذ بالله قد تم وخصه الحكم الذي عم فللحول زرق
ندخر النصال وللايام تصطنع الرجال وما رتب الملوك
ممالكها الا لاولادها ولا استودعت الارض الكريمة البذر
الا لتودي حقها يوم حصادها فالله الله ان تختلف القلوب
والايدي فيبلغ الاعدا امرادها وتعدم الاراء رشادها
وتنتقل النعم التي تعبت الايام الى ان اعطت قيادها
فكونوا يدا واحدة واعضادا متساعدة وقلوبا يجمعها
ود وسيوفا يضمها غمد ولا تختلفوا فتنكلوا ولا تتنازعوا

فتفشلوا وقوموا على امشاط الارجل ولا تاخذوا الامر
باطراف الانامل فالاعدا محدقة بكم من كل مكان واذا الكفر مجتمع
على الايمان وهذا البيت مما ناصر لا يجد له وقايم لا يسلمه
وقد كانت وصية الينا سبقت ورسالة عندنا تحققت
بان ولد القايم بالامر سعد الدين كمشتكين الاتابك بين
يديه فان كانت الوصية ظهرت وقبلت والطاعة في الغيبة
والحضور ادبت وفعلت والا فنحن بهذا الوصية على من ناواه
وسيف على من عاداه وان اسفر الخبر عن معافاه فهو الغرض
المطلوب والنذر الذي يحل على الايدي والقلوب قال العماد
وورد كتاب صلاح الدين بانشا الفاضل معزيًا لابن نور
الدين وفي اخره واما العدو خذله الله فوراه من الخادم
من يطلبه طلب ليل لنهار وسيل لقرار الى ان يزحزحه من
مجاثمه ويستوقفه عن مواقف معاثمه وذلك من اول نزوه من
البيت الكريم والبشر لوازمه اصدر هذه الخدمة يوم الجمعة
رابع ذي القعدة وهو اليوم الذي اقيمت فيه الخطبة بالاسم
الكريم وصرح بذكره في الموقف العظيم والجمع الذي لا لغو فيه
ولا تاثيم واشبه يوم الخادم امسه في الخدمة ووفا ما يحق
من حقوق النعم وجمع كلمة الاسلام عالمًا ان الجماعة رحمة
الله تعالى يخلد ملك المولى الملك الصالح ويصلح به وعلى
يديه ويوكد عهود النعم الدامية لديه ويجعل الاسلام

واهله

317.

وافية باقية عليه وبوفق الخادم لما ينويه من توثيق سلطانه وتشييد ومضاعفة ملكه ومزيد وتيسير مآل كل امل صالح وتقريب بعيد ومن كتاب اخر الخادم مستمر على بدايته من الاستشراف لاوامرها والتعرض لمراسمها والدفع لنعمتها والايالة لعساكرها والتحقق لخدمتها في باطن الاحوال وظواهرها والترقب لان يومر فيمتثل ويكلف فيحتمل وان يرمي به في كل ثغرة فيسد ويجهد ويتوفي ايام الدولة العاليه يوما يكشف الله فيه للمولى ضمير عبده قال العماد

وزير

ولما توفي نور الدين اختل امري واعتل سري وعلت حسادي وبلغ مرادهم اضدادي وكان الملك الصالح صغيرا فصار العدل ابن العجمي له وزيرا وتفرق المتحالفون في الخزانة والدولة كما ارادوا وصلوا وصرفوا ونقضوا وزادوا واقتصروا لي على الكتابة محروم الدعوة من الاجابة ومما نظمته في مرثية نور الدين قصيدة

منها

يبكي الملك والعدل • لفقد الملك العادل
لا شمس ولا ظل • وقد اظلمت الافاق
عنا اظلم الحفل • ولما غاب نور الدين
وزاد الشر والمحل • وزال الخصب والخير
وعاش الياس والبخل • ومات الباس والجود
اهل الفضل والعقل • وعز النقص لما هان
اذا ما نفق الجهل • وهل ينفق ذو العلم

• وما كان لنور الدين لولا نجله مثل •

قال العماد واتفق نزول الفرنج بعد وفاة نور
الدين على الثغر وقصدهم بانياس ورجوا ان يتم لهم الامر
ثم ظهرت خيبته وبان الياس وذلك ان شمس الدين ابن المقدم
خرج وراسل الفرنج وخوفهم بقصد صلاح الدين بلادهم
وانه قد عزم على بلادكم جهادهم ونكلوا الى الهدنة وقطع
مواد الحرب والفتنه وحصلوا بقطيعة استعجلوها وعدة
من اسارا لهم استطلقوها وتمت المصالحه وبلغ ذلك
صلاح الدين فانكره ولم يجبه وكتب الى جماعة الاعيان كتبا
دالة على التوبيخ والملام ومن جملتها كتاب بالمثال الفاضلي
الى الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون يخبر فيه انه لما اتاه
كتاب الصالح بقصد الفرنج تجهز وخرج وسار اربع مراحل
ثم جاءه الخبر بالهدنة المؤذنه ببذل الاسلام من دفع القطيعة
واطلاق الاسارى وسيدنا الشيخ اولى من جرد لسانه
الذى تغمد له السيوف وتجرد وقام في سبيل الله فنام
من بعض عاديه من تعدى وتمرد وفى اخرهم وكتبت من المنزل
بفاقوس والفجر قد هم ان يشق ثوب الصباح لولا ان الثريا
تعرضت تعرض اثناء الوشاح وهذه الليله سافرة عن
نهار يوم الجمعة ثاني عشر ذى الحجة بلغه الله فيه امله وقبل
عمله بالعافية التي المرء بها افضله وقال ابن الاثير
لما توفي نور الدين قال الامرا منهم شمس الدين ابن المقدم

وحسام

وحسام الدين الحسين بن عيسى الجراحي وغيرهما من اكابر
الامرا وقد علمتم ان صلاح الدين ممن مماليك نور الدين
ونوابه والمصلحة ان نشاوره فيما نفعله ولا نخرجه
من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة
علينا وهو اقوى منا لان له مثل مصر وربما اخرجنا وتولى
هو خدمة الملك الصالح فلم يوافقوا غرضهم هذا القول
وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجوا فلم يمض غير
قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح
يهنيه بالملك ويعزيه بابيه وارسل دنانير مصرية
عليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت
لوالده فلما سار سيف الدين غازي بن عمه قطب الدين
وملك البلاد الجزرية ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامرا
الى صلاح الدين ولا اعلموه الحال كتب الى الملك الصالح يعتبه
حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر في خدمته ويمنعه
وكتب الى الامرا يقول ان الملك العادل لو علم ان فيكم من
يقوم مقامي او يثق اليه مثل ثقته بي لسلم اليه مصر التي هي
اعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الى
احد بتربية ولده والقيام بخدمته سواي واراكم قد
تفردتم بخدمة مولاي وابن مولاي دوني فسوف اصل
الى خدمته واجازي انعام والده بخدمة يظهر اثرها
واقابل كلا منكم على سوء صنيعه وانما امر الملك الصالح

متى
بعقبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر في خدمته
ويمنعه وكتب الى الامرا يقول ان الملك العادل لو علم
ان فيكم من يقوم ومصالحه حتى اخذت بلاده فاقام الصالح
بدمشق ومعه جماعة من الامرا لم يمكنوه من المسير الى حلب
لئلا يغلبهم عليه شمس الدين علي بن الداية فانه كان اكبر
الامرا النورية وانما تاخر عن خدمة الملك الصالح بعد
وفاة نور الدين لمرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وامرها
اليهم وعسكرها معهم في حياة نور الدين وبعده ولما عجز
عن الحركة ارسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب ليمنع
البلاد من سيف الدين ابن عمه وارسل الى الامرا يقول لهم
ان سيف الدين قد ملك الى الفراة ولين لم ترسلوا الملك
الصالح الى حلب حتى يجمع العساكر ويسترد ما اخذ منه
والا عبر الفراة سيف الدين الى حلب ولا نقوى على منعه
فلم يرسلوه ولا مكنوه من قصد حلب قال
وكان نور الدين قبل ان يمرض قد ارسل الى البلاد الشرقية
كالموصل وغيرها يستمد من العساكر منها فسار سيف الدين
في عساكره فلما كان ببعض الطريق اتاه الخبر بموت عمه نور الدين
فعاد الى نصيبين فملكها وارسل الشحن الى بلد الخابور
فاستولوا عليها وسار هو الى حران فحصرها عدة ايام ثم اخذها
وملك الرها والرقة وسروج واستكمل ملك سائر ديار
الجزيرة سوى قلعة جعبر فقال له فخر الدين عبد المسيح

وكان

وكان قد فارق سيواس بعد وفاة نور الدين وقصد سيف
الدين ظنا منه ان سيف الدين يرعى له خدمته وقيامه في اخذ
الملك له من والده قطب الدين على ما ذكرناه اولا فلم يجز
ثمرة ما غرس وكان عنده بعض الامرا فقال له ليس بالشام
من يمنعك فاعبر الفراة واملك البلاد فاشار امير اخر معه
وهو اكبر امرائه قد ملكت اكثر من والدك والمصلحة ان
تعود فرجع الى الموصل

فصل

قال ابن الاثير قد
سبق ان نور الدين كان قد جعل بقلعة الموصل لما ملكها دزدارا
له وهو سعد الدين كمشتكين بعض خدمه الخصيان فلما سار
سيف الدين الى الشام كان في مقدمته على مرحلة فلما اتاه
خبر وفاة نور الدين هرب وارسل سيف الدين في اثره فلم
يدركه فنهب بركه ودوابه وسار الى حلب وتمسك بخدمة
شمس الدين ابن الداية واخوته واستقر بينهم وبينه
ان يسير الى دمشق ويحضر الملك الصالح فسار اليها
فاخرج للقيه ابن المقدم عسكرا فنهبه فعاد منهزما
الى حلب فاخلف عليه شمس الدين بن الداية ما اخذ منه وجهزه
وسيره الى دمشق وعلى نفسها تجني براقش فلما وصلها سعد
الدين دخلها واجتمع بالملك الصالح والامرا واعلمهم ما في
قصد الملك الصالح الى حلب من المصالح فاجابوا الى تسييره
فسار اليها فلما وصلها وصعد الى قلعتها قبض الخادم سعد
الدين على شمس الدين ابن الداية واخوته وعلى ابن الخشاب

بدمشق حلب قال ابن الاثير ولولا مرض شمس الدين لم يمكن منه ولا جرى من ذلك الخلف والوهن شي وكان امر الله قدرًا مقدورا واستبد سعد الدين بتدبير امر الملك الصالح فخافه ابن المقدم وغيره من الامرا الذين بدمشق وكاتبوا سيف الدين ليعبروا اليه دمشق فلم يفعل وظن ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفراة ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمه من وراظهره فلا يمكنه الثبات فراسل الملك الصالح وصالحه على اقرار ما اخذه بيده وبقي الملك الصالح بحلب وسعد الدين بين يديه يدبر امره ويمكن تمكنا عظيما يقارب الحجر عليه وقال العماد كان كمشتكين الخادم النايب بالموصل قد سمع بمرض نور الدين فاخفاه واستاذن في الوصول الى الشام فطلب سيف الدين غازي رضاه وخرج وسار من حلب وسمع النعي فاغذ السير والسعي وجا بما له وحاله وندم صاحب الموصل على الرضى بترحاله وكانت عنده بوفاة عمه بشارة وظهرت على صفحاته منها امارة فانه لم يزل من كمشتكين متشكيا فانه كان يجر الامر عليه مذكيا وكان المرحوم رحمه الله قد امر باراقة الخمور وازالة المحظور واسقاط المكوس واعدام اقساط البوس فنودي في الموصل يوم ورود الخبر بالفسحة في الشرب جهارًا ليلا ونهارًا وزال الوقف وعاد النكر والمنكر

قول ابن هاني

اعادة المنكرات بعد وفاة نور الدين رحمه الله

ولا تسقني سرا فقد امكن الجهر

وقيل أخذ المنادي على يده دنا وعليه قدح وزمر
وزعم انه خرج بهذا الامر فلا حرج على من تغنى ويسكر
ويطرب وعادت الرباب وضربت العوايد فاما كمشتكين
فانه وصل الى حلب بعد عبور الغزي وتمثل عند الصباح
يحمد القوم السرى واجتمع هنالك بالامير شمس الدين علي
واخويه اخوي مجد الدين واظهر انه لهم من المخلصين وكان
مجد الدين ابو بكر اخوهم رضيع نور الدين وقد تربا معه ولزمه
وتبعه الى ان ملك الشام بعد والده ففوض الى مجد الدين
جميع مقاصده من طريقته ونائبه وحكمه في الملك ونظمه
في السلك فلا يحل ولا يعقد الا برايه وكانت حظوته به
حصينة وهو يسكن معه في قلعة حلب والحاضر عنده صباحا
ومساء اذا طلب وشيزر مع اخيه شمس الدين علي وقلعة
جعبر وتل باشر مع شهاب الدين عثمان وحارم مع بدر الدين
حسن وعين تاب وعزاز وعندهما نوابه بهما وهو يكفيهما
ويحميهما ولما توفي جرت اخوته في القرب والانبساط على
عادته وهم اعيان الدوله واعضادها وابدالها وارضها
واوتادها وامجادها واجوادها فلما توفي نور الدين
لم يشكوا في انهم يكفلون ولده ويربونه ويحبهم لاجل سابقتهم
ويحبونه فاقام شمس الدين علي وهو اكبرهم واوجههم ودخل
قلعة حلب وبها واليها شاذبخت وسكنها واستمر مصلحه

مصلحة الدولة واعلمها وعرف ما جرى بدمشق من الاجتماع
والاتفاق ذوي الاطماع فكاتبهم وامرهم بالوصول اليه في
خدمة الملك الصالح وبعث اخاه سابق الدين عثمان وكان
قليل الخبرة بعيدا من الدهاء فاستقر الامر على ان يحملوا
الملك الصالح اليه ويقدموا به عليه وهو يتسلم ممالكه ويكون
اتابكه ووصل كمشتكين الى دمشق في تلك الايام فوافقهم
على ما دبروه من المرام وسار الصالح ومعه كمشتكين والعدل
ابن العجمي واسمعيل الخازن فيعتقلوا الحوم مجد الدين الثلثه
فقبضوهم واعتقلوهم وجا ابن الخشاب ابو الفضل مقدم
الشيعة فسفكوا دمه واقام شمس الدين ابن المقدم بدمشق
على عساكرها مقدما وفي مصالحها محكما وجمال الدين ريحان
والي القلعه والشحنه من قبله والامر اليه بتفصيله وجمله
والقاضي كمال الدين الشهرزوري الحاكم النافذ حكمه الصايب
سهمه الثاقب نجمه وكان مسير الملك الصالح من دمشق
في الثالث والعشرين من ذي الحجة وغاظ صلاح الدين
ما فعل باخوه مجد الدين وقال ابن ابي طي الحلبي
لما مات نور الدين اجتمع امرا دولته وتعاقدوا على ان
يكونوا في خدمة الملك الصالح بن نور الدين وكان يوميذ
صبيا وحلفوا له وعلى منابذة الملك الناصر وقبض انكاية
الدين بالشام ومصالحة الفرنج وجعلوا الى ابن المقدم شمس
الدين مقدم العساكر وتم ذلك واستقر وركب الملك الصالح

بدمشق

بدمشق وخطب له وكانت الفرنج قد تحركت الى قصد
دمشق فخرج ابن المقدم ونزل على بانياس في عساكر نور
الدين وراسل الفرنج في الهدنة فاجابوه بعد ان قطعوا
قطيعة على المسلمين فعجل حملها اليهم وتم امر الصلح وعادت
الفرنج الى بلادها وابن المقدم الى دمشق واتصل خبر
هذه الهدنة بالملك الناصر وكان قد خرج من مصر اربع
مراحل فاعظم امرها وانكره واستصغر امر اهل الشام
وعلم ضعفهم فراسل ابن المقدم وغيره من الامرا بانكار ذلك
والتوبيخ عليه وقال في كتابه الى ابن ابي عصرون
ورد الخبر بصلح بين الفرنج والمستقبين وبقية بلاد الاسلام
ما دخلت في العقد ولا انتظمت في سلك هذا القصد والعدو
لها واحد وصرف مال الله الذي اعد لمغنم الطاعة ومصلحة
الجماعة في هذه المعصية والمغضبة لله ولرسوله ولصالحي
الامة وكان مدخورا لكشف الغمة فصار عونا وان اسارى
من طبرية وفرسانها كانت وطاتهم شديدة وشوكتهم حديدة
دفعوا في القطيعة وجعلوا الى السلم السبب والذريعة
فلما بلغنا هذا الخبر وقفنا به بين الورد والصدر ان انمنا
طرنا عن ما يريدوا ان قصدنا فالعدو من بقية الثغور
التي لم تدخل في الهدنة غير بعيد وان فرقنا العساكر
لدينا فاجتماعها بعد افتراقها شديد فراينا ان سيرنا
الى حضرة الامير شمس الدين ابي الحسن علي واخوته من

من يعرفهم قد خطوا هذا الارتباك وانه امر ربما عجز عن
الاستبداد ذلك وان العدو طالب لا يغفل وجاد لا ينكل
وليث لا يضيع الفرصة مجد لا يميل الى الرخصة فان كانت
الجماعة ساخطين فتظهر امارات السخط والتغير ولا يمسك
في الاول فيعجز عن الاخير لا سيما ونحن نجار الله ونعتز ونقصد
للمسلمين ما يجمع به صلاح الراي وصلوات التدبير وقد منعنا
عساكرنا ان تفتقر حوفا من ان يقصد العدو ناحية حارم
بالمال الذي قويت به قوته وثرت به ثروته وانبسطت
به خطوته فانه ما دام يعلم انا مجتمعون وعلى طلبه مجمعون
لا يمكنه ان يزايل مراكزه ولا يبادر رمنا منه قال وكان
متولي قلعة حلب شاذبخت الخادم النوري وكان شمس الدين
علي اخو مجد الدين بن الداية اليه امر الجيش والديوان والى
اخيه بدر الدين حسن الشحنكية وكان بيده وبيد اخوته
جميع المعاقل التي حول حلب فلما بلغ عليا موت نور الدين
صعد الى القلعة وكان مقعدا واضطرب البلد ثم سكنه
بن الخشاب وكوتب ابن الخشاب من دمشق بحفظ البلد وعزل
اولاد الداية على الاستيلا على حلب وحلف لهم جماعة من
القلعيين والحلبيين والعد واطلق ابي الفضل بن الخشاب
فامتنع من الصعود اليهم وترددت بينهم الرسالة وتحزب
الناس بحلب السنة مع بني الداية والشيعة مع ابن الخشاب
وجرت اسباب اقتضت ان انزل حسن بن الداية جماعة

من

322.

من القلعيين واهل الحاضر ورجعوا الى دار ابن الخشاب
فملكوها ونهبوها واختفى ابن الخشاب واتصلت هذه
الاخبار بمن في دمشق فاخذوا الملك الصالح وساروا الى حلب
في الثالث والعشرين من ذي الحجة وسار مع الملك الصالح
سعد الدين كمشتكين وجرديك واسمعيل الخازن وسابق
الدين عثمان بن الدايه وقد وكلت الجماعة به ولم يدعه يعلم
وساروا الى حلب وخرج الناس الى لقايهم وكان حسن
قد رتب في تلك الليله جماعة من الحلبيين ليصبح ويطلبهم
فلما خرج الى لقا الملك الصالح ووقعت عينه عليه نزجل
ليخدم هو وجماعة من اصحابه فتقدم جرديك واخذ بيده
وشتمه وجذبه فاركبه خلفه رديفا وقبض سابق الدين
اخوه في الحال وتخطفت اصحابهم جميعهم واحتيط عليهم
وساروا بهم حتى سبقوا الخبر الى القلعة وصعدوا
اليها وقبضوا على شمس الدين علي بن الدايه من فراشه وحمل
الى بين يدي الملك الصالح فاستقبله احد مماليك نور الدين
المعروف بالجيبنه فركله برجله ركله جاء بها على وجهه
فانشقت جبهته ثم صعدوا جميعا وحبسوا في جب القلعة
وقبضوا على جميع الاجناد الدين حلفوا الاولاد الدايه
واخرجوا جميعا من القلعة قلت وفي هذه السنة
توفي مري العرجي الذي كان حاصر القاهرة واشرف
على اخذ الديار المصريه وفي كتاب فاضلي ورد كتاب

من الدار وهم يذكرون انه لما كان في عشية الخميس تاسع ذي
الحجة هلك مري ملك الفرنج لعنه الله ونقله الى عذابه
كان سمه مشتقا واقدمه على نار تلظى لا يصلاها الا الاشقى
ثم دخلت سنة سبعين قال ابن ابي طي فيها
قتل القطب ابن العجمي وابو صالح وابن امير الدولة لمجرد بك
ان قتل ابن الخشاب ردوا عليه جميع ما نهب له في دار ابن
امير الدولة فدخل على الملك الصالح وتحدث معه واخذ
خاتمه امانا لابن الخشاب ونودي عليه بحضور وركب الى
القلعة فقتل وعلق راسه على احد ابراج القلعة وبقي
الملك الصالح في قلعة حلب ومضى العماد الكاتب الى الموصل
قال وعزمت على خدمة صلاح سيف الدين صاحبها وقد
اخذ من بلاد الجزيرة الى حد العراق ومضى اليه ابن العجمي
للاصلاح فاصلح بين ابني العم وغلوا من اخيه مجد الدين
في الاعتقال وضيقوا عليهم في القيود والاغلال والزموهم
بتسليم الحصون وتقديم الرهون الى ان غصبوا دورهم
وخربوا معمورهم قال وكان الموفق خالد بن القيسراني
قد وصل وخرج بدمشق من مصر فلزم داره ولم يدخل مع
القوم فاما صلاح الدين فانه اعتقد ان والده نور
الدين تولاه بعد اخوه مجد الدين فلما جرى ما جرى
ساءه وقال انا اخو بني العهود والسعي المحمود فانه
ان استمرت ولاية لمولاه تفرقت الكلمة المجتمعة

وضاقت

323.

وضاقت المناهج المتسعه وانفردت مصر عن الشام وطمع
اهل الكفر في بلاد الاسلام وكتب الى ابن المقدم ينكر ما اقدم
عليه من تفرق الكلمة وكيف اجتز واعلى اعضاد الدوله
واركانها بل اهلها واخوانها وانه يلزمه امرهم وامرها
ويضرم ضرمهم وضرها فكتب ابن المقدم اليه يردعه عن تلك
العزيمه ويقبح له استحسان تلك الشيمه ويقول له
لا يقال عنك انك طمعت في بيت من غرسك وربالك وامسك
واصفى مشربك واضفى ملبسك واحلى سكونك الملك مصدر
وفي دسته اجلسك فما يليق بحالك ومحاسن اخلاقك وخلائق
غير فضلك وافضالك فكتب اليه صلاح الدين بالاشارة
الفاضلية انا لا نوثر للاسلام واهله الا ما جمع شملهم والف
كلمتهم وللبيت الاتابكي اعلاه الله الا ما حفظ اصله وفرعه
ودفع ضرم وجلب نفعه فالوفا انما يكون بعد الوفاه والمحبه
انما تظهر اثارها عند تكاثر الطماع العداه وبالجمله انا في
واد والظانون بنا ظن السو في واد ولنا من الصلاح مراد
ولم يبعد بنا عنه مراد ولا يقال لمن طلب الصلاح انك قادح
ولمن الغي السلاح انك جارح فصل فاك العماد
ثم عزم السلطان على ان يبادر الى تلافي الامر فاعترضه
امران احدهما وصول اصطول صقليه الى الاسكندريه
وادراكه والثاني نوبة الكنز ونفاقه وهلاكه اما وصول
الاسطول فكان يوم الاحد السادس والعشرين من ذي

الحجة سنة تسع وستين وانهزم في اول المحرم سنة سبعين
ثم ذكر كتابا وصل من صلاح الدين الى بعض الامرا بالشام
بشرح الحال وحاصله ان اول الاسطول وصل وقت الظهر
ولم يزل متواصلا متكاملا الى وقت العصر وكان ذلك على
حين غفلة من المتوكلين بالنظر الا على حين خفا من الخبر فامر
ذلك الاصطول كان قد اشتهر وذوع به بن عبد المومن
في البلاد المغربية وهدد به في الجزائر الرومية صاحب
قسطنطينية فشهره في الثغر من وفور عدته وكثرة عدته
وعظم الهمة به وفرط الاستكثار منه ما ملا البحر واشتد
به الامر فحمى اهل الثغر عليهم البر ثم اشير عليهم ان يتوبوا
من السور فامكن الاسطول النزول فاستنزلوا خيولهم من
الطرايد ورواجلهم من المراكب فكانت الخيل الفا وخمس مائة
راس وكانوا ثلثين الف مقاتل ما بين فارس وراجل وكانت
عدة الطرايد ستا وثلثين طريدة تحمل الخيل وكان معهم
مايتا شيني في كل شيني مائة وخمسون رجلا وكانت عدة
السفن التي تحمل الات الحرب والحصار من الاخشاب الكبار
وغيرها ست سفن وكانت عدة المراكب الحماله برسم الازواد
للرجال اربعين مركبا وفيها من الراجل المتفرق وغلمان
الخياله وصناع المراكب وابراج الزحف ودبابات والمنجنيقات
مائتهم خمسين الف راجل ولما تكاملوا نازلين على البر خارجين
من البحر حملوا على المسلمين حملة اوصلتهم الى السور وفقد

من

من اهل الثغر في وقت الحملة ما ابانوا من شجاعة النفس والتجهد
محمود بن البصار وبعضهم جرح وحذفت مراكب الفرنج داخلة
الى الميناء وكان به مراكب مقاتلة ومراكب مسافرين فسبقهم
اصحابنا اليها فخسفوها وغرقوها وغلبوهم على اخذها
واحرقوا ما احترق منها واتصل القتال الى المساء فنزلوا
خيامهم بالبر وكان عدتها ثلثماية خيمة فلما اصبحوا
زاحفوا وضايقوا وفصلوا ثلث دبابات بكباشها وثلث
مجانيق كبار المقدار ترمي بحجارة سود استصحبوها
من صقليه وتعجب اصحابنا من شدة اثرها وعظم حجرها
واما الدبابات فانها تشبه الابراج في جفا اخشابها
وارتفاعها وكثرة مقاتلتها واتساعها وزحفوا بها الى
ان قاربت السور ولجوا في القتال عامة النهار المذكور
وورد الخبر الى منزلة العساكر بفاقوس يوم الثلثا يوم
نزول العدو على جناح الطاير فاستنهضنا العساكر
الى الثغر من اسكندريه ودمياط احترازا عليها واحتياطا
في امرها وخوفا من مخالفة العدو اليها واستمر القتال
وقدمت الدبابات وضربت المنجنيقات وزاحمت
السور الى ان صارت منه بمقدار رماح فاتفق اصحابنا
على ان يفتحوا ابوابا قبالتها من السور ويتركوها
معلقة بالستور ثم فتحوا الابواب على غفلة وخرجوا
من الابواب وتكاثر صايح اهل الثغر من كل الجهات

فاحرقوا الدبابات المنصوبه وصدقوا عندها القتال
وانزل الله على المسلمين النصر وعلى الكفار الخذلان والقهر
وانفصل القتال الى العصر من يوم الاربعا وقد ظهر فشل
الفرنج ورعبهم وفترت عزايمهم وفتر حربهم واحرقت
الالات قتالهم واستحر القتل والجراح في رجالهم ودخل
المسلمون الى الثغر لقضا فريضة الصلاة واخذ ما به يكون
قوام الحياه وهم على نية المباكره والعدو على نية الهرب
والمبادره ثم كر المسلمون عليهم بغتة وقد كاد يختلط
الظلام فهاجموهم في الخيام وتسلموها بما فيها وقتلوا
من الرجاله اعظم قتل وتسلموا الخياله ولم يسلم منهم
الا من نزع لبسه ورمى في البحر نفسه وهجم اصحابنا
في البحر على بعض المراكب فخسفوها واتلفوها فولت
بقية المراكب هاربه وجاتها احكام الله الغالبه وبقي العدو
بين قتل وغرق واسر وحرق واحتمى ثلثمائة فارس
في راس تل فاخذت خيولهم ثم قتلوا واسروا واخذ
من المتاع والالات والاسلحة مالا يملك مثله واقلع
من الا سطول عن الثغر يوم الخميس وذكر ابن شداد
ان نزول هذا العدو كان في شهر صفر وكانوا ثلثين
الفا في ستماية قطعة ما بين شيني وطراد وبطسه
وغير ذلك فصل واما نوبة الكرك فقال ابن
شداد الكرك الشان متقدم من المصريين كان قد انزح

الى

الى اسوان فاقام بها ولم يزل يدبر امره ويجمع السودان
عليه ويخيل لهم انه يملك البلاد ويعيد الدولة مصرية
وكان في قلوب القوم من مهاواة المصريين ما يستصغر
معه الافعال عظمه فاجتمع عليه خلق كثير وجمع وافر
من السودان وقصد قوص واعمالها فانتهى خبره الى صلاح
الدين فجرد له عسكرا عظيما شاكين في السلاح من الذين
ذاقوا حلاوة ملك الديار المصرية وخافوا على فوت
ذلك منهم وقدم عليهم اخاه سيف الدين وسار بهم حتى
اتى القوم فلقيهم بمصاف فكسرهم وقتل منهم خلقا عظيما
واستاصل شافتهم واخمد نايرتهم وذلك في السابع من
صفر سنة سبعين واستقرت قواعد الملك وفاة
العماد في اول سنة سبعين ومنتهاها قام المعروف بالكنز
في الصعيد وجمع من كان في البلاد من السودان والعبيد
وعدا ودعا من العرب والعبيد وكان قتله من الامرا
اخو حسام الدين ابي الهيجا السمين فعتك به وبمن معه
من المقطعين وغادرت حمية اخيه وثارت للثار وسما عليه
اخو السلطان سيف الدين وعز الدين موسك ابن خاله
وعدة من امرايه ورجاله وجاوا الى مدينة طود فاجتمعت
عليهم وامتنعت فاسرعت البلية اليها وبها وقفت
والى السيف على اهلها وبانت بعد عزها بذلها ثم قصد
الكنز وهو في طغيانه وعدوانه وسوء وسودانه

فسفك دمه وظهر بعد ظهور وجوله عدمه واريقت
دماسون ومجمع عا به على اسون ولم يبق للدوله بعد
كنز هاكنز وطل دمه ولم ينتطح فيه عنز وارتدع المارقون
فما رقو البعدكم سلم نفاق والله لنا صر دينه ناصر وا ق
قال ابن الاطي والعقو الضاان خرج بويه من قوي
الصعيد يقال له طود رجل يعرف بعباس بن شاذي وثار
في بلاد قوص ونهبها وخربها واخذ اموال الناس واتصل
ذلك بالملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب وكان السلطان
قد استنابه بمصر فجمع له العساكر واوقع به وبدد شمله
وفض جموعه وقتله ثم قصد لبطلم كنز الدوله الوالي باسون
وكان قصد بلد طود فقتل اكثر عسكره وهرب فادركه بعض
اصحاب الملك العادل فقتله **فصل** في توجه
صلاح الدين الى دمشق ودخوله اليها في يوم
الاثنين اخر شهر ربيع الاول **قال** العماد لما خلا
باله مما تقدم ذكره جهز لقصد الشام فخرج الى البركه
مستهل صفر واقام حتى اجتمع العسكر ثم رحل الى
بلبيس ثالث عشر ربيع الاول وكانت رسل شمس الدين
صاحب بصري صدلو ابن جاولي وشمس الدين ابن المقدم
عنده يستحثوه في الحث والبعث رتك ويستنقد مه
وجنده وسار على صدر وابله ووصل السير بالسري
حتى اناخ على بصري بصيرا بالعلا نصير الهدي فاستقبله

فصل في توجه صلاح الدين الى دمشق

صاحب

326.

صاحب بصرى وشد لذلك وسدد امره واستضاف الى بصرى صرخد وتفرد بالسبق الى الخدمة وتوحد وسار في الخدمة معه الى السلطان وبكر صلاح الدين يوم الاثنين انسلاخ الشهر وسار في موكب قوي بالعدد والعدد وحسب ان يمتنع عليه البلد وان الاطراف توثق والابواب تغلق فاقبل وهو يسوق وافبا له يشوق حتى دخل دمشق وحرفها وكان الله تعالى له خلقها ودخل الى دار العقيقي مسكن ابيه وبقي جمال الدين ريحان الخادم في القلعة على نابيه فراسله في استنزاله واغرى له نواله وتملك المدينة والقلعة ونزل بالقلعة سيف الاسلام اخو صلاح الدين وملك بن المقدم داره وكلما حواليها وبذل له طلبته التي اشار اليها ونص عليها واظهر انه قد جا لتربية الملك الصالح وحفظ ماله من المصالح وتدبير ملكه فهو احق بصيانة حقه واجتمع به اعيانها وخلص لولايه اسرارها واعلانها واصبح وهو سلطانها ووزارة الفاضل كمال الدين الشهرزوري توفاه حقه من الاحترام ووفر له حظ التبجيل والاعظام وتعددت الكتب بالانشا الفاضليه الى مصر بهنا الفتح والنصر وفي بعضها يوم وصلنا الى بصرى وقبله وفدت وما جرت وتوالت وتكاثرت وتوافت الامرا والاجناد والاتراك والاكراد والوبك وراجل الاعمال واعيان الرجال ووردت كتب من دمشق

بعد كتاب وكل مخبر وذاكر وهو غايب يكنا به حاضر
يذكر ان البلاد ممكنة القياد مذعنة الى المراد دوامًا
آل الفرنج خذلهم الله فانا في هذه السفرة المباركة
نزلنا في بلادهم نزول المتحكم واقمنا بها اقامة الحاضر
المتخيم ولا دلجنا وعيونهم ميتنا ومد وجزنا وانوفهم
راغمة ووطينا رقابهم صغرا ومررنا وعليهم من الله
يزيدهم ذلا فيجعل عداوة الاسلام في صدورهم غلا
وفي اعناقهم غلا وفي كتاب اخر كان رحيلنا من بصرى
يوم الاربعا الرابع والعشرين من ربيع الاول وقد
توجه صاحبها بين ايدينا قايما بشروط الخدمة ولوازمها
ثم لقينا الاجل ناصر الدين ابن المولى اسد الدين رحمه الله
وادام نعمته والامير سعد الدين بن انر في السبت
السابع والعشرين ونزلنا يوم الاحد بجسر الخشب
والاجناد الدمشقيه الينا متوافيه والوجوه على
ابوابنا مترامية ولم يتاخر الا من ابقى وجهه وراقب
صاحبه ومن اعتقد بالقعود انه قد نظر لنفسه في العاقبه
ولما كان يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ركبنا
على خيرة الله تعالى وعرض دون الدخول عدد من الرجال
قد غشيهم عساكرنا المنصوره وصدمتهم وعرفتهم كيف
يكون اللقا وعلمتهم ودخلنا البلد واستقرت بنا دار
والدنا رحمه الله عليه فقرت عيوننا مستقرا لسكون

الرعيه

327.

الرعية وسكوننا وادعنا في ارجا البلد الفدا باطابة النفوس وازالة المكوس وكانت الولاية فيهم قد ساءت واشرفت والبد المتعدية قد امتدت الى احوالهم واجحفت فشرعنا في امتثال امر الشرع برفعها ولعفا الامة منها بوضعها **وقال** ابن الاثير لما خاف من بدمشق من الامرا ان يقصدهم كمشتكين والملك الصالح من حلب فيعاملهم بما عامل به بني الداية راسلوا سيف الدين غازي ليسلموها اليه فلم يجبهم فحملهم الخوف على ان راسلوا صلاح الدين يوسف بن ايوب بمصر وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين بن المقدم ومن اشبه اباه فما ظلم فلما اتته الرسل لم يتوقف وسار الى الشام فلما وصل الى دمشق سلمها اليه من بها من الامرا ودخلها واستقر بها ولم يقطع خطبة الملك الصالح وانما اظهر انه انما جيت لاخدمه واسترد له بلاده التي اخذها بن عمه وجرت امور اخرها انه اصطلح هو وسيف الدين والملك الصالح على ما بيده **قال** ابن شداد لما تحقق صلاح الدين وفاة نور الدين وكون ولده طفلا لا ينهض باعبا الملك ولا يستقل بدفع عدو الله عن البلاد تجهز للخروج الى الشام وهو اصل بلاد الاسلام فتجهز بجمع كثير من العساكر وخلف في الديار المصرية من يستقل بحفظها وحراستها ونظم امورها وسياستها وخرج هو سايرا

مع جمع من اهله واقاربه وهو يكاتب اهل البلاد وامراها
واختلفت كلمة اصحاب الملك الصالح واختلت تدبيراتهم
وخاف بعضهم من بعض وقبض البعض على جماعة منهم وكان
ذلك سبب خوف الباقين ممن فعل ذلك وسببا لتنفير
قلوب الناس عن الصبي فاقتضى الحال ان كاتب ابن
المقدم وصلاح الدين فوصل الى البلاد مطالبا بالملك
الصالح ليكون هو الذي يتولى امره ويرتب حاله فدخل
دمشق يوم الثلثا سلخ ربيع الاخر وكان اول دخوله
الى دار ابيه واجتمع الناس اليه وفرحوا به وانفق في ذلك
اليوم في الناس مالا طايلا واظهر الفرح به وصعد القلعة
واستقر قدمه في ملكها فلم يلبث ان سار في طلب حلب
فنازل حمص واخذ مدينتها في جمادى الاولى ولم يشتغل
بقلعتها وسار حتى اتى حلب ونازلها سلخ جمادى المذكور
وهي الدفعة الاولى وقال ابن ابي طي بلغ السلطان
ان ابن المقدم تغضبه الملك الصالح وهو كان السبب
في خروج سيف الدين صاحب الموصل واستيلايه على
البلاد الشرقية ومضايقته للملك الصالح في ممالكه وقيل
ان ابن المقدم كاتب السلطان ودعاه الى الخروج وقيل
انما خرج الى الشام خوفا من حركة تنشا من جانب الفرنج
بسبب اختلاف امرا الشام وشغل بعضهم ببعض
وجواب مصر ورده من ابن المقدم اليه ولما بلغ ابن المقدم

خروج

خروج السلطان الى جهة دمشق اشفق من ذلك واشد له
ما بدا منه وبذل له ووعد بتسليم دمشق اليه قال
ولما حصل على دمشق وقلعتها واستوطن بقعتها نشر
علم العدل والاحسان وعفى اثار الظلم والعدوان وابطل
ما كان الولاة استجدوه بعد موت نور الدين من القبائح
والمنكرات والمؤن والضرائب المحرمات قلت وقد
كان كتب اليه اسامة بن منقذ قصيدة بعد مصاف
عسقلان اولها

• تهن يا اطول الملوك يدا • في بسط عدل وسطوة وندى •
• اجرا وذكرا من ذلك الشكر في الدنيا ومن ذلك الجنان غدا •
• لا يستقل الذي صنعت فقد قمت بفرض الجهاد مجتهدا •
• وجست ارض العدا وافنيت من • ابطالهم ما تجاوز العددا •
• وما راينا غزا الفرنج من الملوك • في عقر دارهم احدا •
• فسر الى الشام فالملائكة • الابرار يلقاك جمعهم مددا •
• فهو فقير اليك يامل ان • تصلح بالعدل منه ما فسدا •
• والله يعطيك فيه عاقبة • النصر كما في كتابه وعدا •
• فما حباك الورى وامدك • العدل واعطاك ما ملكت
سدى •

• ومدح وحيش الاسدي صلاح الدين عند •
اخذه دمشق بقصيدة • اولها •

• قد جاءك النصر والتوفيق واصطحبا • فكن لاضعاف هذا النصر مرتقبا •

م

لله انت صلاح الدين من اسد ادنا فريسته الايام ان وثبا
رايت جلق ثغر الاسلام ناصرها فجبتها عامرا منها الذي خربا
نادتك بالله لما قل ناصرها وازمع الخلق من اوطانها هربا
اجبتها مثل ما اجبت مصر فقد اعدت من عدلها ما كان قد ذهبا
هذا الذي نصر الاسلام فانفتحت سبيله واهان الكفر والصلبا
ويوم شاور والايمان قد هزمت جيوشه كان رغبه الجحفل اللجبا
ابت له الضيم نفس حرة وىد فعالة وفواد قط ما وجبا
يستكثر المدح يتلى في مكارمه زهدا ويستصغر الدنيا ذهبا
وسبا
ويوم دمياط والاسطول ربه قد اصاركم مثلا في الارض قد ضربا
والشام لولم تداركه الاله اندرست اثاره وعفت اياته حقبا

فصل فيما جرى بعد فتح دمشق

من فتح حمص وحماه وحصار حلب قال ابن ابي طى
لما اتصل بمن في حلب حصول دمشق للملك الناصر وميل الناس
اليه وانعكاسهم عليه خافوا واستضعفوا واجمعوا على مراسلته
فحملوا قطب الدين ينال بن حسان رسالة ارعدوا فيها
وابرقوا وقالوا قل له هذه السيوف التي ملكتك مصر بايدينا
والرماح التي حويت بها قصور المصريين على اكتادنا والرجال
التي ردت عنك تلك العساكر هي تردك وعما تصديت
له تصدك وانت قد تعديت طورك وتجاوزت حدك وانت
احد غلمان نور الدين وممن يجب عليه حفظه في ولده قال

وما بلغ

ولما بلغ السلطان ورود ابن حسان عليه رسولا تلقاه
بموكبه وبنفسه وبالغ في اكرامه والاحسان اليه ثم احضره
بعد ثالثة لسماع الرسالة منه فلما فاه ابن حسان
بتلك الشقاشق الباطلة وفقع بتلك المموهات العاطلة
لم يعره السلطان رحمه الله طرفا ولا سمعا ولا رد عليه حتفا
ولا رفعا بل ضرب عنه صفحا وتغاضيا وترك جوابه احسانا
وتجافيا وجرى في ميدان اريحيته واستمر في سنن مروته
وخاطبه بكلام لطيف رفيق وقال له يا هذا اعلم انني وصلت
الى الشام لجمع كلمة الاسلام وتهذيب الامور وحياطة
الجمهور وسد الثغور وتربية ولد نور الدين وكف عادية
المعتدين فقال له ابن حسان انك انما وردت لاخذ الملك
لنفسك ونحن لا نطاوعك على ذلك ودون ما تروم خرط
القتاد وفقء الاكباد وايتام الاولاد فتبسم السلطان
لمقاله وتزايد في احتماله واومى الى رجاله باقامته من بين يديه
بعد ان كادوا يسطوا عليه ونادى في عساكرهم بالاستعداد
لقصد الشام والاستغلال ورحل متوجها الى حمص فتسلم البلد
وقاتل القلعة ولم ير تضييع الزمان عليها فوكل بها من
يحصرها ورحل الى جهة حماه فلما وصل الى الرستن خرج
صاحبها عز الدين جرديك وامر من فيها من العسكر من
العسكر بطاعة اخيه شمس الدين علي واتباع اخيه امره
وسار جرديك حتى لقي السلطان واجتمع به بالرستن

واقام عنده يوماً وليلة وظهر من نتيجة اجتماعه به انه سلم
اليه حماه وساله ان يكون السعي بينه وبين من بحلب
فاجابه السلطان الى مراده وسار الى حلب وبقي لحوا
جرديك بقلعة حماه قال وسار جرديك الى حلب وهو
ظان انه قد فعل شيئا وحصل عند من بحلب يدا فاجتمع
بالامرا والملك الصالح واشار عليهم بمصالحة الملك الناصر
فاتهمه الامرا بالمخامرة ورددوا مشورته واشاروا بقبضه
فامتنع الملك الصالح ولج سعد الدين كمشتكين في القبض عليه
فقبض وثقل بالحديد واخذ بالعذاب الشديد وحمل الى
الجب الذي فيه اولاد الداية قال ولما قدم جرديك
وشد في وسطه الحبل ودلي الى الجب واحس به اولاد الداية
قام اليه منهم حسن وشتمه اقبح شتم وسبه الام بسب
وحلف بالله ان انزلتموه اليهم ليقتلنه فامتنعوا من تدليته فاعلم
سعد الدين كمشتكين فحضر الى الجب وصاح على حسن وشتمه
وتوعده فسكت حسن وامسك وانزل جرديك الى الجب
وكان عند اولاد الداية واسمعه حسن كل مكروه قال
وكتب ابي الى حلب حين القصة به يقبض اولاد الداية وجرديك
وكانوا قد غضبوا عليه حتى نفاه نور الدين من حلب فصيدة

منها

بنوا فلانة اعوان الضلالة قد ۰ قضى بذلهم الاقلال والقدر
واصبحوا بعد عز الملك في صفد ۰ وثغر مظلمة يعشى لها البصر

وجرد

وجرّد الرمح في جرد بك اخذته • والرمح لا ملجا منه ولا وزر •

قال ولم يزل السلطان مقيما على الرستن ثم طال
عليه الامر فسار الى جباب التركمان فلقيه احد غلمان
جرد بك واخبره بما جرى على جرد بك من الاعتقال والقهر
فرحل السلطان من ساعته عايدا الى حماه وطلب من اخي
جرد بك تسليم حماه اليه واخبره بما جرى على اخيه ففعل
وصعد السلطان الى قلعة حماه واعتبر احوالها وولاها
مبارز الدين علي بن ابي الفوارس وذلك مستهل جمادى
الاخرة وسار السلطان الى حلب ونزل على انف جبل جوشن
فوق مشهد الدكة ثالث الشهر وامتدت عساكره الى
الحنابية والى السعدي وكان من بحلب يظنون ان السلطان
لا يقدم عليهم فلم يرعهم الا وعساكره قد نازلت حلب
وخيمته تضرب على جبل جوشن واعلامه قد نشرت فخافوا
من الحلبيين ان يسلموا البلد كما فعل اهل دمشق فارادوا
تطييب قلوب العامة فاشير على ابن نور الدين ان يجمعهم
بالميدان ويقبل عليهم بنفسه ويخاطبهم بلسانه انهم
الوزر والملجا فامر ان ينادي باجتماع الناس الى ميدان
باب العراق فاجتمعوا على غص الميدان بالناس ونزل
الصالح من باب الدرجة وصعد من الخندق ووقف في راس
الميدان من الشمال وقال لهم يا اهل حلب انا ربيبكم
ونزيلكم واللاجي اليكم كبيركم عندي بمنزلة الاب وشابكم

عندك بمنزلة الاخ وصغيركم عندي محل الولد قال
وخنقته العبرة وسبقته الدمعه وعلا نشيجه فافتتن
الناس وصاحوا صيحة واحدة ورموا بعمايمهم وضجوا بالبكا
والعويل وقالوا نحن عبيدك وعبيد ابيك نقاتل بين
يديك ونبذل اموالنا وانفسنا لك واقبلوا على الدعا
له والترحم على ابيه وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح
ان يعود اليهم شرقيه الجامع يصلون فيها على قواعدهم
القديمه وان يجهر بحي على خير العمل في الاذان والتذكير
في الاسواق وقدام الجنايز باسما الايمة الاثنى عشر وان
يصلوا على امواتهم خمس تكبيرات وان يكون عقود الانكحة
الى الشريف الطاهر ابي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني
وان تكون العصبيه مرتفعه والناموس وازع لمن اراد
الفتنة واشيا كثيرة اقترحوها مما كان قد ابطله نور
الدين رحمه الله فاجيبوا الى ذلك قال ابن ابي طي
فاذن المودنون في منار الجامع وغيره بحي على خير العمل
وصلى ابي في الشرقيه مسبلا وصلى وجوه الحلبيين خلفه وذكروا
في الاسواق وقدام الجنايز باسما الايمة وصلوا على الاموات
خمس تكبيرات واذن للشريف في ان يكون عقود الحلبيين
من الامامية اليه وفعلوا جميع ما وقعت الايمان عليه قال
وكانت هذه السنه شديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة
الامطار هايجة الاهويه وكان السلطان قد جعل اولاد

الدايه

الدايه واصلاح شانهم وارسل السلطان الي حلب رسوله
بوض بطلب الصلح فامتنع كمشتكين فاشتد حينئذ
السلطان في قتال البلد وكانت ليالي الجماعة عند الملك
الصالح لا تنقضي الا بضب الحيال للسلطان والفكرة في
مخاتلته وارسال المكروه اليه فاجمعوا اراهم علي مراسلة
سنان صاحب الحشيشيه في ارصاد المتالف للسلطان
وارسال من يفتك به وضمنوا له علي ذلك اموالا جمة
وعدة من القري فارسل سنان جماعة من فتاك اصحابه
لاغتيال السلطان فجاوا الي جبل جوشن واختلطوا بالعسكر
فعرفهم صاحب بوقبيس لانه كان من اغراضهم فقال لهم يا ويلكم
كيف تجاسرتم علي الوصول الي هذا العسكر ومثلي فيه فخافوا
غايلته فوثبوا عليه فقتلوه في موضعه وجا قوم للدفع
عنه فجرحوا البعض وقتلوا البعض وبدر من الحشيشيه
احدهم وبيده سكينه مشهورة يقصد السلطان
وهجم عليه فلما صار الي باب الخيمة اعترضه طغريل امير
جاندار فقتله وطلب الباقون فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة

قال

ولما فات من حلب الغرض من السلطان بطرق
الحشيشه كاتبوا قومص طرابلس وضمنوا له اشيا كثيرة متي
رحل السلطان عن حلب وكان لعنه الله في اسر نور الدين
منذ كسرة حارم وكان قد بذل في نفسه الاموال العظيمة
فلم يقبلها نور الدين فلما كان في قبيل موت نور الدين وكلما

سعى له فخر الدين مسعود بن الزعفراني حتى باعه نور الدين
بمبلغ مائة وخمسين الف دينار وفكاك الف اسير واتفق
في اول هذه السنة موت ملك الفرنج صاحب القدس وطبريه
وغيرهما فتكفل هذا الصبي بامر ولده المجذوم فعظم شانه وزاد
خطره فارسل الى السلطان في امر الحلبيين واحترم الرسول
ان الفرنج قد تعاضدوا وصاروا يدا واحدة فقال السلطان
لست ممن يرهب بتالب الفرنج وها انا سائر اليهم ثم انفذ قطعة
من جيشه وامرهم بقصد انطاكيه فغنموا غنيمة حسنة وعادوا
فقصد الصبي جهة حمص فرحل السلطان وحصل الغرض من رحيل
السلطان عن حلب ووصل الى حمص فتسلم القلعة ورتب فيها
واليا من قبله قال وفي فتح قلعة حمص يقول العماد الكاتب
من قصيدة سينية

ابناء ايوب خذ الشام على كل ما ترجيه ظهور
بيوسف مصر والشام به تقر العيون وتشفى الصدور
وان منك حمص لها كاعبا فوانا منها القوى العسير

ومن كتاب فاضل عن السلطان الى زين الدين ابن نجا
الواعظ يقول في وصف قلعة حمص والشيخ الفقيه قد شاهد
ما يشهد به من كونها نجما في سحاب وعقابا في عقاب وهامة
لها الغمامة عمامة وانملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال
منها قلامة عاقلة حيوة صالحها الدهر على ان لا يحلها بقرعة
عاملة عصمة صالحها الزمن على ان لا يروعها بخلعة فالتوت

بها عقارب منجنيقات لا تطيع طبع حمص في العقارب وضربت
حجارة بها الحجارة فاظهرت فيها العداوة المعلومة بين
الاقارب فلم يكن غير ثانيه من الحد الا وقد اثرت فيها جدودنا
بصرتها ولم نصل الى السابع الا والبحران منذ ريشغبها
والشيع احرق على الواقع وسقط سعدها عن الطالع الى
مولد من موالبها طالع وفتحت الابراج فكانت الوانا
وسيرت الجبال بها فكانت سرابا فهنالك بدت تفوق بيوت
قائم من دونها ما وراها وحسبت فيها النار فلولا الشعاع
من الشعاع اضاها ومن كتاب اخر فاضلي عن السلطان
الى اخيه العادل قد اجتمع عندنا الى مدة الغاية ما يزاحم
سبعة الف فارس وتكاثفت الجموع الى الحد الذي يخرج عن
العد وبعد ان ترتبت احوال حمص حرسها الله نتوجه الى
حماه والى ما بعدها والله المعين على ما ننويه من المشاهد
ونتطعه من طرق الجهاد وقال العماد لما سمع
المدبرون الملك الصالح باقبال صلاح الدين المودن
بادبارهم سقط في ايديهم وراسلوا المواصلة وكاتبوهم
وارسلوا الى صلاح الدين بالاغلاظ والاحفاظ وكان
الواصل منهم قطب الدين ينال بن حسان وقد تجنب
في قوله الاحسان وقال له هذه السيوف التي ملكتك
مصر واشار الى سيفه ايها ترد لك وعما نصدك ثبت
له نصد له فحلم عنه السلطان واحتمله وتغافل كرما

واعقله وخاطبه بما ابا ان يقبله وذكرانه وصل الترتيب
الامور ونه ميب الجمهور وسد الثغور وتربيه وله
نورالدين واستنفاذ لحوم مجدالدين فقالوا له انت
تريد الملك لنفسك ونحن لا نترع في قوسك ولا ناتنس
بانسك ولا نرتاع لحوسك ولا يبني على اسك فارجع حيث
جيت اواجهد واصنع ماشيت ولا تطمع فيما للسرقه مطمع
ولا تطلع حيث ما السعود لك فيه مطلع ونال من تقطيب
القطب ينال كلما احال الحال وابلى البال وابدى له التبسم
واخفى الاحتمال ثم انه استناب اخاه سيف الاسلام
طغتكين بدمشق وسار بالعسكر ونزل على حمص فاخذها
يوم الثلث ثالث عشر جمادى الاولى وامتنعت القلعة
فاقام عليها من يحصرها ورحل الى حماه فاخذها مستهل
جمادى الاخرة ثم مضى ونزل على حلب يحصرها ثالث الشهر
فلما اشتد على الحلبيين الحصار واعوزهم الانتصار استغاثوا
بالاسماعيلية وعيّنوا لهم ضياعا وبذلوا لهم من البدول انواعا
فجاء منهم في يوم بارد نسات منرقبا لهم طاعات فعرفهم الامير
ناصح الدين خمارتكين صاحب بوقبيس وهو كان متاغر
الاسماعيلية فقال لهم لاي شي جيتم وكيف تجاسرتم على الوصول
وما خشيتم فقتلوه وجا من يدفع عنه فاثخنوه وعدا احدهم
ليهجم على السلطان في مقامه وقد شهر سكين انتقامه وطوكه
امير جاندار واقف ثابت ساكن ساكت حتى وصل اليه فشمله

بالسيف

راسه وما قتل الباقون حتى قتلوا عدة ولا قام الا قايم بسنة
وعصم الله تعالى حشاشته في تلك النوبة من سكاكين
الحشيشية فاقام الى مستهل رجب ثم رحل الى حمص بسبب
ان الحلبيين كاتبوا افومص طرابلس وقد كان في اسر نور
الدين مذ كسره حارم وبقي في الاسر اكثر من عشر سنين
ثم فدا نفسه بمبلغ مائة الف وخمسين الف دينار وفكاك
الف اسير فتوجه في الافرنجية الى حمص فلما سمع بالسلطان
رجع ناكصا على عقبيه خوفا مما يقع فيه ويتم عليه ... من
كتاب فاضلي عن السلطان الى العادل قد اعلمنا المجلس
ان العدو خذله الله كان الحلبيون قد استنجدوا واستصباهم
واستطالوا على الاسلام بعد والهم وانه خرج الى بلد
حمص فوردنا حماه واخذنا في ترتيب الاطلاب لطلبه فسار
الى حصن الاكراد متعلقا بحبله مفتضحا بحيله ومدافع
تفتح له ابواب القلوب وظفروا ان كان قد كفى الله فيه القتال
المحسوب فان العدو قد سقطت حشمته واختطت فيه
همته وولى ظهرا كان صدره يطوفه ونكس صليبا كانت
ترفعه شياطينه وقال العماد في الخريدة ولما خيم
السلطان بظاهر حمص فصل المهذب بن اسعد بقصيدة
اولها

ما نام بعد البين يستحلي الكرى . الا ليطرقه الخيال اذا سرى .
كلف بقربكم فلما عاقه . بعد المدى سلك الطريق الاخفرا .

ومودع امر التفرق دمعه ورأيته رفيه كاسح فتحيرا

ومنها في المدح

تروي الكتايب كتبه فاذا عدت لم يدر انفذ اسطوا ام عسكرا
لم تحسن الاتراب فوق سطورها الا لان الجيش يعقد عثيرا

فقال القاضي الفاضل لصلاح الدين هذا الذي يقول

والشعر ما زال عند الترك متروكا

فجعل جايزته لتكذيب قوله وتصديق ظنه فسر قد وجمع له بين الخلعة والضيعه وعنى الفاضل ما قاله في قصيدة في مدح الصالح بن رزيك التي اولها

اما كفاك تلافي في تلافيكا

يقول فيها

يا كعبة الجود ان العمر اقعدني وردني الحال عن مفروض حجيكا
من لم يحج بالاحرام الدهر شغشني جد واه ان خاب سعيي في رجايكا
المدح للترك ابغي الفضل عندهم والشعر ما زال عند الترك متروكا
ام امدح السوقة النوكى لرفدهم واضيعتا ان تخطتني ايا دي كا
لا تتركني وما املت في سعرك سوا لكنا فقل نحو الاهل صعلوكا

قلت وقد مضى ذكر ابن اسعد هذا في اخبار سنة

ثمان وخمسين وسيأتي من شعره ايضا في اخبار سنة
ست وسبعين وثمان وسبعين ومما احسن ما خرج من
الغزل الى مدح ابن رزيك في قوله

تماديني بنا في جاهلية بخلها • وقد قام بالمعروف في الناس
شارع •

وتحسب ليل الشعر تمته بعدما بدا طالعا شمس السخا طلائع •

فصل ثم ارسل السلطان الخطيب شمس الدين
ابن الوزير ابي المضا الى الديوان العزيز برسالة ضمنها
القاضي الفاضل كتابا فايقا طويلا يشتمل على تعداد
ما للسلطان من الايادي من جهاد الفرنج في حياة نور الدين
ثم فتح مصر واليمن وبلاد جمة من اطراف المغرب واقامة الخطبة
العباسية بها يقول في اوله للرسول فاذا قضى التسليم
حق اللقا واستدعى الاخلاص جهد الدعا فليعد وليعد
حوادث ما كانت حديثا يفترى وجواري امور ان قال فيها
كثيرا فاكثر منه ما قد جرى وليشرح صدرا منها لعله يشرح
منا صدرا وليوضح الاحوال المستسرة فان الله لا يعد
سرا ومن الغرايب ان تسير غرايب في الارض ولم
يعلم بها المامون

• ومن الغرايب ان تسير غرايبه في الارض لم يعلم بها المامون
• كالعيس اقتل ما يكون لها الصدى والما فوق ظهورها محمول

فانا كنا نقتبس النار باكفنا وغيرنا يستنير ونستنبط

الما بايدينا وسوانا بستمر ونلقي السهام بنحورنا وغيرنا
يعبد الشلوبيره ونصافح الصفاح بصدورنا وغيرنا
يدعي التصدير ه ولا بد ان نسترد بضاعتنا بموقف العدل
الذي يرد به المغصوب ونظهر طاعتنا فياخذ بحظ الالسنة
كما اخذنا بحظ القلوب وما كان العايق الا انا كنا ننتظر ابتدا
من الجانب الشريف بالنعمة بضاهي ابتدانا بالخدمة وايجابنا
للحق يشاكل ايجابنا للسبق وكان اول امرنا بالشام فتح
الفتوح مباشرين بانفسنا ونجاهد الكفار متقدمين لعساكرنا
نحن ووالدنا وعمنا فاي مدينة فتحت او معقل ملك او عسكر
للعدو كسر او مصاف للاسلام معه ضرب فما يجهل احد صنعنا
ولا يجحد عدونا انا نصطلي الجمرة ونملك الكرة ونتقدم الجماعة
ونرتب المقاتلة وندبر التعبيه الى ان ظهرت في الشام
الاثار التي لنا اجرها ولا يضرنا ان يكون لغيرنا ذكرها
وكانت اخبار مصر تتصل بنا بما الاحوال عليه فيها من سو
تدبير وبما دولتها عليه من غلبة صغير على كبير وان النظام
بها قد فسد والاسلام بها قد ضعف عن اقامة كل من قام
وقعد والعرج قد احتاج من يدبرها الى ان يقاطعهم
باموال كثيرة لها مقادير خطيره وان كلمة السنه بها
وان كانت مجموعة فانها مقموعة واحكام الشريعة وان
كانت مسماه فانها متحاماه وتلك البدع بها على ما يعلم
وتلك الضلال فيها على ما يقضي فيه بزوال الاسلام

ويحكم

335.

ونحكم وذلك المذهب قد خالط من اهله اللحم والدم وتلك
الانصاب قد نصبت الهة تعبد من دون الله وتعظم وتتخذ
فتعالى الله عن شبه العباد وويل لمن عز من تغلب الذين
كفروا في البلاد فسمت هممنا دون همم اهل الارض
الى ان نستفتح مغلقها ونسترجع الى الاسلام شاردها
ونعيد على الدين ضالته منها فسرنا اليها في عساكر ضخمه
وجموع جمه وباموال انتهكت الموجود وبلغت منا المجهود
انفقناها من حاصل ذممنا وكسب ايدينا وسهم اسارى
الفرنج الواقعين في قبضتنا فعرضت عوارض منعت وتوجهت
للمعزيين رسل باستنجاد الفرنج قطعت ولكل اجل كتاب
ولكل امل باب وكان في تقدير الله انا نملكها على الوجه
الاحسن وناخذها بالحكم الاقوى الامكن فغدر الفرنج
بالمعزيين غدرة في مدنه عظم خطبها وخيطها وعلم ان
استيصال كلمة الاسلام محطها فكاتبنا المسلمون من
مصر في ذلك الزمان كما كاتبنا المسلمون من الشام في
هذا الاوان بانا ان لم ندرك الامر والا خرج عن اليد
وان لم ندفع عنا اثم اليوم لم نمهل الى الغد فسرنا بالعساكر
المجموعه وامراء الاجناد المعروفه الى بلاد قد نهب لنا بها
امراء ونعد لنا في القلوب وداد الاول ما علموه من
ايثارنا للمذهب الاقوم واحيا الحق الاقدم والاخر
ما يرجونه من فك اسارهم واقالة عثارهم فنفعل

الله ما لهوا مله . وجا الخبر الى العدو فانقطع حبله وضاقت
به سبله وافرج عن الديار بعد ان كانت ضياعها ورساتيقها
وبلادها واقاليمها قد تعددت فيها اوامره وخفقت
عليها صلبانه ونصبت بها اوثانه وايس من ان يسترجع
ما كان بايديهم حاصلا وان يستنقذ ما صار في ملكهم
داخلا ووصلنا البلاد وبها اجناد عددهم كثير وسوادهم
كبير واموالهم واسعة وكلمتهم جامعة وهم على حرب الاسلام
اقدر منهم على حرب الكفر والحيلة في السر فيهم انفذ من العزيمة
في الجهر وبها راجل من السود لا يزيد على مائة الف كلهم اغنام
اعجام انهم الا كالانعام لا يعرفون ربا الا ساكن قصره
ولا قبلة الا ما يتوجهون اليه من ركنه وامتثال امره وبها
عسكر من الارمن باقون على النصرانية موضوعة عنهم
الجزية كانت لهم شوكة وشكة وحمة وحمية ولهم حواشي
لقصرهم من بين داع تتلطف في الضلال مداخله وتصيب
القلوب مخاتله ومن بين كتاب تفعل اقلامهم افعال
الاسل وخدام يجمعون الى سواد الوجوه سواد النحل
ودولة قد كبر صغيرها ولم يعرف غيرها الكبير ومهابة
تمنع من خطرات الضمير فكيف بخطوات التدبير هذا
الى استباحة للمحارم ظاهرة وتعطيل للفرائض على
عادة جائرة وتحريف للشريعة بالتاويل وعدول الى
غير مراد الله بالتنزيل وكفر سمي بغير اسمه وشرع يتستر

به ويحكم بغير حكمه فما زلنا نسحبهم سحب المبارد للشفار
ونتحيفهم تحيف الليل والنهار للاعمار بعجايب تدبير لا يحمله
المساطير وغرايب تقدير لا تحويها الاساطير ولطيف
توصل ما كان من حيلة البشر ولا قدرتهم لولا اعانة
المقادير وفي اثناء ذلك استنجدوا علينا الفرنج دفعة
الى بلبيس ودفعة الى دمياط وفي كل دفعة منها وصلوا
بالعدد المجمهر والحشد الاوفر وخصوصا في نوبة دمياط
فانهم نازلوها بحرا في الف مركب مقاتل وحامل وبرا
في ما يبي الف فارس وراجل وحصروها شهرين يباكرونها
ويراوحونها ويماسونها ويصابحونها القتال الذي
يصليه الصليب والقراع الذي ينادي به الموت من مكان
قريب ونحن نقاتل العدو من الباطن والظاهر ونصابر
الضدين المنافق والكافر حتى اتى الله بامره وايدنا بنصره
وخابت المطامع من المصريين والفرنج وشرعنا في تلك
الطوايف من الارمن والسودان والاجناد فاخرجناهم
من القاهرة تارة بالاوامر المرهفة لهم وبالامور الفاضحة
منهم وبالسيوف المجردة وبالنار المحرقة حتى بقي القصر
ومن به من خدم وذرية قد تفرقت شيعته وتمزقت
بدعه وخفتت دعوته وخفيت ضلالته فهنالك تم لنا
اقامة الكلمة والجهر بالخطبة والرفع للواء الاسود
الاعظم وعاجل الله الطاغية الاكبر بهلاكه وبرانا من

عهده بمن كان ام حنينه اليسير من ايام ابقائه لانه عوجل
لفرط روعته ووافق هلاك شخصه هلاك دولته
ولما خلا ذرعنا ورحب وسعنا نظرنا في الغزوات
الى بلاد الكفار فلم تخرج سنة الا عن سنة اقتحمت فيها
برا وبحرا مركبا وظهرا الى ان اوسعناهم قتلا واسرا
وملكنا رقابهم قهرا وقسرا وفتحنا لهم معاقل ما خطر
اهل الاسلام فيها مذ اخذت من ايديهم ولا اوجفت
عليها خيلهم ولا ركابهم مذ ملكها اعاديهم فمنها ما حكمت
فيه يد الخراب ومنها ما استولت عليه يد الاكتساب
ومنها قلعة بثغر ايله كان العدو قد بناها في بحر الهند
وهو المسلوك منه الى الحرمين واليمن وغزا ساحل
الحرم فسبا منه خلقا وخرق الكفر في هذا الجانب خرقا
فكادت القبلة ان يستولى على اصلها ومشاعر الله ان
يسكنها غير اهلها ومقام الخليل عليه السلام ان يقوم
به من ناره غير برد وسلام ومضجع الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يتطرقه من لا يدين بما جاء به من الاسلام
ففتح الله هذه القلعة وصارت معقلا للجهاد وموئلا
لسفار البلاد وغيرهم من عباد العباد ثم قال
وكان باليمن ما علم من ابن مهدي الضال الملحد المبتدع
المتمرد وله اثار في الاسلام وثار طالبه النبي عليه
السلام لانه سبى الشرائف الصالحات وباعهن بالثمن

337.

البحس واستباح منهن كل مالا يقر لمسلم عليه نفس
وذان ببدعة ودعا الى قرابيه وسماه كعبه واخذ
اموال الرعايا المعصومه واجاحها واحل الفروج
المحرمه واباحها فانهضنا اليه اخانا بعسكرنا بعد
ان تطلعنا له نفقات واسعه واسلحه رايعه وسار
فاخذناه ولله الحمد واتح الله فيه القصد والكلمه منالا
بمشيه الله الى الهند سامية والى ما يقتضي الاسلام
عدرته متمادية ولنا في الغرب اشراعب وفي اعماله
اعمال دون مطلبها مهالك كما يكون المهالك دون
المطلب وذلك ان بني عبد المومن قد اشتهر ان امرهم
قد امر وملكهم قد عمر وجيوشهم لا تطاق وامرهم
لا يشاق وكن بحمد الله قد تملكنا مما كان دنا منه بلادا
تزيد مسافتها على شهر وسيرنا اليها عسكرا بعد عسكر
فرجع بفتح بعد نصر ومن البلاد الشاميه والا قاليم
الجاميه برقه قفصه فرقه قسطيليه توزر كل ملك بنه
نعام هلكه فيها الخطبة لمولانا الامام المستضيء بالله
امير المومنين سلام الله عليه ولا عهد للاسلام باقامتها
وينفذ فيها الاحكام بعلمها المنصور وعلامتها وفي هذه
السنة كان عندنا وفد فد شاملة وفود الامصار
ورموم باسماع والابصار مقدار سبعون الا كبار
بطلب السلطان بلده نقليد او يرجوا منا وعدا او خاف

وعيدًا وقد صدرت عنا بحمد الله تقاليدها والقيت الينا مقاليدها
وسيدنا الخلع والمناشير والالويه بما فيها من آله والامور والاقضيه
فاما الاعدا المحدقون بهذه البلاد والكفار الذين هنا يلوننا
بالممالك العظام والعزايم الشداد فمنهم صاحب قسطنطينيه
وهو الطاغيه الاكبر والجالوت الاكفر وصاحب المملكه التي
اكلت على الدهر وشربت وقايم النصرانيه الذي حكمت دولته
على ممالكها وغلبت جرت لنا معه غزوات بحريه ومنا وات
ظاهره وسريه ولم يخرج من مصر الى ان وصلتنا رسله في جمعه
واحده نوبتان بكتابين كل واحد منهما يظهر فيه خفض
الجناح والقا السلاح والانتقال من معاداه الى مهاداه
ومن مغاضبه الى مناصحه حتى انه انذر بصاحب صقليه واساطيله
التي تردد ذكرها وعساكره التي يخفى امرها ومن هولاء
الكفار هذا صاحب صقليه كان حين علم بان صاحب الشام
وصاحب قسطنطينيه قد اجتمعا في نوبه دمياط فغلبا
وقسرا وهزما وكسرا اراد ان يظهر قوته المستقله فعمر اسطولا
استوعب فيه ماله وزمانه فله الان خمس سنين يكثر
عدته وينتخب عدته الى ان وصل منها في السنة الخاليه
الى الاسكندريه امر رايع وخطب هايل ما انقل ظهر
البحر مثل حمله ولا ملا صدره مثل خيله ورجله وما هو الا
اقليم بل اقاليم نقله وجيش ما احتفل ملك قط بنظيره
لولا ان الله خذله ومن هولاء الجيوش البنادقه والبيانسه

338.

والمجلوبه كان هؤلاء تارة يكونون غزاة لا نطاق ضراوة ضرهم
ولا نطفا شرارة شرهم وتارة يكونون سفارا يحكمون على
الاسلام في الاموال المجلوبه ويقصر عنهم يد الاحكام
المرهوبه وما منهم الامن هو الان جلب الى بلدنا آله قتاله
وجهاد ويتقرب الينا بما هدّ اطرايف اعماله وبلاده وكلهم
قد قررته معهم المواصله وانتظمت معه المسالمه على ما يريد
ويكرهون وعلى ما يوثرونهم لا يوثرون ولما قضى الله سبحانه
بالوفاة النوريه وكنا في تلك السنه على نية الغزاة والعساكر
قد تجهزت والمضارب قد برزت ونزل الفرنج بانياس
واشرفوا على احتيازها ودارها وهو فرصة مدوا ايديهم انتهازها
استصرخ بنا صاحبها فسرنا مراحل اتصل بالعدو امرها
وعوجل بالهدنة الدمشقيه التي لولا مسيرنا ما انتظم
حكمها ثم عدنا الى البلاد وتوافقت الينا الاخبار بما المملكه
النوريه عليه من تشعب الاراء وتوزعها وتشتت الامور
وتقطعها وان كل قلعة قد حصل فيها صاحب وكل جانب
قد طمح اليه طالب والفرنج قد بنوا قلاعا يتحيفون بها
الاطراف الاسلاميه ويضايقون بها البلاد الشاميه وامرا
الدولة النوريه قد سجن كبارهم وعوقبوا وصودروا
والمماليك الاغمار الذين خلقوا للاطراف لا للصدور
وجعلوا للقيام لا للقعود في المجلس المحظور قد مدوا
الايدي والاعين والسيوف وساءت سيرتهم في الامر

بالمنكر والنهي عن المعروف وكل واحد يتخذ عند الفرنج
يدًا ويجعلهم لظهره سندًا وعرفنا ان البيت المقدس ان
لم تتيسر الاسباب لفتحه وامر الكفر ان لم يجرد العزم في قلعه
والا نبتت عروقه واتسعت على اهل الدين خروقه وكانت
الحجة لله قائمه وهمم القادرين بالقعود اثمة وانا لا نتمكن
بمصر منه مع بعد المسافه وانقطاع العمارة وكلال الدواب
التي بها على الجهاد القوه واذا جاورناه كانت المصلحه بادية
والمنفعة جامعه واليد قادره والبلاد قريبه والغزوه
ممكنه والميره متسعه والخيل مستريحه والعساكر كثيره
الجموع والاوقات مساعده واصلحنا ما في الشام من عقايد
مختلفه وامور مختلة وآرا فاسده وامر امثالها فاسده واطماع
غالبه وعقول غايبه وحفظنا الولد القايم بعد ابيه فانا
به اولى من قومه يا كلون الدنيا باسمه ويظهرون الوفا في
خدمته وهم عاملون بظلمه والمراد الان هو كل ما يقوي
الدولة ويولد الدعوة ويجمع الامة ويحفظ الالفة ويضمن
الرافة ويفتح بقية البلاد وان يطبق بالاسم العباسي
كل ما تطيقه العهاد وهو تقليد جامع لمصر والمغرب واليمن
والشام وكل ما تشتمل عليه الولاية النوريه وكل ما يفتحه
الله للدولة العباسيه بسيوفنا وسيوف عساكرنا
ولمن نقيمه من اخ او ولد من بعدنا تقليدًا يضمن للنعم
تخليدًا وللدعوة تجديدًا مع ما ينعم به من السمات التي فيها

الملك

339.

الملك وبالجملة فالشام لا ينتظم امره بمن فيه دفتح البيت
المقدس للبسرلة قرن يقوم به ويكفيه والفرنج فهم يعرفون
منا خصما لا يمل السّرحتى يملوا وقرنا لا يبرال محروم السيف
حتى يجلوا واذا شد رايتا حسن الراى ضربنا بسيف يقطع
في غمده ويلغى المنا بمشية الله وبيد كل مومن تحت يده
واستنقدنا اسيرا من المسجد الذى اسرا لله اليه بعبده

ومن كتاب اخر فاضلى عن السلطان الى الديوان
في بغداد مماله من الايادى قال والذى اجراه الله تعالى
على يد المملوك من الممالك التى دوخها وسنن الضلال التى نسخها
وعقود الالحاد التى فسخها ومنابر الباطل التى رخصها
وحجج الزندقة التى دحضها فلله عليه المنة فيه اذ اهله
لشرف مشهده وما فعله الا لوجهه وبيد الله كانت عونه
دالا فقد مضت الليالى والايام على تلك الامور وما تحركت
للفلك من قلعها نابضه وعبرت الاحوال على تلك البدعة
وما ثارت لافتراسها رابضه فتشكر يد الله فيما اجراه على
يده منها ان يجتهد في اخرى مثلها في الكفار وقد عاد
الاسلام الى وطنه وصوحت من الكفر خضرا دمنه

ومن كتاب اخر للفاضل يذكر فيه اعادة صلاح الدين
الخطبة بمصر للدولة العباسية يقول فيه حتى ان الدنيا
ان يجدها فيقضى من الامر ما قضى واسخط من لله في سخطه
رضا وحيل وجد لا يبس السوا د مبيضا فادركهم بثار

نامت عنه الهمم ودوخت عليه الامم وشفا الصدور وجاء
بالحق الى من غمرته بالله الغرور واستبضع الى الله تجارة
لن تبور ومن كتاب اخر قد بورك للخادم في الطاعة
التي اليسر الاولى اشعارهما وامضى في الاعدا اشفارها وجمع
عليها الدين وكان اديانا واستقامت بها القلوب على صفة
التثليث وكانت الوانا ومن كتاب اخر لم يسكن
سبب خروج المملوك من بيته الا وعد كان انعقد بينه وبين
نور الدين رحمه الله تعالى ان يتجاذبا طرفي الغزاة من مصر والشام
المملوك بعسكري بره وبحره ونور الدين من جانب سهل
الشام ووعره فلما قضى الله بالمحتوم على احدهما وحدثت
بعد الامور امورا شهدت للمسلمين عورات وضاعت
ثغور وتحكمت الآرا الفاسدة وفورقت المحاج القاصدة
وصارت الباطنية بطانة من دون المؤمنين والكفار محولة
اليها جزى المسلمين والامرا الذين كانوا للاسلام قواعد
وكانت سيوفهم للنصر موارد يشكون ضيق حلقات
الاسار وتطرق الكفار بالبنا في الحدود الاسلامية
ولا خفا ان الفرنج بعد حلولنا بهذه الخطة قاموا وقعدوا
واستنجدوا علينا النصرانية في الاقطار وسيروا
الصليب ومن كسي مذابحهم بعمامة وشدوا طاعته كلهم
باشراط القيامة ونهدوا البطارقة والقسيسين
برسايل صدورهم يصدرونه ممن يسمونهم القديسين

وقالوا

340.

وقالوا ان الفعله ان وقعت او وقعت فيما لا يستقيم ركب
قاربه وان كلا من صاحب قسطنطينيه وصاحب صقليه
وملوك الالمان وملوك ما وراء البحر واصحاب الجزاير
كالبندقيه والبيشانيه والجنويه وغيرهم قد تاهبوا
بالعماير البحريه والاساطيل القويه والاسلام باامير
المومنين اعز ناصر الاسلام وهم ينصرون باطلا وهو ينصر
حقا وهو يعبد خالقا وهم يعبدون خلقا

فصل

قال العماد وكنت بالموصل فسيرت نظم مرثية في نور
الدين فنظمت بعد عودي الي دمشق في رجب

الدين في ظلم لغيبة نوره … والدهر في غم لفقد اميره
فليندب الاسلام حامي اهله … والشام حافظ ملكه وثغوره
ما اعظم المقدار في اخطاره … اذ كان هذا الخطب في مقدوره
ما اكثر المتاسفين لفقد من … قرت نواظرهم بفقد نظيره
ما اعوص الانسان في نسيانه … او ما كفاه الموت في تذكيره
من للمساجد والمدارس بانيا … لله طوعا عن خلوص ضميره
من ينصر الاسلام في غزواته … فلقد اصيب بركنه وظهيره
من للفرنج ومن لاسر ملوكها … من للهدى يبغي فكاك اسيره
من للخطوب مذللا لجماحها … من للزمان مسهلا لوعوره
من كاشف للمعضلات براية … من مشرق في الداجيات بنوره
من للكرام ومن لنعش عثارهم … من لليتيم ومن لجبر كسيره
من للبلاد ومن لنصر جيوشها … ومن للجهاد ومن لحفظ اموره

من للفتوح محاولا ابكارها ... بر واجه في غدوه وبكوره
من للعلا وعهودها من للهدى ... ووفوده من للحجا ودثوره
ما كنت احسب ان نور محمد ... يخبو وليل الشرك في ديجوره
اعزز علي بليث غاب للهدى ... يخلو الشرى من زوله وزئيره
اعزز علي بان اراه مغيبا ... عن محفل مشرق بحضوره
لهفي على تلك الانامل انها ... مذ غيبت غاض الندى ببحوره
ولقد اتى من كنت تحرس سمحه ... فضع العلامة منك في منشوره
ولقد اتى من كنت تكشف كربه ... فارفع ظلامته بنصر عشيره
ولقد اتى من كنت تؤمن سربه ... وقع له بالامن من محذوره
ولقد اتى من كنت تؤثر قربه ... فادم له التقريب في تقريره
والجيش قد ركب العداة لعرضه ... فاركب لميمنه او ازعوره
انت الذي احييت شرع محمد ... وقضيت بعد وفاته بنشوره
كم قد حميت من الشريعة معلما ... ومنارة عبثت معرض لدثوره
كم قد امرت بحر خندق معقل ... حتى سكنت اللحد في محفوره
كم قيصر للروم رمت بقسره ... اذ ثار ابيض الهند من ثاموره
او ثنيت فتح حصونه وملكته ... عفوا بلا اذن وسبيت اهل قصوره
اذ ملت في دار الفنا واهلها ... ورغبت في الخلد المقيم وحوره
اوما وعدت القدس انك منجز ... ميعادك في فتحه وطهوره
فمتى تجير القدس من دنس العدى ... وتقدس الرحمن في تطهيره
يا حاملين سريره مهلا فمن ... عجب لهم وضعكم بحمل سريره
يا غابرين بنعشه انتم ... من صالح الاعمال نشو عبيره

نزلت

• نزلت ملائكة السما لدفنه • مستجمعين على شفير حفيره •
• ومن الجماعة مقامي بعده • هلا وفيت وسرت عند مسيره •
• حياك معتل الصبا بنسيمه • وسقاك منهل الحيا بدروره •
• ولبست رضوان الاله مصاحبا • اذ بالسندس خضره وحريره •
• وسكنت عليين في فردوسه • حلف المسرة ظافرا باجوره •

قال العماد وجاء كتاب الى الموصل وذكر انه فارق صلاح الدين بقرب دمشق بالكسوة وهو الآن يستكمل من ملك دمشق الحظوة فيها جنى الطرب لفصل لسان يومعرفته وقدم وقد تقدمت دمشق على طريق البرية والسلطان على حلب وكان العماد في عقابيل الم فلما شفي وعاد السلطان الى حمص فوصل فيها وقد تسلم قلعتها في شعبان في الحادي والعشرين منه قال وكنت نظمت قصيدة في الشوق الى دمشق والتاسف عليها ثم جعلت مدح السلطان مخلصها • وهي طويلة اولها •

• اجيراننا جيرون مالي مجير سوى • عطفكم فاعدلوا وتجوروا •
• ومالي سوى طيفكم زائر فلا • تمنعوه اذا لم تزوروا •
• يعز علي بان الفؤاد لديكم • اسير وعنكم اسير •
• وما كنت اعلم اني اعيش • بعد الاحبة اني صبور •
• وقد ادمعي عبرات البكا • وقلبي وصبري كل غدور •
• الى ناسر باناسر صبوة • لها الوجد داع وذكرى مثير •
• يزيد اشتياقي وينمو كما • يزيد يزيد ويثور ثور •

ومن بردى برد قلبي المشوق فهاأنا من حرّه مستجير
وبالمرج مرج عيشي الذي على ذكره العذب عيشي مرير
فقدته فقدت الحياة ويوم اللقا يكون النشور
نظاول لسولي عند العصير فعن بشله اليوم باعي قصير
وكن لي بريدا ببابي البريد فانت بأخبار شوقي خبير
مع تجد الذي بالعزّ نشر خوامش اسر منها الهجير
ونحو الجليجل الرحي المطى لعكه حل بها المرام الخطير
نرا الى الجبح باد نا ضمّ نده مطا يا يراها الوجا والقصير
وعند القطيفة المشتهاة فطوف بها للاماني سفور
ومنها بكوري نحو العصير ومنية عمري ذاك البكور
وياطيب بشراي من جلّق اذا جاءني بالنجاح البشير
وتستبشر الاصدقا الكرام منا الكرام ونوفا النذور
تروك بالسلامة يوما تكون بباب السلامة مني عبور
وان جوارى بباب الصغير لعمري من العمر حظ كبير
وما جنة الخلد الا دمشق وفي القلب شوقا اليها سعير
ميادينها الخضر فيح الرحاب وسلسالها صاف نمير
وجامعها الرحب والقبة المنيفة والفلك المستدير
وفي قبة النسر لي ساكن بهم المكارم افق منير
وباب الفراديس فردوسها وسكانها احسن الناس حور
ولا زره فالسهم فالنيربان فجنات مزتها فالكفور
كأن الجواسق ما حولها بروج تطلع منها البدور

الجبور

يقير بها

342.

بنهرها تجري الهموم • بروينها يجري السرور
وما عرفي الربوة العاشقين • بالحسن الا الربيب الغرور
وعند المغارة يوم الخميس • اغار على القلب مني مغير
وعند المنيبع عين الحياة • مد الدهر نابعه ما تغور
بجسر ابن شواش ثم السكون • لنفسي بنفسي تلك الجسور
ومن الشرك الشر الشر العبور • على جسر جسرين الى جسور
وكم بت الهوى يوم الحبيب • في بيت لها ونام الغيور
فاين اغتباطي بالغوطتين • وتلك الليالي وتلك العطور
واشجار سطرا بدت كالسطور • نمقهن البليغ المصير
واين تاملت فلك يدور • وعين تفور وبحر يمور
واين نظرت نسيم يرق • وزهر يروق وروض نضير
الا ام الغساوة يا قاسيون • وبين السنا يتجلى سنير
ومنذ ثوى نور دين الاله • لم يبق للدين والشام نور
وللناس بالملك الصلاح صلاح • ونصب وخير
هو الشمس افلاكه في البلاد • ومطلعه سرجه والسرير
اذا ما سطا او حبا واحتبى • فما الليث من حاتم ما ثبير
بيوسف مصر وايامه • تقر العيون وتشفى الصدور
ملكت فاسجح فما للبلاد • سواك مجير ومولى نصير
وفي معصم الملك للعز منك • سوار ومنك على الدين سور
لك الله في كل ما تبتغيه • بحق ظهير ونعم الظهير
اما المفسدون بمصر عصوك • ومدى ديارهم اليوم فور

النامر

اما الادعيا بها اذ تسلطت ٭ لابعادهم زال منك النفور ٭
ويوم الفرنج اذا ما لقوك ٭ عبوس بما عمهم قمطرير ٭
نهوضا الى القدس يشفي الغليل ٭ بفتح الفتوح وما ذا عسير ٭
سل الله تسهيل صعب الخطوب ٭ فهو على كل شي قدير ٭
اليك تجير ملوك الزمان ٭ فما لك والله فيهم نظير ٭
ومجدك فيه الغنى والغناء جميعا ٭ وفخر الجميع الفخور ٭
وانت تزلزل ما للفرنج ٭ وعندهم لا تزال الثبور ٭

فصل في فتح بعلبك

قال العماد ولما فرغ السلطان من حمص وحصنها سار الى بعلبك فتسلمها في رابع شهر رمضان قال ابن ابي طي وكان بها خادم يقال له يمن فلما شاهد لزوم عسكر السلطان اضطرب في امره وراسل من بحلب على جناح طاير فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الامان وسلم بعلبك الى السلطان قال العماد ومدحته بابيات ٭ منها ٭

بفتوح عصرك يفخر الاسلام ٭ وبنور نصرك تشرق الايام ٭
وبفتح قلعة بعلبك تمهدت ٭ هذي الممالك واستقام الشام ٭
وبكى الحسود دما وثغر الثغر من ٭ فتح بنصرك للهدى بسام ٭
فتح تسنى في الصيام كاننا ٭ شكرا لما منح الاله صيام ٭
من ذا راى في الصوم عيد سعادة ٭ حلت لنا والفطر فيه حرام ٭
اسدا اصلاح الدين والدنيا بدا ٭ بنوالها سوق الرجا تقام ٭

فتح بعلبك

فمنها

343.

فتملَّ فتحك وافتح القدس الذي • حصوله لفتوحك الاتمام
دُم للعلى حتى يدوم نظامها • واسلم بعز بنصرك الاسلام

قال ولزمت خدمته ارحل برحيله وانزل بنزوله
وكنت ليلة عنده وهو يذكر جماعة من شعرا الزمان
وعنده ديوان الامير مؤيد الدولة اسامة بن مرشد
بن منقذ الملك على بن منقذ وهو به مشغوف وخاطره
على تامله موقوف والى استحسانه مصروف وقد استحسن
قصيدة له طائية لو عاش الطائيان لاقرا بفضلها وان
خواطر المبتكرين ليقصر عن مثلها على ان الشعرا المحدثين
ما منهم الا من نظم على رويها ووزنها واستمد خصب
خاطره من مزنها فمنهم المعرى وابن ابى حصينه والارجاني
والصالح بن رزيك وقد اوردت جميعها فى كتاب الخريدة
ومطلع قصيدة المعرى

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا •

فنظمت فى السلطان وهو على بعلبك بتاريخ السلخ
شعبان قصيدة طائية • منها

عفا الله عنكم ما لكم ايها الرهط • قسطتم ومن قلب المحب لكم قسط •
شرطتم لنا حفظ الوداد وخنتم • حنانيكم ما هكذا الود والشرط •
جعلتم فؤاد المستهام يكم لكم • محطا فعنه تقل بكم حطوا •

ملكتم فانكرتم قدام مودتي • كان لم تكن في البين معرفة قط
فدت مهجتي من لا يدوم لمهجتي • اذا حالمته وهو في الحكم مشتط
وما كنت ادري قبل سطوة طرفه • بان ضعيفا فاتراً مثله يسطو
واهيف للاشفاق من ضعف خصره • يخل نطاقا للقلوب به ربط
يلازم قلبي في الهوى القبض منه • يلازم كف الناصر الملك البسط
مليك حوى الملك العظيم بضبطه • لديه وما للمال في يده ضبط
اذا التمت ايدي الملوك فعنده • مدى الدهر اجلالا لانه تلثم البسط
عنا لك طوعا نيل مصر ودجله • العراق ودان العرب والعجم والقبط
وللنيل شط نيهاي سيبه به • ونيلك للراجين نيل ولا شط
عدوك مثل الشمع في نار حقده • له عنق صلاح فاسلم القط
ثمانية وثمانون بيتا وسعادة الامر فصل في
طائية في السلطان بالي ذكرها قال العماد ولما
وصلت الى السلطان ورغبت منه في الاحسان وجدته
لامري متغفلا ولشغلي مهملا ثم عرفت ان حسادي قالوا
له متى لعدت ديوان الكتابة الى العماد وهو لا شك محل
الوثوق والاعتماد وهذا منصب الاجل الفاضل وهو عنده
في اجل المنازل بهما صافي صدره وتشعث سره فلما عرفت
هذا المعنى لجات الى الفضل الفاضلي لانه في يعنى فقام
بامري وتوم بعدري واراح سري وشد ازري ١

فصد

344.

فصل فيما جرى للمواصلة والحلبيين

مع السلطان في هذه السنة قال ابن شداد
ولما احس سيف الدين صاحب الموصل بما جرى علم ان
الرجل قد استفحل امره وعظم شانه وعلت كلمته
وخاف انه ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقر
قدمه في الملك وتعدى الامر اليه فجهز عسكرا وافرا
وجيشا عظيما وقدم عليهم اخاه عز الدين مسعودا وساروا
يريدون لقا العدو والسلطان وضرب المصاف معه ورده
عن البلاد فوصل الى حلب والسلطان بحمص وانضم اليهم
من كان بحلب من العسكر وخرجوا في جمع عظيم ولما عرف
السلطان مسيرهم سار حتى وافاهم في قرون حماه
وراسلهم وراسلوه واجتهد ان يصالحوه فما صالحوه
وراوا ان المصاف ربما نالوا به الغرض الاكبر والمقصود
الاوفر والقضا يجر الى امور وهم بها لا يشعرون فوقع
المصاف بين العسكرين فقضى الله تعالى ان انكسروا بين
يديه واسر جماعة منهم ومن عليهم واطلقهم وذلك عند
قرون حماه في تاسع عشر شهر رمضان ثم سار عقيب
انكسارهم ونزل على حلب وهي الدفعة الثانية وصالحوه
على ان اخذ المعرة وكفر طاب وبارين وقال العماد
لما تسلم السلطان قلعة بعلبك عاد الى حمص وقد وصل
عز الدين مسعود صاحب الموصل الى حلب بجده ولما عرفوا

اخوه

ان السلطان مشغول بالحصون ارجاو الى حماه فحصروها
واسلموا الى الصلح فقدم السلطان في خف من اصحابه وجاد
كمشتكين وابن العجمي وغيرهما واجابهم السلطان الى ما طلبوا
وان يرد عليهم الحصون وان يقنع بدمشق نايبا عن الملك
الصالح وله خاطبا وعلى الايمة اليه مواظبا وان يرد
كل ما اخذ من الخزانة وان يسلك فيه سبيل الامانة
فلما راوه مجيبا لكل ما يلتمس منه وهو في عسكر خفيف
قالوا ما حزم صحيح فشرعوا في الاشتطاط وطلبوا الرحبة
واعمالها فقال هي لابن عمي ناصر الدين محمد بن شيركوه وكيف
الحق به في رضاكم للمكروه فنفروا وجفلوا واصبحوا على
الرحيل الى جانب العاصي قريبا من شيزر وجمعوا العسكر
واظهروا انهم على المصاف وعزم الانتصاف فعبر السلطان
الى سفح قرون حماه خيامه وركز على مقابلتهم اعلامه
وزحف العسكر المصري في عشرة من المقدمين منهم فرخشا
واخوه تقي الدين والتقوا فهزمهم السلطان ونزل في منزلهم

قال العماد ونظمت في هذه الوقعه في مدح ناصر
الدين محمد بن شيركوه قصيدة فقد كان له فيها غنا
وبلا حسن

منها

ولقد الفت نفارها ونفورها اذ للسرينكر للظبا نفاد
يا جارة للقلب جايرة دعي ظلمي والا فلت جار الجار
قلبي كطرفك ما يفيق افاقة سكران ما دارت عليه عقار

صبت

صبٌّ يصبّ الدمع محمرّ والحشى ۞ خطرت ببالك بلاية الاخطار

لم يخش من خطر الهوى حتى حمى ۞ ذاك الغرام شبيهه الخطار

يذري الدموع كانهن عوارض ۞ لابن المملك شبه كوم عزار

من آل شادي الشايدين بني العلا ۞ اذ كان لهم ذم وشفار

حسنت بهم للدولة الايام ۞ والاعمال والاحوال والاثار

قد حاز ملك الشام يوسف الذي ۞ في مصر تغبط عصره الاعصار

نصر الهدى فتوطد الاسلام في ايامه ۞ وتضعضع الكفار

لما لقيت جموعهم منظومة ۞ صيرت ذاك النظم وهو نثار

تهب الالوف ولا تهاب الوفهم ۞ هان العدو لديك والدينار

لما جرى العاصي بمالك طائعا ۞ من بعد ما ابى فخرت به الانهار

وتحطمت عند العزو رفدوهم ۞ بيد كلّت الانياب والاظفار

عمرو المعزة مالكين معزة ۞ والعار ملك تارة وبعار

او ما كفاهم يوم حمص وكفرهم ۞ في بعلبك بمثلها الانذار

قال ومما قال الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ۞
ابن ايوب بقصيدة منها

لا تعترض قدر الفراق الا دمعا ۞ فهي الشهود على الغرام المدعى

واستبق صبرك ما استطعت فانه ۞ عون لقلبك ان مما بيننا
معا

قلبك اصابته العيون ولم يزل ۞ من مسها بالهاجسات مروعا

ما باله قد صد عنه صدودهم ۞ عني وملا ودعوني ودعا

ومن التحير التي البصرية في طعنهم وسالت عنه الاظلعا
اصبحت اذ شيعتهم لنلته صبري وعضي والفواد مشيعا
او ما القسم حين تزعم سرية فيه تقي الدين ذا الك الاروعا
عمر بن شاهنشاه من لموعا مو اركان ملك الشام حين تضعضعا
خضع العدو ود لبعد نعز ره لكم وحق عدوكم ان تخضعا
من معشر عو بروں جميع ما لم يبذلوه في السماح مضيعا
في مصر واليمن اختليسا منهم في عصرنا نبعا ليوسف تبعا
احاو بان بملك مصر ومكة والشام واليمن الخطابا ان ربعا
لما عصى الاعدا بالعاصي جرى بدمائهم طوعا سهولا دفعا
وقال ابن ابي طي لما تسلم السلطان بعلبك وازاح
عللها عاد الى حمص ونزل بها فاتصل به وورد عز الدين مسعود
اخي سيف الدين صاحب الموصل نجدة للملك الصالح وكان
سببه ورود ان جماعة امرا حلب لما كان السلطان
نازلا على حلب اجمعوا ارائهم وكاتبوا سيف الدين والزموه
نجدة ابن عمه واخبروه ان السلطان متى ملك حلب
لم يكن له قصد الا الموصل وارسلوا بذلك امير الدين هاشما
خطيب حلب وقطب الدين ينال بن حسان وعز الدين قليج
وكان سيف الدين مبارزا لسنجار وفيها اخوه عماد الدين
زنكي وكان عماد الدين قد اظهر الانتما الى السلطان فانجدهم
السلطان بقطعة من جيشه فلسرهم وبهم عماد الدين
بهم وبعسكره فلما وصلت رسالة الحلبيين الى سيف الدين

صالح

صالح اخاه عماد الدين وحشد عسكره وانفذ تجريدة مع اخيه
عز الدين مسعود فورد حلب بعد رحيل السلطان عنها الى
بعلبك فاغتنم الحلبيون بعد السلطان عنهم فاحتشدوا
وخرجوا جميعا حتى حصروا على حماه واخذوا في حصارها واتصل
بالسلطان ذلك فرحل من بعلبك الى حمص وبلغ عز الدين
فعاد عن حماه ونزل قريبا من جباب التركمان الى جهة العاصي
الى قريب من شيزر وراسل النايب بحماه على ابن ابي الفوارس
يقول له انما وصلت في اصلاح الحال ووضع اوزار القتال
وساله مكاتبة السلطان فيما جمع الكلمة ويلم شعث الفرقة
فكتب ابن ابي الفوارس بذلك الى السلطان وحسن له الصلح
وتلطف في ذلك غاية التلطف وقدم ابو صالح ابن العجمي وسعد
الدين كمشتكين لطلب الصلح فاجابهما السلطان الى ما ارادا
وتقرر الامر على انه يرد اليهم جميع الحصون والبلاد وتقنع
بدمشق وحدها ويكون نايبا للملك الصالح فلما عاد سعد
الدوله لاجابة السلطان الى الصلح والنزول عن جميع الحصون
التي اخذها حمص وحماه وبعلبك طمع في جانب السلطان
وتجاوز الحد في الاقتراح وطلب الرحبة واعمالها فقال مي
لابن عمي ولا اسبيل الى اخذها فقام سعد الدين من بين يديه
نافرا وكان ذلك براي ابي صالح بن العجمي لانه كان معه فاجتهد
السلطان به ان يرجع فلم يفعل وخرج الى عز الدين مسعود
وكان بعد نازلا على حماه وحدثه ما دار بينه وبين السلطان

ويهون عليه ابو صالح امر السلطان واخبرهم بقلة من معه
وكان السلطان لما لوتب في امر الصلح سار في خف من اصحابه
فلما علموا بذلك طمعوا في جانبه وعولوا على لقائه وانتهاز
الفرصة في امره فكاتب باقي اصحابه واستنفدهم لحربهم
وسار الى ان نزل على قرون حماه واخذ في مدافعة الايام
حتى يتقدم عليه باقي عسكره وراسلهم في التلطف للاحوال
فلم ينجع فيهم حال وكانوا في كل يوم يعزمون على لقائه وقتاله
فيبطل عزمهم بمراسلة يشغلهم تسويفا للاوقات وتقطيعا
للزمان حتى يتقدم عليه عسكره وكانت هيبته قد ملأت
صدور القوم ولولا ذلك لكانوا قد بادروا الفرصة ونالوا
منه الغرض وفي يوم الاحد تاسع عشر شهر رمضان التقوا ولم
يكن وصل للسلطان كردوس واحدا واخذوا يهونون
يمنة ويسرة ويدافعون الاوقات رجا ان يتصل بهم
بعض العسكر وضرب عسكر حلب والعسكر الموصلي
على اصحاب السلطان حتى شاهد واقلتهم واجتماعهم
وكاد اصحاب السلطان يولون الادبار فوصل تقي
الدين عمر عند الحاجة اليه التمام سعادة السلطان
فانه لو تاخر ساعة انكسر عسكره فوصل تقي الدين
في عسكر مصر وجماعة من الامرا وهم غير عالمين بان الحرب
قايمة فلما راوا الناس في الكر والضرب الهبر حملوا جميعا
بعد ان افترقوا في الميمنة والميسرة فصدموا عسكر

347

الموصلي صدمة ضعضعتهم وكان السلطان في هذه المرة قد
كاتب جماعة من عسكرهم واستفسدهم اليه وحمل اليهم الاموال
وهذا هو الذي بطا بهم الى ان وصلت عساكرهم والا لو كان
عسكر حلب فتح لم يقدر السلطان على الثبوت ساعة فلما
اشتد القتال لم تنصح الجماعة التي كاتبها السلطان بل
كانوا منبطين نحو فيمن قرب منهم ثم انهم بعد ذلك انهزموا
وتبعهم عسكر السلطان واستباحوا اموالهم وخيامهم وامر
السلطان اصحابه ان لا يوغلوا في طلبهم ولا يقتلوا من راوه
منهزما ولا يدفعوا على جريح ورحل حتى نزل في منزلهم ثم سار
من وقته مجدا حتى نزل بمرج قراحصار ولم يزل هناك حتى عيد
عيد الفطر فجاته رسل الملك الصالح على ما في يده وما هو جار
تحت حكمه من الشام الاسفل الى بلد حماه فلم يرض بذلك فجعلوا
له مع حماه المعرة وكفرطاب فرضي بذلك وحلف على نسخة
رايتها وعليها خطه فائدة وكان في جملة اليمين انه متى
قصد الملك الصالح عدو حضر بنفسه وجيوشه ودافع عنه
وان لا يغير الدعا له من جميع منابر البلاد التي تحت يد السلطان
وولايته وولاية اصحابه وان تكون السكة باسمه ولما حلف
السلطان والملك الصالح وامراوهم عاد السلطان قاصدا
دمشق فلما وصل الى حماه وصلت اليه رسل الخليفة المستضي
ومعهم التشريفات الجليلة والاعلام السود وتوقيع من
الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام وفي هذه الخلع

وقول ابن سعدان الحلبي

يا ايها الملك الغزير فضله ... لقد غدوت بالعلى مليا

نعم امير المومنين شرفا ... انك اصبحت له وليا

طاوعك الود على سخط النوى ... فكنت ذاك الصادق الوفيا

اولاك من لباسه زخرفة ... لم يوتها قبلك ادميا

ناسبت الروض سنا وبهجة ... حتى حكته رونقا وزيا

قال ورحل السلطان من حماه الى بعرين وكان فيها فخر
الدين مسعود بن الزعفراني وكان خرج الى السلطان لما وصل
الى الشام وتطارح عليه وخدمه وظن ان السلطان يقدمه
على عساكره فلم يلتفت اليه فترك السلطان وعاد الى حصن
بعرين فاغضب ذلك السلطان وسار اليه وحاصره حتى
تسلم حصنه وقال العماد ونزل السلطان فرتب
حصار بعينه الحصار فجاءت رسلهم بالانقياد واجابوا الى المراد
وقالوا اقنعوا انما اخذتموه الى حماه ولا تشمتوا بنا العداة
فاستردنا عليهم كفرطاب والمعرة واستوفينا عليهم
الايمان المستحقة وسالناهم في المعتقلين اخو مجد الدين فاطلقوا
واعتذروا عنهم وتم الصلح وعم النجح ورحلنا ظاهرين ظافرين
ونزلنا حماه يوم الاثنين ثاني عشر شوال ووصلت اليه بها
رسل الديوان العزيز بالتشريفات والتقليد بما اراد من
الولايات وافاضوا على السلطان واقاربه الخلع وخصوا ناصر
الدين محمد بن شيركوه بمزيد تفضيل على اقارب السلطان

وكانت

348.

وكانه رعاية لحقوق والده اسد الدين رحمه ثم تسلم السلطان حصن
بعرين وكان بيد الامير فخر الدين مسعود بن الزعفراني وهو من
اكابر امرا نور الدين وذلك في اواخر شوال واقطع مدينة
حماه لابن خاله وصهره الامير شهاب الدين محمود وانعم بحمص
على ابن عمه ناصر الدين قال العماد واذكر انا عبرنا نهر
العاصي عابدين وقد انكسفت الشمس وادهم النهار وغلب
على القلوب الاستشعار وطاحت الانوار وخفيت الرسوم
وظهرت النجوم وجينا حمص ثم بعلبك ثم البقاع ووصلنا
دمشق في ذي القعدة فصل قال العماد وقد سبق
ذكر ما قرره خشنا ذي في خاطر السلطان وقالوا اشغله المكاتبة
وهي منصب الاجل الفاضل وهو يستنيب فيه من يراه من
الافاضل وهذا الشرفه بوفه جزيل ووجه جميل والسلطان
مع شدة رغبته متوقف والى ظهور وجه النجاح في امره
متشوف وكنت قد لبست مدة مقامي بالمعسكر مذ ذي الحجة
والمحرم ومورد الكرم والمصدر الامير نجم الدين مصال
وهو ذو افضال وافضال وقبول واقبال وله من السلطان
ومن الفاضل الجلالة قدر واجلال وجد مال الى فضله ونباهته
ونبله وكان ابوه قد وزر للحافظ في اخر عهده متفردا
بسودده ومجده وكان من اهل السنة والجماعة والتقى
والورع والعفاف والطاعة وله يد عند السلطان في النوب
التي قصدوا فيها مصر واجزل عنده الاحسان والبر لا سيما

عند كونه بالاسكندرية محصورًا وكان احسانه مشكورًا
واعتناؤه بحفظه مشهورًا فلما ملك احبة واختار قربه
فلزمت له التودد واليه التردد وجعلته الوسيط
بيني وبين الاجل الفاضل واتخذته من انجح الوسايل
ووقفت خاطري على نواحيه نظمًا ونثرًا ورسالة وشعرا

فمن ذلك ما كتبته اليه

لعل نجم الدين ذي الفضل • يذكر الفاضل في شغلي •
ان اجل الناس قدرًا فتى • بفضله ابتغي من اجلي •
ومثله من يعتني بالعلا • ويستديم الحمد من مثلي •

واول ما كتبته للفاضل مدحه
حال لعبه بحمص في شعبان منها •

عاينت طود سكينة ورايته شمس فضيلة وورد بحر
فواضل •

ورايت سحبان البلاغة ساجدًا ببيانه ذيل العجز لوايل •
البحر تنشا في الفصاحة معجزًا فتعرفت الي فيها من باقل •
حلف الحصافة والفصاحة والسماحة والحماسة والتقى والنايل •
بحر من الفضل الغزير خضمه • طامي العباب وماله من ساحل •
وجميع ما في الارض تشبعه الجر • وتحور لتمسي بعشر انامل
في كف قلم يجعل جريه • ما كان من اجل ورزق واجل
تجري والجري الحسام اذا جرى حذاه بل جرى القضا النازل
نابت كتابته مناب كتيبته • كفلت بهزم كتايب وجحافل

349.

فعدوه في عدوه ووليه • في عدله الكرم يعاد دعا دل •
ديان من ما التقى صادا الى كسب المحامد وهي خير مناهل •
يا واحد العصر الذي بذ الورى • فضلا بغير مشابه
ومشاكل •
مالي وجاه الخاملين فاغنني • عنهم بغنيتهم وجد بالجاه لي •
ارجوك معتنيا الذي السلطان لي • كرما فمثلك يعتني
بأماثلي •
فترى الشغل المبجل مخليا • بالي من الهم المهم الشاغل •
قال فدخل الفاضل الى السلطان وعرفه انه في رغبة
وقال انا لا يمكنني الملازمة الدائمة في كل سفر وغدا
فكانتك ملوك الاعاجم ولا يستغني في الملك عن عقد
المطلقات وحل التراجم والعماد يفي بذلك ولك اختياره
وقد عرف في الدولة النورية مقداره واخذ لي خط
السلطان بما قرره لي من شغلي وقد عرف ان الاجل الفاضل
قد اجل فضلي قال وخدمت امير المومنين المستضي
في ذي القعدة مع الرسل بهذه القصيدة •
أصح عيون الغانيات مريضها • وافتك الحاظ الحسان غضيضها
يقول في مديحها
ومن عجب ضلت لعبله باسهم • ذو سراعا د من ظباهم محيضها
قال ابن ابي طي وظهر في مشغرا قريه من قرى دمشق
ادعى النبوة وكان من اهل المغرب واظهر من التخاييل والتمويهات

ما فتن به الناس واتبعه عالم عظيم من الفلاحين واهل السواد
وعصى على اهل دمشق ثم هرب من مشغرا الى البلد وصار
الى بلد حلب وعاد الى افساد عقول الفلاحين بما يريهم
من الشعبذة والتخاييل وهوى امراة وعلمها ذلك وادعت
ايضا النبوة قال وفيها توفي شهاب الدين الياس الارتقي
صاحب البيرة واوصى الى الملك الناصر بولده شهاب الدين
محمد ثم دخلت سنة احدى وسبعين قال العماد
والسلطان نازل بمرج الصفر من دمشق فجاءه رسول الفرنج
بطلب الهدنة فاجابهم السلطان بعد ان اشترط عليهم
امورا فالتزموها وكان الشام ذلك العام جدبا فاذن السلطان
للعساكر المصرية في الرحيل الى بلادهم واذا استغلوها
خرجوا اليه وسار معهم القاضل واعتمد على العماد فيما
كان بصدده وواظب السلطان على الجلوس في دار العدل
وعلى الصيد ومدحه العماد بقصيدة منها

سواك لنهج العلى لن يتسنا ۰ فمثلك يا رب العلا ان يعيشا ۰
من الناس بالبر صدق الكرام ۰ وبالباس في البر صدق الوحوشا ۰
وكم سرت من مصر نحو العريش ۰ فهدمت للمشركين العروشا ۰
سرايك تبعث قد امها ۰ من الرعب نحو الاعادي جيوشا ۰
ويوم حماه تركت العدا ۰ كما طيرت بالفلا الريح ريشا ۰

قال ومدحت مستهل ربيع الاول تقي الدين بقصيدة
موسومة وكان قد فوض اليه ولاية دمشق ومنها بيتان

املكوت

ابتكرت المعنى فيها فلم اسبق اليها • ما [illegible]
يفند العاقل الا يبغض الثعالبي • لينه ركة في الغي حظ الغبي •
ولم تصب السهام على اعتدالها • لولا اعوجاج في القسي •
فقل للدهر يقصر عن عنادي • اما هو يتقي باس النقي •
حلفت برب مكة والمصلى • وثاوي يثرب طيبة والغري •
لانتم يا بني ايوب خير الورى • بعد الامام المستضيء •

قال وفي اول هذه السنة وصل الى دمشق الجماعة الذين
خرجوا من بغداد موافقة لقطب الدين قايماز فاخذوا
لانفسهم بلا لتجا الى السلطان الاحترا ز وكان قايماز هذا
محكما في الدولة الامامية من اول الايام المستنجدية
وقوي في الايام المستضيئية على وزير الخليفة عضد الدين
ابن رئيس الرؤسا وسامه انواع البلا واخافه ورام
اتلافه حتى استنقذ منه برباط صدر الدين شيخ الشيوخ
فسلم به ثم ان قايماز خالف الخليفة وشق العصا وعزم
له حصار الدار فامر الخليفة بالقبض عليه فلم يبح لما
احيط به الا ان فتح باب في جدار وانهزم فوصل
الحلة في اوايل ذي القعدة سنة سبعين وهو في موسم
الحج فجمع رجاله وتوجه الى الموصل وجانبه اخوانه وخذله
اصحابه فتوفي في بعض قرى الموصل وتفرق اصحابه في
البلاد فمنهم من رجع الى بغداد ومنهم من الى الشام
منهم حسام الدين تميرك وعز الدين اقبوري ابن ارغش

وكان صهر السلطان قديمًا وعنده كريمًا فاقطعه في الديار
المصرية وكتب في حقه الى الديوان شفاعة في تخليص ماله
واستقامة حاله وكان ذا خزائن مملوءة وخيل مسومة
فلم يكن دينه عندهم في متابعة فانما زمانه بعد الفتح
وكان اقنوري زوج اخت السلطان والسلطان خاله
بنته وهي زوجة عز الدين قرحشاه بن اخي السلطان
قلت وفي بعض الكتب عن السلطان الى ديوان بغداد
بالمثال الفاضلي وما نحسب انا مع الموالاة المشتهرة والنعم
المستظهرة والمساعي التي كانت لنا رايات هذه الدولة بالغة
ولاعدايهم رامعة ولما زعيهم الامر قاصمة ولمجاذبيهم الحق
دافعة ولحقوق الله الواجبة لهم قايمة وكوننا ما اعنا منها بخل
من رجال ولا ايمان من مال ولا باعانة بحال من الاحوال
يبعد سؤالنا من الدولة اعلاها الله في ذي قربى لا نستطيع
دفعه ولا يقبل الاسباب النفع اذا اردنا نفعه فالاختيار
عندنا واسعة والاعواض لدينا غير متعذرة والولايات
التي لا نفوضها اليه عن كفايته غير مستغنيه ولكنه ما باع
بمكانه من الخدمة مكانا ولا اثر غير سلطانه سلطانا ولا
اعتذر الا بان نعرض فيه ونبانا ثم ذكرها ثم قال وهذا
الامير جزء منا فكيف يبعد جزء منا عاصيًا وبالسنتنا
وسيوفنا يدعى الخلق الى الطاعة وكيف تخلو دار الخلافة
من واحد من اهلنا ينوب عنا وعن بقية الجماعة فنحن في

افقسنا

انفسنا نشفع وعن حامينا ندفع وفي مكاننا نسال وبخطنا
الذي لا نسمح به للاسلام نبخل وانت ايها الامير والله ولي
التدبير وقال في اكرنك كنت جالسا بين يدي الملك
الناصر صلاح الدين بدمشق في دار العدل انفذ ما يامر به
من الشغل فحضر شعاري الاعجمي من اهل حمص وكان مملوكا
لبعض الدمشقيين مولدا ويكتب على قصايد سعيد بن عبد
الله فوقف بانشاد هذه القصيدة في عاشر شعبان سنة اثنى [illegible]

ومن

حيتك اعطاف القدود ببانها • لما انثنت تيها على كثبانها

ثم ذكر الفضيلة وغزلها في وصف دمشق ثم قال

سلطانها الملك ابن ايوب الذي • كفاه لا تنفك عن هطلانها
بمواهب لو لم اكن نوحا لما • نجيت يوم نداه من طوفانها
سمح يروح الى الندى براحة • قد اعشب المعروف بين بنانها
وفتى اذا ادخرت بحار نواله • غرقت بحار الارض في خلجانها
بتلك السيوف المرهفات بكفه • امضى على الايام من حدثانها
ملك اذا جليت عرايس ملكه • وضعت فرايد العدل في تيجانها
فاسلم صلاح الدين وابق لدولة • ذلت لدولتها ملوك زمانها
وانهض الى فتح السواحل نهضة • فادت لك الاعدا بعد حرانها

قال وقام اليوم الذي يليه وقد جلس السلطان
للعدل فانشده قصيدة منها ومن طويله

هل بعد جلق الا ان ترى حلبا • وقد تخلل منها مشكل عقده

وقد اثنتك كالخسا رطايعة ❊ وقد عنى لك منها الحصن والبلد ❊

قال وكان شعبان سافر الى مصر في اول مملكة الملك الناصر فمدحه بقصيدة طايية فاعطاه العدسيار فمنها يصف غارته على غزة وعوده منذ لك الغزو بالغنم

ومنها

فتىً مذ غزا بالخيل والرجل غزة ❊ فاكى عن نواحيها الرضا ودنا السخط ❊

دماها باسد ما لهن مرابض ❊ ولا اجم الا الذي ينبت الخط ❊

وعاث ضواحيها ضحىً بكتايب ❊ من الترك لا نوب طغام ولا قبط ❊

وله في السلطان قصايد اخر قال وقام اليها السحار في واستند الملك الناصر قصيدة في دار العدل بدمشق سنة احدى وسبعين في شعبان منها

باظبية الحرمين من مصر على الربع السلام وان تعوض او عفا ❊

اصبوا الى عصر تقادم عهده ❊ فاز بد من وله عليه تلهفا ❊

احبابنا بالقصر لو قصرتم ❊ في الهجر ما شمتت الحسود ولا اشتفا ❊

اشكو الى الوادي فيحثوا بانه ❊ من رقة الشكوى على تعطفا ❊

وجرى بي الامل الطموح فامني ❊ سلطان ارض الله طرا يوسفا ❊

الناهب للارواح في طلب العلا ❊ والواهب الاجال في حسن الوفا ❊

فصل فيما تجدد للمواصلة والحلبيين

في آخر خكم ... الملك ... (marginal note, partly illegible)

قد سبق ذكر الصلح الذي جرى بين السلطان والحلبيين فلما سمع
به المواصلة عتبوا عليهم ووبخوهم ونسبوهم الى العجلة
في ذلك وسلوك غير طريق الحزم فحملوهم على النقض والنكث
وانعقد وامر اخذ عليهم المواثيق وتوجه ذلك لرسول منهم
الى دمشق لياخذ للمواصلة من السلطان عهداً ويكشف
ايضا ما عنده فلما خلا به طالبه السلطان بنسخة الراي
فغلط واخرج من كمه نسخة يمين الحلبيين لهم وناولها اياه
فتاملها واخفى سره وما ابداه واطلع على ما اتفقوا عليه
وردها اليه وقال لعلها قد تبدلت فعرف الرسول انه قد
غلط ولم يمكنه تلافي ما فرط وقال للسلطان ليس حلف الحلبيين
للمواصلة من شرط ايمانهم انهم لا يعقدون امراً الا بمراجعتهم
لنا واستبدادهم وعرف من ذلك اليوم ان العهد منقوض
والوفا مرفوض وشاع الخبر عن المواصلة بالخروج في الربيع
فكتب السلطان الى اخيه العادل وهو نايبه بمصر يعلمه
بذلك ويامره ان يامر العساكر بالاستعداد للخروج
في شعبان قلت وفي كتاب كبير فاضلي جليل الى
بغداد عن السلطان يطالع بان الحلبيين والموصليين
لما وضعوا السلاح وحفظوا الجناح اشتهر بانه
ان كانت البلاد في ايدينا على استخدام عسكر الحلبيين
في البكارات الى الكفر وعرضنا عليهم الامانة فحملوها

و الايمان فبدلوها و سار رسولنا و حلف صاحب الموصل
بمحضر من فتى بذلك وامرا مشهده منا جعل الله فيها
حكما و صلوه في نكثها المجال على من كان حنيفا مسلما وعاد رسوله
ليسمع منا اليمين فلما حضر و احضر نسختها اومى بيده يخرجها
فاخرج نسخة كتاب كانت جرت بين الموصليين والحلبيين
مضمونها الاتفاق على حربنا والتداعي الى حربنا والتساعد
على ازالة خطبنا والاستفادة لمن هو على بعدنا وقربنا وقد
حلف بها كمشتكين الخادم بحلب وجماعة معه منا نقضت الاول
فرددنا اليمين الى يمين الرسول وكلنا هذه يمين عن الايمان
خارجة واردت عمرا واراد الله خارجة والمرق الرسول له
عن بابنا وقد نزهنا الله ان يكون اسمه معرضا للحنث العظيم
والنكث الذميم وعلمنا ان الناقد بصير والاخذ قدير
والمواقف الشريفة النبوية اعلاها الله مستخرجة الاوامر
الى الموصلي اما بكتاب مؤكد بان لا ينقض عهد الله من بعد
ميثاقه واما ان تكون النسخة واقعة لنا في تضييق خناقه
ثم ذكر امر الفرنج ثم قال والمملوك بين عدو واسلام يشاركونه
في هذا الاسم لفظا ولا يعرفون لما استحفظوا احفظا وعدو
كفرا حماحا ورهم الايلال ولا تقادعهم الاحتيال ثم طلب
خروج الامر بخطاب جميع ملوك الاطراف ان يكونوا للمملوك
على المشركين اعوانا وان يمتثل امر نبينا صلى الله عليه وسلم

في

في ان يكونوا ابنيانا فيعضده واذا سعى ويلبّوه اذا دعا
ولا يقعده واعز المعاضد في فتح البيت المقدس الذي
طابت النفوس عن ثاره وتطاطات الرؤوس تحت عاره
وصارت القلوب صخرة لا ترق على صخرته والعزائم قاصرة
عن تطهير اقصاه من رجس الشرك ومعره فان قعدت
بهم العزائم واخذتهم في الله لومة لائم فلا اقل من ان لا
يكونوا اعوانا عليه بالقوة عن قصد حريصين على ايصال
المكروه اليه وقال ابن شداد لما وقعت الوقعة
الاولى مع الحلبيين والمواصلة كان سيف الدين صاحب
الموصل على سنجار يحاصر اخاه عماد الدين ليقصد اخذها
منه ودخوله في طاعته وكان قد اظهر اخوه الانتما الى
صلاح الدين واعتصم بذلك واشتد سيف الدين في
حصار المكان وضربه بالمنجنيق حتى استهدم من سوره
ثلم كثيرة واشرف على الاخذ فبلغه وقوع هذه الواقعة
فخاف ان يبلغ ذلك اخيه فيستند امره ويقوى
جاشه فراسله في الصلح فصالحه ثم سار من وقته الى
نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق فيها وسار
حتى اتى البيرة وعبر بالبيرة وخيم على جانب الفرات
الشامي وراسل كمشتكين والملك الصالح حتى يستقر
قاعدة يصل عليها اليهم فوصل كمشتكين اليه وجرت
مراجعات كثيرة عزم فيها على العود مرارا حتى استقر اجتماعه

بالملك الصالح وسمحوا به وسار ووصل حلب وخرج الصالح
الى الغايه بنفسه فالتقاه قريب القلعه واعتنقه وضمه اليه
وبكا ثم امره بالعود الى القلعه فعاد اليها وسار هو حتى نزل
بعين المباركه واقام بها مده وعسكر حلب يخرج الى خدمته
في كل يوم وصعد القلعه جريده واكل فيها خبزا ونزل وسار
راحلا الى تل السلطان ومعه جمع كثير واملك ديار بكر والسلطان
رحمه الله قد انفذ في طلب العساكر من مصر وهو يرقب وهو
وهولا يشاجرون في امورهم وتدابيرهم وهم لا يشعرون
ان في التاخير نوع مراجعه وصل عسكر مصر فسار رحمه الله حتى
اتى قرون حماه فبلغهم انه قد قارب عسكرهم فاخرجوا اطلابهم
البزك ووجهوا امر كشف الاخبار فوجدوه قد وصل جريده
الى جباب التركمان وتفرق عسكره يسقي فلو اراد الله نصرهم
لقصدوه في تلك الساعه لكن صبروا عليه حتى سقى جمله
هو وعسكره واجتمعوا وتعبوا تعبية القتال واصبح القوم
على مصاف وذلك بكرة الخميس العاشر من شوال فالتقى العسكران
وتصادما وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة السلطان
بابن زين الدين مظفر الدين فانه كان في ميمنته سيف الدين
وحمل السلطان بنفسه فانكسر القوم واسر منهم جمعا عظيما
من كبار الامرا منهم فخر الدين عبد المسيح فمن عليهم واطلقهم
وعاد سيف الدين الى حلب فاخذ منها خزانته وسار حتى
عبر الفرات وعاد الى بلاده وامسك هو رحمه الله عن تتبع

العسكر

العسكر ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم القوم فانهم كانوا
قد ابقوا الثقل على ما كان عليه والمطابخ قد عملت ففرق
الاصطبلات ووهب الخزاين واعطى خيمة سيف الدين عز
الدين فرخشاه وقال العماد دخلنا في شهر رمضان
من دمشق ومسينا نعبر فعبرنا العاصي بسطا يعبر والى المسار
مسارعين عما عرجنا على بلد ولا انتظرنا ما ورانا من مدد
ونزلنا الغسوله وجزنا حماه وخيمنا في مرج بوقبيس وجاء
الخبر انهم في عشرين الف فارس سوى سوادهم وما وراهم
من امدادهم وانهم موعودون من الفرنج بالنجدة وانهم
يزيدون في كل يوم قوة وشدة وما كان اجتمع من
عسكرنا سوى ستة الاف فارس فرتب السلطان عسكره
وقوى بقوة قلبه وامده الله بحزب ملايكته حزبه ولما
وصل المواصلة الى حلب اطلقوا من كان في الاسر من ملوك
الفرنج منهم ارناط ابرنس الكرك وجوسلين خال الملك
وقرروا معهم ان يدخلوا من مساعدتهم في الدرك فلما
عبدنا وصل الى السلطان الخبر بوصولهم الى تل السلطان
فعبرنا العاصي عند شيزر وربينا العسكر واعددنا
الانتقال الى حماه ثم وصف الوقعة الى ان قال فركب
السلطان اكتافهم فشل ميمنتهم والافهم حتى اخرجهم
من خيامهم واشرفهم بامامهم ووكل بسرادق سيف
الدين غازي ومضاربه ابن اخته فرخشاه ودكضوراه

حتى علم انه تعداه ووقع في الاسر جماعة من الامرا المقدمين ثم من عليهم بالخلع بعد ان نقلهم الى حماه واطلقهم ثم نزل في السرادق السيفي فتسلمه بخزائنه ومحاسنه واصطبلاته ومطابخه ورواسي عزم ورواسخه فبسط في جميع ذلك ايدي الجود وفرقها على الحضور والشهود وابقى منها نصيبا للرسل والوفود وراى في بيت الشراب الذي في السرادق الخاص طيورا من القماري والبلابل والهزار والببغا في الاقفاص فاستدعا احد الندما مطربا الا فرح فانسه وقال خذ هذه الاقفاص واطلب بها الخلاص واذهب بها الى سيف الدين فاوصلها اليه وسلم منا عليه وقل له عد الى اللعب بهذه الطيور فهي سليمة لا توقعك في مثل هذا المحذور قال وفي كتاب ولما كسر القوم وولوا مدبرين ركضوا الى حلب فلم يقف بعضهم على بعض وظنوا ان العسكر وراهم ركضا وزاد ركضهم فتنبجت خيولهم وتموجت سيولهم وما صدقوا كيف يصلون الى حلب ويغلقون ابوابها ويسكنون اضطرابها واما سيف الدين فانه ركض في يومه من تل السلطان الى مراعه وجاوز في سوقه الاستطاعة وفرق وفارق الجماعة ابن ابي طي لما ان مسير سيف الدين انكسرت فتحرك الى جانبها ليكون ردا لها ومددا فظن باقي العسكر انه قد انهزم فانهزموا فحقق ما كان وهما فسار على وجهه ما رد له يلوي على شي وتبعهم السلطان فهلك منهم جماعة قتلا وغرقا واسر جماعة كبيرة من وجوههم

355.

وامرايهم ثم رجع وامر اصحابه برفع السيف عن الناس وترك
التعرض لمن وجد منهم بقتل او نهب وفرق ما وجد في خزاين
سيف الدين ونسير جواريه وحطاياه الى حلب وارسل اليه
بالاقفاص وقال له عد الى اللعب بهذه الطيور فانها الان من
معاساة الحروب ووجد السلطان عسكر الموصل كالحانه
من كثرة الخمور والبرابط والعيدان والجنوك والمغنيين
والمغنيات قال واشتهر انه كان مع سيف الدين
اكثر من مايه مغنية وان السلطان زادى ذلك لعساكره واستفاد
من هذه البليه وكان اتفق الامرا الذين اسرهم الى حماه
ثم ردهم وخلع عليهم وارسلهم الى حلب ومنا العماد السلطان
بقصيدة منها

والحمد لله الذي افضاله · حلو الجنا عالى السنا وضاحه ·
عاد العدو بظلمه مرظلمه · في ليل ويل قد خبا مصباحه ·
وجنا عليه جهله بوقوعه · في قبضة البازي فهيض جناحه ·
حمل السلاح الى القتال وما درى · ان الذي يجنى عليه
سلاحه ·

اضحى يريد مواصليه صدوده · وعدا يجدد ناه مداحه ·
ان افسد الدين الغلاة بجنبهم · فالناصر الملك الصلاح
صلاحه ·

قد كان عزمك للالاه مصمما · فيهم فلاح كما رايت فلاحه ·
وكاينه بالشاحل الاقصى وقد · ساحت ببحر دم الفرنجه ساحه ·

فاعمد الى القوم العداة لتستبيح بواه الموت الاجاج فوقه طما طفاحه
لتفك من ايدهم رمن الرها محلاوتدرك ليلها اصباحه
والغوا الحران الخلاص فكم بها حران قلب نحوكم ملتاحه
نحو البلاد من البلا بعد لكم فالظلم باد في الجميع صراحه
واستفتحوا ما كان من مغلوقه فيها فربكم لكم فتاحه
انتم رجال الدهر بل فرسانه ولدى الحلوم الطايشات رجاجه
فتاكه نساكه ضرابه نفاعه مناعه مناجه
وابو المظفر يوسف مطعامه مطعانه مقدامه جحجاحه
واذا انتدا في محفل نجحيه واذا عدا في جحفل فوقاحه

قال وكان لعز الدين فرخشاه في هذه الوقعة يد بيضا وهو محب للفضل وامله باعث للخواطر على مدحه بيد له فنظمت فيه قصيدة منها

نصر الانام لملككم برهانه وعلا لذله شانيكم شانه
ما اسعد الاسلام وهو مظفر وابو المظفر يوسف سلطانه
الملك مرفوع لكم مقداره والعدل موضوع بكم ميزانه
والدهر لا يأتي لغير مرادكم فبهل القضا لاجلكم جريانه
وكان ما لله في احكامه فلك على ايثاركم دورانه
فخر ابيع للوثب ان فخاركم بذ الملوك السابقين زمانه
يكفي حسودكم اعتقالا منهم فكانما اشجانه اشجانه
الدين عز الدين عز بنصركم والكفر ذل لعونكم اعوانه

356.

قد كان جيشهم كبحر زاخر • واللابسون جواشنا حيتانه
فطما لهلكهم عليهم بحركم • باسًا وغرق فلكهم طوفانه
فضل الملوك الاكرمين بفضله • فغلا زمانهم البهيج زمانه
في فضله في عدله في حلمه • صديقه فاروقه عثمانه
هو في السماح وفي اللقا عليه • هو في العفاف وفي التقا سلمانه
من آل شاذي الشايدين لمجدهم • بنيه بيتا عاليا بنيانه
بيت من العليا سام سامق • يبني على كيوانها ايوانه
باسالب الهيجاء من اربابه • ومن الثنا مصوغة تيجانه
والحمد ما لك انتم بذاله • والمال حمدًا انتم خزانه

ثم ان صاحب الموصل اسرع عودته وواصل لذته والحلبيون زادوا تقوا الاسباب وغلقوا الابواب وسقط في ايديهم حين افرطوا في تقديهم وتهيأوا للحصار وخافوا من البوار وتبلدوا وتلددوا وتخاذلوا وتجلدوا

وقال ابن سعدان الحلبي من جملة قصيدة يهني السلطان بهذه الكسرة •

وما شك قوم حين جمت عليهم • عداة التقى الجمعان انك غالب •

ولو لم تكن تلك المناقب للعدى • لنفسك في نفس العدو مناقب •

قال ابن ابي طي واما سيف الدين فانه امتدت به الهزيمة الى براغا فاقام بها حتى تلاحق به من سلم من

من اصحابه ثم خرج منها حتى قطع الفراة وصار الى الموصل وصار
الى حلب باقي عساكر حلب في سابع شوال في اقبح حال
واسوأه عراة حفاة قد ابتلاهم على نقض الايمان
والعهود وخاف اهل حلب من قصد السلطان لهم فاخذوا
في الاستعداد للحصار وجا السلطان وخيم عليها اياما
ثم قال الراي ان نقصد ما حولها من الحصون والمعاقل والقلاع
فنفتحها فانا اذا فعلنا ذلك ضعفت حلب وهان امرها
فصلوبوا رايه فنزل على بزاعا فتسلمها بالامان وولاها عز
الدين خشترين الكردي **فصل في فتح جملة**
من البلاد وحوالي حلب قال العماد نزل
السلطان على حصن بزاعه وتسلمه في الثاني والعشرين من شوال
ثم فتح منبج في التاسع والعشرين منه وكان بها الامير قطب
الدين ينال بن حسان والسلطان لا ينال به احسان بل
كان في جر عسكر الموصل اليه اقوى سبب ولا بما ذنه ولا
حفظ معه شرط الادب ولواجهه بما يكره تسلم القلعة
بما فيها وقوم ما كان سهمه بثلثمائه الف دينار منها عين
ونقود ومصوغ ومطبوع ومصنوع ومنسوج وغلات
وسامه على ان يخدم فابا وانف وكبرت نفسه فنعت سرحه
وذهب ما جمعه ومضى الى صاحب الموصل فاقطعه الرقه
فبقي فيها الى ان اخذها السلطان منه مرة ثانيه في
سنة ثمان وسبعين **وقال العماد**

نزولك

في الحاشية: ونفوسهم في نقض الايمان

نزولك في منبج على الطغ المبهج
ونجحك في المرتجا وفتحك للمرتج
دليل على كل ما تحاول او نرتجي
امورك فيما تروم واضحة المنهج
وشانيك دامي الشوول منك شجي
سجي
ومن كان في حصنه ومن قبل لم يحرج
يقال له للسرذا بعشك قم فادرج
فرايك يستنزل النجوم من الابرج
فعجل عبور الفراة واسروسر وادلج
وعج كي تلك البلاد عن عزها عرج
فحران والرها ن تاليتا منبج
وحل عن المسلمين ليلهم المدجي

قال ابن ابي طي لما ملك السلطان منبج وتسلم
الحصن صعد اليه وجلس يستعرض اموال ابن حسان وذخايره
فكان في جملة امواله ثلثمايه الف دينار ومن الفضه والانيه
الذهبيه والاسلحه والذخاير ما يناهز الفي الف دينار
فحانت من السلطان التفاته فراى على الاكياس والانيه
ملكوبا يوسف فسال عن هذا الاسم فقيل له ولد يحبه
ويوثره اسمه يوسف كان يدخر هذا المال له فقال السلطان
انا يوسف وقد اخذت ما خبى لي فتعجب الناس من ذلك

قال ولما فرغ من منبج نزل على عزاز ونصب عليها عدة مجانيق وجد في القتال وبذل الاموال وقال العماد ثم نزل السلطان على حصن عزاز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجواز وهو حصن منيع فحاصره ثمانية وثلثين يوما وكان السلطان قد اشفق على هذا الحصن من موافقة الحلبيين للفرنج فان الغيظ حملهم على مهادنة الفرنج والملك في ملوك الفرنج الذين لعب نور الدين رحمه الله في اسرهم فراى السلطان ان يحافظ على المعاقل ويصونها صون العقايل فتسلمها حادى عشر ذي الحجة بعد مدة حصارها المذكوره ⊙

وقال العماد قصيدة منها

اعطاك رب العالمين دولة عز اهل الدين من اعزازها ∴
حاز العلا بسياسة وجوده وهو احق الخلق باحتيازها ∴
يحوى لفتح كنوزا فتحه الملوك في الحلى على اكتنازها ∴
مهلك اهل الشرك طراه دونها ارماحها في جهادها احرازها ∴
تفاخر الاسلام من سلطانه تفاخر الفرس بابرواززها ∴
نهض من فتح عزاز فصرفوا وقعت العداه في اعتزازها ∴
واليوم ذلت حلب فانها كانت تنال العز من عزازها ∴
وحلت بنى لمشتكيها كما انتعشت بعدا دمن قيمازها ∴
برزن في نصر الهدى لحجه وضوح نهج الحق في ابرازها ∴
كم حامل للرمح عاد مبديا عجزا عجوز الحي عن عكازها ∴
ارفع حظوظي من حضيض نقضها وعد عن مجازها لمازها ∴

والشعر

والشعر لا بد له من باعث ۝ كحاجة الخيل الى مهمازها ۝

قالت واغار عسكر حلب على عسكرنا في مدة مقامنا
على عزاز فاخذوا على غرة وغفلة ما يجلون وعادوا فركب
اصحابنا في طلبهم فما ادركوا الا فارسا واحدا فامر السلطان
بقطع يده بحكم جرمه فقلت للمامور وذلك بمسمع من السلطان
تمهل ساعة لعله يقبل مني شفاعة ثم قلت هذا
لا يحل وقد ركبه بذنبك عن هذا اجل وما زلت اكرر عليه
الحديث حتى تبسم وعادت عاطفته ورحم وامر بحبسه
وسر بتي بسلامة نفسه ودخل ناصر الدين ابن اسد الدين
وقال ما هذا الفشل والونا وان سكتم انتم فلا اسكت
انا ودمدم وزمجر وغضب وزار وقال لم تقطع هذا الرجل
ولما ذا العفو فوعظه السلطان واستعطفه وسكن غيظه
وتعطفه وتلا عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى واطلق
سراحه وتم في نجاته نجاحه فصل في وثوب الحشيشية
على السلطان مرة ثانية على عزاز وكانت الاولى على حلب قال
العماد وفي حادي عشر ذي القعدة قفز الحشيشية على السلطان
ليلة الاحد وهو نازل على عزاز وكان للامير جاولي الاسدي
خيمة قريبة من المنجنيقات وكان السلطان يحضر فيها
كل يوم لمشاهدة الالات وترتيب المهمات وحض الرجال
والحث على القتال وهو بارز بيت ابا ديه فاز على الدهر
بلطف عوائده والحشيشية في زي الاجناد وقوف والرجال

عنده صعق فضرب راسه بسكينة فعاقته صفايح الحديد
المدفونه في كمته عن تمكينه ونفحت المديه خلفه فخدشته
فقوى السلطان قلبه وجاش راس الحشيشي اليه وجذبه
ووقع عليه وركبه وادركه سيف الدين باركوج فاخذ
خشاشه الحشيشي ببضعه وقطعه وجا اخر قاصدا عن ضه
الامير داود بن منكلان فمنعه وجرحه الحشيشي في جنبه
فمات بعد ايام وجا اخر قاصدا فعانقه الامير علي ابن ابي الفوارس
وضمه من تحت ابطه وبقيت يد الحشيشي من ورايه لا يتمكن
من الضرب ولا يتاتى له كشف ما عراه من الكرب فنادى
اقتلوني معه فقد قتلني واذهب قوتي واذهلني فطعنه
ناصر الدين ابن شيركوه بسيفه وخرج اخر من الخيمه
منهزما وعلى الفتك عن بعارضه مقدما فثار عليه اهل
السوق فقطعوه واما السلطان فانه ركب وجا الى
سرادقه وقد خرعه الحادث وفزعه الكارث وصلوته جهور
وذيله مشمور ودمه على ساقيه وعطف روعه مائل
وطوق لطف الله بتلك الضربه مفكوك ونهج سلامته
مسلوك وكان سلا سلامته واقام القوم فيا منه ومن
بعد ذلك ارعب وارهب واحترز واحتجب وضرب حول
سرادقه على مثال خشب الخركاه تارمرا ووقفه محجرا
وجلس في بيت الخشب وبرز للناس كالمحتجب ومامن
الامن عرفه ومن لم يعرفه صرفه واذا ركب وابصر من لا يعرفه

في

359.

في موكبه ابعد ثم سال عنه فان كان مستحقا او ه
مستحق البعقه واسعه ومن كتاب فاضل
الى العادل السلامة شامله والراحه بحمد الله للجسم
الشريف الناصري حاصله ولم ينله من الحشيشي الملعون
الا حدش قطرت منه قطرات دم خفيفه انقطعت لوقتها
واندملت لساعتها والركوب على رسمه والحضار لاعوان
على حكمه وليس في الامر بحمد الله ما يضيق صدرا ولا ما يشغل
سرا وقال ابن ابي طي لما فتح السلطان حصن
براعا ومنبج ايقن من بحلب بخروج ما في ايديهم من
المعاقل والقلاع فعادوا الى عادتهم في نصب الحبايل
للسلطان فكاتبوا سنانا صاحب الحشيشيه مرة
ثانية ورغبوه بالاموال والمواعيد وحملوه على انفاذ من
يفتك بالسلطان فارسل لعنه الله جماعة من اصحابه
فجاوا بزي الاجناد ودخلوا بين المقاتله وباشروا الحرب
وابلوا فيها احسن البلا وامتزجوا باصحاب السلطان
لعلهم يجدون فرصة ينتهزونها فبينما السلطان يوما جالس
في خيمة جاولي والحرب قايمة والسلطان مشغول بالنظر
الى القتال اذ وثب عليه احد الحشيشيه وضربه بسكينه
على راسه وكان رحمه الله محترزا خايفا من الحشيشيه
لا ينزع الزرديه عن بدنه ولا صفايح الحديد عن راسه
فلم تصنع ضربة الحشيشي شيا لمكان صفايح الحديد واحس

الحشيشي بصفايح الحديد على راس السلطان فسبح بده
بالسكين الى خد السلطان فجرحه وجرى الدم على وجهه
فتقعقع السلطان لذلك ولما راى الحشيشي ذلك هجم
على السلطان وجذب راسه حتى وضعه على الارض وركبه
لينحره وكان من حول السلطان قد ادركتهم دهشة اخذت
بعقولهم وحضر في ذلك الوقت سيف الدين يازكوج وقيل
انه كان حاضرا فاخترط سيفه وضرب الحشيشي فقتله وجا
اخر من الحشيشية ايضا يقصد السلطان فاعترضه الامير
منكلان الكردي وضربه بالسيف وسبق الحشيشي الى
منكلان فجرحه في جبهته وقتله منكلان ومات منكلان
من ضربة الحشيشي بعد ايام وجا من الباطنية اخر فحصل
في سهم الامير علي بن ابي الفوارس فهجم على الباطني ودخله
الباطني فيه ليضربه فاخذه على تحت ابطه وبقيت يد الباطني
من ورايه لا يتمكن من ضربه فصاح على اقتلوه واقتلوني
معه فجا ناصر الدين محمد بن شيركوه فطعن بطن الباطني
بسيفه ومازال يخضخضه فيه حتى سقط ميتا ونجا ابن
ابي الفوارس وخرج اخر من الحشيشية منهزما فلقيه
الامير شهاب الدين محمود خال السلطان فتنكب
الباطني عن شهاب الدين فقصده اصحابه وقطعوه
بالسيوف واما السلطان فانه ركب من وقته الى سرادقه
ودمه على خده سايل واحتجز من ذلك الوقت في الاحتراز

[illegible]

والاحتراز

360.

والاحتراز وضرب حول سرادقه مثال الخركاه ونصب له في وسط
سرادقه برجا من الخشب كان يجلس فيه وينام ولا يدخل عليه الا
من يعرفه ويطلب الحرب في ذلك اليوم وخاف الناس على السلطان
واضطرب العسكر وخاف الناس من بعضهم بعضا فالجات الحال
الى ركوب السلطان ليشاهده الناس فركب حتى سكن العسكر وعاد
الى خيمته واخذ في قتال عزاز فقاتلها ملة ثمانية وثلثين يوما
حتى عجز من كان فيها وسالوا الامان فتسلمها حادي عشر ذي الحجة
وصعد اليها واصلح ما تهدم منها ثم اقطعها لابن اخيه تقي الدين
عمر وكانت اعزاز اولا للخفينه غلام نور الدين فلما ملك
السلطان منبج اخذها منه الملك الصالح وقواها لعله
يحفظها من الملك الناصر فلم يبلغ ذلك ولما فرغ السلطان
من امر عزاز حقد على من بحلب لما فعلوه من امر الحشيشيه
فسار حتى نزل على حلب خامس عشر ذي الحجة وضرب خيمته
على راس الباروقيه فوق جبل جوشن وجبى اموالها واقطع
ضياعها وضيق على اهلها ولم يفسح لعسكره في مقاتلتها بل
كان يمنع ان يدخل اليها ولم يفسح لعسكره شيا او يخرج
منها احد وكان سعد الدين كمشتكين في حارم وكانت
اقطاعه وفي يد نوابه وكان انتزعها من يده اولاد الداية
بعد ان عصي نايبها وكان سبب خروجه اليها ان
السلطان لما نزل على عزاز خاف كمشتكين ان يشغله
منها الي حارم فخرج اليها فلما نزل السلطان على حلب ندم

كمشتكين على كونه خارجاً من حارم وخاف ان يجري بين
السلطان وبين الامرا الحلبيين صلح فلا يكون له فيه
ذكر ولا اسم فراسل السلطان يتلطف معه الحال
ويقول لو فسح لي في الدخول الى حلب لسارعت في الخدمة
واصلحت الامر على ما يرومه السلطان وراسل ايضاً
الى الملك الصالح والامرا بحلب يقول لهم قد حصلت
خارجاً وقد يلحقني امور ولا بد من طلبي من الملك الناصر
ليأذن لي في الصيرورة اليكم فان الذي قد حصل عندي
لا يمكنني الكلام فيه فراسل الملك الصالح السلطان في
الاذن له في الدخول الى حلب فاذن له وطلبوا الرهاين
منه فنفذ السلطان اليهم رهينه شمس الدين ابن ابي المضا
الخطيب والعماد كاتب الانشا وانفذوا من حلب الى السلطان
رهينة نصرة الدين ابن زنكي وحكى العماد الكاتب قال
لما حصلنا داخل حلب اخذنا نازلين الى العدل بن العجمي
وجعلنا في بيت ومنع من غلماننا ولم نحضر لنا طعام ولا
مصباح وبتنا في انكد عيش وفي تلك الليلة دخل كمشتكين
الى حلب فلما اصبحوا احضرت انا وابو المضا الى مجلس
الملك الصالح وكان عنده ابن عمه عز الدين مسعود
بن مودود وجماعة من ارباب الدولة وكان صاحب
الكلام العدل ابن العجمي فاخذ يتحدث بلثغته ويترجم
بلكنته ويضرب صفحاً عني ويوهم الجماعة اني باني

دما

وما درى الغمر بأني امرؤ ميز التبر من الترب
قد عاركته الأمور حتى غدا بين الورى كالصارم
العضب
قد راضه الدهر فلو أمه خطب لما ارتاع للخطب

قال وعرضت نسخة اليمين علينا وعرفنا ولم يلتفت إلينا
فلما صار إلى السلطان وأخبره بما جرى في حقهما من الهوان علم
أن ذلك كان حيلة عليه حتى دخل كمشتكين إلى حلب فأطلق
نصرة الدين وقاتل أهل حلب ولم يزل منازلا لحلب إلى انسلاخ
سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ثم كان ما سيأتي ذكره

فصل في باقي حوادث هذه السنة

ودخول قراقوش إلى المغرب قال العماد وفي سابع
شوال وصل أخو السلطان شمس الدولة من اليمن إلى
دمشق وذكر ابن شداد أنه قدم في ذي الحجة قلت
ولما سمع السلطان بقدومه أرسل إليه بالمثال الفاضلي
كتابا أوله أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا وقال
في آخره ولقد أحسن عندنا أن المبشر إذ طلع علينا طلوع
الفجر عن شمسه وغرس في القلوب ما يسرها وتسر بأجنى
غرسه قال ابن أبي طي كان سبب خروجه من البلاد
كراهيته البلاد والشوق إلى أخيه الملك الناصر وأن يرى
ملوك الشام وغيرها وأمراء العساكر ما أنعم الله عليه به
من النعم والأموال قال وحكى أنه لما تحدث الناس

ط

خروج شمس الدوله من اليمن كان باليمن رجل يقال له عباس وكان صهر ياسر بن بلال الحبشي صاحب عدن وكان بين عباس وياسر عداوة فافتعل عباس كتابا على لسان ياسر وزوّر عليه علامته الى زيد بن عمرو بن حاتم صاحب صنعا يقول فيه ان شمس الدوله سائر الى اخيه الملك الناصر الى الشام وسبب خروجه ضعفه عن اليمن فامسكوا ما كنتم تحملون اليه من الاتاوة والرسوم تبقى لكم واختال حتى وصل الكتاب الى شمس الدوله وكان نازلا على حصن يعرف بالخضرا محاصرا فلما وقف شمس الدوله على الكتاب استدعا ياسر وقال له هذا خطك وعلامتك قال كانه هو قال له فباي شي استحققت منك هذا وقد قربت منزلتك وابقيت عليك بلادك ورفعت بضبعك على اهل اقليمك واراه الكتاب فلما وقف عليه ياسر حلف انه ما كتبه ولا يعرفه ولا املاه لاحد ولا يعلم خبره فلم يصدقه شمس الدوله وامر به فقتل بين يديه صبرا فهاب شمس الدوله ملوك اليمن وحملوا اليه الاموال وحلفوا على الطاعة ثم ان شمس الدوله خرج الى تهامة وتوجه الى الشام واستخلف على تهامة سيف الدوله مبارك بن كامل ابن منقذ وعثمان بن علي الزنجيلي على عدن وتوجه الى حضرموت ففتحها واستناب عنه بها رجلا كرديا يسمى مرول وكان مقامه بشبام واشتهر الكردي بها مدة ثم ان صاحب حضرموت تحرك وجمع فقتل وعاث هارون في تلك البلاد واستقام امره وولي شمس

الدولة

الدوله ثغر تعز بمملوكه ياقوت وجعل اليه امرا الجند
وولي قلعة بعكر مملوكه قايماز قال وكان شمس
شمس الدوله الي السلطان قبل وقعة المواصله وكسرتهم
وكان شمس الدوله هو سبب الظفر واعطاه السلطان سرادق
سيف الدين صاحب الموصل بما كان فيه من الفرش والالات
والالات وولاه دمشق واعمالها والشام وامره ان يكون
في وجه الفرنج لان السلطان خاف من الحلبيين ان يكاتبوا
الفرنج كعادتهم قال وفيها قتل صديق بن جوله
صاحب بصري وصرخد شهورا فكاتبه شمس الدوله اخو السلطا
وحلف له علي ما يريد من اقطاع واقترح شمس الدوله ان
~~يكتب هو ما يريد من اقطاع واقترح شمس الدوله ان يكتب~~
ليحلف عليه فانفذ من بصري نسخة يمين كتبها قاضي بصري
وكان قليل المعرفه بالفقه والتصرف في القول فلم يستقص
فيها وجوه التاويل فلما استوثق بها من شمس الدوله وخرج
اليه تاول عليه شمس الدوله في اليمين وقبضه ثم اقطعه
عشرين ضيعة ثم اخذها منه بعد ايام قال وفيها
عصي الامير عز الدين قليج بتل خالد بسبب كلام جري
بينه وبين كمشتكين فانهد اليه من حلب عسكرا فحاصروه
اياما وسلم الحصن وخسنت حاله قال ولما ملك
شمس الدوله اليمن سمت نفس ابن اخيه تقي الدين الي الملك
وجعل يرتاد مكانا يحتوي عليه فاخبر ان قلعة ازبرك

ى فم درب المغرب وكانت خرابًا فاشير عليه بعمارتها وقيل
له متى عمرت وسكنها اجناد افويا استعان ملكت برقه واذا
ملكت برقه ملك ما وراها فانفذ مملوكه بها الذى قراقوش
وقدمه على جماعة من اجناده ومماليكه فصاروا الى القلعة
المذكوره وشرعوا في عمارتها واجتمع بقراقوش رجل من
العرب فحدثه عن بلاد الجريد وقران ودكوانه له
كثرة خيرها وغزارة اموالها وضعف اهلها ورغبه في الدخول
اليها فاخذ جماعة من اصحابه وسار في حادي عشر محرم
من هذه السنة فكان يكمن النهار ويسير الليل مدة خمسة
ايام واشرف على مدينة اوجله فلقيه ملكها واكرمه
واحترمه وساله المقام عنده ليعتضد به ويزوجه بنته
ويحفظ البلاد من العرب وله ثلث الارتفاع ثلثون الف
دينار فاخذ عشرة الف لنفسه وفرق على رجاله عشرين
الفا وكان الى جانب اوجله مدينة يقال لها الازراقيه
فبلغ اهلها صنيع قراقوش في اوجله وانه حرس علالهم
فصاروا اليه ووصفوا له بلدهم وكثرة خيره وطيب
هوايه ورغبوه في المصير اليهم على انهم يملكونهم عليهم
فاجاب الى ذلك واستخلف على اوجله رجلا من اصحابه
يقال له صباح ومعه تسعة فوارس من اصحابه فحصل
لقراقوش اموال كثيره واتفق ان صاحب اوجله مات
فقتل اهل اوجله اصحاب قراقوش فجا قراقوش وحاصرها

حتى

363.

حتى فتحها عنوة وقتل من اهلها سبعماية رجل وغنم اصحابه
منها غنيمة عظيمة واستولى على البلد ثم ان اصحابه رغبوا
في الرجوع الى مصر وخشي قراقوش ان يقوم وحده فرجع معهم
فلما وصل بمصر طاب له المقام ونقل عليه البعد وزوجه
تقي الدين باحدى جواريه وكان استناب بما وجده وقال
لاهلها انا امضي الى مصر لتجديد رجال واعود اليكم
قال ابن الاثير وفي ربيع الاخر سنة احدى وسبعين
استوزر سيف الدين صاحب الموصل جلال الدين ابا الحسن
علي بن جمال الدين الوزير رحمهما الله ومكنه في ولايته فظهرت
منه كفاية لم يظنها الناس وبدا منه معرفة بقواعد الدول واوضاع
الدواوين وتقرير الامور والاطلاع على دقايق الحسبانات
والعلم بصناعة الكتابة الحسابية والانشا حيرت العقول ووضع
في كتابة الانشا وضعا لم يعرفوه وكان عمره حين ولي الوزارة
خمسا وعشرين ثم قبض عليه في شعبان سنة ثلث وسبعين
وشفع فيه كمال الدين بن نيسان وزير صاحب امد وكان قد
زوجه ابنته فاطلق وسار اليه وبقي بامد يسير امريضا ثم
فارقها وتوفي بدنيسر سنة اربع وسبعين وحمل الى الموصل فدفن
بها ثم حمل منها في موسم الحج الى المدينة ودفن عند والده وكان
من احسن الناس صورة ومعنى رحمه الله قال ثم ان
سيف الدين استناب دزدارا بقلعة الامير مجاهد الدين
قايماز في ذي الحجة سنة احدى وسبعين ورد اليه ادمة

الامور في الحل والعقد والرفع والخفض وكان بيده قبل
هذه الولاية مدينة اربل واعمالها ومعه فيها ولده مظفر
الدين علي لقبه ايضا زين الدين فكان البلد لولده زين
الدين اسما والامر فيه لمجاهد الدين صورة ومعنى
قلت وفي حادي عشر رجب توفي حافظ الشام ابو
القسم علي بن الحسن ابن عساكر صاحب التاريخ الدمشقي
رحمه الله وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن بمقابر
باب الصغير ثم دخلت سنة اثنين وسبعين
قال العماد والسلطان مقيم بظاهر حلب فرق اهلها
ان العقوبة اليمة والعاقبة وخيمة فدخلوا من باب التذلل
ولاذوا بالتوسل وخاطبوا في التفضل وطلبوا الصلح فاجابهم
وعفا وعف وكفا وكف وابقى للملك الصالح حلب واعمالها
واستغفر كل عثرة لهم واقالها واراد له الاعزاز فرد عليه
عزاز وحلفوا له على ما شرط واعتذروا عن كل ما اسخطه
وكان الصلح عاما لهم وللمواصلة واهل ديار بكر وقال
ابن شداد اخرجوا اليه ابنة لنور الدين صغيرة سالت
منه عزاز فوهبها اياها قال ابن ابي طي لما تم الصلح
وانعقدت الايمان عول الملك الصالح على مراسلة السلطان
وطلب عزاز منه فاشار الامرا عليه بانفاذ اخته وكانت
صغيرة فاخرجت اليه فاكرمها السلطان اكراما عظيما
وقدم لها اشيا كثيرة واطلق لها قلعة عزاز وجميع ما فيها من

ماله وسلاح ومير وعند ذلك قال العماد وحلفوا له
على ما شرط واعتذروا عن كل ما اسخطه وكان الصلح عاما لهم
ولمواصليه واهل ديار بكر وكتب في نسخة اليمين انه اذا
غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه حالف فان الباقون
عليه يدا واحدة وهو بينهم منبعا قلع حتى يفي الى الوفا والوفاق
ويرجع الى موافقة الرفاق فلما انتظم الصلح ذكر السلطان
ثارة عند الاسماعيلية وكيف قصدوه بتلك البلية فرحل
يوم الجمعة لعشر بقين من المحرم فحصر حصنهم مصيات ونصب
عليه المجانيق الكبار واوسعهم قتلا واسرا وساق ابقارهم
وخرب ديارهم وهدم اعمارهم وهتك استارهم حتى شفع فيهم
خاله شهاب الدين محمود بن تكش صاحب حماه وكانوا قد راسلوه
في ذلك لانهم جيرانه فرحل عنهم وقد انتقم منهم وكان
الفرنج قد اغاروا على البقاع فخرج اليهم شمس الدين محمد
بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وهو متولي بعلبك
ومقطع اعمالها ومدبر احوالها والمتحكم في اموالها فقتل
منهم واسر اكثر من مائتي اسير واحضرهم عند السلطان
وهو على حصار مصيات فجدد منه الى غزو الفرنج الانبعاث
قال ابن ابي طي وهذا اكبر الدواعي في مصالحة
السلطان لسنان وخروجه من بلاد الاسماعيلية لانه
خاف ان تهيج الفرنج في الشام الاعلا وهو بعيد عنه
فنهض ناظرا وامر البلاد بطايل فصالح سنانا وعاد الى دمشق

قال العماد وقد خرج شمس الدولة اخو السلطان
من دمشق حين سمع ان العزيز على الخروج وباسطهم
عند عزم الخروج في تلك المروج ووقع من اصحابه عدم مرن
في الاسار منهم سيف الدين ابو بكر السلار ووصل السلطان
الى حماه وقد استكمل الظفر واجتمع فيها باخيه شمس الدولة
ثاني صفر وهو اول يوم لقائه بعد ما ازمع عنه الى اليمن
السفر وتعانق الاخوان في المخيم بالميدان وتحدثا في الحدثان
وعادت العزاق ولوعات الاشواق وكان قد وصل
الى السلطان من اخيه هذا عند مفارقته بلاد اليمن
كتاب ضمنه ابياتا اظنها من شعر ابن المنجم المصري

اولها

الشوق اولع بالقلوب واوجع فعلام ادفع منه ما لا
يدفع

ومنها

وحملت من وجد الاحبة مفردا ما ليس تحمله الاحبة اجمع
لا تسمعن بي النوى في موضع الا اغتصا بي الرحال موضع
فالى صلاح الدين اشكو انني من بعده مضني الجوانح موجع
جزعا لبعد الدار منه ولم اكن لولا هواه البعد دار اجزع
فلاركبن اليه متن عزايمي ويخب بي ركب الغرام ويوضع
حتى اشاهد منه اسعد طلعة من افقها صبح السعادة يطلع
قال العماد فسالني السلطان ان اكتب له في جوابه

يطلع

365.

على دونها ودونها **فقلت** قد كنت قصيدة منها

مولاي شمس الدولة الملك الذي شمس السيادة من سناه
يطلع

ما لي سواك من الحوادث ملجأ ما لي سواك من النوائب
مفزع

ولانت فخر الدين فخري في العلا وملاذ آمالي وركني الامنع
الا تجد منك الجميل موقعي والله ما للملك عندي موقع
وبغير قربك كل ما ارجوه من درك المنى متعذر متمنع
النصر ان اقبلت نحوي مقبل واليمن ان اسرعت نحوي مسرع

قال ثم سرنا الى دمشق ووصلنا اليها سابع عشر صفر
وفوض ملك دمشق الى اخيه الملك المعظم شمس الدولة
وعزم الى مصر السفر **فصل في ذكر جماعة من
الاعيان** نجد ذكرهم ما اقتضى ذكرهم في هذه السنة **قال**
العماد في السادس من المحرم توفي بدمشق القاضي كمال
الدين ابن الشهرزوري وعمره ثمانون سنة لان مولده في
سنة اثنين وتسعين واربعمائة وكان في الايام النورية
بدمشق هو الحاكم المتحكم وصلاح الدين اذ ذاك متولي
الشحنكية بدمشق وكمال الدين يعكس مقاصده بتوجيه
الاحكام الشرعية وربما كسر اغراضه وابدى عن قبوله
اعراضه ويعتمد في كل ما يعرض له اعتراضه وكم صبر على
جماحه حلمه وراضه الى ان نقله الله سبحانه من نيابة

ذكرها عن الاعيان

نظ

الشحنكيه الى الاستقلال بالملك وصار كمال الدين من قضاة
ممالكه المنتظمه في السلك وكان في قلبه منه ما فيه وما
فرط منه فات وقت تلافيه فلما ملك دمشق اجراه على
حكمه ولم يواخذه بجرمه واحترم نوابه واكرم اصحابه
وفتح للشرع بابه وخاطبه واستحسن جوابه ولم يزل
يستفتيه ويستهديه ويعرض على رايه ما يعيده ويبديه
وكان ابن اخيه ضيا الدين بن تاج الدين الشهرزوري
قد هاجر الى صلاح الدين بمصر في ريعان ملكه واثبت
هجرته في درك ارادته بارادته فلكه وانعم عليه هناك
بخزانة الذهب ومن دار الملك بمصر بدار الذهب
ووفر حظه من الذهب وملكه دارا بالقاهرة نفيسة
جميلة جليله ورتب له وظايف وخصه بلطايف ووصل
مع صلاح الدين الى الشام وامن جار على النظام ولما
اشتد بكمال الدين المرض وكاد يتعارى جوهره العرض
اراد ان يبقى القضا في ذويه فوصى مع حظوه ولده
بالقضا لضيا الدين بن اخيه علما منه بان السلطان
يمضي حكمه لاجل سوالفه ويجعله عنده من عوايده وعوارفه
ومات ولم يخلف مثله ومن شاهده شاهد العقل والفضل
كله بارا بالابرار مختارا للاخيار مكرما للكرام ماضيا
في الاحكام وقد قوّاه نور الدين رحمه الله وولاه في ايامه
وسدد مرامي مرامه وهو الذي نشر دار العدل للتفقه

احكامه

احكامه بحضرة السلطان فلا يبقى عليه مغمز ولا ملمز
لذوي الشنان وهو الذي تولى له بنا اسوار دمشق ومدا
والبيمارستان فاستمرت عادته واستقرت قاعدته
في دولة السلطان وتوفي ونحن بحلب محاصرون وذكر
العماد في الخريدة لابنه محيي الدين قصيدة في مرثيته منها
الموابسعي فاسلوا فسلوا على حدث بادي السنا وتجموا
وبالرغم مني ان اناجيه بالمنى وأسال مع بعد المدى من يسلم
لقد عدمت منك البرية والداه لخير من الام الروف وارحم
ولا سيما اخوان صدق تخلقوا بهم في سما المجد والجود انجم
لنشر لوا العدل فوق رؤسهم فما كان فيهم من يضام ويظلم
قال العماد وجلس ابن اخيه ضيا الدين مكانه وان
احسانه وابقى نواب عمه وانفذ احكامه ما نفذ حكمه وكان
الفقيه شرف الدين ابو سعد عبد الله بن ابي عصرون قد
هاجر من حلب الى السلطان وقد انزله عنده بدمشق
في ظل الاحسان وهو شيخ مذهب الشافعي والاقوم
بالفتيا واعرفهم بما يقتضيه الشريعة من امر الدين والدنيا
والسلطان يوثر ان يفوض اليه منصب القضا ولا يرى
عزل الضيا فاقضى تيسير مرامه الى الاجل الفاضل وكان الفقيه
ضيا الدين عيسى ايضا يتعصب لشيخه فاستشعر الضيا
واشير عليه بالاستعفا ففعل فاعفي وبقيت عليه الوكالة
الشرعية عنه في بيع الاملاك قال العماد واول

ما اشتريت منه بوكالة السلطان الارض التي ببستان
بعترا الوخشي التي بنيت فيها المواضع من الحمام والدور
والاصطبل والخان وكنت قد احتكرتها في الايام النوريه
فملكتها في الايام الصلاحيه **قلت** قد خربت
هذه الاماكن في سنة ثلث واربعين بسبب الحصار
واستمر خرابها وعفت اثارها وصارت طريقا على حافة
بردا وانه خارج من جسر الصفي خارج باب الفرج مارا الى
ناحية الميدان **قال** فلما استعفا ضيا الدين ابن
الشهرزوري من القضا لم يبق في منصب القضا الا فقيه
يعرف بالاوحد داود وهو ابن ابرهيم بن عمر بن بلال
الشافعي كان ينوب عن كمال الدين فامره السلطان
ان يجري على رسمه ويتصرف في حكمه وكان للسلطان
لاحيا القضا في البيت الزكوي موثرا وله كرما فيه
مكثرا وقد سبق منه الوعد للشيخ شرف الدين ابن ابي
عصرون وهو راج وبطلب نجاز عدته مناج فتفوض
اليه القضا والحكم والانفاذ والامضا على ان يتولى
محيي الدين ابو المعالي محمد بن زكي الدين والاوحد داود
قاضيين في دمشق يحكمان وهما عن نيابته يوردان ويصدران
وتوليتهما بتوقيع من السلطان ولم يزل الشيخ شرف الدين
ابن ابي عصرون متوليا للقضا مستبدا بالحكم والامضا
سنة اثنين وثلث وسبعين في ولاية اخي السلطان

الملك

367.

الملك المعظم فخر الدين فلما عدنا الى الشام نظم الناس في دماء
نور يصرف وانه لا يقوم في القضا بوزن وصدق فعوض السلطان
القضا بالاشارة الفاضلية الى ابنه محيى الدين ابى حامد محمد
كانه نايب ابيه ولا يظهر للناس صرفه عما هو متوليه واستمر
القضا الى القضا شهر من سنة سبع وثمانين ثم صرف واستقل
به ابن زكي الدين فاقام في مدة ولايته للشرع القواعد والقوانين
وفوض ديوان الوقوف الى موفق اعتبار الاعمال وتولاها
بعده اخوه محيي الدين على الاستقلال الى اخر عهد السلطان
وبعده قلت وفي صفر من هذه السنة وقف السلطان
قرية حرم باللوى من حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلم
الشريعة او بعلم يحتاج اليه الفقيه او يسمع بحضر لسماع
الدروس بالزاوية الغربية من جامع دمشق المعروفة بالفقيه
الزاهد نصر المقدسي وعلى من هو مدرسهم بهذا الموضع من
اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه وجعل النظر لقطب
الدين النيسابوري ورايت كتاب الوقف بذلك على هذه
الصورة وعليه علامة السلطان رحمه الله الحمد لله وبه توفيقي
قال العماد وفي ليلة الجمعة الثاني عشر من صفر ونحن
في طريق الوصول الى دمشق توفي شمس الدين ابن الوزير ابي المضا
بدمشق وهو اول خطيب بالديار المصرية للدولة العباسية
وكان متولي الرسالة الى الديوان العزيز ويفضل الشعرا
ويحضر الكرما ويكثر خلعهم وجوايزهم ويبعث على مدحه

عن ابن ... فحمل السلطان همه وقرب ولده وحبر بتربيته
يتيمه ثم تغير ضيا الدين الشهرزوري بعد ذلك للرسالة الى
الديوان وصارت له منصبا بنافس عليه واستمرت له مدة
السفارة الى اخر العهد السلطاني وذلك بعد المضي الى
مصر والعود الى الشام فانه بعد ذلك خاطب في هذا الترام
فاما في هذه السنة فانه كان في مسيرنا الى مصر في الصحبة
وهو متوجه الى بغداد المحمية قال وفي اخر صفر تزوج السلطان
بالخاتون المعروفة عصمة الدين بنت الامير معين الدين انر
وكانت في عصمة نور الدين رحمه الله فلما توفي اقامت في منزلها
بقلعة دمشق رفيعة القدر مستقلة بامرها كثيرة الصدقات
والاعمال الصالحات فاراد السلطان حفظ حرمتها وصيانتها
وعصمتها فاحضر شرف الدين بن ابي عصرون وعدوله وزوجه
اياها بحضرة اخيها لابيها سعد الدين مسعود بن انر
باذنها ودخل بها وبات عندها وقرن بسعده سعدها
وخرج بعد يومين الى مصر وذكر العماد بعد وفاة
ابن الشهرزوري وابن ابي المضا الامير مويد الدولة
ابا الحارث اسامة بن مرشد ابن سديد الملك ابي الحسن
علي بن منقذ وعوده الى الشام عند علمه بوصول السلطان
فقال هذا مويد الدولة من الامرا الفضلا والكرما
الكبرا والسادة القادة العظما وقد متعه الله بالعمر
وطول البقا وهو من المعدودين من شجعان الشام وفرسان

مويد الدولة اسامة
بن منقذ الكناني

الاسلام

368.

الاسلام ولم يزل بنوا منقذ ملاك شيزر وقد جمعوا السيادة
والمجد ولما تفرد بالمعقل منهم من تولاه لم يرد ان يكون
معه فيه سواه فخرجوا منه في سنة اربع وعشرين وخمسمائة
فسكنوا دمشق وغيرها من البلاد وكلهم من الاجواد الامجاد
وما منهم الا ذو فضل وبذل واحسان وعدل وما منهم الا
من له نظم مطبوع وشعر منظوم ومن له قصيدة وله مقطوع
ومن امويد الدولة اعرقهم في الحسب واعرفهم في الادب
وكانت جرت له نبوة في ايام الدمشقيين وسافر الى مصر
واقام هناك سنين في ايام المصريين فتمت نوبة قتل المنعوت
بالظافر وقتل عباس وزيرهم اخوته واقامة المنعوت
بالفايز وما ردف ذلك من الشر فعاد مويد الدولة الى
الشام وسار الى حصن كيفا وتوطن ولما سمع بالملك الصلاحي
جا الى دمشق وذلك في سنة سبعين وقال

• حمدت على طول عمري المشيبا • وان كنت اكثرت فيه الذنوبا
• لاني حييت الى ان لقيت بعد العدو صديقا حبيبا •

قال وكنت اسمع بفضله وانا باصفهان في ايام الشبيبة
واستدني له مجد العرب العامري باصفهان سنة خمس واربعين
هذين البيتين وهما من مبتكرات معانيه في سن قلعها •

• وصاحب لا امل الدهر صحبته • يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد •
• لم القه مذ تصاحبنا فحين بدا • لناظري افترقنا فرقة الابد

قال فلما لقيته بدمشق سنة سبعين انشدنيهما لنفسه مع كثير من شعره المبتكر من جنسه قلت ومن عجيب ما اتفق اني وجدت هذين البيتين مع بيتين اخرين المجموع اربعة ابيات في ديوان ابي الحسين احمد ابن منير الاطرابلسي ومات ابن منير سنة ثمان واربعين وخمسماية فرات في ديوانه وقال في الضرس

وصاحب لا امل الدهر صحبته ... يسعى لنفعي واجني ضره بيدي

ادنا الى القلب من سمعي ومن بصري ... ومن تلادي ومن مالي ومن ولدي

اخلو بلثي من خال لو جنته ... مدا الزمان ولا ينقص للمدد

لم اره مذ تصاحبنا فمذ وقعت عيني عليه افترقنا فرقة الابد

فالاشبه ان ابن منير اخذهما وزاد عليهما وهذا غير فيهما كلمات ويجوز ان يكون اسامة انشدهما متمثلا فنسبا اليه لما كان مظنة ذلك ويجوز ان يكون اتفاقا والله اعلم

قال العماد وشاهدت ولده عضد الدين ابا الفوارس مرهفا وهو جليس صلاح الدين وانيسه وقد كتب ديوان شعر ابيه لصلاح الدين وانيسه وهو لشغفه به يفضله على جميع الدواوين ولم يزل هذا الامير العضد مرهف مصاحبا له بمصر والشام والى اخر عصره وتوطن بمصر فلما جا موت نور الدين له ابوه انزله ارحب منزل واورده اعذب منهل وملكه

من

369.

من اعمال المعرة ضيعة تعرف بها كانت قديما تجري في املاكه
واعطاه بدمشق دارا واذا اقام بدمشق جالسه
وانسه وذاكره في الادب ودارسه وكان ذا راي وتجربه
وحنكه مهذبا به فهو يستشيره في نوايبه ويستنير برايه
في عزايمه واذا غاب عنه في غزواته كاتبه واعلمه بوافعاته
ووقعاته ويستخرج رايه في كشف مهماته وحل مشكلاته
وبلغ عمره ستا وتسعين كان مولده سنة ثمان وثمانين
واربعمائة وتوفي سنة اربع وثمانين وخمسماية قلت
وقد تقدم من اخباره في قتل الاسد في شبيبته ايام كونه
بشيزر وذكرت له ايضا ترجمة حسنة في تاريخ دمشق

فصل في رجوع السلطان الى مصر

خرج من دمشق يوم الجمعة رابع شهر ربيع الاول قال
العماد لما استتمت للسلطان بالشام امور ممالكه
وامن على مناهج امره ومسالكه ان يرجع الى مصر الايات
وقد انجلت لعلة من جود جود السحاب وتقدمه الامرا
والملوك وخرج بكرة الجمعة ونزل بمرج الصفر ثم رحل منه
قبل العصر الى قريب الصنمين وخرجت معه وقلبي نزوع
الى اهلي فيما نزلت منزلا الا نظمت ابياتا وقلت يوم
المسير وقد عبرت بالخيارة

اقول للركب بالخيارة نزلوا ٭ اني واهلي في المقام جيران
ثم رحلوا عنك الغداة وما دروا ٭ بانهم قد خلفوك وساروا

فصل في رجوع السلطان الى مصر

حليف اشتياق لا يوى من يحبه . وفي القلب من نار الغرام اوار
اجيروا من البلوى فوادي فعندكم . ذمام له يا سادتي وجوار

وقلت فقد نزلنا بالمقيع

رايتني بالمقيع منفردا . اضيع من قمح قاعه الضايع
بعت بمصر دمشق عن غرر . مني فيا غبن صفقة البايع
صبري والقلب عاصيان وما . غير همومي وادمعي طايع

وقلت بالغوار

تحدر بالغوار دمعي على الغور فقلت لجيراني اجيروا من الجور
واصعب ما لاقيت اني قانع . من الطيف مذ بنتم بزور من الزور

وقلت بالزرقا

ولم انس بالزرقا يوم وداعنا . انامل تذري عبرة للتندم
اعدتك يا زرقا حمرا انني . بكيتك حتى شيب ماوك بالدم
تاخر قلبي عندهم متخلفا . وخالفتهم في عزمتي والتقدم
فيا ليت شعري هل اعود اليهم . وهل ليت شعري نافع للمتيم

قال وقلت وقد عبرنا على مسالك قريبة من
قلعة الشوبك وفيها تختطف الفرنج القاصدين الي مصر طريق
مصر ضيق المسالك سالكه لا شك في مهالك وحب مصر صار
حبالنا أوقعه في شبك الشوبك لكنما من دونها كعبة محجوجة
مبرورة المنسك بها صلاح الدين يشكي الذي اليه من ايامه يشتكي

قال وقلت في طريق مصر قصيدة مشتملة على
ذكر المنازل بالترتيب وايراد البعيد منها والقريب والنفق

ان

ان السلطان سير الى مصر الملك المظفر تقي الدين وكان لا يستدعي
من شاديه الا انشادها في ناديه ويطرب لسماعها ويعجب بابداعها
وكان قد فارق اهله بدمشق كما فارقت بها اهلي وجمع الدهر
بهم بعد ذلك شملي وهي

هجرتكم لا عن ملال ولا غدر • ولكن لمقدور اتيح من الامر
واعلم اني مخطي في فراقكم • وعذري في ذنبي وذنبي في عذري
ارى لوبالله من خص ولا ادري اشد من الهجران في نوب الدهر
بعيني الى لقيا سواكم غشاوة • وسمعي عن نجوى سواكم الذ وقر
وقلبي وصبري فارقاني لبعدكم • فلا صبر في قلبي ولا قلب في صدري
واني على العهد الذي تعهدونه • وسري لكم سري وجهري لكم جهري
تجرعت صرف الهم من كاس شوقكم • وها انا في صحوي نزيف من السكر
وان زمانا ليس يعمر موطن • بسكناكم فيه فليس من العمر
واقسم لولم يقتسم البين بيننا • جوى الهم ما امسيت مقتسم الفكر
اسير الى مصر وقلبي اسيركم • ومن عجب اسري وقلبي في اسر
اخلاي قد شط المزار فارسلوا الخيال وزوروا في الكرى
• وانحوا الاجرى •
تذكرت احبابي بجلق بعد ما • ترحلت والمشتاق يانس بالذكر
ونادبت صبري مستغيثا فلم يجب • فاسبلت دمعي للبكا على صبري
ولما قصدنا من دمشق غباغبا • وبتنا من الشوق الممض على الجمر
نزلنا براس الماء عند وداعنا • موارده من ماء الدموع التي تجري
نزلنا بصحراء الفقيع وعوذرته • فواقع من فيض المدامع في الغدر

ونهنهت بالعوّار فيض مدامعي • فغاضت وباحت بالمكتّم من سرّي
سرينا الى الزرقا منها ومن يصب • اليها بسير حتى يري الورد او
يسري •
تذكرت حمام الفصير واهله • وقد جزت بالحمام في البلد القفر
وبالقريتين القريتين واين من • مغاني الغواني منزل الأدم والعفر
ووردنا منزل الرتون حسمى وابلة • ولم نستنزح حتى صدرنا الى صدر
عشيتنا الغواشي وهي بابسة الثرى • ببعلة عهد القطر بالعهد والقطر
وضن علينا بالندى ثمد الحصا • ومن يرتجي ريا من الثمد النزر
فقلت اشرحي بالخمس صدرا مطيتي • بصدر ذات الاجادل النيل للعشر
درايتها عين المواساة انشأت • الى عين موسى نبذ الزاد للسفر
وما جمرت عيني على فيض عبرة • الى فلكها حتى عبرنا على الجسر
وملنا الى ارض السدير وجنة • مسالك من طلح نضيد ومن سدر
وجينا الفلاحين اصبنا مباركا • على بركة الجب المليثي بالعصر
ولما بدا الفسطاط بشرني رفقتي • بمن يتلقى الوفد بالرفد والبشر
بكيت ام عمرو وشيك توحلي • فيا خجلي من ام عمرو ومن عمرو
تقول الى مصر تسير لتجتني • وما ذا الذي تبغي ومن لك في مصر
فقلت ملاذي الناصر الملك الذي • حصلت بجدواه على الملك والنصر
فقالت اقمراك نقدم الخير عندنا • فقلت وهل تغني السواقي عن البحر
نعم برجوع يضمن الله نجحه • ولا تقنطي ان يبدل العسر باليسر
عطيته قد ضاعفت منه الرجا • ونعمته قد اضعفت منه
الشكر •

قال وكان الدخول الى القاهرة يوم السبت سادس
عشر ربيع الاول بالدين الاجمل والعز الاكمل وتلقى السلطان
اخوه ونائبه الملك العادل سيف الدين الى صدر و عبر
الينا عند بحر القلزم الجسر وتلقانا خير مصر وجليت الينا
ثمراتها وجليت علينا زهراتها فطربنا نشاطها وزاد لعيننا طها
ودخل السلطان داره ووفقه الله في جميع الامور ايرادة
واصداره وكان قد صعبت علي مفارقة دمشق واهلها
لقلة الوثوق باني احصل مثلها فنظمت يوم خروجي منها
ابياتا الى ناصر الدين محمد بن شيركوه منها

مهجتي ضد العطف • مستلذ الدلال
يقول لي بانكسار • وذعه واعتلال
معاتبا بحديث • اصفى من السلسال
مامصر مثل دمشق • بعث الهدى بالضلال
فقلت عنت امور • عجيبة الاشكال
اسير في طلب العز • مثل سير الهلال
لم يبلغ البدر لولا • المسير اوج الكمال
وكيف اترك شغلي • وانه راس مالي
صلاح حالي صلاح • الدين العزيز النوال
مالي افارق ملكا • ملكته امالي
يا ناصر الدين قلبي • عليه في بلبال

ثم ذكر العماد المحسنين البه بالقاهرة وسيدهم المولى الاجل

الفاضل وقد مدحه بقصيدة منها
كيف لا يغتدي لي الدهر عبداً ... وانا عبد عبد عبد الرحيم
بدوام الاجل سيدنا الفاضل بادولة الافاضل دومي
ان اراه تنوب لدى الملك ... مناب الارواح عند الجسوم
مالك لحل في الممالك والعقد ... وحكم التحليل والتحريم
معمل للسفاد في كل قطر ... قلما حاكما على اقليم
يتلقى الملوك في كل ارض ... كتبه الوادمات بالتعظيم
ناحل الجسم ذو خطاب بر ... يصغر الدهر كل خطب جسيم
ثم ذكر الاخوين تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه وهما ابنا
اخي السلطان نور شاه شاهنشاه بن ايوب وهمام الدين بن غش
الشقباسي والي القاهرة ومدح فرخشاه بقصيدة حسنة منها
شادن كالقضيب لدن المهز ... سلبت مقلتاه قلبي بغمز
كلما رمت وصله زاد هجري ... واذا زدت ذلة زاد عزي
للصبح من عذاره نسج خز ... رقم المسك في الشقايق طرز
وعزيز على ان اصطباري ... فيه قد عز والغرام وبز
اراي ما رايت مجنون ليلى ... في هواه ولا كثير عزة
ماذكرنا الفسطاط الا نسينا ... ما رأينا بالنيل ووراء ...
فهما الجيزة الحوادي لهينا ... الميز حسنا مثل ظبا
الميزم
ونصرني عليه ناصر عز الدين ... ذي الفضل خلد الله عزه
فرع الكبر من دخايرماله ... ما لنا من نفايس الحمد كنزه

ممد

بهمة مستهامة بالمعالي للدنيا بابنيه مشتهرة

قال العماد ولقد قدرنا على الاجتماع في المعاني لاستماع
الاغاني والتنزه في الجزيرة والجيزة والاماكن العزيزة ومنازل
العز والروضة ودار الملك والنيل والمقياس ومواقع السفن
ومجاري الفلك والقصور بالقرافة وربوع الضيافة وزوايه
الاحاديث النبوية والمباحثة في المسايل الفقهية والمعاني
الادبية قال واقترحنا على القاضي ضياء الدين الشهرزوري
ان يخرجنا الى الاهرام فقد كنا شغفنا باخبارها في الشام
فخرج بنا اليها وزرناها فتلك البرابي والبراري والرمال
والصحاري واحمدنا المفاوز والمغاري وما لنا الهول وضاق
في وصفه مجال القول ورايتا العجايب ورويتا الغرايب واستصغرنا
في جنب الهرمين كل ما استعظمناه وتداولنا الحديث في الهرم
ومن بناه فكل ياتي في وصفها بما نقله لا بما عقله واجتهدوا
في الصعود اليه فلم يوجد من يوصله وحارت العقول في عقوله
وطارت الافكار عن توهم حدوده فيا له من مولود للدهر
قبل الطوفان انقرضت القرون الخالية على ابايه وجدوله
وسمار الاخبار بذكر حديث احداث عاده وثموده ويدل احكامه
وعلومه على علو همه بانيه في باسه وجوله وان في الارض الهرمين
كما في السما الفرقدين وهما كالطودين الراسخين والجبلين الشامخين
قد فنيت الدهور وهما باقيان وتقاصرت القصور وهما راقيان
وكانهما لام الارض ثديان بارزان على ترايب التراب نهدان وسلطان

ذكر اهرام مصر

ذا الجبلين

العالم علمان والى مر في الافلاك سلمان ومما لليل والنهار رقيبان ولعوادي الخطوب خطيبان ولدوار الفلك رونقان ولشخص الكرم الترابية ساقان قلت ثم ذكر العماد جماعة ممن كان يقيم الضيافة له ولمثله من الفضلا الاعيان فذكر منهم الشارح مودب اولاد السلطان وله دار مشرفة على النيل وذكر منهم اللسان الصوفي البلخي وكان له صحبة قديمة بنجم الدين ايوب والد السلطان وله دار ايضا على شاطي النيل برسم ضيافة من نزل به قال ثم وقف اللسان داره على الصوفية من بعده وانتقل بعد سنين الى النعيم وخلده

فصل في بيع الكتب وعمارة القلعة والمدرسة والبيمارستان

قال العماد وكان يباع الكتب في القصر كل اسبوع يومان وهي تباع بارخص الاثمان وخزاينها في القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف فقيل للامير بها الدين قراقوش متولي القصر والحال والعاقد للامر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمينها والغث ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراجها من بيوت الخزانة الى ارضها وهو تركي لا خبرة له بالكتب ولا دربة له باسفار الادب وكان مقصود دلالي الكتب ان يوكسوها ويحرموها ويعكسوها فاخرجت وهي اكثر من مايه الف من اماكنها وعزبت من مساكنها وخربت افكارها وادمت انوارها وشتت شملها وبت حبلها واختلطت فيها بخوميتها وشرعيتها بمنطقيتها وطبيتها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها

ومجاميلها

له بيع الكتب وعمارة القلعة والمدرسة والبيمارستان

تف

ومجاميعها بمشاهيرها وكان فيها من الكتب الكبار وتواريخ
الامصار ومصنفات الاخبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين
او ستين جزوا مجلدًا اذا فقد منها جزء لا يخلف ابدًا
واختلطت واختبطت فكان الدلال يخرج عشرة عشرة من
كل فن كتبا مبترة فتسام بالدون وتباع بالهون والدلال
يعرف كل شكل وما فيها من علة ويعلم ان عنده من اجناسها
وانواعها وقد شارك غيره في ابتياعها حتى اذا الحق كتابا
قد تقوم عليه بعشرة باعه بعد ذلك لنفسه بمائة فلما
رايت الامر حضرت القصر واشتريت كما اشتروا ومريت
الاطبا كما مروا واستكثرت من المتاع المبتاع وحويت
نفايس الانواع ولما عرف السلطان ما اسعته وكان زهيدا
انعم علي بها وابرى ذمتي من ذهبها ثم وهب لي ايضا من خزانة
القصر ما عينت عليه من كتبها ودخلت عليه يوما وبين يديه
مجلدات كثيرة استعبت له من القصر وهو ينظر في بعضها ويبسط
يدي لقبضها وقال لي كنت طلبت كتبا عينتها فهل في هذه
منها شي فقلت كلها وما استغني عنها فاخرجته من عنده
بجمالة وكان هذا منه بالاضافة الى سماحه اقل نواله قال
وكان السلطان لما تملك مصر راى ان مصر والقاهرة لكل
واحدة منهما سور لا يمنعها فقال ان افردت كل واحدة بسور
احتاجت الى جند مفرد تحميها واني ارى ان ادير عليهما سورًا
واحدًا من الشاطي الى الشاطي فامر ببنا قلعة في الوسط عند

مسجد سعد الدوله على جبل المقطم فابتدا امر ظاهر القاهره
ببرج في المقسم وانتهى به الى اعلا مصر ببروج وصلها بالبرج
الاعظم ووجدت في عهد السلطان ثبتا رفعه النواب
وفصل فيه الحساب ومبلغه وهو دائر البلدين مصر والقاهره
بما فيه من ساحل البحر والقلعه بالجبل تسعه وعشرون الفا
وثلثمايه وذراعان من ذلك ما بين قلعه المقسم على شاطى
النيل والبرج بالكوم الاحمر بساحل مصر عشره الف وخمسمايه
ذراع ومن القلعه بالمقسم الى حايط القلعه بالجبل بمسجد
سعد الدوله ثمانيه الف وثلثمايه واثنان وتسعون ذراعا
ومن جانب حايط القلعه من جهه مسجد سعد الدوله ثلثه
الى البرج بالكوم الاحمر سبعه الف ومايتا ذراع ودابر القلعه
بجبل مسجد سعد الدوله ثلثه الف ومايتان وعشر
اذرع وذلك طول قوسه في ابدانه وابراجه ومن النيل
الى النيل على التحقيق والتعديل وذلك بالذراع الهاشمي
بتولي الامير بها الدين قراقوش الاسدي وبنى القلعه على
الجبل واعطاها حقها من احكام العمل وقطع الخندق وتعميقه
وحفر واديه وتضييق طريقه وهناك مساجد يعرف احدها
بمسجد سعد الدوله فاشتملت القلعه عليها ودخلت
في الجمله وحفر في راس الجبل بيرا ينزل فيها بالدرج المنحوته
من الجبل الى الما المعين ولم يتات له هذا كله في سنين متقاربه
لولا اعانه الله بيده المعين وثقه في السلطان وكذا ينبغي من

السور

374

السور مواضع والعمان فيه مستمل ووظايف نفقاتها مستمرة
وامر بينا المدرسة بالتربة المقدسة الشافعية ورتب قواعدها
بشرط الامعيّة ولولاها القاضي الفقيه الزاهد نجم الدين
الخبوشاني ولمو الشيخ الصالح الفقيه الورع النقي التقي
وامر باتخاذ دار في القصر بيمارستانا للمرضى واستغفر
الله بذلك واستشفى ووقف على البيمارستان والمدرسة
وقوفا وقد ابطل منكرا واشاع معروفا واضرب عن
ضرايب فمحاها وذهب الى مواهب فاسداها واسهم بفرايض
ونوافل فاداها

فصل في خروج السلطان الى الاسكندرية

فصل في خروج السلطان الى الاسكندرية

وغير ذلك في بواقي حوادث هذه السنة قال
العماد ثم خرج من القاهرة يوم الاربعا الثاني والعشرين
من شعبان واستصحب ولديه الافضل عليا والعزيز
عثمان وحمل طريقه على دمياط ورأى في الحضور بالثغر
المذكور مشاهدته الاحتياط وكان له بها سبي كثير
جلبه الاسطول فاقمنا بظاهر البلد يومين ووهب لي
منه جارية ثم وصلنا الى ثغر الاسكندرية وترددنا
مع السلطان الى الشيخ الحافظ ابي طاهر احمد بن محمد
السلفي وداومنا الحضور عنده واجتلينا من وجهه نور
الايمان وسعده وسمعنا عليه ثلثة ايام الخميس والجمعة
والسبت رابع شهر رمضان واغتنمنا الزمان وتلك

الايام الثلثة بى لليتحسبناها من العمر فهي اخر ما اجتمعنا
به في ذلك الثغر وشاهدنا ما استجده السلطان من السور
الدابر وما ابقاه من حسن الاثار والماثر وما الصرف حتى
امر بتمام الثغور وتعمير الاسطول قال ابن
ابى طي ولما نوى السلطان المقام بالاسكندرية ليصلوم
فيها راى انه لا يخلي نفسه من ثواب يقوم له مقام الفضل
الى بلاد الكفار والجهاد في المشركين فراى الاسطول وقد
اخلقت سفنه ونغرت الاته فامر بتعمير الاسطول
وجمع له من الاخشاب والصناع اشيا كثيره ولما تم عمل
المراكب امر بحمل الالات منعمل من السلاح والعدد ما يحتاج
الاسطول اليه وشحنه بالرجال وولى فيه احد اصحابه
وافرد له اقطاعا مخصوصا وديوانا مفردا وكتب الى ساير
البلاد المصريه بقبول قول صاحب الاسطول وان لا يمنع
من اخذ رجاله وما يحتاج اليه وامر صاحب الاسطول
ان لا يبارح البحر ويغزى الى جزاير البحر قال
العماد وقلت في معنى تنقلي في البلاد
يوما بجي ويوما في دمشق وبالفسطاط يوما ويوما
بالعراق
كان جسمي وقلبي الصب ما خلقا الا ليقتسما بالشوق والبين
قال وقلت يوم الخروج من القاهره
ومن

بابا خلا

375.

يا باخلا عند الوداع بوقفة • لو سامني روحي لها لم ابخل •
ما كان ضرك لو وقفت لسايل • نترك الفواد بدايه في المنزل •
هلا وقفت لقلب من احرقته • مقدار اطفا الحريق المشعل •
ان اسم موتخلا فغي اسر الهوى • قلبي لديك مقيدا لم يرحل •
عذب العذاب لدى فوادي المبتلي • اذ كنت انت معذبي والمبتلي •

قال وقلت وقد نزلنا بين منية غمر ومنية سمنود

نزلت بارض المنيتين ومنيتي • لقاوكم الشافي ووصلكم المجدي •
سايلي ولا نيلي سريت ودكم • ويونسني ان مت في وحشة اللحد •

قال وعدنا من الاسكندريه في شهر رمضان فصمنا بقية الشهر بالقاهرة والسلطان مقوفرتها ان على نشر العدل والشارة وافاضة الجود واعزاره وسماع احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم واخباره واشاعة العلم والاعلان باشراره وابدا اشعار الشرع واظهاره وابقا المعروف على قراره واعدام الباطل وانكاره • قال ومن مدايحي في السلطان ما انشدته اياه سادس شوال •

فديتك من ظالم منصف • وناميك من باخل مسرف •

ابلغ دهرك قصدك • وقد قصدت بمصر ذا بوسف
وبوسف مصر بغير التقاء • وبذل الصنائع لم بوصف
فسروافتح القدس واسفك به • دما متى تجرها ينظف
وامد الى الاسبنا ر البتار • ومد السقوف على الاسقف
وخلص من الكفر تلك البلاد • يخلصك الله من الموقف
قال وفيها وصل رسل المواصله وصاحب الحصن
وماردين الى دمشق فاستوثقوا بتحليف اخو السلطان
شمس الدوله نور الشاه بن ايوب ثم قصدوا مصر ووقع
رسول حصن كيفا في الاسر قال ابن ابى طي وصل
رسول الموصل القاضي عماد الدين بن كمال الدين الشهرزورى
بهديه وفود خرج الموكب الى لقايه واكرمه السلطان
واحترمه وقدم بعده رسول نور الدين قرا ارسلان ورسول
صاحب ماردين بهدايا واجتمعوا بدمشق وخرجوا الى
السلطان بمصر فاعترضهم الفرنج فاسر رسول صاحب
حصن كيفا ولم يزل في الاسر حتى فتح السلطان بيت الاحزان
فاطلقه واحسن اليه قال وفيها رجع قراقوش
الى اوجله وتلك البلاد فجمع امواله ورجع الى مصر ثم
اراد الرجوع فمنعه العادل ثم خلصه قرحشاه فرجع
وفتح بلاد فزان باسرها قال العماد ثم خرج السلطان
الى مرج فاقوس من اعمال مصر الشرقيه لارتياد العدو
وتمويه للصيد والقنص والتطلع الى اخبار الفرنج لانتهاز

الفرص

الغرض واقترح عليّ أن امدح عز الدين فرحشه بقصيدة
موسومة الزم فيها الشين قبل الهاء فعملت ذلك في اواخر
ذي الحجة **فقلت**

مولاي عز الدين فرحشه • الدهر من برحك لا يحشه •

ومنها

نلقاه سمح الكف دفاقها • طلق المحيا كرما بشه •
ان شئت فوزا بالردى فالقه • او شئت فوزا بالعلا فاغشه •
يديهم بالايدي وبالايد من • جزل لهاه والعدى عرشه نعشه •
خوفهم الشرك فلا قمصه • امنهم يوما ولا فلسه •
او ذلك السودد يا ابن العلا • والدك السيد شيا مشه •

وقال في الكريدم كنا مجتمعين بمرج الفاقوس مصممين
على النزلة الى غزة وقد وصلت اساطيل لتغزي دمياط
والاسكندرية فسبي الكفار وقد اوقفت على الوزراس
علة من وصل في قيد الاسارى محضر ابن رواحه منشدا
مهنئا بعيد النحر سنة اثنتين وسبعين ومعرضا بما
وهبه الملك الناصر من الاما والعبيد بقصيدة • **منها**

لقد خبر التجارب منه حزم • وقلب دهره ظهرا لبطن •
فساق الى الفرنج الخيل برا • وادركهم على بحر بسفن •
لقد جلبت الجواري بالجواري • بمدن نكال قدمر جحن •
يزيدهم اجتماع الشمل بؤسا • فمن بان تنوح على قرن •
زمتهم اسكندرية يوم سيقوا • ودمياط فما منينا بوهن •

ط

يرون خياله كالطيف يسري فلو هجعوا اناهم يعدوهن
اباديهم لخوفه فامسى ثنائهم لو بليتهم يامن
تملك حولهم شرقا وغربا فصار والافتناص تحت رهن
قال العماد يشير الى انه مالك الشام ومصر والفرنج
بينهما
اقام بالدرب رباطا دارت منه الفرنج مصلوسجن
رجا اقضي الملوك السلم منهم ولم يرجهله في الباس يعني
وفي هذه السنة ابطل السلطان المكس الذي كان
بمكة على الحاج وسياتي ذكره في اخبار سنة اربع وتسعين
قال ابن الاثير وفي سنة اثنين وسبعين شرع
مجاهد الدين يعني قايماز دردارا قلعة الموصل في عمارة
جامعه بظاهر الموصل بباب الجسر وهو من احسن الجوامع
ثم بنى بعد ذلك الرباط والمدرسة والبيمارستان وكلها
متجاورات قال وتوفي في شهر ربيع الاول من سنة خمس
وتسعين بقلعة الموصل وهو متوليها والحاكم في الدولة
الاتابكية النورية وكان ابتدا ولايته القلعة في ذي
الحجة سنة احدى وسبعين ثم قبض عليه سنة تسع
وثمانين واعيد الى ولايتها بعد الافراج عنه وبقي الى
الان وكان اصله من اعمال نخجوان واخذ منها طفلا
وكان عاقلا خيرا دينا فاضلا يعلم الفقه على مذهب ابي
حنيفه ويحفظ من الاشعار والحكايات والنوادر والتواريخ

بينا

مجاهد الدين قايماز

شيا كثيرًا الى غير ذلك من المعارف الحسنه وكان يكثر الصوم
وله ورد يصليه كل ليله ويكثر الصدقه وبنى عدة جوامع
منها الذي بظاهر الموصل وبنى عدة خانقاهات منها التي
بالموصل ومدارس وقناطر على الانهار الى غير ذلك من
المصالح ومناقبه كثيرة وقال العماد في الخريده
نزلت بركة الجب لقصد فرض الجهاد وعرض الاجناد وكتب
الاسعد بن مماتي الي ابياتا في الملك الناصر وتعرض بالشطرنج
فانه كان يشتغل به في ذي القعده سنة اثنين وسبعين

يا كريم الخيم في الخيم ... أهيف كالريم ذو شمم
يخجل الشمس اذ طلعت ... منه في داج من الظلم
كيف لا انصبي لواحظه ... ورماة الطرف في العجم
لا تصد قلب المحب لكم ... لا يحل الصيد في الحرم
يا صلاح الدين يا ملكا ... مذ براه الله للامم
اضحت الكفار في نقم ... وغدا الاسلام في نعم
ان يكن للشطرنج مشتغلا ... لعلي القدر والهمم
فهي في ناديك تذكرة ... لامور الحرب والكرم
فلكم ضاعفت عدتها ... بالعطا الجم ذا النعم
ونصبت الحرب نصبتها ... فانثنت كفاك بالغنم
فابق للاقدار ترفعها ... وامر الاقدار كالخدم

وفيها توفي بالاسكندريه القاضي الشريف ابو محمد
عبد الله العثماني الديباجي من ولد الديباج محمد بن عبد الله

بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ويعرف بابن ابي اليابس من بيت القضا والعلم وكان واسع الباع في علم الاحاديث كبير الرواية فيما بالادب متفرقا في النظم والنثر الا انه فحل من النظم او حد عصره في علم الشروط قوله هو المقبول على كل العدول ذكر ذلك كله العماد في الخريدة

ثم دخلت سنة ثلث وسبعين والسلطان نجم بمرج فاقوس فنظم العماد في الاجل الفاضل قصيدة ميمية في مستصف المحرم وخدمه بها مناك في المخيم منها

كم مضنى بيوم مضى • من سقم عينيه عن سقمي
ان رمت باعاذلي صلاحي • فخلني والهوى وزعمي
لومك يذكي الغرام فالي • انت تنصحي ام انت خصمي
اباز ما في العشق اقصر • انك لا تستطيع عشمي
عبد الرحيم الرحيم اضحى • عوني على خطبك الملم
بالفاضل الافضل الاجل • المفضل الاشرف الاشم
غيث غياث وجود جود • وبحر علم وطود حلم
براعه في اليمين منه • يستخرج الدر من خضم

قال وكان عندنا بالمخيم بالعباسية في المحرم علم الدين الشاتاني وهو من ادبا الموصل وشعرائها وفصحائها وظرفائها ووقد سنة اثنين وسبعين الى مصر واهدى النظم والنثر واصطنعه عز الدين فرخشاه وانزله في جواره وجمع له من دخله ومن الامرا الف دينار ممدح

السلطان

378.

السلطان بكلمة مطلعها

غدا النصر معقوداً برايتك الصفرا ... فسر وافتح الدنيا فانت بها احرا

قلت لم يذكر العماد من هذه القصيدة غير هذا البيت وانه لقائم مقام قصايد كثيرة والشاعر لهو ابو علي الحسن بن سعيد له ترجمه في تاريخ دمشق وذكره العماد في الخريدة وذكر من هذه القصيدة قبله

يمينك فيها اليمن واليسر في اليسرى ... فبشرى لمن يرجو الندى منهما بشرى

قال العماد وكانت الاعلام السلطانية صفراً لا يفارق نشرها نصراً قلت وفيها يقول بعض الفضلا

اذا اسود خطب دونه الموت احمر ... اتت بالايادي البيض اعلامه الصفر

فمذ ظهرت منصوبة جزمت بها ... ظهور العدا من رفعها الخفض الكفر

ولم لا يحوز الارض شرقاً ومغرباً ... ولله في اعلا رايته سر

قال العماد وعاد السلطان الى القاهرة واقام بها ثم سمت بالغزاة همته الى غزة وعسقلان فخرج يوم الجمعة ثالث جمادى الاولى بعد الصلاة وخيم بظاهر بلبيس في خامسه فحلبسه ثم تقدمنا منه الى السدير وخيمنا بالمنزلة ثم نودي خذوا زاد عشرة ايام اخرى

يقط

زيادة للاستظهار ولاعواز ذلك عند توسط ديار الكفار

قال العماد فركبت الى سوق العسكر للابتياع وقد
اخذ السعر في الارتفاع فقلت لغلامي قد بدا لي وقد
خطر الرجوع من الخطو ببالي فاعرض للبيع احمالي واثقالي
وانتهز فرصة هذا السعر العالي وانا صاحب قلم لا صاحب
علم وقد استشعرت نفسي في هذه الغزوة من عاقبة ندم
والمدى بعيد والخطب شديد وهذه نوبة السيوف لا نوبة
الاقلام وفي سلامتنا سلامة الاسلام والواجب على كل
منا ان يلزم شغله ولا يتعدى حده ولا يتجاوز محله
لاسيما ولو ان العدو ان قد استاذنوا في العود واظهروا
قلة العدد واظهرت سري للمولى الاجل الفاضل فشرع
اشفاقا علي واحسانا الي وكان السلطان ايضا يؤثر
استشاري ويختار اختياري فقال انت معنا او عزمت ان
تدعنا ولا تتبعنا فقلت الامر للمولى وما يختاره لي فهو اولى
فقال نعود وندعو لنا ونسأل الله ان يبلغنا في النصر
سؤلنا وكنت قد كتبت ابياتا الى المخدوم الفاضل
ونحن بالمبرز في العشر من المحرم •

فتل في مصرنا بلا عدد الرمل • ووفر كتبها الموفور •
فاغتررنا بها وسرنا اليها • ووقعنا كما ترى في الغرور •
وحظينا بالرمل والسير فيه • ومنعنا من نيلها الميسور •
وبرزنا الى المبرز نشكو • ه سدرا من نزولنا بالسدير •

فنيل

379.

فتلك سر بالجهاد وما ذا • يالغ في الجهاد جهد مسيري
ليس تقوى في الجيش جاشي ولا قوسي • يري موترا الى موتور •
انا للكتب لا الكتايب اقدامي • وللصحف لا الصفاح حضوري •
كاد فضلي يضيع لولا اهتمام • الفاضل الفايض الندي بامور •
فانا منه في ملابس جاه • رافلا منه في حبير حبور
فهو رقا من الحضيض حظوظي • وسما بي الى سرير السرور •

قال وما انقطعت عن السلطان في غزواته الا في هذه الغزوة وقد عصم فيها من النبوة وكانت غزوات السلطان بعدها موصلة والسعادات فيها مجددة وكنت لما فارقت القاهرة استوحشت وتشوقت الى اصدقاي وتشوشت وكتبت من المخيم ببلبيس الى القاضي شمس الدين محمد بن موسى المعروف بابن الفراش وقد اقام بالقاهرة وكان صاحبا لي من الايام التورية واستشرته في التاخر عن السلطان فكتب في الجواب وافقه ولا تتوافقه تفارقه فكرهت رايه فكتبت اليه

اذا رضيتم بمكروهي فذاك رضى • لا ابتغي غير ما تبغون لي غرضا •

يحفظ

وان رايتم شفا القلب في مرضي ۞ فانني مستطيب ذلك المرضا
انتم اشرتم بنفعي بين قصرته ۞ مستبعد بالسلك الهم والمضا
اصبحت ممتعضا من احل انى له ۞ صديقا لما القاه ممتعضا
ان رمتم عوضا بي في محبتكم ۞ فحاش لله ان ابغي بكم عوضا
لله عيش تقضى عندكم ومضى ۞ وكان مثل سحاب برقه ومضا
العيش ذاك حياة الغض عندكم ۞ والقلب محترق مني بجمر غضا
ما كنت اعهد منكم ذا الجفا ولا ۞ حسبت ان وكادي عندكم رفضا
قد اظلم الافق في عيني بغيبتكم ۞ فان ادنت لتسحص في الحضور اضا
ولست اول صب في لحبته ۞ لما جفوا ما قضى اوطاره وقضا
مروا انما شيمتم من محبته واذى ۞ فقد رايت امتثال الامر مفترضا
طوبى لكم مصر والدار التي قضيت ۞ فيها المارب والعيش الذي خفضا
بعيشتكم ان خلوتم بانبساطكم ۞ تذكروا واضحى ابالعيش منقبضا
رضيتم سفري عندكم ولعهدكم ۞ بسفري عنكم لا انظروا رضا
هلا تكلفتم قوله لسر به ۞ مبهات جوهركم قد عاد لي عرضا
تفضلوا واشرحوا صدري بزوركم ۞ او فاشرحوا الى ذا المعنى الذي غمضا

وكتب الي في جوابها ابياتا منها

لا تنسبوني الى ابتار بعدكم ۞ فلست ارضى اذا فارقتكم عوضا
ولي وداد تولى الصدق عقدته ۞ فما نراه على الايام منتقضا
بلقاك قلبي على شوك القتاد له ۞ بصحة ليس تخشى بعدها مرضا

ومرت

380.

وصرف كالدهر تجني اهله اسفا · ويلتقي من غناب المذنب المضضا

قال ثم وعتب وعدت وتهطلوا وفقدت

فصل في نوبة كسرة الرمله

وكانت على المسلمين بالجمله

وذلك يوم الجمعة غرة جمادى الاخرة او ثانيه ونحل السلطان بعساكره فنزل على عسقلان يوم الاربعا التاسع والعشرين من جمادى الاولى فسبى وسلب وغنم وغلب واسر وقسر وكسب وكسر وجمع مناك من كان معه من الاسارى بجمع فضرب اعناقهم وتفرق عسكره في الاعمال مغيرين ومبيدين فلما راوا ان الفرنج خامدون استرسلوا وانبسطوا وتوسط السلطان البلاد واستقبل يوم الجمعة مستهل جمادى الاخرة بالرمله راحلا ليقصد بعض المعاقل فاعترضه نهر عليه تل الصافيه فازدحمت على العبور اثقال العساكر المتوافيه فما شعروا الا بالفرنج طالبة باطلابها جاذبة باحزابها ذايبة بذيابها عاوية بكلابها وقد تفرقوهم وذفرهم وسرايا المسلمين في الضياع ومغيرم ولرحا الحرب عليهم في دورهم مدير فتوقف الملك المظفر تقي الدين وتلقاهم بصدره وباشرهم ببيضه وسمره فاستشهد من اصحابه عدة من الكرام انتقلوا الى نعيم دار المقام وهلك من الفرنج

نبغى الرسالة على عبلاد العدو ٥

يفظ

اضعافها وكان لتقي الدين ولد يقال له احمد اول ما طر شاربه واستشهد ما رد يغا رسا قال وكان لتقي الدين ايضا ولد اخر اسمه شاهنشاه وقع في اسر الفرنج وذلك ان بعض مستامني الفرنج بدمشق خدعه وقال له نجي الى الملك وهو يعطيك الملك وزور له كتابا فسكن الى صدقه وخرج معه فلما انفرد به شده وثاقه وغله وقيده وحمله الى الداويه واخذ به مالا وجد له عندهم حالا وجما لا وبقي في الاسر اكثر من سبع سنين حتى فكه السلطان بمال كثير واطلق للداويه كلما كان لهم عنده من اسير فغلظ القلب التقوي على ذلك الولد جرم لا له اجنه ولما عاد من الغزوه زرناه للتعزيه فيه قال ولوان لتقي الدين ردا لا ردى القوم لكن الناس تفرقوا واراثقالهم ثم نجوا ابو حا لهم وصوب العدو بحملتهم حملتهم على السلطان فتبت ووقف على تقدمه من خلف وسمعته يوما يصف تلك النوبه ويشكر من جماعته الصحبه ويقول رايت فارسا يحث نحوي حصانه وقد صوب الى نحري سنانه وكاد يبلغني طعانه ومعه اخران قد جعلا شانهما شانه فرايت ثلثة من اصحابي خرج كل واحد الى كل واحد منهم بادروهم وطعنوهم وقد تمكن من قربي فما مكنوهم وهم ابرهيم بن قناسو وفضل الفيضي وسويد بن غشم المصري وكانوا فرسان العسكر وشجعان المعشر واتفق لسعادة السلطان ان هولاء الثلثة رافقوه وما فارقوه وقارعوا

العدو

381.

العدو دونه وصار يقوم فما زال السلطان يسير ويقف
حتى من ظن انه يتخلف ودخل الليل وسلك الرمل ولا ماء ولا
دليل ولا كثير من الزاد والعلف ولا قليل وتعسفوا السلوك
في تلك الرمال والاوعار والاوعار وبقوا اياما وليالي
بغير ما ولا زاد حتى وصلوا الى الديار وادى ذلك بتلف
الدواب وترجل الركاب ولعوق الاصحاب وفقد كثير ممن
لم يعرف له خبر ولم يظهر له اثر وفقد الفقيه ضياء الدين
عيسى واخوه الظهير ومن كان في صحبتهم فضلوا الطريق عنهم
وكانوا سائرين الى ورا فاصبحوا بقرب الاعدا فاكتمنوا في
مغارة وانتظروا اهتدايهم من بلد الاسلام على عمان
فدل عليهم العرج من زعم انه يدلهم وسعى في اثرهم
وعطبهم فاسروا وما خلص الفقيه عيسى واخوه الا بعد
سنين بستين سبعين الف دينار وفكاك جماعة من الكفار
قال وما اشتدت مذ الدولة نكبة ولا عدم نصر فان
النكاية في العدو وبلاده بلغت منتهاها وادركت كل نفس
مومنة مشتهاها لكن الخروج من تلك البلاد شتت الشمل
واوعر السهل وسلك مع عدم الما والدليل الرمل وبما
قدر الله تعالى من اسباب السلامة والهداية الى الاستقامة
ان الاجل الفاضل استظهر في دخول بلاد الاعدا باستصحاب
الكتابية والادلا وانهم ما كانوا ابعا دفوته في الغدا
والعشا فلما وقعت الواقعة خرج بدوابه وغلمانه واصحابه

وادلاّيه واثقاله وبثّ اصحابه في تلك الرمال والوهاد والتلال
حتى اخذ خبر السلطان وفصله واوضح بادلايه جدله وفرق
ما كان معه من الازواد على المنقطعين وجمعهم في خدمة السلطان
اجمعين فتسهل ذلك الوعر واكسر بعد الوحشة القفر وجبر الكسر
وكان الناس في مبتدا توجه السلطان الى الجهاد ودخول الاجل
الفاضل معه في البلاد ربما تحدثوا وقالوا الوقعة وتخلف كان
اولى به خان الحرب ليست من دابه ثم عرف ان السلامه والبركه
والنجاه كانت في استصحابه وجا الخبر الى القاهره مع نجابين
فخلع عليهم وادكبوا واشيع بان السلطان نصره الله وان
الفرنج خذلهم الله كسروا وغلبوا فركبت لاسمع حديث النجابين
وكيف نصر الله المسلمين واذا هم يقولون ابشروا فان السلطان
واهله سالمون وانهم واصلون غانمون فقلت لم يبقى ما يبشر بسلامة
السلطان الا وقد تمت كسره وما ثم سوى سلامته نصره وما
قرب خرجنا لتلقيه وشكرنا الله على ما يسره الله من توفيقه وتوفيقه
ودخل القاهره يوم الخميس منتصف الشهر ونابت سلامته مناب
الدهر وسيرنا بها البشاير وانهضنا ببطاقاتها الطاير لاخراس
السنة الاراجيف وابدال الناس من التخويف فقد كانت
نوبتها هايله ووقعتها غايله وقال ابن شداد
خرج السلطان بطلب الساحل حتى وافا الفرنج على الرمله
وذلك في اوايل جمادي الاولى وكان مقدم الفرنج البرنس ارناط
وكان قد بيع بحلب فانه كان اسيرا بها من زمن نور الدين محمد

ولقد الله وجرى خلل في ذلك اليوم على المسلمين و
حكى السلطان قدس الله روحه صنوبرة الكسرة في ذلك
اليوم وذلك ان المسلمين كانوا قد تعبوا تعبية الحرب
فلما قارب العدو راى بعض الجماعة ان يغير الميمنة الى
جهة الميسرة والميسرة الى جهة القلب ليكونوا حالة اللقا
وراظهورهم تل معروف بارض الرملة فبينما اشتغلوا بهذه
التعبية ما جهم العدو وقد راد الله كسرهم فانكسروا كسرة
عظيمة ولم يكن لهم حصن قريب ياوون اليه فطلبوا جهة
الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا واسر منهم جماعة
منهم الفقيه عيسى وكان ومنا عظيما جبره الله بوقعة
حطين المشهورة ولله الحمد قلت وذلك بعد عشر
سنين فكسرة الرملة كانت في ثلث وسبعين وكسرة حطين
كانت في سنة ثلث وثمانين قال العماد وجيت
كانت للملك المظفر تقي الدين في هذه الغزوة اليد البيضا

انشدته قصيدة منها

سقى الله العراق وساكنيه • وحياه حيا الغيث الهتون
وجيرانا امنت الجور منهم • وما فيهم سوى واف امين
صفوا والدهر ذو الكدر وفدما • وفوا بالعهد في الزمن الخؤون
بنو ايوب زانوا الملك منهم • بحليه سودد وتقى ودين
ملوك اصبحوا خير البرايا • لخير رعية في خير حين
اسانيد السيادة عن علاهم • معنعنة مصححة المتون

بنو ايوب مثل قريش مجدًا • وانت لها كانوعها البطين •
اخفت الشرك حتى الذعر منهم • يري قبل الولادة في الجنين •
ويوم الرملة المرهوب باسًا • تركت الشرك منزعج القطين •
ولنت بعسكر الاسلام كهفًا • اوي منه الي حصن حصين •
وقد عرف الفرنج سطاك لما • دا و اثارها عين اليقين •
وانت ثبت دون الدين تحمي • حماة اوان ولي كل دون •

قال واهتم السلطان بعد ذلك بافاضة الجود • وتفريق الموجود • وافتقاد الناس بالنقود والسنايا الصادقة الوعود • وجبر الكسير • وفك الاسير • وتوفير العدد • وتكثير المدد • وتعويض ما وقف من الدواب • فسلوا ما نابهم • ولم ياسوا علي ما فات •

تم الجزو الاول من كتاب الروضتين
في اخبار الدولتين • يتلوه ان شا الله تعالي
في الجزو الثاني قال ابن ابي طي

والحمد لله وحده وصلواته
علي محمد واله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا
دايما ابدًا





بنو ايوب مثل قريش مجدا • وانت لها كانوعها البطين
اخفت الشرك حتى الرعب منهم • يري قبل الولادة في الجنين
ويوم الرملة المرهوب باسا • تركت الشرك منزعج القطين
ولذت بعسكر الاسلام كهفا • اوي منه الي حصن حصين
وقد عرف الفرنج سطاك لما • دا واثارها عين اليقين
وانت ثبت دون الدين تحمي • حماه اوان ولي كل دون

قال والمتم السلطان بعد ذلك بافاضة الجود • وتفريق الموجود • وافتقاد الناس بالنقود والسنايا الصادقة الوعود • وجبر الكسير • وفك الاسير • وتوفير العدد • وتكثير المدد • وتعويض ما وقف من الدواب • فنسلوا ما نابهم • ولم ياسوا على ما فات

تم الجزو الاول من كتاب الروضتين في اخبار الدولتين • يتلوه ان شاء الله تعالى في الجزو الثاني قال ابن ابي طي

والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا

العصر عبد ... احمد بن محمد ... ١٠٠٠ سنة

٢٠

Ende